

المجلس
الاعلى
للثقافة



جوهرة الترجمة

عبور الحدود الثقافية

المشروع القومي للترجمة

858

تحرير ثيو هيرمانز

ترجمة: بيومى قنديل

المشروع القومي للترجمة

جواهر الترجمة : عبور الحدود الثقافية

تحرير : ثيو هرمانز

ترجمة : بيومي قنديل



٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٥٨

- جوهر الترجمة (عبور الحدود الثقافية)

- ثيو هرمانز

- بيومي قنديل

- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

Crosscultural Transgressions

Research Models in Translation Studies II

Historical and Ideological Issues

Edited by : Prof. Theo Hermans

© Theo Hermans and Contributors 2002

" First published by St. Jerome Publishing Ltd.

Manchester, United Kingdom. "

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

7 مقدمة المترجم
15 مقدمة المؤلف
29 الفصل الأول : عقد أواصر الصلة بين نسقين لانهائين
55 الهوامش
59 الفصل الثاني : سعياً وراء منهجية انتقائية لتوصيف الترجمة
86 الهوامش
89 الفصل الثالث : مالا تقوله النصوص
114 الهوامش
115 الفصل الرابع : مبادئ الترجمة و"أجندة" المترجم
138 الهوامش
139 الفصل الخامس : الأنساق في الترجمة
169 الهوامش
171 الفصل السادس : نموذج التركيبية البنيوية في الدراسات الترجمة
186 الهوامش
187 الفصل السابع : الترجومية (= قابلية الترجمة) بين أمشاق
213 الهوامش
215 الفصل الثامن : الترجمة كـ «تركيمي» ونازيرى
248 الهوامش
 الفصل التاسع : السلطة والأيدولوجيا في البحث الترجمة في صين
251 القرن العشرين
280 الهوامش

281 الفصل العاشر : «تلاوك» يزأر
305 الهوامش
307	الفصل الحادى عشر : الثقافة كترجمة وما بعد النماذج الإثنوجرافية
324 الهوامش
325	الفصل الثانى عشر : الدراسات الترجمية "العالمية" و"المتعددة اللغات"
345 الهوامش
347 معجم خاص

مقدمة المترجم

مفاجأة بالمعلوم:

فاجأني هذا الكتاب الجاد، وهو من الوزن الثقيل في موضوعه، كما يستطيع القارئ الكريم أن يلمس بنفسه، بما لم أكن أجهله. فلقد كنت أدرك جيداً أن الباحثين في ميدان الدراسات الترجمية قطعوا أشواطاً واسعة في سبيل محاولاتهم نقل هذا النشاط الثقافي من مرحلة الفن الذي يخضع للذوق الخاص عند الانتاج (= الترجيم) والاستقبال (= القراءة). وأن هذه الأشواط ما كان الباحثون ليقطعونها قبل الانجازات الكبرى التي حققها اللغويات كأرقى علم إنساني، في تصوري، إذ حدد موضوعه بشكل حاسم ورسم نهجه ومنهجه وأبواته وعبر الفرضيات والنظريات إلى مرحلة صوغ القوانين التي تنطبق على كافة الحالات الداخلة في نطاق موضوع العلم، أي أصبح أو كاد يقف رأساً برأس إلى جوار أي علم من العلوم الطبيعية ذاتها كالفيزياء والكيمياء العضوية وغير العضوية. ولم أكن أجهل أن القومية لا تزال ولسوف تستمر متأججة في سائر أرجاء العالم شرقيه وغربيه شماليه وجنوبيه. ولم استبعد في يوم من الأيام السابقة ولا أظن أنني سأستبعد في أي وقت لاحق أن يقاوم المثقفون أي استبداد في الحكم أو احتكار للصواب، مهما ارتدى هذا الاستبداد وذلك الاحتكار من شعارات خلافة أو استند إلى سلطات مدعاة سواء أكانت سلطة السماء أو الأرض وبعبارة أخرى "الدين" (الشيوعية الاثنى عشرية والسنية الوهابية نموذجان) أو العلم (الشيوعية نموذجاً). ولم أغفل عن أن الأدباء الكبار الذين يحصلون على اعتراف عالمي لسبب أو آخر، مثل فوزهم بجائزة مرموقة أو كانت مرموقة إلى وقت قريب مثل جائزة نوبل، سوف تدفعهم روحهم القومية ونزعتهم الانسانية معاً إلى تخديم هذا الاعتراف في خدمة

النضال الذي تخوضه شعوبهم ضد العسف والقمع، مثلما فعل ويفعل النيجيري "بول سونيكا" الحائز على جائزة "نوبل" في الأدب لسنة ١٩٨٦، وهو الرجل الذي يمتد نشاطه الذي يشمل إلقاء المحاضرات والمشاركة في المظاهرات وكتابة المقالات وإجراء الحوارات وصوغ المسرحيات إلى أربعة أركان العالم المتحضر ضد الحكومات العسكرية التي تقفر من المجهول كي تقبض، دون شرعية، على زمام الحكم في وطنه نيجيريا، ويظل يكيل لها الضربات الجريئة والصريحة وينزل بها شتى الأوصاف عنيفها وبذيتها معاً حتى تسقط سقوطاً منوياً، مع أحكام الاعدام التي تكون قد أصدرتها ضد المثقف دون أي تحفظ، الذي وضع نفسه حيثما يجب للمثقفين أن يكونوا: على رأس الزحف الذي تسير فيه شعوبهم من الغابة إلى المجتمع الانساني. وليس الأمر بطبيعة الحال مقصوراً على الحائزين على جوائز "نوبل". فلقد لمس الحر الفقير موقف المثقفين اليونانيين ضد الحكم العسكري الذي اغتصب الحكم في "أثينا" في أواخر الستينات، بل وتشرف (أو شرف) بالمشاركة في الاحتجاج الذي نظمه اليونانيون بمساندة من مختلف الأحرار في أوروبا والعالم المتحضر، وهو الاحتجاج الذي قاده في أحد أكبر مدرجات جامعة السوربون بالعاصمة الفرنسية في صيف سنة ١٩٧٤ الموسيقار اليوناني الكبير "ميكوس ثيودراكيس" ضد الحكم العسكري في بلاده تحت عنوان "الحرية لليونان"، وخلال الاحتجاج ضد الحكم العسكري غير المشروع هتف الحاضرون أيضاً ضد الحكومات العسكرية في أمريكا اللاتينية وخصوصاً حكم الجنرال "فيدل" بالارجنتين، إن لم تخونني الذاكرة وأيضاً ضد حكومة "الشاه" و"سافاك" في "طهران" دون أن يدري أحد وقتها أن الأيام تخبئ للإيرانيين "خوميني" و"حرسه الثوري". كل ذلك لم يكن غائباً عن بالي، لكن ما فاجأني كان المدى الذي بلغه كل ذلك.

عن المثقفين الترك:

فأن يكون بين المثقفين الترك من يصف اللغة التركية التي تبنت القلم العربي خلال إمبراطورية بني عثمان بأنها "لغة عثمانية" نازعاً عنها تركيبها وأن يمضي

في هذا الشوط فيرميها بأنها "كانت ملوثة باللغتين العربية والفارسية" (راجع المقال الثالث الذي خطته "شهناز طاهر-جورتشاغلار) وأن يجاهد هؤلاء المثقفون الترك الجهاديين الأصغر والأكبر في سبيل "تطهير" لغتهم التركية من الكلمات العربية والفارسية التي تدفقت إلى لغتهم خلال سيادة ما عرف وقت ذاك باسم "الثقافة الإسلامية" وفي هذا الصدد ينحتون كلمة تركية خالصة على سبيل المثال كي تؤدي لهم مدلول كلمة "تركومي" (tercūme) أو "تركيمي" (terceme) التي انحدرت إليهم من العربية، وأظنهم لم يكونوا ليجهلوا أن الكلمة منحدره، بدورها من السريانية: "ترجوم" إلى العربية، و لكن يبدو لي أنهم ساووا بين مختلف اللهجات السامية السائدة في غرب آسيا سواء أكانت عربية أو إحدى شقيقاتها في الفرع السامي من العائلة الحامية- السامية والأولى الأفريقية-الآسيوية. وفي سائر الأحوال اشتقوا فعلاً تركياً جديداً دخل الاستعمال في الثلاثينات واستطاع أن يسود في اللسان التركي على الكلمة العربية التي سادت فيما يسميه الترك باللغة العثمانية ومشتقاتها والفعل الجديد هو (çeviren)، وتتأكد هذه السيادة في زحزة الفعل "العثماني"، إذا كان لنا أن نستعمل هذه الصفة التي لا يجد الترك أي غضاضة في استعمالها، حتى يصبح ليس مهجوراً و فقط، بل ويشير إلى الترجمة التجارية التي يعزف عنها المثقفون نوى الجباة العالية، فهذا ما لم يستطع أن يصل إليه خيالي.

وأن تفتتح حكومة تركية مكتباً للترجمة كي يترجم الأعمال الكلاسيكية من الآداب الغربية إلى اللغة التركية أي اللغة الأم بالنسبة للترك أمرٌ قد يجد نظائر له في هذا البلد أو ذاك أما أن يملك المسئولون عنه وبينهم رأس الدولة التركية ووزير تعليمها الشجاعة الكافية حتى يفصحوا عن أن "المكتب يأتي في إطار إستراتيجية الحكومة الجمهورية في "تغريب" المجتمع التركي فأعلى من سقف خيالي الذي تشكّل في ظل نبذ وبغض واشمئزاز "المتعلمين المصريين"، وعلى رأسهم أكاديميوهم لك "تغريب" لأن هذا التغريب سوف يؤدي، لا محالة إلى محو هويتنا. أي هوية؟ "العربية - الإسلامية" بطبيعة الحال. ومعنى القول أن السياسيين الترك أنفسهم يدركون ما لا تدركه "صفوتنا" ذاتها من أن "المجتمع المتقدم يطرح على المجتمع الأقل تقدماً الصورة التي

سيكون عليها عندما يرتقى إلى مستواه". ولكن ذلك مشروط بالنقل إلى اللغة القومية أي لغة الأم والأم هنا بمعناها الأشمل أي الوطن والصلة بين هذه وتلك صلة وطيدة. ونجد في اللغة الأمازيغية، على سبيل المثال، أن هناك كلمة واحدة للدلالة على المعنيين اللغة والأم هي كلمة: Tamazight ، حسب صديقي الأمازيغي الباحث الجاد "سعيد بركنان".

عندما يتكلم ماركيز:

وكان طبيعياً أن يتخذ الروائي الكولومبياني المشهور "جابريل جارسيا ماركيز" الحائز على جائزة نوبل في الأدب لسنة ١٩٨٢ ، موقفاً، ليس جديداً عليه، بإعلان انحيازه، نون أي تحفظ إلى ما يراه صحيحاً في قضية شغلت وسائل الاعلام وشدت الانتباه على نطاق عالمي في سنة ١٩٩٩ وهي قضية الصبي "إليان جونزاليز" الذي نجا، بأعجوبة من الموت غرقاً في انقلاب "العبارة" التي كانت أمه تستقلها مع رفيقها - وآخرين - في عرض البحر الكاريبي قبالة ساحل "فلوريدا". ووصل الأمر إلى طريق مسدود بين أقارب الصبي في "فلوريدا" وبين والد الصبي في كوبا. هؤلاء يصرون على بقاءه معهم في الولايات المتحدة والوالد يصر على عودته إلى أحضانه في كوبا. وتعددت الأمور بانحياز السلطات الكوبية، صراحة، إلى جانب الوالد وانحياز السلطات الأمريكية ضمناً إلى جانب أقارب الصبي. وهنا لم يدخر "ماركيز" بما يتمتع به من وزن دولي وإقليمي وقتاً قبل أن يتكلم كي ينصت الجميع على الضفتين المتخاصمتين. كل ذلك كان متوقفاً من جانبي من روائي بحجم "ماركيز" يثق من أن جائزة "نوبل" ليست أكبر منه وأنه استحقها عن جدارة لفنه وحده وليس لمواقف إتخذها سواء بالصمت عن/ أو تأييد جرائم غربية علنية أو مستترة وليس لمواضعات وملاءمات وادعاءات عدالة، إقليمية أو دولية، ولكن الذي فاجأني - وإنني لأعترف بذلك - كان الموقف الذي يفتقر إلى "النزاهة" من جانب المترجمين والمحررين والناشرين في كل من انجلترا والولايات المتحدة عندما ترجموا نص المقال/الموقف الذي تبناه "ماركيز" في القضية

ونشرته بلغته الأصلية أي الأسبانية بعنوان (Náufrago en tierra firma) أي "غريق في اليابسة" كبريات الصحف والدوريات في "كوبا" خصوصاً وأمريكا اللاتينية عموماً. إذ كنت أميل إلى أن أولئك "المدنيين" يلتزمون درجة معقولة من الموضوعية بحكم طبيعة عملهم، في ظل ديموقراطيتهم وتعدديتهم واستنارتهم. ولكن أذهلني ما أدخله هؤلاء "الوكلاء" من تغيير تلو التغيير على النص الأسباني عند نقله من الأسبانية لنشره سواء في "الجارديان" اللندنية أو "النيويورك تايمز" الأمريكية مرة بحذف ما لا يروق لهم أو ما يصفونه بـ "الترجمة - صفر" أو بتحويل صيغة من "المبنى للمعلوم" إلى "المبنى للمجهول" أو العكس بهدف التستر على دور هذا أو ذاك أو مسئولية "زيد" أو "عبيد" (= "زيد أو عمرو") عن هذا العمل أو ذاك. (الورقة الخامسة)

مفاجآت مماثلة:

وهذه مفاجآت من نوع المفاجآت التي دهمتني عندما قابلت كلمة "تلجلج" التي يعافها "المتعلمون المصريون" كي يفضلوا عليها والأولى كي يحلوا محلها كلمة "تلعثم"، في أشعار "عنتر بن شداد" وعندما صادفت كلمة "مزيلة" التي يرفض "المتعلمون المصريون" بآباءٍ وشمم أن ينزلوا إلى مستواها مفضلين عليها كلمة "قمامة" عند "الجاحظ" (كتاب البخل ص ٨٧ "لادين" ١٩٠٠) وعندما وجدت ثبات كلمة "أي" في حالة الذكر والأدق الـ "اللامعة" unmarked، حسب مدرسة "براغ"، مع المؤنث في الآية التي تقول "في أي صورة ما شاء ركبك" (سورة الإنفطار. آية رقم ٨) بعد أن صححها لي عشرات المصححين عشرات المرات بثقة واعتداد إلى "آية"! ومعنى القول أن هؤلاء "السادة" من "المتعلمين المصريين" يطرحون أنفسهم كأفصح وأعرب من "ابن شداد" أحد شعراء المعلقات السبع و"الجاحظ" أفصح ناثر في العصر العباسي وأحد أفصح الناثرين العرب في كل العصور بل ومن "القرآن" ذاته! ولم يكن هناك أي سبب آخر لنبذ "المتعلمين المصريين" وعلى رأسهم أكاديميوهم، بطبيعة الحال، لهذه الكلمات وتبنيهم لتلك سوى قبول لغتهم الأم التي يصمونها بالعامية ولأسبابٍ وجيهة فيما أظن

لل كلمات التي حازت منهم إلى جانبها أي إلى جانب لغتهم "الحططان من الشأن"، على حد تعبير "نيلوفر حائري" أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة "جون هوبكنز" في الولايات المتحدة. (Sacred Language, Common People p.38) .

مقاومة الطغيان:

وكان منتظراً من جانبي أن يقاوم المثقفون الصينيون "الطغيان الماوي" الذي تمثل في تسييد وجهة نظر أحادية تجاه الفكر والأدب والفن والنقد، وأن تتخذ مقاومتهم تلك أشكالاً متعددة معظمها مستتر، في ظل السلطات الواسعة التي تملكها الحكومات المطلقة التي تربعت في دست الحكم في "بكين" منذ سنة ١٩٤٩ . ولكنني لم أكن أقدر أن بوسع الترجمة أن تقوم بدور بارز في مؤازرة هذه المقاومة أو أن يكون لترجمات أسفار الديانة البوذية أو "السوترات" البوذية إلى اللغة الصينية دور في مقاومة السلطة الحاكمة وبعبارة "مارثا تشوينج" نفسها "كان لكثير من النصوص البوذية التي تغتني بعناصر وأوصاف فوق - طبيعية Supernatural بعد "لضمها" معاً على عجلة الخيال الطليقة "تأثير محرر حقاً" على العقل الصيني" (الورقة التاسعة).

ولقد فوجئت كذلك بأن أحد أكبر المترجمين الصينيين كان أحادي اللغة أي أنه لم يكن يعرف سوى لغته القومية أي الصينية وهو "لين شو" (١٨٥٢-١٩٢٤)، وهو ما يكاد يوازي عندنا "مصطفى لطفى المنفلوطي" الذي لم يكن يعرف الفرنسية ولا أظن أي لغة غربية أخرى، ومع ذلك كان له فضل إثراء جيل كامل بروائع الأدب الفرنسي. ولا تزال أصداً روايات مثل "في سبيل التاج" و"مجدولين" و"تحت ظلال الزيزفون" ترن في وجداني بعد أن أغنت خيالي في سنوات عمري الأولى. ولا يزال الأديب الكبير بحاجة إلى دراسة لعمله الجاد يسيِّقه أي يضعه في سياقه الصحيح في مجال الترجمة في مصر. ولعله من باب الصدفة أن "المترجمين" الرائدتين الصينيتين والمصري عملاً كلاهما في ميدان الأدب والروائي منه بشكل خاص.

أما الورقة التي أسرتني حقاً، وإن لم تخرج عن الإطار العام للكتاب فيما يتعلق بمفاجأتي بما كنت أعرف على سبيل الحدس، فكانت الورقة الأخيرة، فخلافاً لـ "المتعلمين المصريين" الذين ينخرطون من فورهم في ترديد النظريات والمصطلحات والأنواع والمناهج التي تسكها "المراكز" الغربية واتخاذها كمنطلقات لكتاباتهم وبحوثهم ومقالاتهم ويظلون يرددونها حتى بعد أن يهجرها أصحابها بوقت طويل ولا يتحولون عنها إلا إلى سلعة "غريبة" جديدة، من "التكنولوجيا" إلى "البنوية" إلى "ما - بعد - البنيوية" إلخ. وهانحن نعيش عصر "العولة" التي تحظى من "شيبينيم سوزام سراييفا"، صاحبة الورقة بنقد علمي جريء، أستطيع تلخيصه في قولها:

"وفي الغالب يبدأ الجيل الجديد من الباحثين (في ميدان الترجمة) الذين ينتمون إلى الطرف مسيرتهم المهنية باستيعاب كل ما كتبه المركز عن الترجمة. وإذا كانت هناك مساهمة أصيلة متوقعة منهم، فليس بوسعها أن تزيد عن "السير في أعقاب" عملية "التعوليم" للنظريات الترجمية التي أنتجها المركز بصفته المورد المتصور والمشروع الوحيد للنماذج في الدراسات الترجمية المعاصرة. وبالتالي فإن أي نقل للأمشاق السائدة لا تستطيع أن يأتى إلا من الداخل، من التطبيق "بتاع" النماذج الخاصة "على" التقاليد الطرفية. وهكذا تتحول الأدوات والنماذج والنظريات التي كان المراد منها أن تكون في خدمة هولاء الباحثين إلى وضع النظائر المستبدلين".
(الورقة الثانية عشرة)

ولقد لفت نظري أيضاً أن الباحثين جميعاً لم يلجأوا إلى الإعتماد على المصطلحات والتقسيمات التي يروج لها كثير من السياسيين الغربيين وأتباعهم من نوع "العالم الثالث" أو "الشرق الأوسط" أو "الشرق الأوسط الأكبر" أو "أفريقيا السوداء" ولا حتى العالم العربي أو الإسلامى، فمثل هذه المصطلحات التي سكتها المراكز الغربية ليست خالية، عند الكثيرين، من غرض أو آخر، وعضواً عن ذلك نرى أولئك الباحثين يمشون إلى استخدام مصطلح غير وارد على بالنا هو البلدان أو الأوضاع "الما - بعد - إستعمارية".

غير أن السؤال الذي لم أجد له جواباً شافياً في الكتاب فهو:

إلى أي حد نجحت هذه البحوث في الاقتراب بالترجمة التي لا تزال "فنناً"، في رأيي، (راجع "الترجمة فن" للحر الفقير) أي نشاطاً ثقافياً يخضع للنوق الخاص منذ البدء حتى النهاية أي منذ عملية الانتاج حتى عملية الاستهلاك، إلى نسق "العلم"، على غزارة ما استعارته هذه البحوث من مناهج ونهوج ومن مفاهيم ومصطلحات ومن أدوات وآليات من العلوم الطبيعية والانسانية على حدٍ سواء؟

مقدمة المؤلف

مسكين "هولز"! عندما خلب لبه ما أهمله الآخرون، جمع أدلته في كل متماسك وإن استند إلى الحدس أو التخمين، وقل رؤية تتميز بالجرأة والإشراق صاغها في فقرات موجزة ومنظمة، وسارت كل الأمور في خدمة البناء الذي شيده الرجل: هدف من وراء البحث نفسه وكوكبة ناقدة من الباحثين المتعطشين يتلهفون شوقاً في سبيل التصدي لحمل مسئولية هذا الهدف، وكل ما احتاجه المشروع هو إحساسٌ بصميم القصد ومنهجية سليمة . على هذا النحو تجسدت الرؤية، وكان "هولز" قد تطرق للأمر في سنة ١٩٧٢ في مقالٍ رشيق أصبح الباحثون يرون فيه بمرور الوقت إحدى الوثائق المؤسسة للنسق الناشئ في الدراسات الترجمية، فلقد وضع الرجل الخطوط العريضة في مقاله المعنون "اسم وطبيعة الدراسات الترجمية" لفرع من العلوم الإنسانية يضفر كلاً من الملاحظة والتفسير والتوصيف والتنبؤ، والعمل الميداني والتنظير، وكان لهذا النسق أن ينحت بصورة منهجية ويكتلج (من "كتالوج") أو يضع في فهارس مبنوية وأن يوفق وأن يشرح ظاهرة الترجمة.

وقد ينقص النسق تنسيقاً، ولربما يُثبت أنه أغنى بكثير بما يزيد عن حاجته أم أن المناخ تغير، على أي حال في الوقت التي لقيت فيه الدراسة الترجمية تعزيزاً بالغاً من "الطبعة الزرقاء" الرائدة التي أصدرها "هولز"، فهي لم تسر على امتداد الخطوط المفصلة للتراكم والتطور التي تنبأ بها، فلقد جلب النمو الذي تفجّر للاهتمام بالترجمة خلال العقود الأخيرة في أعقابه انتشاراً لأنواع ومناطق بحثية كثيرة، وتبدو اليوم الدراسات الترجمية أكثر تنوعاً مما كان ليخطر بالمرءة على بال "هولز"، بل وحتى عنوان النسق أصبح الآن أقل وثوقاً مما بدا عليه يوماً ما، نظراً لأن الميدان يضم في أحد طرفيه الترحال ولغة العلامات والبراجماتية الثقافية المتبادلة، بينما أصبحت "الترجمة"

فى طرفه الآخر تشمل كل أشكال التجاوز سواء الثقافى - الداخلى Intracultural أو العبر - ثقافى crosscultural .

ومثل رفيقها المجلد (Intercultural Faultlines. Reseach Models in Translation Studies 1: Textual and Cognitive Aspects) تحرير "ميفى أولوهان" Maeve Olohan تضع هذه المجموعة من البحوث على خريطة الترجمة أرضاً قديمة وجديدة، فالمجموعة تتناول البحث فى ميدان الترجمة وطبيعتها وأهدافها ونطاقها وإجراءاتها وسياقاتها وأشكالها، لكن تركيز المجموعة ينصب - ويوجه خاص - على القضايا التاريخية والأيدولوجية أكثر من المسائل المعرفية أو الإبستمولوجية إلى تلك التاريخو-جغرافية إلى السياسات اللغوية وأشكالها - وفى الغالب - بالتضافر مع بعضها البعض الآخر. وهدف "هولز" من وراء ذلك أن يقدم عينة من النهج ودراسات الحالة التى تعكس مجتمعة إتجاهاتٍ تجديدية فى البحث الترجمى وتطرح أسئلة فى صميم موضوع هذا البحث.

ينقسم هذا الكتاب، بصفة عامة إلى جزئين: الجزء الأول يشمل الفصول من الأول حتى السابع، ويهتم بصفة أولية ببلورة وتحديث صندوق العدة الخاصة بكل من توصيف الترجمة وتاريخها، وفى الجزء الثانى الذى يضم الفصول من الثامن حتى الثانى عشر تبرز قضايا الأيدولوجيا أكثر إلى صدر الصورة، ولكن ليس هناك خط تقسيم حاد يفصل بين هذين النصفين. فكلاهما لا يعالجان مجرد مسألة كيفية عمل بحثٍ فى الترجمة بل وأيضاً بعض القضايا التى تنطوى عليها تلك المسألة: ما هو السبب فى رفع بعض الأسئلة؟ ومن الذى يسألها؟ وبأى هدف وبأى لغة وما هو أهمية ذلك؟

يتمثل ما تشترك فيه كل المساهمات هنا فى عنصر قوى من التفكير الذاتى فالتنقيب فى قلب المرء واختبار الذات يضعان نصب عينيهما كلاً من التأملات فى المنهجية والتدقيق الأكثر تسيئاً politicized للوضع المؤسسى للبحث والدرس، ويمتدان إلى معرفية (=إبستمولوجيا) "التصوير"، وهى تشمل هنا "التصويرات التى ينتجها المترجمون وأولئك الذين يكتبون عن الترجمة".

وكل المقالات هنا حريصة أيضاً على العمل على قنص ما يعز على "التصوير"، من الافتراضات والدوافع والعلاقات والوسائط والقوى الذهنية التي تروغ من الملاحظة المباشرة ويتعين استنتاجها. ولقد أولت هذه المقالات إهتماماً عميقاً لهذه العملية من التنظير الثلاثي وتقييدها بشروط واضحة، واصوغ النتائج والتفاسير، والطبيعة المركبة للصرح الناجم. وفي نفس الوقت لم يكونوا غافلين عن حدود نماذج وأطر البحث. أضف إلى ذلك أن الأمشاق تنطوى على نقط ضعفها، وتحجب وتطمس قدر ما تكشف.

ماريا تيموكسيكو:

ينجح الربط الذي تقدم عليه بين المستوى - الميكرو(الأصغر) والمستوى - الماكرو (الأكبر) في تذكيرنا، ليس بمجرد المشكلة المزمنة التي تخص "تزيوج" النصوص بالسياقات - وهو الذي يسهل كثيراً على المستوى النظرى ويصعب بنفس الدرجة على المستوى العملى - ولكن أيضاً بتوسيع منظور البحث الترجمى، الذى أخذ المستوى الميكرو (الأصغر) يصبح بالنسبة له منمنم miniaturized أما المستوى الماكرو (الأكبر) فغدا مسألة جيو - سياسية. وفي سبيل تجريب القواعد التأسيسية للبحث العلمى تُنحى "تيموكسيكو" جانباً التعاريف المعجمية أو القاموسية لكلمة "فرضية" ونظرية مع القارى، وتركز على أشياء من نوع وضوح التركيز البورى وقابلية الإجراء للتكرار وتعيد إلى الأذهان أن البحث يُجرى داخل نطاق أمشاق معينة. لكنها تمضى شوطاً أبعد، فتعترف بالوضعية الاجتماعية للباحثين والقيود المؤسسية التى يجرى فى ظلها البحث الترجمى. وفي هذا الصدد تنتبه "تيموكسيكو" إلى تلك الأنساق العبر - ثقافية الأخرى البارزة، مثل الأنثروبولوجيا والاثنوجرافيا وأزمة "التصوير" التى مرت بهما فى العقود الأخيرة - وهناك حدث رئيسى فى مساهمة "ميخائلا وولف" (الفصل الثانى عشر).

قادت تلك الأزمة - كيفية تقديم "تصوير" لممارسة ثقافية دون استعمال العنف معها - إلى أنماط من الكتابة الأكاديمية التى تدعو للسخرية. والسخرية تتبع هنا من الوعى بعبور الحدود ومن معرفة أن أى "تصوير" هو حل وسط وبالتالي إشكالى،

بل إننا لا نستطيع أن نستغنى عن "التصوير" وهي سخريّة لا تتخلل مجرد الأثنوجرافيا وحدها بل أيضاً أنساقاً مثل التاريخو - جرافيا Historiography والسوسيوولوجيا (علم الاجتماع) واللغويات النقدية. وفي ميدان عبر - ثقافى كالدراسات الترجمىة تتكوّن المواد التى نشتغل عليها من نصوص مدوّنة بشفراتٍ أخرى كاللغات والأقلام والتقاليد وعوالم - الفكر، وبدورها فإن دراساتنا توفّر "تصويراتٍ لهذه "التصويرات". ويفضى تقييم الطبيعة الإشكالية لموقف التأمل - الذاتى والقرين النقدى للباحث الترجمى.

إدواردو كريسافوللى:

يشهد النقاش الماء - وراء - المستوى meta-level ، وتحييد النظرية والمنهجية على السعى المستمر وراء إطارٍ قابل للتطبيق للبحث التاريخى. ويهدف "كريستافوللى" فى ضوء تشككه فى التعميمات المتسّرة وفكرة الملاحظة غير المنحازة الأثيرة عند الشغل الوصفى، إلى إعادة تقييم للدراسات الوصفية ويتنصر لصالح ما يسميه بـ "التجريبية التاريخية"، التى تسعى إلى صفر الوصفية مع النزعة نحو التعليم - الذاتى، والكمى والكيفى والتاريخى والسياسى والتجريبى والأيدولوجى. ويرى "كريستافوللى" أن مثل هذا الشكل من الانتقائية سوف يكون بوسعه أن يوفى الحدث الفريد حقه أى الحالة الخاصة التى تنطوى على أهمية تاريخية ولكنها لا تقع داخل أى نمط - حالة متفردة وخلاقة - ولكن ليس على حساب ما هو عابر للفرد بل ما يُشكّل تكميلاً له. وعلى نحو ما يريد "جيريمى موندائى" (الفصل الخامس) يريد "كريستافوللى" أن يرى مقترحاته وقد وُضعت موضع الاختبار وينهى مقاله بقائمة تمحيص checklist واقعية.

شهناز ظاهر - جورتشاغلار:

على نفس النول أو المنوال تنشغل بقضايا المنهجية والتاريخو - جرافيا histori-ography ، ولقد أدى بحثها فى أعراف الترجمة، كما تجلّت فى الترجمات التركىة التى

عرفها القرن العشرون من اللغات الأوروبية إلى نشوء اهتمام خاص في النصوص الموازية للترجمة. ويستحضر المقال مصطلحات "جيرار جينيت" Gérard Genette كي تساهم في إضاءة ما غمض من الموضوع، ولكن ليس قبل خلاف نقدي تختلف فيه مع توصيف "جينيت" للترجمات كنصوص موازية وبالتالي تابعة - وهذا رأى ترى فيه تقييداً لا ضرورة له.

تصورُ دراسة "طاهر - جورتشاجلار" الامكانيات التي تستطيع النصوص الموازية أن تقدمها للبحث. فتأكداتها وأحكامها ومناظراتها المستترة والظاهرة وحتى مفرداتها تُعد مؤشراتٍ للطريقة التي نستطيع خلالها تصورُ طبيعة ووظيفة وحدود الترجمة، وبالتالي تبيح للباحث أن يبنى المفاهيم التي تنطوي عليها الترجمة. وفي نفس الوقت، تسلط النصوص الموازية الضوء على العالم الاجتماعي - الثقافي الذي تُنتج فيه النصوص.

وإلى الحد الذي تعيش فيه التعليقات البحثية أيضاً كنصوص موازية على جانب النصوص الأصلية والمترجمة، تنتبه "طاهر - جورتشاجلار" إلى المعاني الضمنية للمصطلحات الوصفية التي يستخدمها الباحث. فـ "جينيت" يميز، على سبيل المثال، بين المقدمات التي يكتبها مؤلف الكتاب رهن الحديث وتلك "الألوجرافية" أي تلك التي يكتبها أى طرف آخر. وتلاحظ، عن فطنة متوقدة، أن وصف مقدمة المترجم بأنها من النوع الثاني يُضعف من شأن المترجم بصفته الصوت المؤلف للنص المترجم. فمصطلحات توصيفنا تعنى أكثر من مجرد توصيفات.

إلزي تشان:

يأخذ مقال "إلزي تشان" عن المترجم الصيني "يان فو" مفتاحه من نظرية "إيفين - زهر" المتعددة النسق، لكنه يعتمد أيضاً، وبنفس الدرجة، على شغل "أندريه لوفيفر" André Lefevere عن الرعاية والأيدولوجيا والمؤسسات. ولكن هدفها ليس تأكيد

أو نقض صحة أى جهازٍ نظري بل استعمال عناصر منه كى تفض مغاليق البيئة الثقافية والسياسية والاجتماعية لمصطلحات "يان فو" الثلاثة المشهورة التى تحدد مواصفات الترجمة الجيدة، وتركز الدراسة على فاعلية الوسائط، فى شكل تفاعل مركب بين "أجندة" (=جدول أعمال) المترجم والقوى التى تحيط به. ولكن حيثما يكون نطاق معانى مصطلحات "يان فو" وأصداءها التاريخية وعلاقاتها المتبادلة محل نزاع، تبدي "تشان" حرصاً ملحوظاً على أن الكتابة حول الموضوع باللغة الإنجليزية يجلب معه مشاكله التى تعود إلى الترجمة و"التصوير".

جيريمى موندائى:

يُعد المقال الذى كتبه "موندائى" الذى يستأنف تأكيد "ماريا تيموكسيكو" على الدراسات المنهجية والقابلة للتكرار مقالاً فى المنهجية بصورة كاملة، ويعمل "موندائى" بالقرب من رؤية "جديون تورى" Gideon Toury للدراسات الوصفية باعتبارها اتباعاً لـ"كديّة" من الإجراءات التحليلية الصريحة غير الملتبسة، وفى هذا الصدد يواصل "موندائى" تقاليد "كيتى فان ليفين - تسفارت" Kitty Van Leuven-Zwart، ضافراً نموذجاً لغوياً واضح التعريف مع خطوات أكثر قدرة على التفسير. ومثل "فان ليفين-تسفارت"، يشتق "موندائى" ترساتنه اللغوية من النحو الوظيفى الشامل الذى وضعه "هالداى" Halliday، ولكن أدواته ليست مقيدة بالنصوص السردية، كما هو الحال مع "هالداى"، وهى تتجنب كلاً من التحديد الشكلى لوحدات المقارنة والتصنيف فى خانات ضيقة للتحويلات الترجمية التى جعلت من نموذج "فان ليفين - تسفارت" إشكالياً كمفهوم إلى جانب كونه مرهق عند التطبيق، وهناك تطوير آخر أدخله "موندائى" وهو الترخيم deployment المرن لتكنولوجيا الكمبيوتر واللغويات الجسمورية Corpus Lin-guistics فى سبيل طحن الأرقام واقتراح الكيفيات التى قد توفر تمحيصاً أعمق. وتمضى أداة "موندائى" شوطاً أبعد عن النماذج السابقة فى محاولتها لربط الوصف بالتفسير، وتعتمد على السياقات الاجتماعية - الثقافية والسياسية فى توفير بواعث

وأسباب الأنماط التي تخضع للملاحظة، والأمر لا يتعلق بالنموذج الذي لقي تصويراً كاملاً بتحليل نص كتبه "جابريل جارسيا ماركيز" Gabriel García Márquez بالأسبانية في ثلاث ترجمات للنص إلى اللغة الإنجليزية وحدها، ولكن "موندائ"، مثل "كريستافولي" يوفر قوائم تمحيص لتسهيل المزيد من التطبيقات والاختبارات.

جان - مارك جوانفيتش:

ويصادف السياق الاجتماعي - الثقافي الذي يدمجه "موندائ" في نمونجه، ولكنه لا يحظى منه بالتبليور أو البلورة اهتماماً تفصيلياً في نهج "جان - مارك جوانفيتش" Jean-Marc Gouanvic ، ويؤسس "جوانفيتش" على "السوسيولوجيا الثقافية" التي قال بها "بيير بورديو" Pierre Bourdieu ، وحقيقة الأمر أن كتابه *Sociologie de La Traduction* (1999) يُعد مثلاً بارزاً لصنف من الدراسات الترجمية التي تتخذ من "بورديو" ملهماً حتى تاريخه، ويقوم المقال الذي تضمنه مجموعة المقالات في هذا الكتاب مقام مقدمة إلى المفاهيم الرئيسية التي توصل إليها "بورديو" كالبيئة *Habitus* والميدان *Field* والسيرورة *Trajectory* وأدوات التعليم الذاتي، تلك التي يُصورها الكاتب هنا بدراسة حالة لمترجمين فرنسيين من القرن العشرين للرواية الأمريكية، ويُعد من الملامح غير العادية لتحليلات "جوانفيتش" التاريخية أن هذه التحليلات توجهها العملية ويتحدد أكثر موجهة - إنتاجياً. وتركز هذه التحليلات على تشكيل الترجمات المحددة والنصوص التي تنبثق بشكل معين عند لحظة معينة في سياق معين، كنتيجة لسيرورة فريدة، ويعود السؤال الذي يدور حول فاعلية الوسائط للطفو على السطح هنا، نظراً لأن مفاهيم البيئة والسيرورة تربط أداء المترجم الفرد بالقوى الاجتماعية التي تخلق الميدان الذي يشتغل فيه. وقد يختلف الاثنان طويلاً، لكن "جوانفيتش" يملك كثيراً مما يشترك فيه مع "كريستافولي"، في بحثهما معاً عن نماذج تفسيرية لربط الفرد بالجماعة والفريد بالسياق التاريخي والاجتماعي.

ديريك بووثمان:

أما بالنسبة لـ "ديريك بووثمان" فالترجمة تنهض ليس بين اللغات الطبيعية وحدها ولكن أيضاً داخل اللغة الواحدة، بين الأطر المفهومية أو النظرية، أى بين الأنساق. وتتمثل الحالة التى ينطبق عليها ما قلناه فى تترجيم "جرامشى" لمصطلحات ومفاهيم معينة من الفلسفة المثالية لمواطنه "بنديتو كروتشى" Benedetto Croce إلى إطاره الفكرى الذى يعتمد الماركسية، وحتى المصطلحات التى تدل على "اللغتين" المنخرطتين مائة وغير محددة المعالم: "جرامشى" يتحدث أيضاً عن التترجيم من اللغة الحدسية إلى لغة "تاريخية" historicist أو "تاريخية واقعية". والشائق أننا نستطيع أن نرى العملية تجرى فى الاتجاهين، مثلما يرى "جرامشى" بدرجة مساوية فلسفة "كروتشى" كإعادة ترجمة لـ "التاريخية الواقعية" التى يقوم عليها مفهوم الواقع التاريخى Praxis فى فلسفته الماركسية.

وخلال تمحيصه الصبور لكيفية دمج مفهوم "كروتشى" للتاريخ السياسى - الروحى (=الأخلاقى) ethico-political فى مفهوم "جرامشى" للكلمة التاريخية وكيفية جعل جدليات "كروتشى" عن "الفروق" قابلة للتطبيق على خطاب "جرامشى" حول مستويات البنية - الفوقية، يوضح "بووثمان" أن ما نشاهده ليس مسألة مضاهاة مصطلح بآخر ومفهوم بمفهوم، بل تجاوز أيولوجى وفلسفى معقد، لا يجرى بموجبه مجرد إعادة تسمية مصطلحات الآخر ومفاهيمه بل فحصها وإعادة تفسيرها وإخضاعها للنقد وإعادة ترتيبها وإعادة تسكينها relocate فى تعابير وتقاليد مختلفة. وعلى نحو ما يجهد "بووثمان" فى سبيل التأكيد، فالمصطلحات متجذرة فى البنى المفهومية، التى تُعد بحد ذاتها كينونات تاريخية. ويثير "جرامشى" نفسه قضية "الهومولوجيا" Homology (تماثل يرجع فى الغالب إلى وحدة الأصل، المترجم) فى هذا الصدد، فبينما الترجمة بين البنيات أو الأنساق المتماثلة ممكنة، فالبنيات غير المتماثلة تطرح مشاكل جادة فى القابلية للقياس وبالتالي فى القابلية للتترجيم. وعلى حاشية مختلفة يعيد "بووثمان" إلى الأذهان أن الترجمة بالنسبة لـ "جرامشى" تشتمل على

جانب تجريبي، والترجمة عبارة عن عمل من أعمال الالتزام. فتأويلات الفهم تتطلب ما هو أكثر من مجرد روتين ذهني بارد، إذ أنها تدعو إلى الالتزام والاحترام و - في عبارة "جرامشى" - إلى الحساسية كذلك.

صالحة بيكر:

بوسع المعالجة المستفيضة التي يقوم بها "جرامشى" أن تقف كنموذج أصلى للترجمة المتبادلة - الأمشاق العبر - زمنية لمفاهيم ومفردات الترجمة والدراسات الترجمية، وهذا ما يتضح على وجه خاص في مقال "صالحة بيكر". وهذه الدراسة التي تعد داخلة عند أحد مستوياتها في نطاق علم الدلالات التاريخية، تولى إهتمامها، كما هي عليه، بمعانى المصطلحات العثمانية المتعددة التي تعبر عن ممارسات يبدو أنها تتناظر مع "الترجمة" و"المحاكاة"، ولكنها تمضى إلى أبعد من ذلك، ففي إطار بحث الدراسة عن الأسباب التي جعلت بعض مظاهر التاريخ الثقافى العثمانى تلقى مثل ذلك الانتباه الهزيل من جانب الدارسين، تنقب الدراسة فى المحددات المؤسسية وبالتالى الأيدولوجية والسياسية للدرس والبحث التاريخى الحديث. وعند مستوى معرفى أو إبستمولوجى تعترف بأن الدراسة الأكاديمية الحديثة، بصفتها نتاجاً للعالم المعاصر ولتقاليد ثقافية معينة، تعمل بالضرورة مع مفاهيم للترجمة مرتبطة بالثقافة وخصوصية، وهى مفاهيم لا تؤهلنا بصورة تلقائية أو أوتوماتيكية، مع ذلك، لتناول مدى الممارسات الماضية والمآ - بعد - لغات metalanguages التي نجمت عنها. وتلك الممارسات قد تكشف عن تشابهات "عائلية" من المفاهيم الأحدث عهداً للترجمة والتعبير الموازى والمحاكاة، لكننا لا نستطيع اختزالها فيها، فضلاً عن أنها تتعقد (أى تتحول إلى عناقيد) بصورة مختلفة فى المآ - بعد - خطابات المعاصرة.

على قمة ذلك يأتى موضوع لغة التقرير و"بيكر"، مثل معظم المساهمين فى هذا الكتاب، على بيئة من مفارقات الإفصاح أى الكتابة عن التقاليد الثقافية التي تشعر أنها جزء منها باللغة الإنجليزية. فلقد صار عليها أن تترجم إلى اللغة الإنجليزية

المصطلحات التاريخية التي تسلمتها خلال المواد الأولية بالإضافة إلى الفروق الدقيقة والتمييزات النحيلة التي تخص تلك المصطلحات وكذلك المفردات التي يستعملها الدارسون الأتراك المعاصرون في نقلها. بأى لغة نستطيع أن نفهم "الترجمة" وما الذي تترجمه أى الترجمة؟ للقضية هنا وجهٌ سياسى وكذلك وجهٌ معرفى أو إبستمولوجى. تدرك "بيكر" الحاجة لـ"التحميل - الجبهوى" frontloading - وهو المصطلح الذى يرجع إلى "تيموكسيكو"، وتتابعه "شيبينيم سوزان - سراييفا" Sebnem Susam-Sarajeva فى الفصل الثانى عشر: الكتابة باللغة الإنجليزية عن اللغة أو الثقافة التركية يفرض توفير خلفية من المعلومات الأساسية إلى درجة لا شأن بها لبعض الثقافات غير الغربية الأكثر بروزاً، تلك التى يرى فيها الدارسون، الناطقون/ الكاتبون باللغة الإنجليزية أنها ميدان عملياتهم "النموذجى"، وهكذا يكشف اختيار أداة معينة للبحث عن علاقات قوى لامتوازنة بين اللغات.

تقود الغارة أو المناوشة التى تقوم بها "بيكر" فى عالم الثقافة العثمانية المتعددة اللغات أيضاً خطاها إلى الطعن فى المعادلة المريحة التى تقول ثقافة واحدة وأمة واحدة ولغة واحدة - وهو الأمر الذى يعد أساساً للثنائية التى تُستخدم فى السيطرة على الدراسات الترجمية، والتفكير الذى دأب على اللجوء إلى مصطلحاتٍ متميزة الواحد عن الآخر من لغات مصادر هنا، ولغاتٍ مستهدفة هناك وترجماتٍ تنطلق من إحداها إلى الأخرى، وعوضاً عن ذلك تحاول القبض على موادها عن طريق المفهوم الأكثر غموضاً لمنطقة اتصال ثقافية متبادلة مهجنة حيث تتمازج لغاتٌ متعددة وتنويعاً من الأشكال الأدبية التى ترجع إلى أصولٍ مختلفة وتدين بولاءاتٍ متباينة.

مارثا تشوينج:

مثل "صالحه بيكر" تهتم "مارثا تشوينج" بالقوى التى تؤثر على البحث الترجمى إلى نفس الحد الذى تؤثر عنده على عملية التترجيم ذاتها. وتقتبس "تشوينج" شبه - نص subtext سياسى من ثلاث لحظاتٍ مركزية فى التاريخ المؤسسى للنسق فى

الصين. ومنحاهما سياسى فى أكثر من جانبٍ واحد. وبصرف النظر عن تفريغ الحمل الأيدولوجى من الشغل العلمى، فهى ترفع السياق المباشر عالياً - عودة "هونج كونج" إلى السيادة الصينية فى سنة ١٩٩٧ - وهو الأمر الذى يجعل من المحتم عليها أن تدفع السياسة إلى قمة أجندتها.

هذا الموضوع الذى تختاره لنفسها عن وعى كامل يعزز الجهود التفسيرى. والنصوص الثلاثة التى تخضعها "تشوينج" للاختبار لا ترفرف عالياً برسالتها السياسية، إذ أنها تضطر إلى استخلاصها عسراً عن طريق قراءة متمعنة وإدراج فى سياقات أو تسييق contextualization مطابق لمقتضى الحال. ومتى نصبت الزاوية، أصبح فى وسعها أن ترى بوضوح دور الوسائط فى البحث الترجمى، وهو الأمر الذى يشتمل على فهم الأعمال التى تبدو رصينة للدارسين وفقهاء اللغة، باعتبارها تدخلات مشحونة أيدولوجياً فى التشكيلات الاجتماعية - الثقافية والمؤسسية، التى تنبثق منها وإليها تعود.

جوردون برذرستون:

يوجه هذا المقال حدقة العين على نسقٍ مختلف. فخلال الإشارة إلى مثالين محددين وسابقين على وصول الفاتح/الغازى الإسبانى كورتيس إلى "المكسيك"، يوضِّح "برذرستون" التحدى الذى تمثله أقلام الأمريكيين الأصليين حتى بالنسبة للمترجم المتخصص، فهذه الأقلام تسخر من القراءة التى تسير حسب السطور، فهى مشفرة وتتصل بعالمها بطرائق غير مألوفة - بالمرّة - بالنسبة لمعظم القراء المحدثين. كم يصل حجم ما نستطيع أخذه كبديهيات بشأن أشكال تخزين ونقل المعلومات، حول أنماط توليد المعانى؟ لم يعد حقيقة واقعة - على ما يبدو - معظم ما يُقال وما يكتب اليوم عن الترجمة استناداً إلى حفنة من اللغات الهندو - أوروبية والأقلام الأبجدية أو الألفبائية، ولكن تعقيدات التدوين والتعبير التى تتجلى فى هذه النصوص الأمريكية الأصلية تنبئنا إلى أبعادٍ تقع بعيداً تماماً عن الافتراضات التى تدعم القيود العريضة التى تكتنف البحث الترجمى فى الوقت الراهن.

هناك دروس أخرى تتطلب منا الاستيعاب، فحل شفرة النصوص المرئية ومحاولة ترجمة ما تقوله بلغتها الخاصة إلى - دعنا نقول - اللغة الإنجليزية، كان يبدو، واضحاً للعيان، شكلاً من أشكال الترجمة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الدعاوى حول ما يُسمى بالعموميات وقوانين الترجمة - قوانين التوضيح والتبسيط والتقييس *standardization* - بدأت تبدو هزيلة بصورة تدعو للحيرة والارتباك، وتشى باعتمادها المفرط على نطاق محدود بشكل محزن من أنماط النصوص والأطر - الزمنية والأقلام. وفي هذا الصدد أيضاً يعد مقال "برنرستون" ناجحاً. فالمعاني الضمنية للاشتباك مع وثائق مثل هذه - مرة أخرى - معاني سياسية إلى جانب كونها لغوية وثقافية وفلسفية، ويصعب أن نستمر على عمادنا تجاه الأسباب التي أدت إلى تقليص الوثائق من هذه الطبيعة التي ظلت على قيد البقاء كي تصل إلينا بمثل هذا العدد المحدود، والأسباب التي تقف وراء ضالة ما نعرفه عن التقاليد التي أنتجتها.

ميخائيل وولف:

تشترك "ميخائيل وولف" مع التداخل بين الإثنوجرافيا *ethnography* والترجمة في سياق النظرية البعد - استعمارية والتفكيكية والدراسات الثقافية. وخلال العودة إلى الجدل حول "ثقافة التدوين" الذي دار بين الأنثروبولوجيين في ثمانينات القرن العشرين تولى "ولف" كل اهتمامها بـ "تصوير" فكرة "الأخر" عن طريق كل من الإثنوجرافيين والمترجمين، ويفلاتر اللغة والخطاب والقوة التي تشركها مثل هذه "التصويرات" في الشغل. ويسعى الإطار النظري الذي تمعن "ولف" النظر خلاله إلى هذه الأسئلة، إلى الإفلات من "حمل" السكون" (تعبير مجازي مشتق من الهندسة الإنشائية ويعنى كل ما يجعل التغيير أو التقدم عسيراً بصورة تدعو للاستغراب. المترجم) للتفريقات الثنائية والعمل - عوضاً عن ذلك - وفق مقولات دينامية ولا - ماهوية *non-essentialist* وأكثر مرونة: الذات تتشكل بصفة مستمرة خلال عملية توفيقية من التناسية *intertextuality* والتغيير، ومن خلال الثقافة التي يُنظر إليها باعتبارها متعددة المركز ونتاجاً لتجاوز دائم - وفي حقيقة الأمر

للترجمة - وفي هذا السياق يكون خط سير الرحلة التي ارتحلها المرء أى الدرب نحو "التصوير" هو الذى يكتسب الأهمية الأكبر ويصبح بمثابة مطرح التأمل والاهتمام، تماماً مثل مفاهيم غائمة غير ثابتة ومؤقتة مثل مفهوم "البين - بين" أو مفهوم "هوى بهابها" المعروف باسم "الفضاء الثالث" التى أصبحت مواقع للإفصاح اللغوى، ويحتاج درس الترجمة حسب هذه النماذج إلى أكثر من مجرد الانتباه إلى السياق والقوة، فمثل هذا الدرس يضع عبءاً على الباحثين هو الاعتراف بالطبيعة المركبة لـ"تصويراتهم" المسهبة ذاتها، ولوقع بحثهم والمعانى الضمنية لاختيارهم ومعالجتهم للنصوص والمواضيع.

يصاحب شحذ - الوعى النقدى من هذا النوع كماً هائلاً من البحث والتقارير العلميين المعاصرين فى أعقاب الدراسات الجنوسية والبعد - استعمارية. كما يلهم أيضاً مقال "شيبينيم سوزام - سراييفا" Sebnem Susam-Sarajeva التى تركز على السياسات فى الخطاب الثقافى فى ساحة السوق العالمى. فعلاقات القوى اللامتوازنة بين اللغات العالمية المستخدمة فى البحث تحابى "المراكز" أكثر مما تفعل مع "الأطراف". وعلى نحو ما هو الأمر فى المجال الاقتصادى تورّد "الأطراف" المواد الخام - موضوعات لحب الاستطلاع الثقافى - وعلى غرار مصطلحات التجارة - تُقرر المستويات الأكاديمية والدرجات الرفيعة والنماذج التى يُزعم أنها عمومية - فى "المركز". وكما توضّح "سوزام - سراييفا" فاللغة تعد أحد مظاهر هذا اللاتوازن، كما تميل النظريات والمنهجيات والأمشاق إلى التصدير من "المركز" وتُستورد من جانب "الطرف": هى تعزز نطاقها وصحتها بالمرور بالفحص فى ظل شروطٍ "مألوفة" ثم شروطٍ "غريبة" ومع ذلك فالعالم البعد - استعماري يُعد عالماً لم يُعد تفوق النماذج وأنماط الفكر الغربية يمر فيه بون تحدٍ - حتى ولو احتاجت - وبإلها من مفارقة - لغة مثل الإنجليزية لضمان أصداءٍ عالمية.

ولسوف تقاوم دراساتُ ترجمة تكون فى حقيقة الأمر عالمية ومتعددة اللغات سيطرة لغة مفردة للبحث العلمى، ونتيجة لذلك تكسب على مستوى العمق والتنوع. وبالتالي فى القوة الذهنية. ولسوف تشكّل نسقاً ملتزماً، ليس بالترجمة وحدها بل وكذلك بعملية التترجيم ذاتها، ولسوف تترجم نفسها بنفسها، عن عمدٍ وعن شغفٍ.

ثيو هرمانز

الفصل الأول عقد أواصر الصلة بين نسقين لانهايين.

مناهج البحث فى الدراسات الترجمة.

ماريا تيموكسكو Maria Tymoczko

خلاصة:

تسوق هذه الورقة حججاً أراها قوية، على نشوء أزمة على صعيد المعرفة ذاتها، نتيجة للفتوحات الذهنية التى تحققت خلال القرن العشرين، تماثل تلك الأزمة المعرفية التى نجمت عن اختراع التليسكوب والميكروسكوب - وذلك على سبيل القياس وحده - فى القرن السابع عشر. فلقد فض نسقان جديدان لانهايين مغاليتهما: الإمكانيات التى لا تكاد تعرف نضوباً التى وفرها تقطيع النصوص إلى وحدات أصغر فأصغر، والإمكانيات الموازية، تلك التى لا تعرف نضوباً هى الأخرى التى وفرتها علاقة النصوص بالطبقات المتراكبة طبقة على أخرى للسياق. وتعكس الدراسات فى ميدان الترجمة ذلك التغير الجديد الذى دخل على الجدل الذى كان دائراً بين أولئك الذين يؤكفون على ارتفاع شأن النهوج (=جمع نهج) اللغوية عند التطرق لموضوع الترجمة، وأولئك الذين ينتصرون للنهوج الثقافية، بالدرجة الأولى عند تناول نفس الموضوع. وهذا المقال يحبذ مناهج البحث التى تضفر النهجين معاً، ويسوق أمثلة على أن مثل هذا البحث ينبغى أن يمضى قدماً - بون عوائق - فى الدراسات التى تنصب على موضوع الترجمة.

يعد تاريخ علم البصريات وهندسة العدسات واحداً من التواريخ الطويلة والمركبة فى أن واحد. ولقد رأى القدماء فى الرؤية ومبادئ تكوين الصورة أشياء غامضة، وذلك فى ظل النقاش الذى انخرطوا فيه حول ما إذا كان شىء ما ينتقل مما نراه إلى العين

أو ما إذا كانت العين هي التي ترسل شيئاً ما كي نرى ما تقع عليه.^(١) وبحلول مطلع العصور الوسطى، كانت النزعة البراجماتية (=العملية) قد حققت تقدماً واسعاً، وبدأ استعمال عدسات بسيطة بهدف التكبير، وبعد ذلك بعدة قرون، وبالتحديد أكبر بحلول القرن الرابع عشر، كان الخبراء قد توصلوا إلى صنع النظارات. ومع ذلك فلقد استغرق الأمر أكثر من ألف سنة، من استعمال العدسات البسيطة في التكبير حتى اختراع صانعي المنظار، "زكرياس يانسين" Zacharias Janssen ، وهو صبي هولندي ووالده، لأول ميكروسكوب مركب في سنة ١٥٩٠ على وجه التقريب. ومع أن هذا المنظار لم يوفر سوى درجة محدودة من التكبير، إلا أن هذا الاختراع مهد الطريق أمام كافة البحوث اللاحقة التي اعتمدت على البصريّات، من تقصّياتنا للأنشطة الدقيقة التي تحدث في المادة الحية وتلك غير الحية إلى معرفتنا بالكون الواسع.

في مدينة "ميدلبورج" Middleburg في سنة ١٦٠٨ صنع أيضاً، "زكرياس يانسن" بالاشتراك مع "هانز ليبرشكي" أول تيلسكوب. وبعد سنة واحدة، أي في سنة ١٦٠٩ علم "جاليليو" بأمر الاختراع الجديد، وقام بنفسه بصنع تيلسكوب يكبر ثلاثة أضعاف، وسرعان ما رفع قوة التكبير إلى ٣٢ ضعفاً، وكان "جاليليو" عالم رياضيات تمكن وقت ذاك من التوصل إلى اكتشافات كبرى تتعلق بقوانين الحركة، ومع أنه كان قد أصبح مقتنعاً - منذ الأيام الأولى لاشتغاله في مجال العلم - بالنموذج الذي توصل إليه "كوبرنيكوس" للكون (ذاك الذي يقول بدوران الكواكب حول الشمس) إلا أنه أحجم عن الجهر علناً بهذا الاقتناع في ظل الافتقار إلى دليل قاطع في هذا الشأن من ناحية وخشية التعرّض للاستهزاء من ناحية أخرى. وفي سنة ١٦٠٩ حوّل "جاليليو" تيلسكوبه إلى السماوات كي يرصد الأجرام الفلكية، فكان بذلك أول من يقوم بهذه الخطوة، ورجع ذلك جزئياً إلى ابتكاره طريقة للتحكم في إنحناء العدسات التي يستعملها، وهو الأمر الذي وفر درجة كافية من الدقة والتحديد عند رصد الأفلاك. وبحلول نهاية ١٦٠٩ بدأ في إعلان سلسلة من الاكتشافات الكبرى، من بينها الجبال التي توجد على سطح القمر والأقمار التي تدور حول كوكب "المشتري" ووجوه كوكب "الزهرة" وحلقات كوكب "زحل" والبقع الشمسية (تلك التي أوضح

أنها تقع على الشمس التي تدور حول محور خاص) وكل هذه الاكتشافات أكدت صحة نظرية كوبرنيكوس.

وفي سنة ١٦١٠ اكتشف "جاليليو" طريقة لتكبير تليسكوبه لفحص الأشياء الصغرى، إلا أن عينيه لم تقعا على ميكروسكوب مركب إلا في "روما" وكان ذلك في سنة ١٦٢٤. ولقد أدخل تحسينات عديدة، بما جُبل عليه من عبقرية ميّزته عن سائر معاصريه، في بناء التليسكوب. وكان أول من أكد على قيمة القياسات في هذا العلم، وبذلك استبدل النظرية وأعمال الحدس بالدقة (إلحاقاً من جانبي للباء بالمأخوذ بون المتروك. المترجم) وحقيقة الأمر قد تتمثل أهم الإنجازات التي خرجت من يد "جاليليو" وأبلغها أثراً، في إعادة تأسيس النزعة العقلانية الرياضية بالتعارض مع نهج "أرسطو" الذي قام على الشكلية - المنطقية، وهو الأمر الذي أرسى الأساس للمنهج التجريبي الحديث.^(٢) ولقد أسفر هذا التأكيد على القياسات في كافة مناحي الملاحظة العلمية عن محو الفرق الذي كان مرسوماً بين المناهج التي تلائم المجالات الكونية وتلك الدنيوية التي تخص بني الإنسان.

ولقد استعمل "جاليليو" التليسكوب" في تفنيد النظريات السائدة حول النظام الكوني، وهو الأمر الذي قوّض المعتقدات اللاهوتية التي كانت محل قبول عريض، وفي نهاية المطاف استدعت محاكم التفتيش هذا العالم النابه إلى "روما" كي يمثل أمامها للمحاكمة، وقضت بضرورة عدوله عن آرائه وفرضت عليه قضاء السنوات الثماني الأخيرة من عمره رهن الإقامة الجبرية. ولقد أدرك "الجزويت" الخطر الذي تنطوى عليه مناهجه العلمية واكتشافاته، وألحوا على بابا "روما" بأن آراء "جاليليو" يمكن أن تنطوى على نتائج أسوأ على النظام المعترف به رسمياً من آراء "لوثر" و"كالفن" معاً.^(٣) وعلى هذا النحو، حفز اختراع الميكروسكوب والتليسكوب في القرن السابع عشر نشوء أزمة معرفية ضربت أبعد كثيراً من مجال علم البصريات في حد ذاته، فلقد انفجر كل من المجال العلمي والديني عند كل مسعى لدمج المجالات التي فتحت الأنوار العلمية الجديدة مغاليتها في أبنية الفكر التي كانت قائمة من قبل.

إلا أن المدى الذي بلغته هذه الأزمة - لم يكن - بمعنى من المعاني مستغرباً تماماً. فلقد ارتبطت المعرفة - بصفة دائمة - فى اللغات الهندو - أوروبية بالبصر والرؤية، ولقد اشتقت من نفس الجنور اللغوية كلمات عديدة فى المجالين: المجال المعرفى، وذلك البصرى - أن ترى يعنى أن تعرف - وفى النصف الأول من القرن السابع عشر كتب "باسكال" (1623-1662) Pascal عن الدلالات المفجعة لهذين المجالين الجديدين من مجالات الرؤية، مشيراً لهما كـ "اللانهائيتين" *Les deux infinis* فى كتابه "أفكار" *Pen-sées* فى سنة ١٦٧٠، وبرهن فى كتابه "بؤس الإنسان بون إله" *Misère de l'homme sans Dieu* (١٦٩٠) على أن الإنسان بون إله لا يستطيع إلا أن يصير بائساً فى أحسن الأحوال، وضائعاً بين هاتين اللانهائيتين للوجود، وأقصد بهما المعرفة والرؤية. ولعل كتاب "جوناثان سويفت" *Jonathan Swift* المعنون بـ "رحلات جاليفر" *Gulliver's Travels* مدينٌ بشيء ما للاكتشافات العلمية فى المجال البصرى التى عرفها القرن السابع عشر، فلقد أبرزت وجود الإنسان فى مملكتين، إحداهما غاية فى الضخامة والأخرى غاية فى الضآلة، وفى سنة ١٧٥٢ لعب "فولتير" على هاتين اللانهائيتين فى قصته *Micromégas* مع بطله القادم من نجم "الشعرى" *Sirius* كى يخوض المغامرة تلو الأخرى فى أنساق أصغر فأصغر، وكان نسقنا على هذه الأرض، هو أصغر ما كان فى طوعه أن يستوعب من أنساق. ومع مثل هذه الاستكشافات التى جرت فى هذه القضايا على مستوى الخيال خلال عصر التنوير، فإن المرء لا يفوته أن يرى أثراً للأزمة الدينية والإحساس بالقلق، نتيجة لهاتين اللانهائيتين فى أعماق القرن التاسع عشر. وعلى هذا النحو فإن الأزمة الذهنية التى ترتبت على التطورات التى جدت فى مجال علم البصرييات دامت لآمادٍ طويلة، واستغرقت ثلاثة قرون كى تجد لنفسها حلاً أو حلولاً، ولقد أرسدت هذه الحلول شروط بحثنا العلمى الحالى وأطرنا الدينية المعاصرة.

ولقد استمددت عنوان هذا المقال من هذه الأزمة الثقافية التى أحدثها علم البصرييات - وهى الأزمة التى أنكب على تقصى أبعادها - بقدر من التفصيل هنا، وذلك لأننى أعتقد أن شيئاً مشابهاً تماماً حدث خلال القرن الأخير أو نحو ذلك فى مجال الإنسانيات *humanities* والعلوم الاجتماعية، وأرى أن القياس على ما حدث فى

التطورات السابقة في ميدان المعرفة صالح لعدة أسباب. يتمثل الأول - بطبيعة الحال - في أن الثورة التي جرت في عصرنا الراهن وجدت نموذجها في الثورة العلمية الأقدم عهداً، فالأوضاع والمناهج العلمية التي نستطيع اقتفاء آثارها إلى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، وأجزها "جاليليو" فيما ذهب إليه من أن سفر (=كتاب) الطبيعة مكتوب بحروف رياضية، أصبحت تشكل سمة تميز العلوم الاجتماعية - وعلى نحو متزايد - الإنسانيات بشكل عام أيضاً، من علم اللغويات إلى الدراسات الأدبية. فالإنسانيات والعلوم الاجتماعية أيضاً تعيش على "مجازات" مستقاة من علم البصريات، كالاستعارة التي نقول: فضاء (=كون) البحث، تلك التي تُستخدم في "تصوير" التفاعلات الاجتماعية أو السابقتين micro و macro ، التي يستخدمها الجميع باستمرار، من الاقتصاديين إلى الذين ينصب عملهم على تحليل قصائد الشعر.

ولما ينطوي على أهمية أكبر أننا درجنا منذ الثورة الأقدم عهداً، على أن نرى - وبالتالي نعرف - بصورة مختلفة في كل الميادين، ولكي نتحول بصورة أكثر تركيزاً إلى موضوعنا الراهن، فمع تفجر المعرفة في كل من علم اللغويات والنظرية الاجتماعية - على سبيل المثال - لم يعد من الممكن أن نعرض لأي نص بطريقة بسيطة أو بطريقة تظو من إشكاليات معينة، وعلى وجه أخص الترجمات التي تربط - بحكم الأمر الواقع - بين لغتين وبالتالي بين ثقافتين. وهكذا نجد أن نسقين جديدين لانهايين قد انفتحا، بمعنى من المعاني: الإمكانيات غير القابلة للنضوب على وجه التقريب، التي يطرحها "تقطيع" النصوص إلى وحدات لغوية أصغر فأصغر، والإمكانيات غير القابلة للنضوب بنفس الدرجة، التي تطرحها علاقة النصوص بالطبقات المتراكبة الواحدة على الأخرى للنص، بما في ذلك سياق النصوص الأخرى. وعلاوة على ذلك - وعلى نحو ما حدث في الأزمنة المعرفية التي خبرها القرن السابع عشر، أصبحنا نعترف بأن هناك أكثر من طريقة تتمتع جميعها بصحة متساوية لرؤية ووصف نفس الظاهرة، اعتماداً على السياق الثقافي.

وأستطيع أن أسوق هذا المثال الذي أستمدّه من العلوم الطبيعية كي أصور المعنى المراد هنا. تتكامل التوصيفات البيولوجية والكيميائية التي يقوم بها العلماء للأنشطة

لكائن حي ما، الواحد مع الآخر - حتى تصبح بصورة متزايدة كلاً لا يتجزأ في واقع الأمر - كما أنها تتكامل بدورها مع التوصيفات التي يقوم بها علماء تصنيف الأحياء وعلماء الطبيعيات. وبناء عليه، ففي ميدان البيولوجيا، نستطيع أن نجد تحت أيدينا أوصافاً كثيرة مختلفة، وإن كانت تحتفظ بصحة متساوية للكائن المعروف باسم "الذئب"، بما ذلك ما يلي - هناك "ذئب" من وجهة نظر الوصف الفسيولوجي، وهو التوصيف الذي يرى في هذا الحيوان نظاماً بيولوجياً، وهناك "ذئب" من وجهة نظر التوصيفين الكيميائي والبيو - كيميائي، الأمر الذي يوفر تحليلاً كيميائياً لجسمه المركب أو وصفاً لأجهزته الفسيولوجية في ضوء العمليات البيو - كيميائية، وهناك "ذئب" من وجهة نظر توصيفات علم تصنيف الأحياء، وهو الأمر الذي يضع سياقه الصحيح بين نوى الأنياب، وأكلى اللحوم وهكذا، وهناك "ذئب" - كما يحق لعلماء الطبيعيات والبيئيات أن يوصفوه - سالكين إياه في سياق البيئة التي يتخذها موطناً. وعلى نفس المنوال نستطيع أن نعرض للميادين الاجتماعية والإنسانية، مع الاعتراف بأن المعطيات يمكن النظر إليها وتوصيفها بطرق صحيحة من منظورات غاية في الاختلاف، وبأدوات بالغة التنوع. إذ توفر لنا ميادين مختلفة وتوصيفات متنوعة وطرقاً مختلفة لرؤية الظواهر وتصورها ومعرفتها، تلك الظواهر التي تجهل التنافس فيما بينها، ولا تعرف سوى التآزر وإلقاء الضوء كل على الأخرى.

وإذا نظرنا إلى المجالات التي رفعت مغاليقها ووجهنا ميكروسكوباً على اللغة - إذا جاز التعبير - لوجدنا لزاماً علينا أن نضمّن أيضاً ميادين مثل ما يلي. ينبغي أن نضمّن "الصوتيات" Phonics والفونيتيكا Phonetics، بما قدمه كل منهما من نظرات عميقة إلى "الفونيم" Phoneme (= وحدة صوتية تؤثر على المعنى في إطار كل لغة على حدة، فالـ P و b فونيمان في معظم اللغات الأوروبية ولكنهما يفقدان الفرق الفونيمي بينهما في لغتنا، وكذلك الأمر بالنسبة لـ "س" و"ز" اللذين يفقدان ذلك الفرق بينهما في الأسبانية والفرق بين الـ "ت" والـ "ط" طفيف إلى الحد الذي لا تلاحظه ثقافات عديدة ولكنه ملحوظ عندنا، والسبب في ذلك أن "تاب" في لغتنا تفيد معنى خلاف "طاب" وهكذا. المترجم) و"الألوفون" Allophone (= صورة واضحة فونيتيكياً لـ "فونيم" ما،

لكنها لا تؤثر على المعنى فى نطاق اللغة المعنية، مثل الفرق عند الإنجليز بين الـ L فى feel و Leaf أى بين الـ L الغامقة وصورتها الفاتحة، والفرق بين P و b - عندنا - مع أننا ننطق الحرف الأول، هو أيضاً - نطقاً كامل الصحة فى بيئة صوتية معينة مثال: ابتدئ. المترجم) وسائر مظاهر علم الفونولوجيا Phonology . ولقد لاحت فى الأفق احتمالات جديدة فى نطاق علم الصرفيات (=العلم الذى يدرس بناء الكلمات. المترجم) والنحويات Syntax (= العلم الذى ينصب تركيزه على درس بناء الجمل، والأولى المنطوقات. المترجم) بما فى ذلك النظرات الثاقبة التى وفرتها نظريات النحو التحويلي حول البنية السطحية وتلك العميقة للغات الإنسانية. أما ميدان الدلالات Semantics فلقد تفتحت براعمه فى أكمائها، إذ خلق مفاهيم وأدوات أصبح لا غنى عنها، ليس أقلها تلك التى تتصل بميادين علم الدلالات وعلاقات المعانى فى اللغات المختلفة، وتعمق الوعي بتحليل مختلف اللغات، الأمر الذى فتح أعيننا على ملامح لا تنتمى وحسب إلى اللهجات التى تستند إلى الاختلافات الاجتماعية - الاقتصادية والجغرافية، بل وتلك الملامح التى تخص السجلات اللغوية واللغات المتخصصة كذلك. كما نما فهم أكبر لصون والحفاظ على الأعراف اللغوية، وينفس الدرجة لصون والحفاظ على التنويعات التى تظهر لهذه الأعراف أو التطورات التى تدخل عليها. ووجدت هذه الميادين المختلفة بدورها تعبيراً عنها فى اللغويات المقارنة، وهو الأمر الذى حفز البحث عن الطرق التى تختلف بها اللغات الواحدة عن الأخرى فى تلك المناحي المتعددة. ولعله من الواضح أننى لا أقدم هنا سوى عرض خاطف للغاية وانتقائى تماماً للمجالات التى فتحت ذراعيها أمام التحليل اللغوى الميكروسكوبى للنصوص، وواثق من أننى تغاضيت عن بعض أهم المجالات القريبة والعريضة على قلب كل قارئ من قرائى الكرام. ومع ذلك فالمجالات التى وقع عليها اختياري، تصورُ الكيفية التى نزعَت بها هذه التحليلات الميكروسكوبية للنصوص مغاليق فهمنا على مثل هذا النشاط الأكثر إنسانية من وجهة نظر الأمشاق (=جمع مشق. المترجم) وذلك بطرق ليست أكثر عمقاً وحسب، لكنها أيضاً تتميز بدرجات متنامية بصورة أكبر فأكبر من الرهافة.

وعندما نستدير نحو الفحص الميكروسكوبي للغة والنص - مما نستطيع أن نرصده بتسليط تيلسكوب على سياقات أكبر فأكبر في نص ما، أو في الجانب الإنساني - إذا جاز التعبير - فإننا نرى أن التفجر المعرفي كان مبهراً بنفس الدرجة. وأصبح بمقدورنا أن نرى - بصورة متزايدة - الخصائص التي تخص كل لغة على حدة، في إطار سياقات دائمة الإتساع بما في ذلك ما يلي، فكل من "مبحث العلامات" Semiotics و"علم العلامات" Semiology تناول اللغة الإنسانية بصفاتها نسقاً من العلامات التي نستطيع أن نضعها داخل نطاق أنساق أخرى من العلامات، وداخل نطاق سياقات أكبر من الاتصال والإدراك كذلك. ولقد قام اللغويون الاجتماعيون Sociolinguistics باستكشاف السمات الوظيفية للغة، بما في ذلك أنواع الأداء اللغوي الذي يتصل بالجنوسة (=الانتماء الذكري أو الأنثوي. المترجم) أو الطبقة الاجتماعية. كما أضاعت دراسة السلطة الما - بعد - لغوية للعبارات المنطوقة أو المنطوقات (أو السلوكيات التي تتخلل للحديث) والمسائل التي تتعلق بالصورية (=الشكلية) والعلاقة بين اللغة وعدد آخر من الممارسات الاجتماعية. وألقت دراسة الأداءات التي تصدر عن الذين يعرفون القراءة والكتابة، وكذلك تلك التي تصدر عن أولئك الأميين والأدب الشفاهي الضوء على أوجه عديدة من العلاقة بين اللغة المنطوقة وتلك المكتوبة، وكذلك الأمر بين الثقافتين الشفاهية وتلك المكتوبة. كما فض استكشاف الخطابات المختلفة مغاليق العلاقة بين اللغة والأبنية المعرفية والتنظيم الاجتماعي، بما في ذلك العلاقات الهرمية hierarchies (=التراتبية) وعلاقات القوى. واستكشفت الأبحاث التي انصبّت على التناص intertextuality العلاقة بين النصوص والنصوص وأوضحت تلك الأبحاث كيف أن سياق النص ذاته يحدد شكل كل من إنتاج النصوص واستقبالها في آنٍ واحد، كما كشفت التحليلات التي تناولت الأنساق المختلفة عن علاقة هذا النص أو ذاك بسياقات اجتماعية متعددة (بما في ذلك الشروط المادية والاقتصاد والحكومات والأيدولوجيات وهكذا) وهو الأمر الذي كشف عن علاقة الأداءات النصومية المختلفة والأنساق النصومية بالعديد من السياقات الاجتماعية والثقافية الأخرى. وهذا لا يزيد - عوداً على بدء - عن عرض خاطف لعدد محدود من المنظورات والأدوات الجديدة التي جدت خلال القرن الأخير (=العشرين) ولعلها تمثل الإمكانيات التي وفرتها الدراسات الميكروسكوبية للنصوص.

كما ظهرت أيضاً مناطق بحثية جديدة وتنطوي على أهمية خاصة تضفر كلاً من المنظورين الميكرو - والماكرو - وهي مناطق أوحى بها نسقا التحليل. وبناء عليه، فعلى سبيل المثال، تأثر فهمنا لجوهر اللغة والنصوص بمثل تلك المجالات، مثل ميدان اكتساب اللغة - وهو ميدان يحمل أبعاداً ميكروسكوبية وأخرى ماكروسكوبية في نفس الوقت - تلك التي انصب بحثها على آليات اكتساب اللغة، وكذلك الأمر بالسماوات الاجتماعية - اللغوية لهذه العملية. على أن التغيرات الجذرية التي عرفتها الطرق التي جرى خلالها صوغ المعانى ليس سوى مجال آخر من تلك المجالات التي تضفر النهجين الميكر - والماكرو - كليهما، انطلاقاً من الفرضية التي وضعها "هورفيان" Whorfian وقادت إلى فهم الكيفية التي تؤثر خلالها الجماعة اللغوية التي ينتمى إليها الفرد على أبنيته ذاتها التي تختص بالإدراك، وهو الأمر الذي يترتب عليه أن يشكّل المعنى إحدى الخصائص التي تختص بها اللغة البشرية، مما أدى إلى ثورة فلسفية في صوغ المعنى، على نحو مختلف عن تلك العلاقة التي ارتأها "أفلاطون" بين الاسم والمسمى أو الكلمة والشئ، وانتصاراً لنظريات الدال والمدلول وقيمة الصدق والحيل اللغوية وهكذا. ولا ينبغي أن ننسى هنا أن علمى الإنسانيات (= الأنثروبولوجيا) والفولكلور قد استلهما النهج (= جمع نهج) الميكروسكوبية والماكروسكوبية، فى درس اللغات والنصوص، وأثرا بدورهما كل فى الآخر.

وينبغى علينا أن نذكر هنا أن هناك اختلافات بقدر ما هناك تشابهات بين هاتين الثورتين المعرفيتين اللتين أعرض لهما الآن بالنقاش، يتمثل أحد تلك الاختلافات فى أن ثورة القرن الماضى لم تولد سوى قدر أقل كثيراً من القلق بالمقارنة مع الثورة التي بدأت فى القرن السابع عشر. وذلك راجع إلى حد كبير إلى أن الثورة الثانية التي أرسى بناها على ما حققته الثورة العلمية الأسبق، التي دامت لثلاثة قرون متصلة، جاءت بصفاتها حقاً مكتسباً بالولادة، أكثر من كونها تهديداً. وعلاوة على ذلك، لم تمتلك الثورة الأولى فى مجال علم البصريات سوى أداتين اثنتين بصفة أساسية - الميكروسكوب والتيلسكوب - إحداهما للبحث الميكرو - والآخر للبحث الماكرو - . واستغرق الأمر عدة قرون لتوسيع مدى هاتين الأداتين الأوليتين - الميكروسكوب

الإلكترونى والتيلسكوب الإشعاعى على سبيل المثال. ولكننا نجد فى هذه الثورة الأحداث عهداً التى حدثت فى المعرفة الإنسانية والعلوم الاجتماعية، فصائل كاملة من الأدوات قد تولدت للبحث فى أصغر وأكبر الظواهر، على نحو ما تشير القوائم المذكورة أعلاه. فلقد نشأت أدوات ذهنية متعددة، فى وقت قصير للغاية لرصد وفهم الإنسانىات والعلوم الاجتماعية، وهى أدوات كانت تبدو، فى بعض الأحيان، ويا لها من مفارقة، وكأنها تتنافس بل وتتداخل فى مجالاتها الأصلية.

كما تختلف الثورة التى دخلت على علم البصريات فى القرن السابع عشر، إلى جانب ذلك فى منحنى آخر عما هو قائم عندنا حالياً. ولعلنا نستطيع أن نرى مفهوماً للنسقين اللانهائيين القديمين خلال بعض معالجات الموضوع: الاعتقاد بأن نفس التنظيم للعالم سوف يتكرر - على وجه الترجيح - فى كل نسق أكبر. وبناء على ذلك قد نقابل فى قطرة الماء منظومة شمسية أو حتى مجرة، مثل هذه التى ننتمى إليها، بسكانها المتناهين فى الصغر، الذين يواجهون نفس أنواع القضايا التى نواجهها نحن - وعلى العكس من ذلك - نستطيع أن نتصور مجرتنا فى بعض الأحيان بصفتها قريبة الشبه بقطرة الماء فى كونٍ أكبر، حيث تعود التنظيمات الاجتماعية للعب دورها على نطاقٍ أكبر هذه المرة - ونقيضاً لذلك - كنا قد تعلمنا فيما مضى ألا وجود هناك، بشكل عام، لمثل هذا التكرار عندما نغير نسق الحجم من متناهى الكبر (الماكرو-) إلى متناهى الصغر (الميكرو-). و عوضاً عن ذلك تولد الظواهر عندما ننظر إليها من زاوية أنساق مختلفة من الحجم، توصيفاتٍ متعددة ومعطيات متغيرة، وبالتالي، فإن فحص الأشياء من منظورات مختلفة ليس مفيداً فقط، بل وعملاً أساسياً، متوخين فى ذلك هدفاً معيناً يتمثل فى توحيد الميدان الذى يستطيع الربط بين أنساق الحجم المختلفة هذه، والمواد الوصفية التى تولدها.

ومن الواضح أن دراسات الترجمة تعكس هذه الثورة الأخيرة فى المعرفة الاجتماعية والإنسانية، وفى طوع التوسع فى الدراسات التى تنصب على الترجمة أن يتآزر مع تطور هذه الميادين الجديدة المتعددة ونهجها (جمع نهج) تجاه اللغة البشرية

والنصوص والثقافة وتمديد استبصاراتها كي تشمل عمليات الترجمة ومنتجاتها (=الأعمال المترجمة) وحقيقة الأمر أن لكل تطور يدخل على ميدان اللغة أو النص تأثيراً من نوع ما على دراسات الترجمة - أضف إلى ذلك - أنه بالنظر إلى أن الدراسات التي تتخذ الترجمة موضوعاً لها لا تشمل النظرية وحدها بل والنشاط العملي أيضاً، فلقد أصبحت الترجمة أرضاً خصبة للتطبيقات العملية لكل من النهجين اللغوي والسياقي لدرس النصوص، وليس من المستغرب أن تظهر المعالجات التطبيقية لمعظم المنظورات المتوسعة المختلفة في المجال اللغوي داخل نطاق دراسة الترجمة، وبالتالي أصبح الباحثون داخل نطاق الدراسات الترجمة أو خارجه يسلمون بأن الترجمة في وسعها أن تطرح معطيات مهمة نستطيع أن نستخدمها في اختبار الأبنية النظرية التي تتوالد في كثير من المجالات التي تسمى هذه الثورة المعرفية الجديدة، ويتراوح هؤلاء الباحثون والمنظرون من "دبليو. في. كين" W.V. Quine إلى "هومى بهابها": Homi Bhabha .

تتغلغل هذه الثورة المعرفية الأحدث عهداً بنسقيها اللانهائيين الجديدين، أيضاً في قلب النقاش الدائر في الدراسات الترجمة حول مدى مشروعية النهج اللغوي في مقابل نهج الدراسات الثقافية تجاه موضوع الترجمة. ومن باب السخرية أننا نستطيع أن نقول إن أولئك الذين يعملون في ميدان الدراسات الترجمة، ممن يؤكدون المشروعية الكلية لأي من النهجين - بون الآخر - يقفون موقف علماء القرن السابع عشر، الذين كانوا ليؤكدون المشروعية الكلية للمنظور الذي وفره الميكروسكوب وحده أو التيلسكوب وحده، رافضين بذلك الاكتشافات التي فض مغاليتها الاختراع الآخر. والسخرية التي ينطوي عليها مثل هذا الموقف واضحة أمام هذه الأزمة، ومع ذلك يصعب على كثير من زملائنا أن يقبلوا بهذين النسقين اللانهائيين اللذين وفرهما زمننا الحالي، ويواصلون إصرارهم على إنكار مشروعية وفائدة أحدهما.

في الجزء المتبقى من هذا المقال، أود أن أسبر غور السبب المنطقي للبحث، ذاك الذي يربط هذين النسقين اللانهائيين من ناحية وأن أقترح الأخذ ببعض المناهج

العملية التي ستمكننا من القيام بذلك الربط. وإذا كانت مؤثرات عميقة في ميدان الترجمة مما بحثتها نهوج الدراسات الثقافية تجاه الترجمة قد نجمت عن قرارات دقيقة إتخذها المترجمون، كلمة - كلمة وجملة - جملة ونصاً - نصاً، وهي قرارات نستطيع تحليلها باستخدام الأدوات اللغوية المعاصرة، فإن مناهج البحث في الدراسات الترجمة سوف تستفيد بشكل عام، من الربط بين هذين المجالين. ولن يكون نادراً أن يغدو من المفيد، بل ولعله من الضروري فعلياً كذلك أن نتعرف على الخصائص اللغوية لبنية النص وأن نقتفى آثارها - مرة بعد أخرى - في البنية النصية، حتى نتفهم آثار الترجمة بصفقتها منتجات لبناء النص وإنتاجه. ولو ظن المرء أن المعطيات المستمدة من نسق آخر من الأجرام سوف يكرر تلك المعطيات التي تولدت عن المستوى الذي يشتغل عليه الباحث، فإن ذلك وحده سوف يجعل هذا الباحث يرفض الأدوات الأخرى في رؤية موضوع البحث بالإضافة إلى المنظورات الأخرى، إلا أن البحث الذي انصب على النصوص خلال نصف القرن الأخير أوضح أن مثل ذلك التكرار - إذا ما حدث - فهو لا يشكل سوى حالة نادرة.

وأعترزم، فيما يلي أن أؤسس الأمثلة التي سأسوقها على مناهج البحث التي يستخدمها الباحثون في دراساتهم الوصفية للترجمات بصفقتها منتجات، عوضاً عن النظر إلى الترجمة باعتبارها عملية، إلا أن المبادئ التي سأفصح عنها هنا قابلة للنقل إلى أنواع أخرى من البحث في الدراسات الترجمة. ولسوف أتخذ من الدراسات الوصفية مجالاً لي، نظراً لأن هذا المجال كان موضوع البحث الذي شرعت فيه، ومن هنا فهو المجال الذي أعرف عنه أكثر مما أعرف عن أي مجال آخر، وأستطيع أن أخوض فيه بدرجة ما من الوثوق.

عند الشروع في إجراء بحث حول الترجمة^(٤)، كما هو الحال في الدراسات النصوية، نجد من البديهي أن المرء لن يستطيع فحص معظم النصوص إلى حد الاستنفاد. ومعنى أي نص (سواء أكان شفاهياً أو مدوناً في الأصل) بصفته مشغولة يدوية منظمة ومفردة في سياق اجتماعي، أمر مقرر بشكل مسبق ومفرد، في عديد

وعديد من النواحي. وبناء عليه فأي نص موسع إنما يُقدم معلومات إلى الباحث أكبر من أن تخضع للتكثيف في "وحدة" أكاديمية عادية - سواء أكانت هذه الوحدة محاضرة تُلقى في فصل دراسي أو ورقة تُقدم إلى مؤتمر، أو مقالة تُنشر في إحدى الدوريات أو فصل يُضمّن في كتاب. ولذلك يتعيّن على الباحث أن يختار النص الذي سيخضعه للفحص، كما يتعيّن عليه أيضاً أن يركّز بحثه. ويتمثّل أول وأهم منهج للتركيز أو الاختيار في خطة البحث، كما تقضى المعايير المقبولة في البحوث والدراسات الأكاديمية في معظم الميادين. ومع أن هذا الباحث أو ذاك قد يكرر - في بعض الأحيان - خطة البحث التي سارت على هداها دراسة أخرى أو يلجأ إلى استخدام القواعد المستقرة في ميدان البحث لهدفٍ معين، إلا أن كل مشروع يحتاج - في المعتاد - خطة بحثية خاصة.^(٥)

يتمثّل أحد الملامح النموذجية لخطة البحث في أن يعرف الباحث ماذا يريد أن يتوصل إليه من وراء بحثه أو ما الذي يتوقع أن يتوصل إليه - أي وجوب أن يبدأ البحث بفرضية ما وأن يتأسس بحثه على فرضية ما.^(٦) ومما ينطوي على أهمية كبيرة أن نفرّق بين ما ندعوه فرضية^(٧) وما نسميه نظرية^(٨) فالنظرية توفرُ المشق (قارن كون (Kuhn 1962) الذي تجرى في نطاقه برامج بحثية كاملة، وداخل نطاق مثل هذه النظرية أو المشق، تنهض الفرضية كتوسيع محدد للمعرفة التي سيقوم الباحث باختبار مدى صحتها. وإذا لم يكن الباحث على وعيٍ بهذا الفرق وغير مدركٍ لمعنى النظرية - ويقصر تركيزه على الفرضيات - عند بناء خطته البحثية، فهذا لا يعني بالضرورة أن الباحث لا يملك نظرية ما - و عوضاً عن ذلك - يعني أن الباحث يجري بحثه داخل نطاق إطار نظري مسيطر أو مشق متحكّم قد لا يكون الباحث على وعيٍ كامل به^(٩).

يود المرء - في نطاق الدراسات الوصفية، أن يجيب على أسئلة من نوع ما يلي :
ما هي العلاقة القائمة بين ثقافتين عند لحظة زمنية محددة؟ ما هو موقف المترجمين في الثقافة - المصدر و/أو الثقافة المستقبلة؟ ما هو الأثر الذي تحدثه ترجمة معينة على ثقافتها المستقبلة؟ ما هو الأثر الذي تحدثه الثقافة - المصدر و/أو السياق الثقافي

المستقبل (بكسر الباء) على مناهج الترجمة والأعمال المنتجة (= المترجمات) كيف تحور الترجمة وتغير الثقافة - المصدر و/أو الثقافة المستقبلية (بكسر الباء) وكيف تغير الثقافة المستقبلية و/أو الثقافة - المصدر؟ ما هي أنماط الخيارات عند الترجمة التي يستطيع المرء أن يفتن إليها، وبعبارة أخرى ما هي النماذج المعيارية التي تبناها خلال سيرورة عملية الترجمة؟ كيف تتقاطع هذه النماذج المعيارية مع الأثر الثقافي للترجمة ومع التوقعات الثقافية التي يجرى في نطاقها إنتاج المترجمات؟

توفر أسئلة من هذا النوع أبنية واسعة، تأخذ في نطاقها الفرضية المحددة لدراسة حالة إطارها، وبالتالي تقوم الفرضية بدور المرشد الذي يقود إلى النقطة التي يجب البدء منها والنصوص التي يتعين التركيز عليها. وينبغي علينا أن نلاحظ هنا أن الدراسات الترجمة، مثلها في ذلك مثل الدراسات النصوية بصفة عامة، لا تعرف في المعتاد، فرضية واحدة بذاتها، بل ولعلها تعرف عوضاً عن ذلك عنقوداً من الفرضيات. فخلال البحوث التي قمت بها حول ترجمة الحكايات البطولية (= الملحمية) الأيرلندية القديمة إلى اللغة الإنجليزية، وضعت فرضية تذهب إلى احتمال وجود بعض المناطق العويصة التي تصادف المترجم، في ضوء سياق التسييس، إلى درجة عالية للترجمة، والاختلافات الملحوظة بين الثقافتين المصدر أي الأيرلندية والمستقبلية أي الإنجليزية. ولقد شملت هذه المناطق العويصة، في بدايات فرضيتي، نوع البطولة التي يعرض لها هذا النص أو ذاك والمضمون الجنسي sexual والدنسي scatological للنصوص والشكل المميز للحكاية البطولية الأيرلندية، تلك التي تمزج بين الشعر والنثر و"التشوش" النصوصي الناجم عن الروايات الشفاهية المتعددة التي جرى تسجيلها في الوثائق المدونة (إلى جانب التدهور الناتج عن التاريخ المركب للنصوص وعمر المخطوطات) والروح المرحة التي تميز الأدب الأيرلندي القديم. وكان في وسعي أن أبنى هذه الفرضية المركبة على أساس معرفتي بأدب وثقافة الأيرلنديين، في سياق الاستقبال، بما في ذلك أعراف الثقافة "الفيكتورية" العميقة التدين في أيرلندا عند إنحناء القرن العشرين، تلك الأعراف التي قوض في إطارها مناخ الاستعمار الموغل في عدائه فكرة وجود أدب أيرلندي في حد ذاتها، وفي إطارها كذلك تبنى الأيرلنديون أنفسهم - نون وعي - القيم الاستعمارية.

في طوع الباحث، في مسعاه نحو التوصل إلى الإجابة على مثل هذه الأسئلة وفي فحصه تلك الفرضيات، أن يتناول البحث من زاويتين: من الزاوية الماكروسكوبية، أي عن طريق التطلع إلى الصورة الكبيرة، وذلك بتسليط تليسكوب على الثقافة، إذا جاز التعبير، أو من الزاوية الميكروسكوبية، أي عن طريق إمعان النظر في خصوصيات لغة هذه الترجمة أو تلك، خلال ميكروسكوب، كما هو الحال عليه. وفي نهاية المطاف - مع ذلك - وفي رأيي الخاص نجد أن العمل الأفضل سوف يكشف عن التقاء الطرفين - سواء أكننا نقرب نحو ما هو ماكروسكوبي من زاوية ميكروسكوبية أو العكس - حتى أن المعطيات التي يتحصّل عليها المرء من المستوى الماكروسكوبي تجد ما يكملها في المعطيات القادمة من المستوى الميكروسكوبي.

ولنفترض أن المرء بدأ من زاوية إطار ماكروسكوبي طارحاً بعض الأسئلة الكبيرة، والتي تنطوي على أهمية مثالية مما قد تعد نموذجياً في أي نهج يُستخدم في الدراسات الثقافية.^(١٠) فالفرضية هي التي ستحدد خطة البحث، بما في ذلك نقطة البدء وما هو التعريف الفعّال الذي يتعيّن تبنيّه.^(١١) وعندئذٍ ففي أي دراسة وصفية - ولعل طرح الفرضية بحد ذاتها ليس مقصوداً على ترجمة محددة دون سواها - تتبدى المهمة الأولى بكل وضوح، في تعيين الترجمة أو الترجمات الأكثر اتصالاً بالموضوع والأكثر كشافاً لإخضاعها للبحث. وهنا يجدر بالباحث أن يختار الترجمات استناداً إلى مدى قدرتها على إبراز القضايا الثقافية والإيدولوجية التي تتصل بالمنطقة الثقافية البينية (=المتداخلة) التي يعرض لها الباحث. وبالتالي فنظراً لأن من المستحيل (وربما مما لا يتصل بالموضوع في الغالب) أن ندرس إلى حد الاستنفاد النص الكامل؛ لترجمة ما أو أكثر من ترجمة واحدة، فإن المهمة الثانية سوف تتمثل في التقاط الفقرات اليسيرة الفهم التي ستوفّر للمرء إمكانية فحص فرضيته أو فرضياته.

وبناء عليه، ولكي أعطى نماذج من بحثي الخاص وبحوث طلابي، ففي الدراسة التي أجرتها "مهاسفيتا سينجوبتا" Mahasweta Sengupta حول الترجمات التي قام بها الشاعر الهندي الذي كتب باللغة البنغالية "رابندرناث طاغور" (١٨٦١-١٩٤١)

لشعره بنفسه، ركّزت على تحويل النوع الشعري في القصيدة الشعائرية المكشوفة (=المثيرة للشهوة الجنسية) لأنها ارتأت أن مثل هذه القصائد قد تطرح مشاكل متعددة خاصة بالمنطقة الثقافية البيئية (=المتداخلة) في السياق الاستعماري للهند في مطلع القرن العشرين.^(١٢) ولقد اختبرت في بحثي الخاص فرضياتي عن طريق إدراج فقرة في حكاية بطولية أيرلندية تحتوى مادة بطولية، ولكن تلك الفقرة كانت تتمتع - هي الأخرى، بالدنس والروح المرحة - وهو الأمر الذي طرح مشاكل نوعية أيضاً في شكل قصيدة عويصة على الفهم لكنها قوية التعبير.

ومتى حددنا مثل هذه النصوص وال فقرات صارت المهمة تتمثل في إمعان النظر في الغرائب والتشوشات اللغوية التي تعكس القضايا الثقافية رهن البحث. وهذه هي النقطة الحقيقية التي يكون المرء عندها قد بدأ في جمع معطياته، وهنا يتعين على المرء أن يصطنع الوسائل التي تمكنه من تسجيل هذه المعطيات بشكلٍ منظم. وفي سبيل السعى وراء الأدلة النصومية، ينبغي على المرء أن يحوز مفكرة ذهنية أو فعلية للمستويات اللغوية المتعددة التي تحتاج منه إلى المتابعة: الفونولوجيا (=العلم الذي يدرس "فونيمات" اللغة البشرية. المترجم) كما (ينعكس في الأسماء أو الكلمات المستعارة، على سبيل المثال) المعجم وعلم الدلالات وعلم الصرفيات والنحو grammar وعلم النحويات Syntax والكا - تعابير idioms (= التعابير الخاصة) والمجازات والتدوين واللهجة وهكذا. كما ينبغي على المرء أن يضع في الحسبان السمات الفيزيائية للترجمة كهدف مرجو في هذه المرحلة، بما في ذلك شكل النشر والناشر والسلسلة وسياق النشر، والتكاليف والتجليد والعنوان والصور الايضاحية وطرز حروف الطبع. وأرى - من واقع تجربتي - أن خطة البحث إذا وضعت بصورة جيدة ووقع اختيار المرء على فقرات خصبة من ترجمات ذات مغزى، فإن المرء يولد كمية ضخمة من المواد الخام بسرعة نسبية. وعلى سبيل المثال، في غضون ما يصل إلى أسبوعين أو ثلاثة أسابيع من تحليل الترجمات في سنة ١٩٧٩، تكونت عندي المواد الخام الكافية لرسم مناطق الاختصاص لمعظم المقالات التي نشرتها في بحر السنوات العشر التالية، وتتصل بترجمة الأدب الأيرلندي إلى اللغة الإنجليزية، وهي المواد التي قامت كأساس لكتابي "الترجمة في سياق ما - بعد - الاستعمار" (١٩٩٩).

ولعل من المهم أن نكون مستعدين لمواجهة مفاجآت في هذه المرحلة من البحث. فقد يكتشف المرء تأثيرات للترجمة مختلفة عما كان ينتظر من واقع فرضياته أو كان يسعى وراء التوصل إليها في خطة بحثه، وقد يرصد بعضها على المستوى الماكروسكوبي. وعلى سبيل المثال قد يكتشف أن هناك مدلولاً زمنياً في نمط عمليات النشر، أو أن هناك تحويرات جسيمة لم تكن غير متوقعة بشكل كامل (لنقل مثلاً الترجمة - صفر) وبالتبادل قد يكتشف المرء عدم وجود تاريخ يدعم فرضيات المرء، وهو الأمر الذي يتطلب إدخال تدقيق على خطة البحث (لنقل مثلاً اختيار نصوص أو فقرات مختلفة داخل النصوص المختارة) أو التخلي عن الفرضية التي بدأ منها المرء جملة وتفصيلاً. وفي نفس الوقت، وكما هو الحال في معظم البحوث التي تُجرى في العلوم الطبيعية، فإن غياب النتائج ينطوي عادة، في حد ذاته على معناه. ويستحق من الباحث في الغالب الأعم وصفاً مفصلاً. ومعنى ذلك أن الدليل السلبي يظل دليلاً، مع أنه قد يكون دليلاً على فرضية مختلفة عن تلك التي حفزت البحث في بداياته الأولى.

وهناك ما هو أكثر نموذجية من غيبة المعطيات في خطة بحثية محكمة، ألا وهو الوفرة المفرطة من هذه المعطيات التي يتعين عندئذ تنظيمها وتحليلها. وفي الغالب يجد المرء أيضاً عناصر نصوصية تعزز فرضيته، دون أن تكون جزءاً من البرنامج الصريح لخطة البحث. فخلال إنشغالي بالعمل في حكايات "الساجا" Saga (حكاية بطولية طويلة. المترجم) في الأدب الأيرلندي، على سبيل المثال - لم أشرع بامعان النظر في التأثيرات التي تحدثها الترجمة في ساحة الثقافة المادية أو الاجتماعية، كما لم أخطط لجمع أدلة على تناول الأسماء، ولكن خلال البحث عن المعطيات التي تتصل بخطة البحث التي كنت ماضية فيه قدماً، لاحظت خلال مروري العابر تفاوتاً غير متوقع بين ترجمات تلك العناصر، فبدأت في جمع معطيات إضافية كذلك، وإن كان بطريقة أقل تنظيماً وتمثلت النتيجة في نهاية المطاف في إضافة فصلين آخرين إلى كتابي، ولكن هذين الفصلين لم يكن من الممكن أن أتولى أمرهما إلا بعد مراجعة المواد التي جمعت خلالها المعطيات الجديدة بصورة منظمة. وفي إطار جمع وتقييم الأدلة، يكون من المهم أن نتذكر أن الترجمة - صفر للنصوص أو المقتطفات من هذه النصوص تكون في الغالب على جانب عالٍ من الأهمية، ويلزم ملاحظتها بدقة كافية وتسجيلها.

يتمثل الطريق البديل إلى بحث من هذا النوع في البدء على مستويات نصوصية ميكروسكوبية، إذ يستطيع المرء أن يفترض على سبيل المثال، أن لغتين تحوزان قاعدتين مختلفتين إلى حدٍ شاسع من المواد، الأمر الذي يجعله يصطنع خطة بحث تهدف إلى تقصُّ تلك الاختلافات كما تتضح في الترجمة، ويكون في طوع الباحث عندئذٍ أن يفحص بدقة كافية ترجمات محددة في سبيل استقصاء الغرائب والتشوشات التي تتصل بهذه المناطق اللغوية ويستتطق النمط الناتج في ظل شروط المغزى الثقافي الميكروسكوبى. وفي وسع المرء أن يسأل، على سبيل المثال: ما الذى تعنيه العناصر النصوصية الضئيلة الشأن فى ظل شروط الوضعية الأيدولوجية والثقافية الكبيرة الشأن؟ وهذا هو الاتجاه الذى أخذته عندما اكتشفت الأنماط البالغة الخصوصية لرسم الأسماء الأيرلندية فى كتاب "إستاندش أوجرادى" Standish O'Grady المعنون بـ "تاريخ إيرلندا: الفترة البطولية" وتحققت من أن الاختلافات الفونولوجية الواسعة بين اللغتين الأيرلندية القديمة والإنجليزية الحديثة هى التى دفعت "أوجرادى" إلى رسمه لتلك الأسماء على ذلك النحو. وفى طوع المرء فى غالب الأحيان أن ينتزع إيماءات ثقافية من مواد، كان المرء ميالاً فى البداية إلى إهمالها بصفقتها غرائب عشوائية سقطت من هذا المترجم الفرد أو ذاك، وخلال الانخراط فى بحث يسير فى هذا الاتجاه، يكون من المفيد فى غالب الأحيان أن يحتفظ الباحث بالنقاش الذى يتصل بنظريات التقديم حياً فى ذهنه. وينبغى أن يسأل المرء، على سبيل المثال ما هى صورة النص - المصدر التى يطرحها هذا التقديم النصى للجمهور المتلقى وما هو المغزى الضمنى سواء الثقافى أو الأيدولوجى لتلك الصورة؟ وعندما يسير الباحث بعمله فى هذا الاتجاه، من مستوى الكلمة إلى مستوى المغزى الثقافى، يصير لزاماً عليه أيضاً أن يتذكَّر ضرورة الحذر من رمى المترجم بالقصدية: فى وسع المرء أن ينتصر للمعنى وللمغزى اللذين يرجعان إلى عناصر نصوصية معينة، إلا أن مثل هذا المغزى لا يشير، بالضرورة إلى قصدٍ إبداعى واعٍ عند الترجمة أكثر مما يفعل فى أى نصٍ آخر. وبالتالي فإن اختيارات الترجمة قد تكون وظيفة من وظائف الأعراف الثقافية وقد تكون الاختيارات النصوصية مسوقة بدوافع غير واعية من جانب المترجم، على نحو ما هو الحال مع أى مؤلف.

تميل الترجمات - مثلها في ذلك مثل النصوص الأخرى المنظمة - إلى أن تكون ذاتية المرجعية، وبذلك تؤسس هي لأعرافها وتقاليدها اللغوية. وبصفتنا قراء، نميل إلى الإحاطة بمثل هذه التقاليد، وهو الأمر الذي يشمل تبنيها والتصديق عليها بسهولة نسبية. وهكذا فإن مراننا، كقراء - يعمل ضد قدرتنا على إجراء بحثنا على مايكرو - مستويات (=المستويات الصغرى) للترجمات: يتعين علينا أن نعمل في الواقع العملي في سبيل الاستمرار في نبذ التألف مع تقاليد ترجمة معينة حتى نستطيع أن نتصور أعراف المترجم واختياراته. ونظراً للميل نحو الخضوع لمرجعيتنا الذاتية بشأن النصوص، فإننا نجد من أشق الأمور علينا - في الغالب الأعم - أن نحل أي ترجمة بحد ذاتها بصورة حاذقة، بالرجوع إلى النص - المصدر (=المترجم عنه). على أن المقارنة بين ترجمتين أو أكثر لنفس النص - المصدر أو عدد من الترجمات لأنواع متشابهة من نص محدد قد يجعل أعراف أي ترجمة معينة أدنى منالاً، وبعبارة أخرى أقرب إلى الإدراك.^(١٢)

ومتى استكمل الباحث هذه الخطوات، فإن المعطيات التمهيدية تكون قد حُشدت ويكون من باب الحكمة عند هذه النقطة أن نتعرف على الأنماط الناشئة التي سيركز الباحث عليها، ثم يرجع إلى النصوص التي ينصب بحثه عليها كي يراجع أو يشيك على "معطياته بشكل منظم، حتى يتأكد من أنه قيد (=دون) بصورة صائبة كل الحالات التي يرتديها هذا النمط أو ذاك، وأنه لم يغفل عن الأدلة المتناقضة، وهكذا، قبل المضي قدماً في تحليل المعطيات والنتائج، وعند هذه النقطة يقوم المرء أيضاً بملء الفجوات بصورة منظمة في المعطيات، تلك التي عجزت الفرضية الأصلية عن التنبؤ بها، لكنه اكتشف غيابها خلال عملية جمع المعطيات، مثلما كان الحال فيما يتعلق بترجمة الأسماء في البحث الذي قمت بإجرائه، كما سبق لي أن نوّهت.

تعد القابلية للتكرار إحدى أهم مقتضيات البحث العميق في أي ميدان، ويسرى هذا المبدأ بنفس الدرجة على ميدان الدراسات الترجمانية، وهنا يقع على عاتق الباحث الحصيف أن يفحص النتائج التي توصل إليها بأن يسعى بصفة شخصية إلى تكرارها في الواقع العملي - وذلك عن طريق اختبار الفقرات الأخرى التي تتصل بالموضوع من

الترجمات رهن البحث، وإمعان النظر في ترجمات لنصوص أخرى، تحمل مواصفات ثقافية مشابهة، وهكذا. كما يستطيع المرء أيضاً أن يسعى في سبيل التحقق من صحة النتائج التي توصل إليها خلال بحثه، عن طريق فحص الوثائق شبه النصومية كالمقدمات التي يكتبها المترجمون أو التصريحات بشأن الترجمة انطلاقاً من السياق الثقافي والعروض التي تنشرها الصحافة المعاصرة للترجمات المنشورة. ومتى جاء تصديق على صحة النتائج من هذه الإستراتيجيات البحثية المختلفة، فإن مثل هذا التصديق يمد - في المعتاد - نطاق البحث الأولي كذلك، وهو الأمر الذي يشير إلى وجود دروب أخرى تحتاج إلى الاستكشاف في النصوص، وتحوز برامج البحث التي تبدأ بخطط جيدة التصميم أسلوباً مشجعاً في بناء دوائر إيجابية من التغذية المرتدة، إضافة إلى أنها أخذت تصبح ذاتية التعضيد.

هناك ملاحظة تحذير يحسن إضافتها في هذا الصدد حول نوع التصديق الذي يتوقعه الباحث على نتائجه. فلقد أخذ الباحثون يفتنون - بصورة متزايدة - في الدراسات الترجمية إلى أن استراتيجيات الترجمة ليست متسقة أو خالية من التناقض. وفي ضوء السمات المتونيمية *metonymy* (استعمال اسم للدلالة على اسم آخر يرتبط به بعض الارتباط كالكأس للدلالة على الخمر. المترجم) لعملية الترجمة - يحد المترجمون بعض سمات النص-المصدر على حساب غيرها من السمات، تماماً مثلما يلجأون إلى مناطق معينة من المقاومة في ترجماتهم في الوقت الذي يمتثلون فيه للأعراف السائدة في نواح أخرى. (أنظر تيموكسكو ١٩٩٩ . في الفصلين الأول والعاشر) وينبغي على الباحثين الذي تنصب بحوثهم على الدراسات الترجمية أن ينتبهوا إلى مثل هذا التضارب، وأن يأملوا في حسمه خلال عملية البحث، وعضواً عن نبذ فرضية ما متى ظهر مثل هذا التضارب، ينبغي على الباحث أن يحلل وأن يعلل الطبيعة الشظوية (نعت صناعي من شظايا) لاستراتيجية الترجمة مع تتبع الفرضية.

هناك سمتان مهمتان أخريان يتعين أخذهما في الحسبان عند وضع خطة البحث في الدراسات الترجمية، مثلما يتعين ذلك أيضاً في كافة الميادين الأخرى. تتصل

السمة الأولى بالضرورة بحجم العينة: يتعين أن تُأسس النتائج العامة على عينة كبيرة بصورة كافية كي تبرر أي تمديد للنتائج التي يتم التوصل لها إلى حالات أخرى. على أن إحراز حجم مناسب من العينات ليس عملاً يسيراً بصفة مستمرة في الدراسات الترجمية، وخصوصاً عندما يكون البحث منصباً على ترجمة فريدة لنص - مصدر، أو ترجمات متعددة لعمل مؤلف واحد، أو نتاج مترجم واحد وهكذا. ويتمثل أحد الأسباب التي حدثتني إلى الاستفادة، في بحثي من مثال Táin Bó Cúilnge، في وجود عشر ترجمات للنص جرت على امتداد الشطر الأكبر من قرن من الزمن، بالإضافة إلى اقتباسات عديدة وتحويرات وإعادة صياغات. وتقدم هذه الترجمات عينة من حجم يكفي للخلوص إلى نتائج جديرة بالاعتماد عليها، وليس هناك سوى قلة من النصوص الأخرى باللغة الأيرلندية التي حظيت بالترجمة بشكل مثابر، على مثل هذا النطاق الواسع. وليس هناك رواية بطولية أيرلندية مطوّلة أخرى كانت لتصلح على هذا النحو كأساس للبحث.

مبدأ ثانٍ ينبغي وضعه في الحسبان عند رسم خطة البحث في الدراسات الترجمية، مثلما هو الحال في سائر الميادين الأخرى، ويتمثل في ضرورة وجود مجموعة تحكّم. وهذا معيار للبحث يصعب على الباحث في الغالب أن يضمّنه في خطة بحثه في الدراسات الترجمية، والسبب في ذلك راجع إلى أن مجموعات الترجمات أو المترجمين القابلة للمقارنة مع تلك التي يخضعها المرء لبحثه، قد تكون قليلة. وفي بعض الظروف (ولنقل مثلاً عندما يكون المرء منخرطاً في البحث في ترجمة واحدة بعينها) لا يعتزم الانشغال بترجمة ثانية لنفس النص سوى تقديم عينة تحكّم محدودة - بل وعينة تكون أكثر عوناً من استخدام النص - المصدر كنقطة تحكّم ومرجعية، في ضوء قضية ذاتية - المرجعية التي تحوزها الترجمات على نحو ما أشرت في وقت سابق خلال هذا المقال. وفي بعض الظروف تؤدي مجموعة مختلفة من الفقرات داخل النص - المصدر من تلك التي يخضعها المرء لبحثه - دور مجموعة التوجيه: يستطيع المرء أن ينتقى فقرات محايدة إزاء القضايا الخاضعة للبحث. وفي بعض الحالات يمكن استخدام مجموعة مراقبة من نصوص موازية، سواء داخل نفس الثقافة - المصدر

أو فى أى ثقافة - مصدر بديلة. وفى حالة ترجمات الحكايات البطولية الأيرلندية القديمة - على سبيل المثال - قد يتخذ المرء كـ"مجموعة تحكم" ملحمة "بيوولف" *Beowulf* (=ملحمة إنجليزية مجهولة المؤلف ترجع إلى سنة ١٠٠٠ من عصرنا المألوف، وتعد بذلك أقدم قصيدة بطولية طويلة بلغة قومية شعبية: الإنجليزية القديمة، فى أوروبا. المترجم) أو "أغنية رولان" *La chanson de Roland* (= ملحمة فرنسية ترجع إلى سنة ١١٠٠ من عصرنا المألوف، ويسود الاعتقاد بأنها أقدم ملحمة باللغة الفرنسية القديمة. والملحمة مجهولة المؤلف. المترجم) أو حتى حكايات "الساجا" الأيسلندية. وفى ظروف معينة قد نجد مجموعة التوجيه لمثل تلك الدراسة فى نوع أدبى آخر فى نفس الأدب-المصدر. إلا أننى وجدت فى الغالب بالنسبة لذلك النوع من البحث غير الخاضع للقياس الكمي، وهو النوع الأكثر شيوعاً فى الدراسات الترجمية أن من الكافى أن نستخدم نوعاً من شبه مجموعة توجيه، كى نرسم المقارنات مع حالات الترجمة الموازية التى سبق واستقرت فيما أسفرت عنه الدراسات الترجمية، ومثل هذه المقارنات منظومة والأولى "ملضومة" على امتداد بحوثى المنشورة حول موضوع الترجمة، وهى البحوث التى جاءت فى جانب منها كى تعوض عينة التوجيه التجريبية الأكثر صرامة. ويعد تناول قضايا حجم العينة ومجموعة التوجيه عملاً مهماً بشكل خاص فى حالات تكون فيها المواد المترجمة على قدرٍ من التشظى والتفرُّق والنقص.^(١٤)

لعل من الواضح أن كل ما تطرقت إليه هنا بصورة إجمالية أى دون تفصيل، لا يخرج عن مجرد برنامج تجريبى للبحث. ولكن أن تكون تجريبياً لا يعنى أن تكون موضوعياً^(١٥) وحقيقة الأمر أن كل البحث، بما فى ذلك البحث العلمى ليس سوى بحث ذاتى، متأثر بالأفكار والمعتقدات التى تتصل بالمواقف من الموضوع وأطر المرجعيات والتأويلات والمفاهيم الذهنية والمعانى المستقرة، وهذا هو التصور الذى قوَّض المذهب الفلسفى المعروف باسم "الوضعية" فى العقود (عقد = عشر سنوات) الأولى من القرن العشرين. وفى العلوم الطبيعية ارتبط - بصورة خاصة - الانصراف عن الموضوعية بصعود مبدأ اللايقينية الذى نادى به "هايزنبرج" *Heisenberg*، وهو المبدأ الذى يتصل بتأثير الملاحظ وعملية الملاحظة ذاتها على المعطيات الخاضعة للملاحظة

الدراسات التي تناولت الجسيمات دون - الذرية sub-atomic ونظرية "جودل" Gödel "اللاكتمالية" التي تتصل بأطر المرجعية في الرياضيات. وعلاوة على ذلك فمنذ الحرب العالمية الثانية أفصح علماء الطبيعيات عن آرائهم في قضايا تتصل بالذاتية، حيث طالبوا بإلحاح - على سبيل المثال - بضرورة الوعي بالوضعية الاجتماعية للبحث العلمي والنتائج العلمية، وشددوا على أهمية مراعاة المسئولية الاجتماعية في البحث. وقادت آراء علمية مشابهة إلى نشوء أزمة التمثيل في كل من علمي الإنسانيات (=الأنثروبولوجيا) والعرقيات (=الإثنوجرافيا) في القرن العشرين، إلى جانب إعادة النظر في البحث الأساسي في العلوم الاجتماعية والتاريخ إلخ.^(١٦) ولم تكن الدراسات الترجمية بعيدة عن مثل هذه القضايا، وقد ينطوي الأمر على مفارقة زمنية بل وذهنية خطيرة، عندما يصبو المرء إلى أن يكون "موضوعياً" في نطاق بحثه. ومع ذلك فبوسع المرء بل وينبغي عليه أن يصبو إلى اكتساب وعي ذاتي بشأن موقع موضوعه ومدى تأثيره على برنامج البحث^(١٧)، فضلاً عن استنطاق افتراضاته المسبقة. وفي طوع المرء بل وينبغي عليه أن يحاول أن يكون عضواً مسئولاً في المجتمع الإنساني ككل، فضلاً عن امتلاك قيم نبيلة داخل نطاق إطار المرجعية الأكبر الذي أتقنه. وحتى في ظل هذه الأمور فلا مناص من إجراء البحث داخل أطر ثقافية واجتماعية - بما في ذلك الأنوات الثقافية القياسية للنماذج والنظريات والأمشاق - وهو الأمر الذي يقوِّض "الموضوعية" البحتة (قارن "كوون" ١٩٦٢). وفي هذا الصدد، وفي حقيقة الأمر قد تكون الدراسات الترجمية على قدر من التمييز بالمقارنة مع كثير من الميادين، بما في ذلك معظم العلوم الطبيعية. فالدراسات الترجمية تشمل بصورة نمطية ليس البحث وحده بل وما - وراء - البحث في سيرورته كذلك. ومن هنا فإن الميدان يشجّع بحد ذاته على استنطاق أطر المرجعية، بما في ذلك أطر الباحث، وهو الأمر الذي يجعل - على سبيل الاحتمال - تحيزات المرء ملموسة بصورة أكبر كما يجعل إمكانية توسيع إطار مرجعية المرء أكبر.

هناك علاقة تبادلية بين النظرية والبحث، جرت الإشارة إليها بصورة إجمالية دون تفصيل في منهج البحث رهن النظر. فالنظرية توحى بالفرضيات التي تقود خطى البحث، ولكن النتائج التي يتوصل إليها البحث تعود بدورها كي تستنطقها أي النظرية

(= تقلبها على وجوهها المختلفة) وترفع شأنها بل وتتقَّحها. وفي طوعنا أن نعبر عن هذه العلاقة التبادلية في عبارة "تشارلز بيرس" Charles Peirce حول الأشكال الثلاثة للتسبيب (= التعليل) المنطقي: الاستدلال والقياس abduction والاستقراء.^(١٨) فخلال عملية الاستدلال يقود - بمعنى من المعاني - إطار نظري للبحث إلى المسلمات الأولية التي يؤسس البحث عليها، في سبيل تخليق النظرية التي توجه عملية بناء خطة البحث إنطلاقاً من هذه المسلمات.^(١٩) وبالتالي يقوم الباحث بجمع المعطيات التي تتصل بالفرضية وخلال استقراء المعطيات - يختبر الباحث عندئذٍ الفرضية - وفي نهاية المطاف النظرية التي تقف وراء هذه الفرضية كذلك. وهكذا يغدو برنامج البحث الصارم ذاتي الانعكاس بصورة متضمنة في أصل البحث نفسه، وهو الأمر الذي ينشد التوافق بين النظرية والمعطيات خلال العرض على الأشكال الثلاثة للتسبيب (= التعليل) كما فصلها "بيرس".^(٢٠) وسوف تكتسب عملية الانعكاس الذاتي هذه مزيداً من القوة إذا ضفر الباحث كلاً من الاهتمامين الميكرو - والماكرو - مع النهجين عند كل مرحلة من مراحل البحث وعند كل مستوى من مستويات التسبيب (= التعليل) المنطقي.

في طوعنا تعميم معظم ما قلت هنا، مع أنني استقيت أمثلي من الدراسات الوصفية في موضوع الترجمة، إلى أنواع أخرى من البحث في الدراسات الترجمة كذلك، بما في ذلك البحث التجريبي حول عمليات الترجمة. وأعتقد أن ما ذكرته ينطوي على مغزى أو آخر بالنسبة لعلم التربية كذلك. وبكل تأكيد عندما يفتح نسقان لانتهائيان جديان مغاليتهم أمامنا، يكون من باب فساد الرأي أن نقصر تعليمنا لطلابنا على أنوات واحد وحسب منهما دون الآخر. فعندما يعلم المدرس كيفية البحث في ميدان الترجمة، فإنه يحقق لطلابه أكبر فائدة عندما يدرّبهم على التطرق لنطاق واسع من القضايا واصطناع نماذج لكيفية ربط الفحوصات الميكروسكوبية بتلك الماكروسكوبية، مستخدماً في ذلك نسق الحجم، بصفتهما مجالين يعزز كل منهما الآخر في سبيل ضمان نتائج صلبة قادرة على الصمود أمام كل تحدٍ تصادفه. وعلى نفس المنوال يكون مفيداً عند تعليم الطلبة كيف يترجمون أن ندرّبهم ليس على استخدام التكنيكات الميكروسكوبية وحسب بل وأن نفتح عقولهم على تقييم النسق اللانهائي الآخر أي

الماكروسكوبي، حتى يستطيعوا أن يُسلِّكوا بأفضل ما فى طاقتهم عمليات ومنتجات الترجمة التى ينكبون عليها هم أنفسهم فى سياقاتها الصحيحة، ونرشدهم حتى يستوعبوا المضامين الثقافية لما يقع عليه اختيارهم لترجمته وحتى يختاروا اختيارات حسنة. وهذا لن يسمح لهم بمجرد توفير خدمة أفضل لجمهور المتلقين الذين يستهدفون الوصول إليهم بل وأن يكتسبوا وعياً ذاتياً بالتزاماتهم وانتماءاتهم الأيدولوجية كذلك.

أود أن أختتم مقالى بأن رفض استخدام كلا النسقين اللانهائيين اللذين فتحا مغاليتهما فى عصرنا الحاضر فى فحص وتحليل النصوص والثقافات يعد مدعاة للسخرية، وتعد الخطوة الخطيرة التى يخطوها أولئك الذين يعملون فى ميدان الدراسات الترجمية، ممن يسعون إلى فصل الدراسات الثقافية بوجه عام عن علم اللغويات - أو العكس بالعكس - نوعاً من أنواع ذلك الرفض. فهذه الخطوة ترقى إلى حد إرتداء المرء "غُماً" يحجب النور عن عينيه طوعاً لا كرهاً، وهو الأمر الذى يوازى رفض كل رؤية وكل منظور توفره الأدوات البصرية البديلة. وبذلك يشبه الأمر أحد معاصرى "جاليليو" ممن استعملوا التليسكوب أو الميكروسكوب لكنه ينكر مشروعية الظواهر التى تكشفها الأداة الأخرى. وإذا كانت فرضية المرء صحيحة، فإن المنظورات المختلفة التى ترتبط بأنساق الحجم المختلفة ينبغى أن "تتعازز" أى تعزز كل منها الأخرى بصورة متبادلة، وبذلك تعمل فى تأكيد وتثبيت النتائج التى خلص إليها المرء. وليس هناك سوى أقل القليل مما يُخشى فى هذا الصدد، اللهم - ربما - سوى جهل المرء نفسه بنطاق ومدى قوة الأدوات والتقنيات التى جدت فى النسقين اللانهائيين اللذين فضاً مغاليتهما فى إطار الثورة المعرفية التى عرفها عصرنا.

وأعتقد أن اتخاذ خطوة الرفض عمل مؤسس على الحقيقة التى تقول بأننا لم نحكم سيطرتنا بعد على الأنساق والمناهج الجديدة التى ابتدعها الرواد فى النصف الأخير من القرن العشرين على وجه الخصوص، وفى بعض الحالات تعوزنا حتى أسماء محددة للنهوج المختلفة إلى النصوص، ودع عنك مبادئ التصنيف العلمى للأنساق التى ستسمح للطلبة والمدرسين على حد سواء أن يجروا مسحاً لميدان المناهج

والأدوات التي يتعين عليهم إتقانها وإحكام سيطرتهم عليها، وكل هذا يتعقد خلال التكنولوجيات التي تتغير بصورة متسارعة وتتقاطع في الغالب مع اتساع المنظورات الذهنية. وقد يستغرق الأمر منا بعض الوقت كي نفرز كل ذلك، إلا أن الوعي بموقعنا بين النسقين اللانهائيين هو الخطوة الأولى في حسم القضايا التي تواجهنا وفي اختبار قدرتنا على القيام ببحث في ميدان الدراسات الترجمية مستخدمين في ذلك أقوى ما نملك من وسائل متاحة.

الهوامش

(١) لمزيد من الاطلاع حول الإشارات إلى علم البصريّات و"جاليليو" التي وردت في هذا المقال، أنظر: Drake (1980) and Encycloedia Britannica (15th ed.) entries on "Galileo", "Medicine.History of".Optical Engineering", and "Optics.Principles of".

(٢) قارن: Encyclopedia Britannica 7.851; Drake: 70

(٣) Encyclopedia Britannica 7: 852.

(٤) استخدم لأهداف تخص هذه الورقة، التعريف البالغ الاتساع للترجمة الذي قال به "جديون توري" -Gide on Toury : "الترجمة سوف تكون أي نص في أي لغة مستهدفة، يُقدّم أو يُعامل على هذا الأساس داخل نطاق النسق المستهدف ذاته على أي أسس من أي نوع كان" (Toury 1982:27;cf.Toury 1980:14,37.43-45) فمثل هذا التعريف الواسع الضفاف هو الذي يستطيع أن يشمل البحث في الدراسات الترجمة ككل، وهو البحث الذي يشكل موضوع هذه الورقة. وكان صوغ "توري" لهذا التعريف (و هو بصفة جزئية عبارة عن توليفة لأعمال السابقين عليه في هذا المجال) أحد الإختراقات الكبرى التي أدت إلى تفجر البحث في الدراسات الترجمة خلال السنوات العشرين الأخيرة. وعلى نحو ما أشار "بايم" (Pym (1998:ch.4) - مع ذلك - ففي معظم الحالات يجري تضمين تعريف للترجمة أشد إحكاماً في خطة البحث، كي يحدد المرء ميدان الدراسة ويبيّنه، وهذا موضوع سوف أعود لمناقشته بتفصيل أكبر في وقت لاحق. وللإطلاع على مناقشة أخرى حديثة العهد حول مسألة التعريف، أنظر "هيرمانز" Hermans .

(٥) أود أن أكد على انتقادات "هيرمانز" (١٩٩٩ : ch.5) حول البرامج الشمولية والمستبعدة للبحث التي بوشرت في الدراسات الترجمة. فمثل هذه البرامج قد تخلّق كما هائلاً من المعلومات، إلا أن كثيراً مما يُخلّق قد لا ينطوي على فائدة كبيرة في معالجة المسائل التي تتصل بتصووص وسياقات معينة. ونادراً ما تكون مناهج ميكانيكية وشمولية من هذا النوع بناءة في البحث في مجال الإنسانيات، أكثر مما هي عليه في مجال العلوم الطبيعية والاجتماعية، ونادراً ما تستحق النتائج التي يقود إليها ذلك الجهود الذي تتطلبه. وكما لاحظ "بايم" (١٩٩٨:٤٩-٥٠) لا يحتاج المرء إلى أكثر من معلومات تكفي بالكاد لتأكيد أو نفي الفرضيات التي تتصل بتصميم الموضوع وتحكم البحث الذي يجريه. ومع أن الخطط التي تعتمد على برامج دقيقة قد توفر تذكيرة جيدة لما ينبغي للمرء ألا يغفل عنه، إلا أنها لا تستطيع أن تقوم مقام تخليق خطط بحثية محددة تتصل اتصالاً وثيقاً بكل مشروع معين على حدة.

(٦) في طوعنا أن نتخبط في مناقشة المنهج العلمي طالما وصلنا إلى هذه النقطة، بهدف تسويغ هذه العبارة، إلا أنني أفترض أن قراء هذا الكتاب يدركون أن البحث ليس نزهة في الهواء الطلق، يتصادف خلالها أن يعثر المرء، بصورة عرضية، على وجهات نظر شيقة.

(٧) ورد لها في قاموس التراث الأمريكي: "American Heritage Dictionary هذا التعريف: "قول قابل للتحقيق أو البرهنة على صحته" بما في ذلك "تخمين يفسر داخل نظرية ما أو أي إطار نظري آخر، مجموعة من الحقائق، ويمكن استخدامه كأساس لمزيد من الفحص والتحقيق".

(٨) جاء لها في قاموس التراث الأمريكي: "American Heritage Dictionary هذا التعريف: "نسق من الافتراضات والمبادئ المقبولة والقواعد الإجرائية التي تُصطنع للتخطيط والتنقيب، وعلى نحو آخر شرح طبيعة أو سلوك مجموعة معينة من الظواهر" وأولئك الذين يشيرون إلى الحاجة الماسة لـ "نظرية متماسكة" تخص كل مشروع بحثي يعجزون عن رؤية الفرق بين النظرية والفرضية: أنظر "هيرمانز" (٧١:١٩٩٩) للاطلاع على انتقادات أخرى لمفهوم "النظرية المتماسكة".

(٩) يلاحظ "هيرمانز" (٣٤:١٩٩٩) أن الباحث لا يستطيع أن يجري ملاحظة مركزة دون نظرية تخبره بما يبحث عنه وكيف يقيم مغزى ما يخضعه للملاحظة.

(١٠) أود أن أفصح عن تأييدي لإصرار "بايم" (١٩٩٨: ch.2) على ضرورة إجراء البحوث استناداً إلى مدى الأهمية، وأن تكون الأهمية معياراً قائداً لتقرير مسألة الاشتغال بالبحث العلمي من الأصل.

(١١) يميل الباحث إلى تبني التعريفات الفعالة على مستوى خطة البحث، سواء أكان البحث الذي يقوم به المرء ينطوي على عدد كبير أو صغير من الترجمات. هنا يثبت "بايم" أنه كان مصيباً (١٩٩٨: ch.4) عندما قال بضرورة التعريفات الفعالة لتحديد نطاق البحث، ولكن الصواب لم يحالفه في الهجوم على التعريف النظري الذي نادى به "توري" للترجمة، وهو التعريف الذي صاغه "توري" في أعماله الأولى) على أن الأهمية التي أعلقها على التعريف الأول للترجمة تتمثل في أنه تعريف نظري: يرسم حدود الوضع اللازم لقبول نطاق عريض من الترجمات في الدراسات الترجمانية، وهو الأمر الذي يسمح لمعاملة أي تعريف للترجمة في أي ثقافة بصفته صحيحاً ومشروعاً بنفس الدرجة. وهذا التعريف يصلح للعمل على مستوى النظرية، وعلى مستوى الفرضية التي ينطلق منها البحث، ومع ذلك فأني باحث قد/و ربما يتعين عليه في الغالب أن يحدد نطاق بحثه لأسباب عملية. وفي نفس الوقت، يجب على الباحث أن يجعل حدود بحثه واضحة نون أدنى التباس أمام نظر القارئ ومتلقى البحث.

(١٢) See Sengupta (1990,1995)

(١٣) قارن "بايم" (١٩٩٨: ٦٠٦ff) الذي يرى أن مقارنة الترجمات أكثر فائدة من مقارنة النص - المصدر والنص - المستهدف.

(١٤) هناك استثناء يؤكد القاعدة: إذا كانت بنية الفرضية التي يتبناها الباحث تسعى نحو إقامة مثال مضاد للوضع الذي اتخذه كأمر بديهي سواء نظرياً أو تجريبياً في الدراسات الترجمانية، إذن يكون من الواضح أن دراسة حالة واحدة أو عينة غاية في الضلالة أمر كافٍ. ومثل هذه الفرضيات تتوازي مع بعض أشكال البرهان الرياضي أو المنطقي، حيث يستطيع مثال واحد مضاد إما أن يهدم أو يقيم نظرية مفترضة (إذا كان للحجة نفسها أن تمضي قدماً بتخييل الحالة العكسية).

(١٥) يحدد قاموس التراث الأمريكي "American Heritage Dictionary" التجريبي على هذا النحو: "ذاك الذي يعتمد على أو يجري اشتقاقه من "الملاحظة أو التجربة" بينما "الموضوعي" هو المنسوب لـ أو الذي يتصل بشيء مادي متميز عن كل مفهوم ذهني أو فكرة أو معتقد".

(١٦) انظر النقاش الذي دار في أعمال "هيرمانز" (١٩٩٩: ٥٠-١٤٤) حول سمات البحث في الدراسات الترجيحية والميادين الأخرى، تلك التي تجعل منها جزئية وبالتالي ذاتية. ويحتج "هيرمانز" بأن غياب خط تقسيم واضح بين المستوى - الشيء object-level والمستوى - الماورائي meta-level يعد ملمحاً خاصاً بالدراسات الترجيحية، وهو الأمر الذي ينتقص من موضوعيتها، إلا أن خبرتي تشير إلى أن أصناف الحجج نفسها في طوعها أن تمتد إلى معظم الميادين الأخرى بما في ذلك العلوم الطبيعية، بل وحتى إلى الرياضيات نفسها، في بعض الحالات. وينبغي النظر إلى الحجة التي ساقها "لوومان" Luh-mann وناقشها "هيرمانز" - بمعنى من المعاني - بصفتها نوعاً من أنواع التكرار المكثف لنظرية "جودل" المعروفة باسم "اللااكتمالية" التي طبّقها على الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، ولهذا السبب، كنوع من أنواع التعبير عن مسألة رفيعة بلغة غير المتخصصين، تلك التي نجحت في تحديدها بصورة أكثر صرامة في ميادين مثل الرياضيات والفيزياء.

(١٧) يحتج "بايم" (1998: 27 ff., 123-24 and passim) بأن ذاتية الباحث مهمة نظراً لأنها هي التي توحى له بالقرار الذي يتخذه بشأن العمل في موضوعات معينة وباختياره للموضوعات التي تعد مهمة بالنسبة للحاضر.

(١٨) للاطلاع على ملخص مناسب لهذه السمات التي يتسم بها فكر "بيرس"، انظر "جورليه" Gorlée (1998:42ff).

(١٩) أحد الأسباب التي تجعل بعض الأبحاث المبرمجة التي تجرى في ميدان الدراسات الترجيحية تبدو وكأنها تخرج بنتائج "مسطحة" قد يكون غياب القياس - وبالتالي روح الإبداع - مما يرتبط بصياغة الفرضية المحددة التي ستخضع للاختبار.

(٢٠) يعد المجال الذي سيغطيه البحث، هو الآخر عاملاً جوهرياً في بناء نظرية صلبة قابلة للتطبيق على الحالة العامة أو الجزافية، عوضاً عن قصرها على التقاليد الاجتماعية السائدة لسياق الباحث، وفي سبيل الاطلاع على طرح أكثر تفصيلاً لهذه النقطة، انظر: Tymoczko(1999:32ff).

الفصل الثانى سعياً وراء منهجية انتقائية لتوصيف الترجمة

إدواردو كريسافوللى Edoardo Crisafulli

خلاصة:

أنتصر فى هذا المقال لصالح اللجوء إلى منهجية انتقائية فى الدراسات الترجمة، تقوم على التوفيق بين النهجين التجريبي - الوصفي والتفسيري - النقدي، مع أن النهج الأول يركز على المناهج شبه - العلمية أما النهج الآخر فيسعى فى سبيل فهم تاريخي - تفسيري للترجمة، ويحتج البعض بأن الدراسات الترجمة الوصفية ينبغي أن تقدم تنازلاً حاسماً وتقر بدور عملية التقييم فى مجال الترجمة والرؤية المحددة للتجريبية التى تعزز النهج الوصفية المتبعة فى الوقت الحاضر - التجريبية المنطقية - رؤية خاطئة طالما تشجع نهوض مفهوم وضعي خالي - القيمة للبحث. من جانب آخر تقرر التجريبية التاريخية - من جانبها - بدور التقييم فى البحث، ومع ذلك فالمنهجية الانتقائية تتطلب منا أيضاً أن نتجاوز التفكير الذى يهتدى بالأنساق وبحثه عن تناسقات منمطة (أو سلوك تحكمه الأعراف السائدة). ويرى البعض - على وجه خاص - أنه ينبغي على الدارسين فى مجال الترجمة أن يوفقوا بين التحليل الكمي (الذى يركز على التناسقات المنمطة) وبين التحليل الكيفي (الذى يتناول الاختيارات الشخصية - الأيدولوجية) وإذا كان لنا أن نتوصل إلى هذه المنهجية الانتقائية، صار لزاماً علينا أن نعزز الدراية المصقولة أو القدرة التفسيرية للدراسات الترجمة، ولكن هذا يتطلب من الدارسين الذين يتبعون المنهج التجريبي - الوصفي أن يبرزوا إلى صدر الصورة المترجم بصفته إنساناً والقضايا التفسيرية التى تتصل بعملية الترجمة.

(١) تعارض مزيف: نهج تجريبية - وصفية مقابل أخرى تفسيرية - نقدية

تكمن الأزمة الآخذة بخناق الدراسات الترجمية في الوقت الحاضر في الافتقار إلى أطر منهجية انتقائية تكون قادرة على التوفيق بين نطاق واسع من البواعث التي تحرك الباحثين، على أن الإعلان عن قصد المرء في الأدب النقدي إنما يؤكد الحاجة إلى تجاوز كل منظور مفرد وأي نسق واحد بحد ذاته، ولكن لا يزال أمامنا شوط آخر ينبغي علينا أن نقطعه قبل أن يستقر عندنا وجود نهج انتقائي كامل النمو. وفي نفس الوقت لا يستطيع أي تفكير رصين في الانتقائية أن يمضي قدماً مع تجاهل التحفظ الذي أفصحت عنه "منى بيكر" Mona Baker "على هذا النحو يتعين على الدارسين في موضوع الترجمة أن يعترفوا بعدم وجود أي نهج يستطيع بحد ذاته، ومهما كان بارعاً، أن يقدم إجابة شافية على كافة الأسئلة التي تُثار داخل إطار النسق أو الأنوات، والمنهجية التي يتطلبها إجراء البحث في كافة مناحي الدراسات الترجمية (٢٨٠: ١٩٩٨).

ويذهب رأيي إلى إمكانية تخليق نهج انتقائي يستطيع التوفيق بين النظرات الثاقبة التي أفصح عنها كل من "جديون توري" (1995) Gideon Toury و"منى بيكر" (١٩٩٦، ١٩٩٣) و"أندريه لوفيفر" (1992) André Lefevere و"أنتوني بايم" (١٩٩٨) و"سوزان باسنت" (1991) Susan Bassnett و"لورنس فينوتي" (1998) Lawrence Venuti، (١٩٩٥) و"ثيو هيرمانز" (١٩٨٥، ١٩٩٥، ١٩٩٩) ومع ذلك فيبدو أن أولئك الباحثين يملكون نهجاً منهجية مختلفة بصورة كاملة.^(١) فمنهاجا كل من "توري" و"بيكر" الاستقرائيان شبه العلميين (الذان يتطلبهما البحث عن الاتساقات المنمطة) يتعارضان مع تركيز "بايم" على المترجم الإنسان والبحث التاريخي بصفة عامة، أما الاحتفالات الأيدولوجية من جانب كل من "لوفيفر" و"فينوتي" و"هيرمانز" بـ "المعالجة" أو دور الوساطة الذي يتكفل به المترجم فيحتاجان إلى نهج تفسيرية - نقدي عوضاً عن نهج علمي بحت.

في هذا المقال أريد أن أحتج بأن التعارض المزيف، في رأيي الخاص، بين النهجين التجريبي - الوصفي والتفسيري - النقدي ليس سوى عقبة على الدرب الذي

يقود إلى المنهجية الانتقائية في الدراسات الترجمية. والواقع أن الاختلاف بين التجريبيين - الوصفيين (تورى وبيكر) ومؤرخى الترجمة (بايم ولوفيفر) وباسنيت و"فينوتى" و"هيرمانز") يتصل بالقضايا المنهجية بصورة أكبر من الأسس الفلسفية، ومن بين الأسئلة وثيقة الصلة بعمل كل الباحثين في مجال الترجمة ما يلي: ما هو الدليل الذى نعهده كافيًا فى نطاق البحث فى موضوع الترجمة؟ هل هو نص مستهدف وحيد؟ أو جسمور (= مجموعة) من النصوص "المثلة"؟ هل فى طوعنا أن نصمم جسموراً من النصوص بحيث يغدو جيداً "التمثيل"؟ عندما نصل إلى اتفاق ما حول طبيعة الدليل عن طريق وضع جسمور مناسب، فأى ملامح للأداء فى مجال الترجمة فى طوعنا أن نعزلها كلامح وطيدة الصلة بالموضوع أو مفيدة لمعنى ما؟ هل نبحت عن اتساقات الأداء أو حالات الإبداع من جانب الترجمة؟ هذه هى الأسئلة التى سأحاول الإجابة عليها فى هذا المقال.

قد يكون فى وسعنا أن نوفق بين النهج المنهجية المختلفة فى الدراسات الترجمية فى سياق مبدأ إبستمولوجى موحد - التجريبية - طالما وسّعت الدراسات الترجمية الوصفية من نطاقها وأخذت فى اعتبارها الملاحظات التى يبيدها مؤرخو الترجمة. ولقد ساق "جيوليو بريتي" Giulio Preti قبل ربع قرن، حججاً مقنعة بأننا نستطيع التوفيق بين النهج التجريبية وتلك التاريخية: للبحث التاريخى سمة فلسفية (مثال: تفسير الفاعلية والسببية أو العلوية أى الربط بين الأسباب والنتائج فى سياق معين) وهو الأمر الذى يحتاج إلى التيقن تجريبياً من صحته، بينما لا يستطيع البحث التجريبى تجاهل الأحكام التقييمية التى تميز الدراسات التاريخية - وقد تمثلت الوقائع التى يمكن رصدها خلال الملاحظة نقطة الانطلاق بالنسبة للتجريبيين، ولكن تفسير الباحث هو الذى يفرض نسقاً مفهوماً (من مفهوم) على الوقائع، وهو الذى يقيم مغزى المعطيات التجريبية فى المقام الأول ("بريتى" ١٩٧٥: ١٥٥) (Preti 1975:155).

وبناء عليه فإننى لا أعتقد أن "الانحياز التجريبى للنهج الوصفى" يعد بحد ذاته *per se* شائبة أو خللاً، كما يبدو أن "هيرمانز" (١٩٩٩: ٤٤) يريد أن يقنعنا، وعوضاً عن

ذلك تتمثل إحدى المشاكل الكبرى التي تكتنف النهج التجريبية - الوصفية في الوقت الحاضر، في رؤيتها الاختزالية (العلمية - الوضعية) للبحث التجريبي (ولسوف أناقش في وقت لاحق المشكلة الأخرى التي تأخذ بخناق الدراسات الترجمية، وأقصد بها: اعتمادها على تفكير موجّه من جانب نسق أو آخر) مما يميّز "التجريبية المنطقية" (نوريس ١٩٩٧ : ٦٧) (Norris 1997:67) بدلاً من التجريبية بون زيادة tout court . وتفترض التجريبية المنطقية انفصلاً حاسماً بين الذات والموضوع والتقييم، وترى أن هناك تناظراً بين العبارات والفرضيات التنبؤية إلخ من جانب ومن جانب آخر "حالة معنوية (قابلة للملاحظة) من شأنها أن تُسند إليها قيمة صدق محددة" ("نوريس" ١٩٩٧ : ٧٢) وكان أن قوبلت هذه الرؤية للتجريبية بالهجوم في دوائر فلسفية عديدة لأنها "عجزت عن تفسير الكيفية التي يمكن للملاحظة أن تجرى خلالها أصلاً - أو ترتدى شكلاً واضحاً - في ظل غياب "خطة أونطولوجية" (=حقيقية الوجود) أى نظرية ما تكون سابقة الوجود لما ينبغي إعتبره تقريراً مناسباً (أى مقبول علمياً) في الملاحظة العلمية. (المرجع السابق) .

لا تتطلب منا الرؤية الرصينة المصقولة للتجريبية، تلك التي تأخذ في اعتبارها البعد التفسيري - أقترح لها مصطلح "التجريبية التاريخية" - أن نعتقد بأن الوقائع قابلة للملاحظة بصورة مباشرة وموضوعية، كما لو أن لا وجود هناك لأى نظريات سابقة الوجود أو توقعات تقود اختيار هذه الوقائع مثلما تقود تصنيفها. غير أن رفض التجريبية المنطقية لا ينطوى على أننا مجبورون على اعتناق شكل راديكالي من أشكال الشكبة الإبستمولوجية epistemological skepticism (=المعرفية) ولعلّى أتفق مع موقف "كريستوفر نوريس" المناهض للنسبية، وكان قد رفض تبني رؤية ضيقة للبحث التجريبي، إلا أنه أوضح بما لا مزيد عليه أن النزعة الما - بعد - بنيوية - poststructural-ism مخطئة في رفضها "قضايا الصدق والمشروعية والمنهجية" بصفتها من "مخلفات مشقٍ وضعى" عفا عليه الدهر، مع "أجندته" (=جدول أعماله) "الأيدولوجية المقنّعة" (Norris 1997:7) .

تقف القضايا المنهجية في طليعة القضايا التي تتعلق بالدراسات الترجمية. ولكنني سوف أركز هنا على النهج التجريبي - الوصفية، وذلك لأنني أرى أن نعزز قدراتها التفسيرية ومصقوليتها النظرية داخل نطاق رؤية انتقائية للدراسات الترجمية. وفي هذا الصدد تقف النهج التاريخية على أرضٍ أشد صلابة: يقع التقييم والتفسير في قلب الدراسات التاريخية. ولعلني أهدف من وراء اقتراحي اعتماد الانتقائية أن أرمي ماء الاستحمام (الإنحراف الوضعي للدراسات الترجمية الوصفية) بون رمي الطفل المستحم معه (الصرامة المنهجية والتجريبية وفكرة البحث العقلاني والمُنهج). وتهدف خطة المنهجية الانتقائية إلى عبور الفجوة بين النهجين التجريبي - الوصفي والتفسيري - النقدي (أو التاريخي) إذا تأتى لها أن تسلط أسطع الأضواء على ظاهرة الترجمة.

(٢) التوصيف والتقييم في البحث في ميدان الترجمة

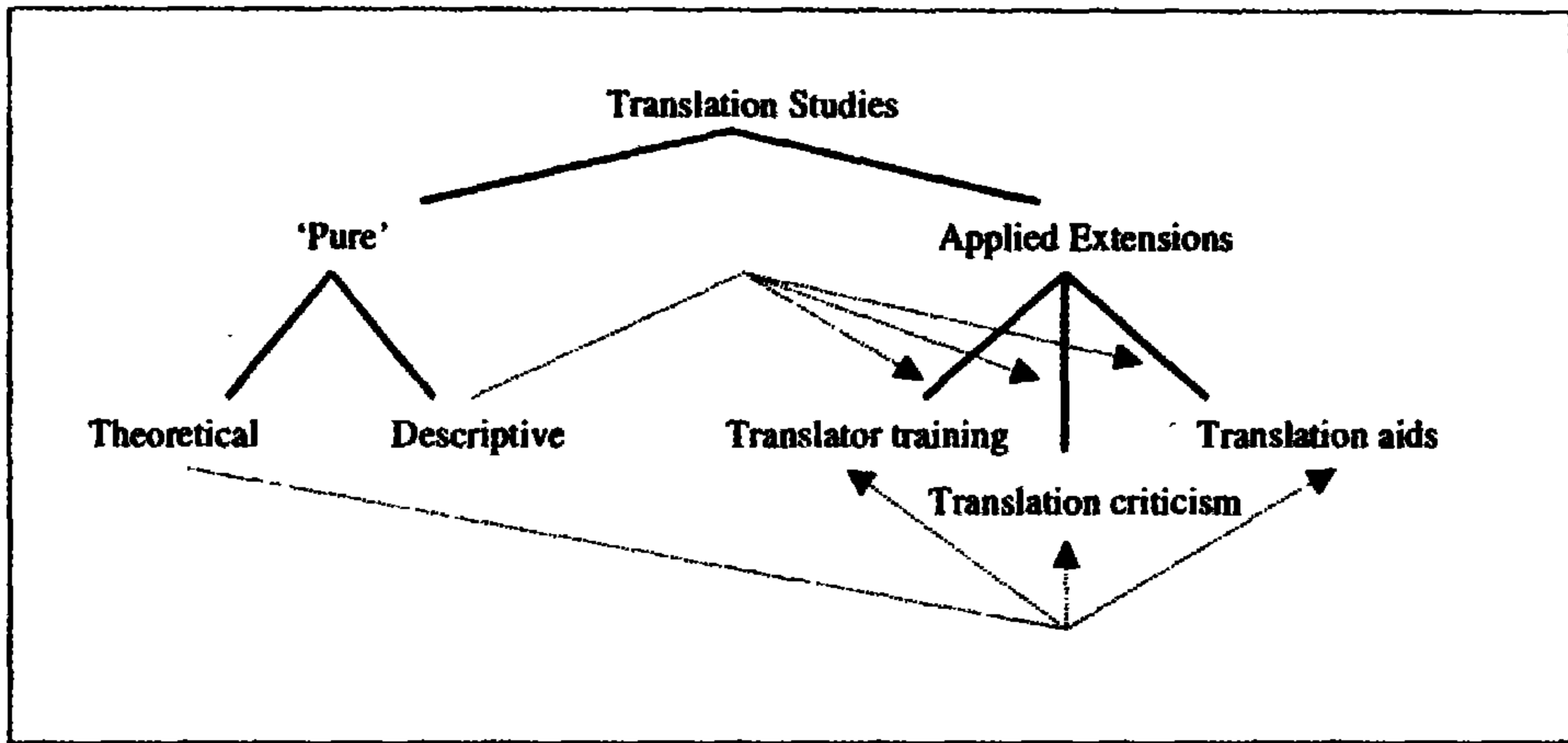
ولكن ما هو السبب في وقوع التجريبيين الوصفيين أسرى التجريبية المنطقية (وبالتالي يقللون من أهمية دور التقييم في البحث في ميدان الترجمة) ؟ لتتوقف قليلاً أمام أفكار أحد أبرز الوصفيين: "جديون توري".

وضع "توري" صورة تخطيطية (= رسماً كروكياً) للوصف المُجمل الذي صاغه "جيمس هولز" للدراسات الترجمية، وهي الصورة التي تشير إلى أن النسق يضم فرعين: البحث والتطبيقي. وينقسم الفرع الأول إلى الدراسات الترجمية الوصفية ونظرية الترجمة.

تؤسس نظرية الترجمة مبادئ عامة بهدف شرح ظاهرة الترجمة والتنبؤ بأسرارها. ("هولز ١٩٨٨ : ٧١) وتستخدم هذه النظرية النتائج التي انتهت إليها الدراسات الترجمية الوصفية إلى جانب النظرات الثاقبة القادمة من أنساق معرفية أخرى (اللغويات والأدب المقارن وعلم الاجتماعيات (= السوسيولوجيا) في بناء نظريات

ونماذج تملك قدرة تفسيرية وتنبؤية. وينصب احتفال الدراسات الترجمة التطبيقية (توسعات تطبيقية للدراسات الترجمة في خريطة "توري" المنقحة) (أنظر شكل رقم ١) بالتطبيقات العملية مثل تدريب المترجم.

الدراسات الترجمة



بحث
توسعات تطبيقية
نظرية
وصفية
تدريب المترجم
أدوات مساعدة للمترجم
نقد الترجمة

شكل رقم (١) رسم بياني يعطي صورة خريطية لـ "العلاقات بين الدراسات الترجمة وتوسعاتها التطبيقية" (١٩٩٥ : ١٨)

أجد نفسي على اتفاق تام مع كل من "هولمز" (١٩٨٨ : ٧١) و"تورى" (١٩٩٥ : ١) فى أن دراسة الترجمة، سواء أكانت دراسة نظرية أو وصفية تعد نسقاً تجريبياً يهتم بوصف ما هى عليه الترجمة وليس ما ينبغى أن تكون عليه، ويبدو أن "تورى" فى الواقع الفعلى يفترض وجود فجوة بين الدراسات النظرية وتلك الوصفية من جانب، وتوسعاتها من جانب آخر (حتى ولو تصور وجود نوع ما من الاتصال بين هذين الفرعين من النسق) أما الدراسات الأخيرة فتهتم بوضع الأعراف أو القواعد العامة بدلاً من تفسير الوقائع والتنبؤ بها فى الحياة المعاشة. والوصفيون ("تورى" ١٩٩٥ : ٢) (يرفضون استخلاص أى نتائج على شكل توصيات بشأن السلوك "السليم") وأرى أن المؤرخين ينبغى عليهم أن يحذو حذوهم فى هذا التفكير المنطقى . فحتى "هيرمانز" الذى ينتقد القيود التى تضعها النهج التجريبية - الوصفية يحاجنا بأن "المهمة النقدية لنظرية الترجمة لا تكمن فى تحييد هذه الطريقة أو تلك سواء المقاومة أو المعارضة أو المُمثلة أو السلسة أو أى طريقة أخرى من طرق الترجمة".

كل الأمور تسير على مايرام حتى الآن، تعد النقطة التى ينطلق منها "تورى" التجريبية سليمة، إلا أن المؤسف حقاً أن طريقة التفكير التى يسير وفقها "تورى" تقف عقبة فى بعض الأحيان على الطريق نحو الانتقائية، ويكمن الخطأ هنا فى إيمانه بأن الموقف المناهض للنزعة التوجيهية (= الإرشادية) يقتضى منه نفي التقييم. ولنتوقف أمام عبارته ذاتها، تلك التى تقول بأن الدراسات الترجمية الوصفية لا تؤسس لمناهج ملائمة فى ميدان الترجمة، أكثر مما يقرر علم اللغويات "طرقاً مناسبة للاستعمال اللغوى" ("تورى" ١٩٩٥ : ١٧) ولعلى أقبل الجزء الأول من هذه العبارة دون الجزء الثانى، إذ يعد القياس الذى تتطابق بموجبه أهداف الدراسات الترجمية الوصفية مع تلك الأهداف التى يتوخاها المفهوم الاختزالى للغويات قياساً مضللاً، ويمضى "تورى" فى محاجته كى يقول إنه ينبغى على الوصفيين أن "يجمعوا عن إطلاق الأحكام القيمية سواء عند اختيار موضوع البحث أو عرض النتائج التى يتوصلون إليها" (١٩٩٥ : ٢) ويقوده هذا الإيمان المثير للاشكالات - لأعلى حد - إلى تبني موقف علمى يركز على الحيادة والموضوعية، أضف إلى ذلك أن مفهوم "تورى" الخالى من أى حكم قيمي

اللغويات، وهو المفهوم الذي يطبقه على البحث في ميدان الترجمة، يعد مصدراً من مصادر سوء الفهم بين الباحثين في موضوع الترجمة. فينتقد "لورنس فينوتى" - على سبيل المثال - النهج التي يوجهها اللغويات، وهي النهج التي تدرس الترجمة، حسبما يزعم "بصفتها مجموعة من العمليات المنظمة، والمستقلة عن التشكيلات الثقافية الاجتماعية التي تجرى أى تلك العمليات فى إطارها". (١٩٨٨: ٢٥) وقد يحتج أحدهم هنا بأن النقد الذى يوجهه "فينوتى" إنما ينطبق على البحث عن العموميات أو القوانين العامة للترجمة، دون أن يسير بالضرورة على دراسة أعراف الترجمة، تلك التى تضرب بجنورها فى مجتمع وثقافة معينين، وبالتالي يكونان تاريخيين. ومع أننى لا أعتزم التصديق على التأكيد الجازم الذى ذهب إليه "فينوتى" بـ "أن الميل الأشد مدعاة للقلق فى النهج التى يوجهها اللغويات يتمثل فى رفعها لشأن النماذج" (١٩٩٥: ٢٥) وهو الأمر الذى قد يكون "تورى" نفسه مسئولاً عنه، فـ "تورى" يُعلى من شأن مفهوم علمى يُوجهه اللغويات للترجمة، وهو مفهوم يميز التجريبية المنطقية. ولكن كافة فروع اللغويات لا تستلزم بأى حال من الأحوال مفهوماً يكون هدف الباحث خلاله أن يفصل "الواقعة عن القيمة" ("فينوتى" ١٩٩٨: ٢٩) (٢).

ولنمضِ قُدماً قليلاً مع القياس بين الدراسات الترجمية الوصفية واللغويات. على أن هدفى هنا ليس تحديد طبيعة البحث اللغوى، بل مجرد تسليط ضوء على مفهوم "تورى" عن البحث التجريبى. (٣) وعلى نحو ما أشارت "دبورة كاميرون" Deborah (4: 1995) Cameron فإن اللغويات يساوى فى الغالب بين الوصف والبحث عن الحقائق الموضوعية، وبين التوجيه prescription والاحتفال بإصدار أحكام قيمية ذاتية. غير أن الفرق بين التقرير (=التعبير) الملاحظ للأعراف وذلك الفارض لها لهو فرق لا يزال مثار جدل واسع فى نطاق اللغويات. ويرى لغويون مثل "كاميرون" (١٩٩٥) و"تالبوت تايلور" Talbot Taylor (1990) أن المعيارية أى مجمل القواعد التى تستند إلى الأعراف (=المواضع) كامنة فى العملية الوصفية ذاتها. غير أن "تايلور" يثير شكوكاً حول الثنائية بين العبارات الوصفية، تلك التى نتصور أنها موضوعية بحتة والعبارات المعيارية التى تعتمد على النفوذ والهيمنة. (١٩٩٠: ٢١) فالعبارات التى ترد فى

القواميس التي تملك نفوساً عريضة على القراء - هكذا يمضى "تايلور" كى يقول فى حاجته - ليست وصفاً لحقائق ولكنها عوضاً عن ذلك تعد إستدعاء لأعراف (= مواضع) متفقٍ عليها" (١٩٩٠: ٢٤) وبصرف النظر عما يراه فيها الوصفيون من حيدة، إلا أن قوتها المعيارية التي لا تخطئها عين سوف تترك أثرها لا محالة على الاختيارات اللغوية التي يقع عليها المتحدثون الأفراد. ولو أن "كاميرون" ترى أن الهدف الذي يتوخاه النحو الوصفى يتمثل على وجه محدد فى ترسيخ ما تستقر عليه الأعراف (=المواضع) "حتى يمكن حث مستعملى اللغة باطمئنان على تحييده" (١٩٩٥: ١٠)

إلا أن الملاحظات التي أبدتها "ميلروي" Milroy تتصل بالدراسات الترجمية الوصفية، بصورة أكثر مباشرة، إذ أن الباحث الذي يركّز على العلاقة بين اللغة والمجتمع يرى أن توصيفات اللغة معيارية، وذلك "لأنها لكى تتمتع بالدقة يتعين عليها أن تتطابق بصورة أشد ما تكون قريباً من الأعراف التي تحظى بإجماع المجتمع المعنى فى دراستنا" (١٩٩٢: ٨-٩). ومع ذلك فهو لا يساوى بين ما هو معيارى وما هو توجيهى أو إجبارى، إذ يصر "ميلروي" على النقيض من كل من "كاميرون" و"تايلور" على أن اللغويين قد يميزون بين "ملاحظة" عرف أو قاعدة عامة من الأعراف أو القواعد العامة لأغراض وصفية و"فرض" هذا العرف بصورة إجبارية (المرجع السابق) ^(٤) ولكنه مقتنع أيضاً بأن ملاحظة الأعراف (=القواعد العامة) عملٌ غير منفصل عن الأحكام القيمية للباحث. ولعلّ أيضاً أرى هذا الرأى.

أعتقد أن العقبة الكؤود (=المستعصية) إلى تبني الانتقائية فى الدراسات الترجمية تتمثل فى الفرق الثنائى binary بين العبارات الوصفية والأحكام القيمية، ويبدو أن "تورى" حريص - من وجهة نظرى - على نبذ الأحكام القيمية، وذلك لمساواته بين الدراسات الترجمية الوصفية والمفهوم الاختزالى للغويين (ربما النظرين) وهو المفهوم الذى يترتب على التقييم، بموجبه، وبالضرورة - إتخاذ موقف توجيهى أى إرشادى. غير أن الأحكام القيمية ليست باستمرار مترادفة مع العبارات التوجيهية، حتى لو تأسست - بصورة واضحة لا لبس فيها - التوصيات التي يوصى بها باحث أو آخر فى سبيل

ترجمة سليمة على أحكام قيمية قوية. ولقد لاحظ كل من "كاميرون" (١٩٩٥: ٤) و"تايلور" (١٩٩٠: ٢٥) أن علم لغويات محايد تجاه الأيدولوجيا لا وجود له، وهذه ملاحظة تنطبق أيضاً على الدراسات الترجمة الوصفية.

إلا أن "تورى" يبدو عليه الإحجام عن قبول المعانى الضمنية التى ينطوى عليها تفكيره. فالتجريبية لا تنطوى - بالضرورة - على أن الإطار الوصفى يمكن تصوُّره فى الفراغ، بمعنى نون أعمال التفسير. وفى الواقع يشير "تورى" - بصورة محددة - إلى الدراسات "التفسيرية - الوصفية" داخل نطاق الدراسات الترجمة الوصفية (١٩٩٥: ١٥). وليس فى طوع أى دراسة تفسيرية إغفال الأحكام القيمية. ويصير لزاماً على المرء أن يقر بعدم وجود أى إطار وصفى للتحليل يكون محصناً ضد الانحياز التفسيري أو التأويلي، ومع وجود درجات من الانحياز (البحث عن عموميات الترجمة قد يكون أقل اعتماداً على الأحكام القيمية من البحوث التاريخية) إلا أن الحقيقة تظل قائمة نون خدش بأن الأحكام القيمية تؤثر على اختيار المعطيات بالإضافة إلى التصانيف الوصفية للتحليل والنظريات التفسيرية التى يجرى فى إطارها تنظيم هذه التصانيف. ووجهة النظر هذه تلقى قبولاً عريضاً حتى من جانب أولئك الإيستمولوجيين الذين يعارضون ما - بعد - البنيوية. وترى "سوزان هاك" Suzan Haak أن "الإيستمولوجى لا يستطيع أن يقف تماماً موقف المراقب المعزول، لأن الانخراط فى أى عمل إيستمولوجى (أو لكى يجرى أى نوع من أنواع البحث) يفرض على المرء أن يستخدم بعض مقاييس الأدلة، أو ما يُعد سبباً لـ أو نقضاً لأى اعتقاد - وهذه مقاييس يأخذها المرء على اعتبار أنها مؤشرات على الصدق" (١٩٩٢: ١٢) .

ليس مستغرب أن نجد العديد من الباحثين المرموقين فى ميدان الترجمة يختلفون مع النهج العلمى الذى ينتهجه "تورى"، إلا أن المعارضة الأقوى لآراء "تورى" بشأن الموضوعية والحييدة إنما تأتى من بين مؤرخى الترجمة، فيلاحظ "هيرمانز" أن "ادعاء الحييدة والموضوعية ليس سوى عبارة أيولوجية بالفعل فى حد ذاتها" (١٩٩٩: ٣٦) ويحتج "هيرمانز" بأن الباحثين فى ميدان الترجمة إنما يحتاجون إلى نظرية نقدية

"تهمس للملاحظ بما ينبغي عليه أن يبحث عنه وكيف يقيم مغزى ما يخضعه للملاحظة" (١٩٩١: ٣٤) ولقد أثار "خوزيه لامبرت" José Lambert شكوكاً بشأن الفرق ذاته بين التقييم والتوصيف (١٩٩١: ٣١). ويؤكد "أنتوني بايم" - هو الآخر - أن وجود وصف محايد بشكل كامل هو خرافة (١٩٩٨: ٩) أما "ديرك ديلاستيتا" Dirk Dela-bastita فمقتنع بأن اختيار الوقائع التاريخية ووصفها "سوف توجههما باستمرار افتراضات أولية (1991: 140) a priori ويتفق معه "فينوتي" في هذا الشأن "فحتى عند مستوى صوغ وتنفيذ مشروع البحث، سوف يظل التفسير العلمي مثقلاً بقيم موقفه الثقافي" (١٩٩٨: ٢٨-٩) .

ولنتوقف الآن أمام تلك الفكرة الأساسية بشأن أعراف الترجمة: ننظر فنجد أن هذه الأعراف أو القواعد العامة تحدها الشروط التاريخية، وذلك خلافاً للعموميات أو قوانين الترجمة (التي سأعرض لها في الجزء التالي من المقال) وتملك (قدراً من) القوة التوجيهية (=الإرشادية) داخل نطاق تقاليد معينة مستهدفة، ويعد شرح الأساس المنطقي الكامن وراء مفهوم أعراف الترجمة - بعمق كافٍ - يقع خارج حيز هذا المقال (هناك شرح سردي متوفر عند "هيرمانز" ١٩٩٩) ولكن يكفي - في رأيي - هنا أن أقول إن أعراف الترجمة تكشف - حسبما يزعم البعض - عن مفهوم الترجمة في مجتمع معين عند لحظة معينة في الزمن، أي أنها تمثل السلوك الترجمي من منظور تاريخي. فالأعراف "تأتي نتاجاً لتقاليد للترجمة بطرق محددة لا يمكن ملاحظتها وبلورتها إلا خلال تحليل جسمور ممثل (= مجموعة نصوص تمثل كما أكبر منها) من النصوص المترجمة في لغة أو ثقافة معينة" ("بيكر" ١٩٩٣ : ٢٤٠) .

ومع ذلك، فالافتراض الذي يقول بأن جسموراً ما قد يكون ممثلاً للسلوك الترجمي لهو قول يثير إشكالات عميقة (=غير محسومة) فكيف نحدد معياراً للنصوص التي يتعين إدخالها ضمن هذا الجسمور من النصوص المترجمة في لغة أو ثقافة ما؟ لا مناص (=مهرب) هناك من الحقيقة التي تقول إن تصميم الجسمور ذاته ينبع من سلوك ما يعتمد على التفسير - فعلى سبيل المثال - اعتمد اختياري لمعظم المترجمين

الأنجلو - أمريكيين "الممثلين" الذين نقلوا عن اللغة الإيطالية ملحمة "الكوميديا الإلهية" لـ "دانتي أليجيري" (١٢٦٥-١٣٢١) يعد أعظم الشعراء الإيطاليين في عصر النهضة الأوروبية، وقد اختار أن يكتب ملحمة الخالدة باللغة الموصومة بالعامية وقت ذاك أي الإيطالية (يون اللاتينية. المترجم) (راجع مناقشة الموضوع عند "كريسافوللي" 2000 Crisafulli) على افتراضات نظرية ضمنية، وهي افتراضات تحظى منى بالقبول كبديهيات. فعلى أي أساس أدرجت ترجمات معينة دون ترجمات أخرى، وارتأيت أنها تمثل تقاليد معينة من "إعادة تأليف" ملحمة "الكوميديا الإلهية"؟ ولقد حداني بصفة جزئية في اختياراتي دافع خاص تمثل في اعتبارات التميز الأدبي (اخترت ما رأيت فيه أحسن الترجمات الشعرية، التي تنطوي على مفهوم يرفع الأدب إلى مرتبة الكمال) وبصفة جزئية أخرى فكرة متصورة بشكل مسبق لما يعتبر ترجمة وافية لـ "كوميديا دانتي" في المقام الأول. (استبعدت الترجمات النثرية وأدرجت عدة ترجمات شعرية مختارة، تفترض مفهوماً يرفع الأدب إلى مرتبة الكمال) وبذلك تثير الطبيعة المناحزة - أيديولوجياً لأى جسمور، وبالتالي أعراف الترجمة شكوكاً عميقة تجاه أى ثنائية صارمة بين التوصيف والتقييم.

وهذا ليس معناه أن الجسمور الذي وقع عليه اختياري لم يطرح حقائق شيقة حول أداء مجموعة (ممثلة إلى هذا الحد أو ذاك) من المترجمين الأنجلو - أمريكيين. ولكن هل نستطيع أن نفرز حقائق تجريبية موضوعية - فيما يُزعم - مثل أعراف الترجمة أو اتجاهات الأداء في ميدان الترجمة، من مثل ذلك الجسمور؟ أعتقد أن في طوعنا أن نقوم بمثل هذه الخطوة من التعميم ولكن على أسس تجريبية مؤقتة: لا وجود هناك لحقائق تجريبية بشكل مستقل عن وجهة نظر الباحث، فالحقيقة أن الباحث هو الذي يخلق الحقائق التجريبية انطلاقاً من التحليل عن طريق جعل المعطيات (الخام) التي تتصل بمنظوره قابلة للملاحظة - وعلى سبيل المثال - قد يكون المفهوم المثالي للمرء هو الذي يقوده إلى التركيز - في الغالب الأعم - على مترجمي الاتجاه السائد أو المحافظين. وإذا كانت هذه هي الحالة، فإن الأنماط التي توفرت خلال التحليل سوف تعكس مثل ذلك المفهوم الأولي *a priori* أو المثالي وتكشف أن الترجمة نشاط يتسم بالمحافظة بشكل أساسي.

وليس تصميم الجسمور وحده هو الذى يتَّسم بالانحياز الأيديولوجى، ويعطينا "فينوتى" مثالاً رائعاً على الكيفية التى يمكن بها لصوغ القواعد الترجمية ذاتها أن يكون مشحوناً بأيدولوجيا معينة. ويصوغ "تورى" عرفاً (= قاعدة) بموجبه فرض المترجم العبرى لـ "سوناتات" شكسبير" رقابة خاصة على النصوص التى تحت يده عن طريق تغيير جنوسة (=gender) المخاطب من المذكر إلى المؤنث، فمثل هذا العرف أو القاعدة العامة تضمن قبولاً للترجمة فى مجتمعه العبرى فى القرن العشرين، ذلك المجتمع الذى يرفض الجنسية المثلية. ويقول "فينوتى":

"تعد مقالة "تورى" - حتى ولو أنه لا يصم فيها الترجمة (العبرية) بأنها تعانى من رهاب الجنسية - بعيدة هى الأخرى عن رهاب الجنسية المثلية (=كراهية الجنسيين المثليين، المترجم) homophobia ... إذ يبدو واضحاً أن صياغته للعرف (=القاعدة) ميالة نحو الليبرالية، ولو كان "تورى" مشاركاً للمترجم فى محافظته، لكان قد وصف الترجمة بأنها تعبير تطوعى عن اللياقة الأخلاقية" ("فينوتى" ١٩٩٨: ٢٩).

ليس فى وسع تصانيف الباحث عند تحليله أن تكون توصيفات محايدة؛ إذ أن هذه التصانيف تنطوى على افتراضات سياسية وأيدولوجية معينة، ومن وجهة النظر هذه يكون من الصحيح أن نقول إن معتقدات الباحث تحكم كافة أنواع الدرس التاريخى، إلا أن السعى نحو الانتقائية المنهجية تتطلب منا أن نمضى قدماً وأن نلقى بنظرة نقدية على فكرة "الاتساق المنمط" وهى الفكرة التى تعزز هذا التفكير الوصفى أو ذاك الذى يوجهه نسق أو آخر.

(٣) اتساقات منمطة فى مقابل تميُّز وإبداع

تتمثل مشكلة البحث فى ميدان الترجمة فى كيفية تحقيق توازن بين الامتثال والاتساق من ناحية والتغيير والإبداع من ناحية أخرى، بين الأداء المحكوم - عرفياً (سواء عند بعده المتجاوز للفرد أو بعده الجماعى الذى يشارف حدود السوسولوجيا)

وبين الأداء المتميز (البعد الفردي الذي يبرز العامل الإنساني) بين الاتجاهات العمومية (اللاتاريخية) وبين الاختيارات الشخصية أو النصوعية المحددة.

يمضى النهج الانتقائي الذي يدمج بين نوعي التحليل الكمي والكيفي شوطاً ما نحو التوفيق بين هذين الفرعين الجوهريين لتشعب ظاهر، ومن الواضح أن هذا التوفيق لن يصيب نجاحاً ما لم يكتسب الباحثون في ميدان الترجمة من كافة المشارب الوعى بأن التوصيف والتقييم لا يمكن فصمهما الواحد عن الآخر، إلا أن هذا ليس كافياً بحد ذاته، إذ يتعين علينا أيضاً أن نكشف التلميحات التي ينطوى عليها التفكير الموجة - نسقياً (=الذي يوجهه هذا النسق أو ذاك) وهى التلميحات التي ترتبط بصورة وطيدة بالنهوج التجريبية - الوصفية.

ولنعد إلى التوقف قليلاً - مرة أخرى - أمام الأفكار التي أفصح عنها "تورى": يعالج "تورى" (١٩٩٥: ١١) سيراً فى أعقاب "هولمز" (١٩٨٨: ٧٨) كافة فروع الدراسات الترجمية بصفقتها متبادلة الاعتماد، أى يعتمد كل منها على الآخر، إلا أنه يرى أن العلاقة بين الفرعين النظرى والوصفى تمثل جوهر النسق، وكانت الاكتشافات التي توصلت إليها الدراسات الترجمية قد أدت إلى "اتساقات الأداء" تلك التي ستمكّن المنظرين "من وضع سلسلة من القوانين المترابطة" ("تورى" ١٩٩٥: ١٦).

تتشابه قوانين "تورى" مع قوانين "بيكر" (١٩٩٣، ١٩٩٦) بشأن عموميات الترجمة وأنماط الأداء، تلك الكامنة فى الترجمة - وعلى سبيل المثال - يقول قانون "تورى" حول التقييس المتنامى إن المترجمين يميلون إلى تحبيذ الاختيارات المستقرة أو المعتادة أو "البدائل التي توفرها الذخيرة المستهدفة" (١٩٩٥: ٢٦٨) وبعبارة أخرى يميل المترجمون إلى تبني نزعة محافظة، كما تلاحظ "بيكر" هي الأخرى، إن الملاحظة أثبتت أن المترجمين عبر لغات متنوعة ينزعون نحو التبسيط ونبذ الغموض وجعل رسالة النص المستهدف واضحة دون أدنى التباس. ("بيكر" ١٩٩٣: ٢٤٣، ٢٤٦، ١٩٩٦: ١٧٦).

تتمثل العقدة الأولى أمام مؤرخى الترجمة فى أن البحث عن عموميات أو قوانين يعزل ملامح معينة فى مجال مجرد حيث لا يوجد نور أو لا يوجد نور نو أهمية تذكر

للمشاكل التاريخية، وبعبارة "فينوتى" (١٩٩٨: ٢٥) فى هذا الشأن يفترض البحث عن قوانين وعموميات هنا وجود مفهوم ينبغى على المرء، بموجبه أن يطهر الممارسات والحالات الترجمية من متغيراتها التاريخية والاجتماعية. حقاً هذا لا يمثل سوى إحدى سمات البحث الوصفى فى ميدان الترجمة (دراسة الأعراف الترجمية ليست لاتاريخية بل متجاوزة للفرد) أما العقدة الثانية والأشد خطراً فتتمثل فى أن الباحثين الذين ينتمون لمذهب تجريبى - وصفى يميلون إلى إدراج كافة تدخلات المترجم - حتى تلك التى تحدث فى نصوصٍ مستهدفة مفردة - تحت مفهوم الأداء المحكوم - عرفياً أو الأداء المنمط.

يزعم "تورى" أن اختيارات المترجم ليست نتاجاً لا يمكن تفسيره للقرارات المتميزة من جانبه، فاختيارات المترجم تكشف عن اتساق داخلى، ويؤكد "تورى" (١٩٩٥: ١٤٧) فى حقيقة الأمر أن "القرارات التى يتخذها المترجم خلال ترجمته لنص مفرد ليست قرارات شاردة أو ضالة بحال من الأحوال - وعضواً عن ذلك - وحتى لو لم تكن بأى حالٍ من الأحوال شاملة جامعة، فإنها - أى تلك القرارات - تميل إلى أن تكون منمطة بدرجة عالية. وهذا يتضمّن أن المرء يتعيّن عليه أن يبحث عن الاتساقات التى تفيد معنى، فى المعطيات التى تنتج عن التحليل. ويزعم "لوفيفر" الذى يسير فى تعليقه وفق نفس المبادئ أن "خطأ معزولاً" - قد لا يكون - على وجه الاحتمال - أزيد من ذلك - أى أزيد من خطأ معزول، بينما سلسلة متكررة من الأخطاء قد تشير على وجه الترجيح إلى نمط، أى إلى تعبير عن "إستراتيجية" (١٩٩٢: ٩٧) والاستراتيجيات قد تشير - كما ينبغى على أن أضيف - إلى اتجاهات الأداء فى ميدان الترجمة، سواء داخل سياقٍ تاريخى معين (أعراف) أو عبر ثقافات ولغات متعددة (عموميات).

ومع أن النقطة التى ينطلق منها "تورى" مشروعة بشكلٍ كامل، إلا أن تفكيره الموجه - نسقياً يهمل شأن المترجم الفرد، وقد يكون فى طوع المرء أن يحتاج بأن ذلك هو ثمن يتعيّن دفعه: ليس فى طوعنا أن نجرد الأعراف أو الاتجاهات إلا من عدد ضخم من النصوص المستهدفة، خلال إمعان النظر فى الملامح التى تشترك فى

حيازتها. وعلاوة على ذلك كيف يتأثى للمرء أن يوثق الاستثناءات، أو يستوعب الاختيارات المتميزة التي يُقدم عليها المترجم الفرد، ما لم يؤسس - بادئ ذي بدء - الأعراف (= القواعد) في النسق المستهدف والاتجاهات الكامنة في الأداء الترجمي؟

هناك عنصر صادق في هذه الملاحظة، ولكن الحقيقة تستمر دون خدش بأن النهج التجريبية - الوصفية الراهنة تبالغ في تأكيدها على دور الأداء المحكوم - نسقياً أو الأداء المنمط. ونتيجة لذلك، فلا نكران لتوثيقها (أى تلك النهج) لـ "الامتثال دون ما يقع في دائرة الاستثناء" ("جينتزلر" 1993: 133)، وذلك على وجه التحديد لأنها مهتمة بالاتساقات المنمطة واكتشاف القوانين المجردة ("بايم" 1998: 123) وقد يكون الأمر - إذا أمعنا النظر - أن المترجمين في سائر مناطق العالم يميلون إلى المحافظة، ولكن قانون المحافظة ذاك يظل مجرداً بصورة خالصة، ما لم نطبّقه بشكل دائم على عدد ضخم - يتمتعون أحياناً بدرجة عالية من القدرة على الإبداع - من المترجمين - البشر ممن يعيشون في ظروف مشروطة تاريخياً.

لا تعد الرغبة اللاتاريخية في التوصل إلى قوانين وعموميات في ميدان الترجمة، بمثابة عقبة وحيدة على الدرب الذي يقود إلى الانتقائية المنهجية. فواقع الأمر أن التجريبين - الوصفين مشغولون، هم أيضاً بالوظائف الثقافية للترجمة ويميلون إلى الربط بين الملامح النصوصية وتلك الإضافية (= التي تقع على هامش النص) مما يستتبع بصورة واضحة منظوراً تاريخياً ("هيرمانز" 1999: 39) ومع ذلك فعندما يأتى الأمر إلى رسم دراسات تاريخية، فإن التجريبين - الوصفين يركزون على البعد الاجتماعى (قوة المؤسسات، القوى الجماعية أو الاجتماعية وراء الأعراف) وهو بعدٌ يضر بفهم الفرد (أو النص المحدد) للبحث التاريخى - وعلى سبيل المثال - يدافع "ديلاباستيتا" الذى يؤيد الدراسات الترجمية الوصفية عن "مفهوم تاريخى" محكوم - عرفياً (أى يحكمه هذا العرف أو ذاك) (1994: 241) للترجمة - حيث يبدو ارتباط النعتين (التاريخى والمحكوم - عرفياً) هنا ارتباطاً لا فكاك له - وبالتالي يركّز على دراسة الأداء المنمط فى جسمور النصوص المستهدفة بدلاً من الاختيارات المميزة فى نص أو أكثر من نص مستهدف.

ينبغي على التجريبيين - الوصفيين أن يعززوا القوة التفسيرية لبحثهم التاريخي. حقاً يعد المترجمون الأفراد حاملين لدلالات اجتماعية، ولكن بعض تدخلاتهم قد تكون شخصية بصورة خالصة أو متجذرة في أعماق سمات محددة للتقاليد المستهدفة. والمترجمون ليسوا واقعيين في قبضة أعرافٍ ترجمية وشعرية قوية، فقد يحوزون "أجندات" (= جداول أعمال) أيديولوجية خاصة بهم، وفي هذا الصدد فإن الملاحظة التي أباها "بايم" بأن نهج "توري" الذي يركّز على "الاستقرار أكثر من التغيير" يتغاضى عن الصراع والتوتر في الترجمة، تظل وثيقة الاتصال بالموضوع (١٩٩٨: ١١٥) ولا شك في وجود إجماع وصراع (في نفس الوقت) في التقاليد المستهدفة. كما ينبغي للبحث في الترجمة أن يضع في حسبانته التغيير، الذي يميل إلى كسر الأعراف وتغيير علاقات القوى، بما في ذلك مسألة "من الذي يؤسس الأعراف ويحفظ عليها استمرارها" (المرجع السابق) ومن الشيق أن القياس مع اللغويين - مرة أخرى - يعد أمراً كاشفاً. وتعتقد "كاميرون" (١٩٩٥: ١٧) هي الأخرى، أن الصراع ينبغي أن يكون موضع نظري جاد ف"الصراع يجعل عملية خلق - الأعراف وكسر - الأعراف واضحة للعيان، عندما يدفع بالمحاجة التي تدور حول القواعد إلى العلن.

ولقد ركّزت خلال بحثي على مترجم موفّق للغاية هو: إتش. إف. كاري H.F.Cary (١٧٩٢ - ١٨٤٤) الذي استجاب للأعراف المعاصرة ("كريسافوللي" ١٩٩٦، ١٩٩٧، ١٩٩٩) وليس مستغرب أن أميل إلى تأييد وجهة نظر محكمة - بالقواعد بصورة غالبية إلى الترجمة: لقد التزم "كاري" بقواعد الأداء السائدة في ميدان الترجمة، إلا أنني بت اعتقد الآن أن المرء ينبغي عليه أن يضع في الحسبان أيضاً المترجمين الذين يحطّمون القواعد والمجددين، ولكن حتى لو ركّز على المترجمين الملتزمين بالإتجاه السائد، فمن الممكن أن يفلت من وجهة نظرٍ إلى الترجمة تقول بالامتثال للقواعد المحكمة - عرفياً دون سواها وإذا انتوينا اعتماد الانتقائية المنهجية فإن الحل يكمن ليس في مراعاة الصراع والتغيير وحدهما، بل أيضاً في التركيز على أنواع من الأداء الترجمي "تدخلاتٍ استراتيجية"، وهي أنواع ليست محكمة - عرفياً أو منمّطة، إلا أنها ليست بأي حال غير مسئولة أو ضالة - وبعبارة أخرى ينبغي علينا أن نضع في الحسبان البعد الشخصي/الأيديولوجي للمترجم.

(٤) العلامات النسقية: Systematic Semiotics

لا تستطيع فكرة الأداء المنمط، المحكوم - عُرفياً، على ما هي عليه من أهمية، أن تسلط أكبر حزمة من الضوء على ملامح نص مستهدف، ولذلك فإننى أقترح أن نستخدم مصطلح "العلامات النسقية" الذى يوفِّق بين الأداء المنسق (الاستراتيجيات الترجمية ما هي إلا اتساقات منمطة) وبين الطابع العلاماتى (= السميوطيقى) لاختيارات المترجم. ولعل الخطوة نحو استخدام إطارٍ وصفى بحد ذاتها تنطوى على أن هناك ملامح لغوية نستطيع التعرف عليها فى النص المصدر، وهى ملامح قد نتمكَّن أو لا نتمكَّن من نقلها إلى النص المستهدف، وقد تكون هذه الملامح خاضعة لعلاماتية (عقلية) نسقية، بمعنى أن الملامح الشكلية قد أُدرجت فى تصانيف وصفية "استراتيجية". ولنمعن النظر - على سبيل المثال - فى تصانيف مثل "الترجمة - صفر" والتبدليز bowdlerization (نسبة لأديب وطبيب إنجليزى يدعى توماس بودلر ١٧٥٤-١٨٢٥ نَقَّح عدداً كبيراً من المسرحيات الشكسبيرية بحذف ما رآه منافياً للذوق العام. المترجم) تلك التى تتلخَّص فى استبعاد ملامح ملموسة من النص المصدر، ومن الواضح أن تحليل اختيارات المترجم الأيدلوجية - الشخصية يتطلَّب نهجاً تفسيرياً مصقولاً لا يحفل وحسب بالأنماط والاتساقات.

بينما يميل اللغويات إلى الاهتمام بالمجتمعات عوضاً عن المتحدثين الأفراد بهذه اللغة أو تلك، ينبغى على الدراسات الترجمية الوصفية أن تولى اهتمامها بكلٍ من الاتجاهات الجماعية للأداء، وكذلك بالمترجم - الإنسان. والواقع أن الدراسات الترجمية الوصفية تتداخل مع اللغويات والنقد الأدبى والدراسات التاريخية، ولكن اللغويات قد يهمل - فى الحقيقة - الوقائع غير النمطية باعتبارها شاذة، بمعنى أنها لا تتصل بتشبيد نماذج الاستعمال اللغوى، إلا أن الباحثين فى ميدان الترجمة لا يستطيعون تجنب النظر بإمعان فى الاختيارات غير النمطية (أى الفردية) إذا كانوا حريصين على فهم المترجم - الانسان، فربما يكشف تحليل دقيق للاستثناءات - بما فى ذلك حالات "سوء الترجمة" المزعومة - أنها فى حقيقة الأمر تدخلات استراتيجية تكشف عن سمات معينة

(غير منتظرة) لعنى النص المستهدف. فمع أن الاختيارات غير النمطية، التي تحدث فقط في مواضع معينة من النص المستهدف، ليست محكومة - عرفياً، إلا أنها تنطوي على مغزى عميق، بل وحتى لو كانت حالة واحدة فإنها قد تسلط حزمة من الضوء على وجهة نظر المترجم.

غير أن هذا لا يقلل من أهمية فكرة النمطية، التي تعزز أسس الأعراف والعموميات، ولقد أوضحت البحوث التجريبية التي اعتمدت على جسمور من الترجمات، أن الأداء في ميدان الترجمة غاية في التنميط، وبكل تأكيد لا يأتي على سبيل الصدفة (= خبط عشواء) إلا أن النهج الانتقائي قد يوفق بين ملاحظات التجريبيين - الوصفيين وبين مؤرخى الترجمة. ويؤكد "لوفيفر" الذي كان حريصاً على درس الأنماط-الاتساقات في النص المستهدف "أهمية العامل الانساني" في الترجمة" (1992: 96-97) وربما لم يحقق "لوفيفر" نجاحاً كاملاً في التوصل إلى حل وسط بين ما هو جماعي وما هو فردي، ولكنه في أقل القليل وضع المترجم - الإنسان على رأس اهتماماته (= جدول أعماله).

(5) نحو منهجية انتقائية لتوصيف الترجمة.

ينبغي لنهج انتقائي نحو التحليل النصوصى أن يوصف العلاقات المتبادلة بين العامل العابر للفرد trans-individual (الاجتماعى - الثقافى، والتاريخى والعمومى) وعامل الفرد ذاته (العنصر الإنسانى) في ميدان الترجمة. وهذا يتطلب وجود باحثين في الترجمة يتسق على أيديهم نوعان من البحوث، الكمية والكيفية. فالبحث الكمي الذي يعتمد على جسمور من الترجمات، وهو نوع البحث الذي يميز النهج التجريبية - الوصفية، تنتج عنه اتجاهات أو اتساقات للأداء الترجمي (سواء أكان محددًا تاريخياً أو عمومياً). وهذه الاتجاهات قد تسلط ضوءاً على عدد من الإستراتيجيات التي يلجأ إليها المترجمون: مكثني الأداء العمومى أى "التوضيح - نزع الالتباس" من تفسير (بدلاً من انتقاد) الاقحامات التفسيرية (= الشارحة) المتلاحقة التي لجأ إليها "إتش. إف. كارى"

عند ترجمته أو إعادة كتابته لـ "الكوميديا الإلهية" (أنظر "كريسافوللي" ١٩٩٦) (لا يزال هناك باحثون يحاسبون المترجمين على ما يضيفونه إلى النص المستهدف) أما التحليل الكيفي فيعتمد، من جانب آخر على النهج التفسيري - النقدي إلى الدليل النصوصي. ويحاول ربط تدخلات المترجم بالسياق التاريخي المعاصر، ويهدف إلى الكشف عن وجهة النظر الأيدولوجية - السياسية للمترجم.

وهنا أقترح نموذجاً للتحليل النصوصي يضع في اعتباره النص المستهدف من ثلاثة منظورات: "النزعة الشعرية" والعوامل الخصوصية للترجمة والأيدولوجية. وهذا النموذج المقترح - وهو يناسب على وجه الخصوص تحليل الترجمات التي أنجزت قبل القرن العشرين - متأثر لدرجة عميقة بمفهوم "لوفيفر" (١٩٩٢) حول دور الأيدولوجيا و"النزعة الشعرية" في الترجمة الأدبية، وكذلك بالدراسات التي أجراها "فينوتي" (١٩٩٥) على مبدأ الطلاقة اللغوية في التقاليد الأنجلو - أمريكية، وبتنظيرات كل من "بيكر" (١٩٩٣) و"توري" (١٩٩٥) حول قوانين وعموميات الترجمة.

نحو سيميوطيقا (=علامات) نسقية للنص (الأدبي) المستهدف

(أ) بعض تصانيف التحليل النصوصي الكاشفة عن الأداء المحكوم -

عُرفياً/ المنمط

* استراتيجيات شعرية:

(١) التبديل bowdlerization (هل هناك حالات للغة خشنة في النص المصدر قام

المترجم بفرض رقابة عليها؟)

(٢) التلطيف euphemism (هل هناك ميل نحو تخفيض نبرة أسلوب النص المصدر؟)

(٣) التشعير poeticizing (مثال: هل يستخدم المترجم بصفة مستمرة سمات

شعرية/شعريات؟ ما هو نوع الذخيرة الشعرية التي يغترف منها المترجم؟)

(٤) **التعتيق archaizing** (هل النص المستهدف مكسُو بجنزار (=زنجار) القدم أى الاستعمال المعيارى العتيق و/أو الصياغات الشعرية العتيقة؟).

(٥) **الترجمة - صفر** (هل هناك ملامح/أجزاء من النص المصدر جرى حذفها فى النص المستهدف؟).

نستطيع أن نفسر معظم الاستراتيجيات الشعرية فى ضوء الأعراف الترجمية والقيم الأدبية (مثال: العُرف الذى يقول بأن ترجمة ملحمة شعرية مثل "الكوميديا الإلهية" تحتاج إلى أسلوب أدبى رفيع) و/أو فى ظل مبدأ مشروط تاريخياً ومحدد ثقافياً (مثل استراتيجيات الشفافية والطلاقة فى التقاليد الأنجلو - أمريكية).

استراتيجيات الترجمة:

(١) **المقروئية Readability** (بأى وسيلة يحقق المترجم درجة عالية من الطلاقة؟) تعد هذه الاستراتيجية قابلة للتفسير فى ضوء مبدأ مشروط تاريخياً للشفافية - الطلاقة وقانون "تورى" العابر للفرد فى الترجمة، وهو القانون الذى يميل المترجمون بموجبه، إلى تبسيط الصياغة النصوية للأصل.

(٢) **التوضيح والتفهم Clarification and explicitation** (هل هناك أى اقحامات شارحة، زيادات إلخ فى النص المستهدف؟): يبدو أن هذا ملمح عمومى للترجمة (العابرة للفرد trans-individual، اللاتاريخية) ولكن هناك بكل تأكيد بعض الاختلاف من مترجم لآخر عندما يتعلق الأمر بقدرة هذه الاستراتيجيات على التوغل والشيوع.

(٣) **التعويض المعمم Generalized compensation** وهذا شكل من الأداء المنمط فى النص المستهدف (هل يدخل المترجم بصفة منتظمة إضافات معجمية مكثفة على امتداد النص المستهدف، كى يعوّض مثلاً عن فقدان الأصل للقوة البلاغية؟)

(ب) بعض تصانيف التحليل التي تكشف وجهة نظر المترجم: التدخلات (السياسية، الأيدولوجية) من جانب المترجم في النص المستهدف.

(١) نقد النص (هل يتدخل المترجم في النصوص الموازية (= شبه النصوص) ويناقش الفروق النصوصية البديلة؟) وهذا التصنيف يوصف أحد الأنواع الممكنة للتدخلات الشخصية التي تعكس الروح التفسيرية للمترجم أو نظرية الترجمة (وعلى سبيل المثال قد يسعى المترجم إلى تبيان الطبيعة المراوغة للترجمة وبالتالي يأخذ على عاتقه مهمة نقد النص).

(٢) سوء الترجمة (هل هناك أى حالات لسوء الترجمة، نستطيع تفسيرها في ضوء وجهة نظر المترجم أو "أجندته" (جدول أعماله) السياسية؟).

(٣) التحويلات (هل يحوّر المترجم أجزاء معينة من النص المصدر لأسباب أيدولوجية - سياسية؟).

(٤) التدخلات الشخصية - الأيدولوجية (هل يطرح المترجم قراءة سياسية - أيدولوجية غير محوّرة، وهي القراءة التي تعد، مع ذلك، مشروعاً وفي نفس الوقت تكشف عن وجهة نظره المتميّزة؟).

(ج) أنواع التحليل (أنظر الجدول رقم ١)

التحليل الكمي لإتساقات الأداء - الإستراتيجيات الترجمية التي تعكس أعرافاً ومبادئ وعمومياتٍ بالاضافة إلى الرغبة في التعويض بشكلٍ منتظم على امتداد النص المستهدف، التحليل الكيفي للتدخلات الأيدولوجية-السياسية، وخطوات نقد النص وحالات التعويض، بخلاف تلك المعمة، وجدير بالذكر أن التعويض المعمم هو عبارة عن استراتيجية تسعى إلى التعويض عن فقدان ملمحٍ أسلوبى متكرر للنص المصدر، وعلى النقيض من ذلك نجد أنواع التعويض المعزولة والمجاورة التي تقع في أجزاء معينة من

النص المستهدف، إنما ترتبط بهذا الفقدان أو ذاك (مثال: فقد التورية في النص المصدر) وقد تكون متسقة مع التدخلات التي سوَّغتها شعرية المترجم و/أو أيديولوجيته (أنظر "هارفي" ١٩٩٥ و"كريسافوللي" ١٩٩٦).

يحالف الصواب "هيرمانز" عندما يذهب إلى أن نماذج الترجمة القائمة حالياً لا توفر "توجيهاً" كافياً فيما يتعلّق بأى الفقرات التي يتعيّن اختيارها لإخضاعها للدراسة التفصيلية" (١٩٩٩: ٧٠) ومن الواضح أن المرء عندما يتناول التحليل الكيفي، يكون "التفسير والحكم" (المرجع السابق) على جانب أقصى من الأهمية.

اتساقات منمّطة	تدخلات استراتيجية
تتحقق في الاستراتيجيات النصوصية للنص المستهدف، التي نستطيع مقارنتها مع الاتجاهات الملاحظة في جسمور النصوص المترجمة	تتحقق في أجزاء حساسة من النص المستهدف. تدخلات استراتيجية تكشف عن وجهة نظر المترجم.
نوع التحليل: كمي	نوع التحليل: كيفي
نوع النهج: علمي - استقرائي	نوع النهج: تفسيري - نقدي
تركيز على العوامل العابرة للفرد والملاحم النصوصية المعممة	تركيز على المترجم الفرد وملاحم النص - المحددة
أعراف الترجمة	تدخلات أيديولوجية: تحويرات
مبدأ/مبادئ الترجمة	خطوات نحو نقد النص
عموميات/قوانين الأداء الترجمي	إختيارات ذات طبيعة شخصية: "سوء ترجمات"
الملاحم العامة للنص المستهدف (مثال: التعويض المعمم)	تدخلات واقعة في أجزاء محددة من النص المستهدف (مثال: التعويض المبعد والملاصق)

الجدول رقم ١: أنواع البحث والتحليلات التي تميّز - على التوالي - البحث عن الاتساقات المنمّطة في النص المستهدف ودراسة التدخلات الشخصية - الأيديولوجية من جانب المترجم.

وعندما نختار الفقرات بغرض التحليل النصوصى، فإننا نعمل عندئذٍ على أساس الافتراض بأنها سوف تقدم ملاحظاتٍ مدهشة. على أن عملية اختيار المعطيات ذاتها - مثل التحليل النصوصى اللاحق ذاته - ليست سوى خطوة تفسيرية معقدة. وبالتالي، فليس من السهل - ببساطة - أن نضع قواعد صلبة - و - راسخة لتحليلٍ كفى سليم يصلح لكافة النصوص المستهدفة. وليس فى طوعنا سوى السير بعض الشوط نحو تخليق منهجية تيسر مهمة الباحث - وعلى سبيل المثال - ينبغي على الباحث فى ميدان الترجمة أن يأخذ فى الحسبان سيرة المترجم، وإعلان نواياه وكل ما من شأنه تسليط الضوء على خلفيته، وعندئذٍ ينبغي أن ينطلق من الافتراض القائل بأن وجهة نظر المترجم سوف تبرز فى نقط معينة تحوز حساسية خاصة من النص المستهدف (بما فى ذلك النصوص الموازية أو شبه النصوص) ويتلخص السؤال الحاسم بالنسبة للتحليل الكيفى فى: هل هناك أجزاء ذات حساسية خاصة فى النص المصدر الذى يرجح المترجم أن يحوره ويغيره أو يفسره بطريقة خاصة تحمل وجهة نظره ؟

لا يمكن للفرق بين الاستراتيجيات الشعرية وتلك الترجمية أن يكون مطلقاً. وليس فى طوعنا إلا أن نصنّف المعطيات بصورة مؤقتة وفقاً لوظيفة سائدة فيما يُزعم - وعلاوة على ذلك - فالفرق بين العوامل العابرة للفرد (مثل الأعراف) وتلك التى تتعلق بـ"المترجم - الإنسان" يكون نسبياً فى بعض الأحيان. فحتى الاستراتيجيات الشعرية تكشف شيئاً أو آخر، يتعلّق بالمترجم الفرد: مدى استجابته لضغوط الأعراف، واختياره لعباراته وألفاظه فى نطاق ما هو متاح، بمعنى تلك الاختيارات المسموح بها (التي قد تتيح للمترجم أن "يعتق" أو "يحدث" النص المستهدف. فالمترجمون ليسوا واقعيين - ببساطة - فى أسر أعرافٍ ومبادئٍ ساحقةٍ إلخ، كى تنعكس فى النصوص المستهدفة. إذ أنهم مشاركون فى وسط milieu فكرى - ثقافى معين، ولا مناص من أن تقع اختياراتهم فى سياق أو آخر، ولكنهم يملكون شخصياتهم المتميزة، وقد تكون تدخلات بعينها فى النص المستهدف، إبداعاً إلى حدٍ عالٍ بل وحتى فذة لا نظير لها، والأهم من ذلك أن الاختيارات المتفرّدة قد تحمل مغزى عميقاً من وجهة نظرٍ أيديولوجية - سياسية.

ومن الواضح أننا لا نستطيع أن ننبذ فكرة الأنماط المفيدة لمعنى عندما يأتي الأمر إلى تصنيف كل الملامح التي يحملها النص المستهدف، إلا أنني أحببُ مصطلح "الاتساق" عندما يأتي الأمر إلى تدخلات ذات طابع أيديولوجي أو شخصي، تلك التي تقع في مواضع معينة تتميز بحساسية خاصة من النص المستهدف. وإذا كانت بعض الاختيارات على المحور الأيديولوجي متسقة مع فرضية معينة (مثال: مترجم بروتستانتى يمكن أن ينتج لنا قراءة بروتستانتية - الروح لـ "كوميديا دانتي") فإن بوسعنا أن نستخدم مفهوماً مثل "الأجندة الأيديولوجية" (= جدول الأعمال الأيديولوجي) حتى نعممها. غير أن التحليل الكيفي للتدخلات الأيديولوجية على وجه الخصوص سوف يظل دوماً مشحوناً بمعتقدات الباحث الأيديولوجية - السياسية.

(٦) نتائج: المهمة النقدية لنظرية الترجمة

مع أن النماذج التجريبية - الوصفية القائمة حالياً ليست غير كافية تماماً، إلا أنها لا تستطيع أن تسلط حزمة الضوء القصوى على النص المستهدف دون مساهمة النهج التفسيرية - النقدية، وقد وقع كل من "تورى" و"بيكر" على أهمية التجريبية - المبدأ الإستمولوجي الذي يعزز البحث الوصفي في ميدان الترجمة - ولكن نهجها أبعد من أن يكون فوق النقاش، إذ يفشل تركيزهما على الاتساقات المنمطة بشكلٍ كافٍ في تفسير كافة الظواهر التي تحدث في عملية الترجمة.

تقول "بيكر" أن الدراسات الترجمية الوصفية ينبغي لها أن توفر المنهجية والإجراءات البحثية حتى يصبح في الإمكان التعبير عن النتائج التي تتوصل إليها الدراسات الوصفية الفردية في ضوء تعميمات (= قوانين عامة) عن الأداء الترجمي. (١٩٩٣: ٢٤١). وهذا هدف مهم، ولكنه يهمل الأبعاد الخطيرة للبحث الترجمي. وتركز "بيكر" على الدور الفرعي لدراسة الحالة، والفائدة التي تعود من ورائها، وهي الفائدة التي يمكن الحكم عليها في ضوء ما تقدمه من مساهمة في الكشف عن الاتساقات

أو الاتجاهات - وعلى نحو ما أشرت مراراً - يتعين على الدراسات الترجمية الوصفية أن توفر أيضاً المبادئ المنهجية التي تمكن الباحثين من دراسة العلاقات المتبادلة بين الأداء الترجمي النمط والاختيارات الشخصية للمترجم.

إلا أن هدف الدراسات الترجمية الوصفية لا يتمثل فقط في اكتشاف القانون العلمي بما ينطوي عليه من قوة تنبؤية، ولكن أيضاً في فهم مغزى ما سبق لي أن أسميته بـ "التدخلات الإستراتيجية (الشخصية) أو المحددة - نصياً"، التي تستطيع أن تكشف قدرًا كبيراً عن المترجم - الإنسان. فخلال التوفيق بين التفكير الموجه - نسقياً وذاك التفسيري - النقدي، يكون في مقدور الدراسات الترجمية الوصفية أن تفسر لنا ذلك النطاق الواسع من العوامل التي تمت بصلة أو أخرى بالنص المستهدف.

تتضمن الملاحظات التي أبديتها حتى الآن ضرورة أن نوسع نطاق الأهداف التي تتوخاها الدراسات الترجمية الوصفية. وعلى نحو ما أشار "هيرمانز"، فلقد صبّت النهج التجريبية - الوصفية تركيزها على "المسائل التي تكتنف الإنتاج والاستقبال والآخر التاريخي للترجمة - وخصوصاً تلك الأدبية (١٩٩٩: ٤٤) وهذا هو السبب في أن التجريبيين الوصفيين ابتكروا علم اجتماع (= سوسولوجيا) للترجمة، وبذلك يكونون قد أهملوا أبعاداً مهمة مثل "فلسفة الترجمة، أو العمليات الذهنية أو الإدراكية لعملية الترجمة بحد ذاتها" (المرجع السابق) وأراني متفقاً مع "هيرمانز" (١٩٩٩: ١٤٧) بأن الدراسات الترجمية ككل ينبغي عليها أن تعمل على ثلاثة مستويات مترابطة الواحد بالآخر: النظرية (التي تشمل تفسير الترجمة) والتحليل (وأعني به التحليل النصوصي) والتاريخ (ينبغي على دارسي الترجمة أن يجاهدوا في سبيل الحفاظ على توجه تاريخي).

واقع الأمر أن المهام النقدية الكبرى للدراسات الترجمية ككل تتألف من التنظير للتجاوز التاريخي لأنماط واستعمالات مختلفة للترجمة ("هيرمانز" ١٩٩٩: ١٤٧) وهذه المهمة تتطلب من الدارسين أن يركّزوا على العمليات التفسيرية التي تميز عملية

الترجمة، وإذا كان الدارسون الذين ينتمون للمدرسة "التجريبية - الوصفية" يهدفون إلى فهم الترجمة كظاهرة تاريخية وثقافية، صار لزاماً عليهم أن يتخذوا من قضية التفسير مهم الرئيسي. على أن الدراسات الترجمية الوصفية تحتاج إلى إيجاد علم تفسير خاص بالترجمة وعلم معرفي (= إبستمولوجي) (وهذا - عوداً على بدء - مهمة منهجية) وهذا الأخير علم يملك - إلى جانب ملائمته للمنهج التجريبي، قوة تفسيرية، وليس مجرد قوة تنبؤية فقط. إلا أن هذه المسألة ينبغي أن تكون موضوع مقالٍ آخر.

الهوامش

(١) لم أشر إلى نظرية إيفين - زوهر Even-Zohar التي تقوم على تعدد - الأنساق، على نحو ما يحتاج "هيرمانز" (١٩٩٩: ١٠٢) ليس هناك صلة ضرورية بين هذه النظرية والنهج التجريبية - الوصفية في الدراسات الترجمة. وهذا لا يعنى بطبيعة الحال إنكار الأهمية التي تعد فتحاً غير مسبوق لأفكار إيفين - زوهر. ولنفس السبب، لم أذكر عدداً من أهم العلماء الوصفيين، مثل أندرو تشيستريمان Andrew Chestermann و"خوزيه لامبرت" José Lambert بهدف الاقتصاد والإيجاز. وقد ناقش "هيرمانز" (١٩٩٩) موقف أولئك العلماء (وغيرهم) من المبدأ التجريبي - الوصفي، ويعد نقاشه ذلك أدق سرد للدراسات الترجمة الوصفية وأكثرها اكتمالاً حتى تاريخه.

(٢) يرى "فينوتى" أن النهج التجريبية - الوصفية تستطيع الاستفادة من أنماط معينة من التفكير التاريخي والاجتماعي. ويوصى بـ "توصيف واستكمال النهج التجريبية، سواء أكانت تركز على اللغويات أو نظرية متعددة الأنساق، بمفهوم "سور" (= بواقى) الفكر الاجتماعي والتاريخي، وهو ما تطلبه من الذين يعملون في ميدان الترجمة من مترجمين وباحثين" (١٩٩٨: ٢٩) ومع ذلك يركز فينوتى "على مفهوم ضيق ومسئول هو مفهوم "السور"، الذي لا أظن أن فى وسعه أن يساعد فى عبور الفجوة بين النهجين التجريبي - الوصفي وذلك التفسيري - النقدي. وأعتقد أن "هيرمانز" كان أقرب إلى إصابة الهدف، على نحو ما سنرى فى وقت لاحق (١٩٩٩) عندما أكد على أهمية الفهم التفسيري - التاريخي للترجمة.

(٣) الحقيقة التي تقول أن "تورى" متأثر بمفهوم ما لللغويات لا تعنى أنه ينبغي علينا أن نمضى قدماً مع القياس على الدراسات الترجمة الوصفية أى شوط أبعد مما هو ضروري - وعلى سبيل المثال - لا ينبغي أن نساوى بين الأعراف (= المواضع) والقواعد اللغوية، ومع أنها أى تلك الأعراف قد تشكل كابحاً على المترجمين الأفراد كل على حدة، إلا أنها قد تكون عرضة للاستهزاء - وعلاوة على ذلك فإن "تورى" يقول بأن الدراسات الترجمة الوصفية أكثر مصقولة من النظريات اللغوية، تلك التي تفصل بين اللغة والسياق الاجتماعي/التاريخي (انظر "ميلروي" ١٩٩٢- Milroy 1992).

(٤) من الواضح أن الفرق بين عبارتي ملاحظة - العرف وفرض - العرف هو فرق مطلق داخل نطاق الدراسات الترجمة الوصفية وحدها، دون الدراسات الترجمة ككل (فالتوسعات التطبيقية للنسق تهتم بالأعراف التوجيهية) ويتلخص ما أهدف إليه هنا فى أن القياسات بين الدراسات الترجمة الوصفية (الفروع المختلفة) لللغويات ينبغي استعمالها وتفسيرها بدقة وعناية كبيرتين، وإلا فإن ما يراه "فينوتى" من أن نهج "تورى" قد يترتب عليه تثبيط الرغبة إلى حد كبير فى دراسة وممارسة النزعة التجريبية فى "ميدان الترجمة" (١٩٩٨: ٣٠) سوف يجد ما يبرره. لكننى أرى من الصعب أن أعتقد بأن المترجمين

قد يتأثرون بتوصيفات الترجمة بنفس الطريقة التي يتأثر بها مستعملو اللغة بتوصيفات اللغة في القواميس المعتمدة التي تحظى بنفوذٍ واسع. ولا معنى هناك لافتراض (كما يفعل "فينوتى") أن قانون "تورى" الذى يقول بـ"التقييس المتنامى" growing standardization (أو النزعة المحافظة فى ميدان الترجمة) ذلك القانون الذى يذهب إلى أن المترجمين يميلون إلى تبني النخائر المستقرة، والعزوف عن التجريب مع النص المستهدف (فى اللغة المنقول إليها. المترجم) إذا كان الأمر راجعاً وحسب إلى أن النص يصف ما ينون - على سبيل الظن - أن يعملوه فى سائر الأحوال، ولا يعد قانون "تورى" أكثر من ملاحظة تجريبية، قد يختار المترجمون الأفراد أن يسخروا منه.

الفصل الثالث ما لا تقوله النصوص

استخدامات النصوص الموازية في البحوث الترجمة

شهناز طاهر-جورتشاغلاغر Seh naz Taher-Gürçaglar

خلاصة:

تتناول هذه الورقة صلة عناصر النص الموازي (= شبه النص) بالبحث الترجمة التاريخي. وفي ضوء استكشاف مفهوم النص الموازي في اتصاله بالترجمة، تحتج الورقة بأن اعتبار الترجمة نصاً موازياً يقيد من رؤية الدراسات الترجمة الراهنة ويفقر إطارها المفهومي. ومع ذلك فإن توصيفاً نقدياً لعناصر النص الموازي التي تحيط بالترجمات يمكن أن يكون فعّالاً في تسليط الضوء على المفاهيم والتعريفات المتفاوتة للترجمة في فترة معينة في هذه الثقافة أو تلك، وتؤكد الورقة أن النصوص الموازية تستطيع أن توفر استبصارات (= نظرات ثاقبة) قيمة لعملية الإنتاج والاستقبال للنصوص المترجمة عن طريق لفت الانتباه لمفاهيم من نوع التأليف والأصالة والمجهولية التي لا تزيد عن أن تكون مستترة في الترجمات ذاتها.

يتلخّص الهدف الرئيسي في كثير من مشاريع البحوث في تاريخ الترجمة في استكشاف السياقات الاجتماعية - الثقافية التي يجري في إطارها إنتاج واستقبال النصوص المترجمة، إلا أن عملية التسييق (= الإدراج في سياقات) contextualization هذه تحتاج إلى منهجية تستطيع أن تأخذ كلاً من النصوص المترجمة والخطاب الما - بعدى meta-discourse حول الترجمة في الحسبان، وتتناول الورقة الحالية الصلة مع المواد النصوية التي لا تشكّل جزءاً فعلياً من النص المترجم ذاته. ويدرس الباحثون في أي

مشروع تاريخي أنواعاً مختلفة من هذه المواد، فمثل هذه المواد قد تتكون من الترجمات الفعلية، أو من مثل تلك المعطيات الخارجية كالعروض التي تُجرى في الدوريات والرسائل الجامعية والإعلانات والمقابلات واليوميات والخطابات العامة، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. وبين هذين النوعين هناك نوع ثالث من المواد، وهو نوع واقع تحت عتبة الشعور إلى حدٍ كبير وفي الغالب يمضى بون أن يشعر به أحد، وهذا هو أرض النصوص الموازية: المقدمات والتعليقات اللاحقة والعناوين والاهداءات والصور الإيضاحية وعدد من الظواهر الوسيطة التي تتوسط بين النص والقارئ وتقوم بـ "تقديم" العمل ("جينيت" 1: 1997 Genette) وتولى هذه الورقة اهتمامها بالطريقة التي يمكن استخدام مثل هذه المواد التي تعد نصاً إضافياً أو نصاً موازياً في سبيل الكشف عن الظواهر الترجمية التي تكون إما غائبة أو مجرد مستترة في النصوص المترجمة ذاتها. وسوف أستخدم في هذه الورقة مصطلح "النص" text عند الإشارة إلى النصوص المترجمة ومصطلح "النص الإضافي" extratext عند الإشارة إلى النقاش الما - بعدى العام عن الترجمة الذي يدور بصورة مستقلة عن النصوص المترجمة، واحداً واحداً و"النص الموازي" paratext عند الإشارة إلى المواد التي تصاحب النصوص المترجمة والنقاشات الما - بعدية المتعلقة بالنص وتنشأ مباشرة حولها.

عندما نرغب في تحليل الشروط التي تقف وراء سلسلة من الترجمات التي تقع في مكان وزمان محددين من التاريخ، فإننا نكون بحاجة إلى ابتكار معايير تمكننا من اختيار المواد التي تتصل بالموضوع. إحدى الطرق التي تساعدنا في بدء مشروع بحثٍ في تاريخ الترجمة تتأتى خلال اختيار الترجمات التي سندرجها في المشروع، وهذا الأمر يشكّل مشكلة في حد ذاته، نظراً لأن الدراسات الترجمية لم تتفق على تعريف محدد للترجمة، فلقد عرّفها هذه الدراسات بطرق مختلفة. ومع ذلك فليس هناك اتفاق في الوقت الحاضر على الكيفية التي يمكن أن نعرّف بها الترجمة، اللهم ربما الاستقرار على أن أفضل طريقة لتعريف الترجمة تتمثل على وجه الترجيح في ألا نعرّفها أصلاً. ولعل هذا هو السبب في اللجوء إلى مثل تلك المصطلحات كـ "إعادة الكتابة" ("لوفيفر" 1992) "الترجمة المفترضة" ("توري" 1995). ولقد كان مصطلح "إعادة الكتابة" فعالاً

فى التاكيد على مطابفة الترجمة لأنشطة أخرى تنخرط فى تفسير النص وبالتالى مسئولة عن استمرارها على قيد البقاء، مثل كتابة الدواوين (فى الشعر) والمجاميع (فى القصة القصيرة) والتواريخ الأدبية ودلائل (= جمع دليل) القراء (الأذكياء) ("لوفيفر" ١٩٩٢: ٢) أما "الترجمة المفترضة" - فمن جانبها - تجعل، على نحو ما فهمها "جديون تورى"، من الترجمة مفهوماً معتمداً على ثقافة - مستهدفة، معتبراً كل العبارات التى تُنطق أو تُقدم أو تُنظر أو تلك التى يبوح بها المرء ترجمات مشروعة بمعنى صالحة لاتخاذها كموضوعات للدراسات الترجمية الوصفية ("تورى" ١٩٩٥: ٣٢) ويشمل مفهوم "تورى" عن الترجمة مثل تلك الظواهر كالتجمات الزائفة والترجمات المستترة والاقتباسات. وقد يكون من الخطأ أن نخلص إلى أن "تورى" يطرح وجهة نظر أشد تحديداً مما فعل "لوفيفر". فعوضاً عن أن يتخلى عن مصطلح الترجمة، نرى "تورى" يوسّع نطاقها ويقدمها باعتبارها مفهوماً شبه نسبى *relativized* أى مفهوماً نسبياً أو يكاد.

يستند مفهوم "الترجمة المفترضة" إلى حد كبير على شروط استقبال النصوص، طالما كان المتلقون المستهدفون هم الذين سيحددون بالدرجة الأولى وضع النص وإذا ما كان ترجمة. على أن عملية الاستقبال هذه تخضع لتأثير عدد من العوامل غير المقصورة على النص الذى يُفترض أن يدخل تحت تصنيف الترجمة. وفى طوع النصوص المترجمة أن تمدنا بعدد من المفاتيح التى تلمح إلى وضعها كترجمات. فاستخدام الأسماء الأجنبية والعناصر الثقافية الأجنبية وكذلك الموضوع والتركيب النحوى غير المؤلف قد تنبّه كلها القارئ إلى إمكانية وجود عملٍ مترجم بين يديه. ومع ذلك فالغالبية الغالبة من هذه المفاتيح، مثل عنوان النص ومعرفة السلسلة التى صدر فيها الكتاب موجودة قبل أن يبدأ النص المترجم. وهى تظهر "حول" النص المترجم، على الغلاف أو على صفحة العنوان أو فى المقدمة: و"جينيت" يتحدث فى هذه الحالة عن "النصوص الهامشية" (5: 1997) *Peritext* وبالتبادل، فإن مثل هذه العناصر التى تعمل فى سبيل تقديم النص المترجم تستطيع أن تقع خارج نطاق الكتاب ويمكن أن نجدها فى البيبلوجرافيا وفى الإعلانات فى المجلات وفى مقالات العروض بالصحافة الأدبية، وهنا

يتحدث "جينيت" عن "النصوص الفوقية" epitexts (المرجع السابق) ولهذه العناصر تأثير واسع على كيفية استقبال النص، على الأقل في البداية، قبل بدء القارئ لعملية قراءة النص الفعلي. ويمكننا أن نفترض باطمئنان أن انطباعنا الأول عما يميز الترجمة مما ليس بترجمة لا يتشكّل بالترجمة (أو ما ليس بترجمة) في حد ذاته، بل بالطريقة التي تُصَرّ وتُحرّم بها الترجمة وتُقدّم.

١ - الترجمة كنص موازي (= مواز)

يورد "جرار جينيت" Gérard Genette - في ختام عمله البارز الأهمية عن النصوص الموازية، ثلاثة أنواع من المواد التي يعفيها من الاندراج في بحثه حول الأنواع المختلفة للنصوص الموازية حتى ولو بدت "صلتها كنصوص موازية" غير منكورة: الترجمات والمنشورات المسلسلة والتصوير الإيضاحي (١٩٩٧: ٤٠٥) ولو أن الحجم الضخم لكل من هذه المواضيع لم يكن خافياً عليه. ويكفي لأهدافنا هنا أن حذف هذه الترجمة خطوة بليغة، إذ أنها تكشف، مثلما تفعل حقاً، عن عزوف "جينيت" عن معالجة السمات التي تنطوي على إشكالات تصوير الترجمة كـ نص موازي (=مواز). ويذهب رأيي إلى أن النظر إلى الترجمة كنشاط مشتق، بصفة دائمة ومعتمدٍ على نصٍ آخر، هو سابقٌ عليه من الناحية التاريخية chronological يجعل من الترجمة تعليقاً - ليس إلاً على نصٍ أصلي - أي ملمح موازي (= مواز) لتقديم نص أصلي. ومع ذلك فتعريف الترجمة بهذه العبارات قد يخدم البحث في نطاق الترجمة خدمة طفيفة، وذلك لأنه يؤدي إلى نزع الطابع الإشكالي عن عدد من القضايا التي طفت على سطح الدراسات الترجمانية في السنوات الأخيرة، وثانياً لأنه يطرح رؤية محددة ومقيّدة للترجمة، تستبعد الترجمات الزائفة، التي غدت أدوات مهمة في أيدي الباحثين الذين يستقصون مفاهيم الترجمة المعمول بها داخل نطاق مجتمع معين في لحظة زمنية معينة. والآن دعوني أعرض لهاتين النقطتين بصورة منفصلة النقطة عن الأخرى.

يطرح النظر إلى الترجمة كـ "نص موازي" (مواز) علاقة هرمية (= تراتبية) بين النص - المصدر وبين النص - المستهدف، وذلك لأن هذه العلاقة تمضي شوطاً في تصوُّرها أبعد من السبق التاريخي، إذ أن "جينيت" يرى أن النص الموازي مرصود لخدمة شيء آخر خلفه، أي النص الأصلي:

أيًا كان الرداء الجمالي أو الأيدولوجي الذي يخلعه المؤلف على نص موازي (= مواز) ("عنوان جذاب" أو مقدمة - بيان (= مانيفستو) وأياً كانت الروح اللعوب أو النقض غير المؤلف، الذي يضفُّها المؤلف في ذلك النص الموازي، فإن صفة النص - الموازي تظل باستمرار تابعة لـ "نصها" وهذه الوظيفية تحدد جوهر جاذبية النص الموازي ووجوده ("جينيت" ١٩٩٧: ١٢)

لعل المضامين التي تنطوي عليها هذه الفقرة بالنسبة للدراسات الترجمية واضحة دون لبس، فهي تعنى أن الترجمة، عندما يُنظر إليها كنص موازي (مواز) فإنها تعمل في خدمة الأصل ليس إلا، وليس جمهور القراء المستهدف الذي سيستمتع بها، وليس النسق الأدبي المستهدف الذي قد يتأثر بها إلى حدٍ تنطلق معه سلسلة من الترجمات لنصوص مشابهة، وليس المترجم الذي قد يستمتع بارتقاء صيته كـ مترجم لذلك النص المحدد، وليس الناشر الذي قد يجني أموالاً طائلة من وراء ذلك العنوان المحدد، وليس النص المصدر نفسه، الذي تضمن الترجمة له "حياة أخرى" (بنيامين 1968 Benjamin).

وعلاوة على ذلك يتعارض مفهوم "جينيت" للترجمة كـ "نص مواز" مع المنظور الذي يرى أن الترجمة إنما تبدأ في الثقافة المستهدفة وتهدف إلى إشباع احتياج فيها ("تورى" ١٩٩٥: ٢٧) كما أن هذا المفهوم ليس في طوعه أن يتفق مع القضايا التي تثيرها الدراسات البعد - استعمارية postcolonial ، تلك الدراسات التي برهنت على أن الترجمة يمكن استخدامها في سبيل غايتين، الأولى كأداة تعليمية في تمدين المستعمرين (بفتح الميم) والثانية كوسيلة لخلق صورة للمستعمرين ("نيرانيانا" 1992: 13, 21) أضف إلى ذلك أن فكرة "جينيت" عن النص الأدبي

تبدو ساكنة static، إذ أنه لا يراعى كيف أن النصوص الموازية قد تدخل في علاقة حوارية مع نصوصها الرئيسية وتعديلها. حقاً يضع "جينيت" في الحساب إمكانية أن تؤثر النصوص الموازية على استقبال نص ما، ولكنه يتغاضى عن حالات معينة قد تتمكن فيها من إحداث أثر - فعلاً - في ملامحه النصوية. وقد يكون للترجمة تأثير ما، نظرياً على الأقل على النسق الأدبي المرسل، وحتى على المؤلفين - المصادر أنفسهم. ويكفى هنا أن نستعيد إلى ذهننا الكُتّاب الذين يكتبون بلغات غير غربية أو "صغرى" ممن ترجع شهرتهم العالمية بصورة كبيرة إلى ترجمة أعمالهم - وعلى سبيل المثال - الروائي التركي "أورهان باموك" Orhan Pamuk الذي تُرجمت أعماله إلى اللغات الأوروبية الكبرى فقد يضع - سواء بوعى أو دون وعى - قابلية عباراته للترجمة، في ذهنه خلال عملية الكتابة لرواياته الجديدة.

كما يضيّق النظر إلى الترجمة بصفقتها نصوصاً موازية من نطاق الظاهرة الترجمية، نظراً لأن الرؤية الموجهة - مصديراً (= من جانب المصدر) لا توفر مجالاً لمثل تلك الأشياء التي تسمى ترجمات زائفة pseudotranslations. إذ أن أحداً لا يستطيع أن يرى فيها تعليقاتٍ على نصوص أخرى، طالما افتقرت إلى نص - مصدر. ومع ذلك فاستبعادها من البحث في تاريخ الترجمة يعنى افقاراً للإطار المنهجي، وذلك لأن بكشف الترجمات الزائفة للملامح مشتركة بينها. بدلاً من الأصول - فإنها تسمح لنا بأن نلمح توقعاتٍ عن الترجمة الحقة.

موجز القول أن رؤية الترجمات كنصوص موازية لن يخدم رؤية أوسع للترجمة ترتكز على الأخذ في الحساب كلاً من الملامح النصوية والوظائف والاستقبال أو تأثير النصوص المترجمة، بالإضافة إلى العلاقة بين الظواهر الترجمية وعناصر أخرى في النسق الثقافي بوجه عام. إلا أن مفهوم "جينيت" للنص الموازي يمكن أن يكون مصدراً خصباً للمعطيات في مشروع وضع تاريخ للترجمة، فهو يوفر استبصارات قيمة في تقديم واستقبال النصوص المترجمة ذاتها.

(٢) النصوص الموازية في التطبيق

في هذا القسم سوف أركز على اثنتين من حالات الاختبار من النسق التركي للأدب المترجم في أربعينات (=أربعينيات عند المتفاح) وأهدف من وراء ذلك استكشاف بعض الطرق التي يمكن خلالها استخدام النصوص الموازية في البحث الترجمي التاريخي. وكان "أوربو كوبالا" (Urpo Kovala 1996) أول رائد طرق هذا الطريق من البحث عندما قدم تحليلاً لوضع ووظائف الوساطة التي تقوم بها النصوص الموازية في النصوص المترجمة، ففي مقاله الذي ظهر سنة ١٩٩٦ قدم دراسة مفصلة حول عناصر النصوص الموازية التي استخدمها الناشرون للأدب المترجم في فنلندا في الفترة من ١٨٩٠ حتى ١٩٣٩ ، ولقد ربط بين النصوص الموازية وبين فكرة الانغلاق الأيدولوجي، وبرهن على الكيفية التي تساهم بها النصوص الموازية، وخصوصاً النصوص الهامشية في العمليات الأيدولوجية في المجتمع ("كوبالا" ١٩٩٦: ١٤١).

وفيما يلي سوف أقصر حديثي على الطريقة التي تقدم خلالها النصوص الموازية مفاتيح حول تعريف هذه الثقافة أو تلك للترجمة وتمكّن الباحث من إثارة أسئلة تستطيع تحريك الرغبة في مزيد من البحث والاستكشاف. وهذا ليس معناه أن النصوص الموازية لا تعكس مواقف أيدولوجية داخل نطاق السياق التركي. وسوف تتضح العلاقة بين عناصر النصوص الموازية وعمليات التغريب والتحديث بصفتهما أيدولوجية سائدة في مطلع الفترة الجمهورية في الفقرات القادمة. كما قد تُقرأ استراتيجيات النص الموازي الموجهة - سوقيًا (أي التي توجّهها علاقات التسويق) بصفتها عاكسة لأيدولوجية ليبرالية. ومع ذلك فلن أخوض في الطرق المحددة التي تتفاعل بها النصوص الموازية مع هذه الأيدولوجيات أو تعززها وسوف أقصر نطاق هذه الورقة على الكيفية التي يُمكن لهذه النصوص الموازية أن تُستخدم خلالها في رصد التعريفات المتنوعة التي تطرحها هذه الثقافة أو تلك للترجمة والأصل أو المصدر. والنصوص التي سأعرض لها على وجه الخصوص هي النصوص الهامشية

والنصوص الفوقية *epitextual* ، وهي التي تضم أسماء الكتاب/المتترجمين والإشارات العمومية والعمومية الموازية والإخراج المرئى للأغلفة والعناوين وعناوين السلاسل.

٢-١- النصوص الموازية للأعمال الكلاسيكية المترجمة

الحالة الأولى التي سوف أقدمها مأخوذة من مجال "الأدب المعتمد/الرسمي" (= canonical) وبالتحديد الترجمات التي تكفل بها "مكتب الترجمة" التي تشرف عليه الدولة ونشرتها وزارة التعليم، وقد ظل هذا المكتب الذي يسمّى باللغة التركية "Tercüme Bürosu" الذي أنشئ تحت إشراف هذه الوزارة في سنة ١٩٤٠ يعمل حتى سنة ١٩٦٦ وقد أصدر هذا المكتب نحو ألف عنوان أختيرت في معظمها من الآداب الغربية الكلاسيكية، ويعد المكتب جزءاً من مشروع التقريب العام للجمهورية التركية. وحقيقة الأمر أن الكتب التي أصدرها المكتب كان لها دور تعليمي وهدفت إلى تغيير الأفكار التي ضمنتها الأعمال الأدبية الأساسية في الغرب إلى القراء الأتراك وخصوصاً الشباب منهم.

وقد رافق الأنشطة الترجمية للمكتب إصدار مجلة "ترجوم" (Tercüme) : قدمت عروضاً للكتب المترجمة، بالإضافة إلى مقالات حول نظرية الترجمة والنقد. وكان في وسع المترجمين الذي عملوا مع المكتب أن يعبروا عن آرائهم تجاه استراتيجيات الترجمة في هذه المجلة المتخصصة. ويكشف أحد العروض المنشورة في المجلة أن المترجمين تبنوا استراتيجيات مختلفة، لكنهم اتفقوا على (مبادئ)، مشتركة مثل أهمية القيمة "الذهنية" و"الأدبية" عند اختيار الأعمال المرشحة للترجمة، والحاجة إلى إيجاد توازن بين "الأمانة" و"الحرية" في الإستراتيجيات الترجمية وضرورة نقل النص كاملاً دون أي إضافات أو حذفات ("بوجينش"، "ديميريل"، "يلماظ" 1998 Bogenç, Demirel, Yimaz) .

وكان في طوع المترجمين أن يرفعوا أصواتهم عالياً وأن يبرزوا أعمالهم بصورة لافتة للأنظار في هذه المجلة، إلى الحد الذي كتب عنده "حسن على يوشيل" Hasan Ali Yücel

وزير التعليم وقت ذاك يقول: "المترجم الجيد يساوى مؤلفاً جيداً" (١٩٤٠: ٢) ولا نزال حتى الآن نحتاج إلى تحليل شامل للأعراف التي راعاها المترجمون الذين عملوا مع ذلك المكتب. ومع ذلك نستطيع أن نفترض باطمئنان أن التعليقات القادمة من المترجمين والنقاد الذين كتبوا لمجلة الترجمة التي كانت الدولة تموّلها تعكس رؤية صارمة للترجمة. وهذه الرؤية، التي صدّق عليها الكتاب والمثقفون الذين أفصحوا عن آرائهم في دوريات أخرى (لا تمويلها الدولة) استتبعت تعريفاً صارماً للترجمة كعمل لا يمكن أن نحكم عليه إلا في ضوء مزاياه الثقافية والأدبية ومقدرته على عكس طابع الأصل.

وقد انعكس هذا المفهوم أيضاً في عناصر نصوصية موازية للترجمات، أنتجها "مكتب الترجمة"، وتميّزت أغلفة تلك الكتب بأنها كانت مiale إلى أن تكون بسيطة دون زخرفة وكانت مطبوعة على ورق مقوى (= كرتون) ولا تحمل أي صورٍ إيضاحية، وقد عرف الجميع هذه الكتب في أوقات لاحقة بلونها الأبيض المميز، حتى أصبحت القاعدة الأكبر من القراء تسمّى الكلاسيكيات التي ترجمها المكتب بـ "الكتب البيضاء" أو "السلسلة البيضاء"، وهذان مصطلحان لا يزالان رهن الاستعمال والتداول حتى اليوم وكان الغلاف الأمامي يحمل اسم المؤلف وعنوان الكتاب وشعار (= لوجو) وزارة التعليم. وكان الكعب يحمل اسم المؤلف وعنوان الكتاب، أما الغلاف الخلفي فكان يحمل ثمن الكتاب، دون أي عناصر ترويجية أو إعلان وصار إخراج كتب "مكتب الترجمة" علامة مميزة للأدب الراقى المترجم في تركيا، وقد لجأت دار نشر خاصة "يابى كرىدى" إلى إخراج مشابه إلى حدٍ كبير في السلسلة التي بدأتها في مطلع التسعينات للأعمال الكلاسيكية المترجمة، وهو الأمر الذي يشير إلى الجهود المضنية التي صمدت لمرور الأيام سواء على مستوى المضمون أو الشكل للمكتب التي أصدرها "المكتب".

تميّزت الكتب التي أصدرها المكتب بوجود صفحتين تحملان عنوان الكتاب. تذكر إحداهما وهي صفحة نصف - العنوان ("جينيت" ١٩٩٧: ٣٢) اسم السلسلة التي صدر فيها الكتاب مثل "ترجمات من الأدب العالمى" أو "مدرسة الكلاسيكيات" وكانت السلسلة الأولى

تظهر مصحوبة - فى العادة - باسم السلسلة الفرعية مثل "الكلاسيكيات اليونانية" أو "الأدب الإنجليزي الحديث"، وكانت صفحة نصف العنوان هذه تحمل أيضاً عنوان الكتاب وشعار وزارة التعليم، ولم يكن اسم المترجم يظهر إلا مرة واحدة على صفحة العنوان ("جينيت" ١٩٩٧: ٣٣) التى تتبع صفحة نصف - العنوان، وعلى صفحة العنوان كان اسم المؤلف يظهر مطبوعاً على الجزء الأعلى وبعده يأتى عنوان الكتاب، وكان يتبع هذا فى بعض الأحيان قوسان يكتب فيهما العنوان الأصيل للعمل المترجم بينط أصغر قليلاً وبحروف صغيرة *small letters*، بالتعارض مع اسم المؤلف والعنوان التركى للعمل اللذين كانا يُطبعان بحروف كبيرة *capital letters*. ولقد ظلت عناوين الكتب التى ترجمها المكتب قريبة نوعاً ما من عناوينها فى أصولها - فعلى سبيل المثال - ظهر عنوان كتاب "د. جيكل ومستر هايد" الذى ترجمته "ظريفة لاشنر" على هذا النحو: "د. جيكل ومستر هايد" أى نقلاً كلمة فكلمة عن الأصل. وكانت ترجمة سابقة لنفس العمل قام بها المترجم "حمدى ياروغلو" وأصدرتها دار نشر خاصة تدعى "مواليم إي. هاليت" فى سنة ١٩٤٢ قد تصرفت قليلاً بنقل العنوان إلى "الرجل ذى الوجهين"، وعلى نفس المنوال بينما ترجم "عرفان شاهينباش" قصة "رحلات جليفر" *Gulliver's Travels* التى كتبها "يوناثان سويفت" إلى التركية ونشرتها وزارة التعليم بنفس العنوان أى "رحلات جليفر" فى سنتى (١٩٤٣-١٩٤٤) أعاد "إركومينت إكريم تالو" *Ercüment Ecrem Talu* ترجمتها فى سنة ١٩٤٦ إلى "فى بلاد الأقزام والعمالقة" ونشرتها دار تدعى "كانات يانوى" *Kanaat Yayinevi*.

وإذا عدنا إلى صفحة الغلاف فى كتب "مكتب الترجمة"^(١) فإننا نرى أن اسم المترجم كان يأتى بعد العنوان الأصيل، ولو أنه كان يظهر بينط أصغر. وكان العبارة التى ترد وفق قطع معين للكتاب لكافة منتجات "المكتب" تقول: "ترجمه إلى لغتنا فلان الفلانى..." وكان "Tercüme etmek" و"çevirmek" هما المصطلحان (التركيان) المستخدمان فى الإشارة إلى الفعل "ترجم"، وقد (درج ؟) المكتب على تقديم المترجم بلقبه المهنى مثل "مدرس اللغة الإنجليزية فى مدرسة "أنقرة" الثانوية المتوسطة" ("استيفينسون" 1944 Stevenson) أو "معيد بمعهد العلوم السياسية" (مان 1945 Mann) أو "أستاذ مساعد بكلية اللغة والتاريخ والجغرافيا" ("سويفت" 1946 Swift) إلخ.

وكانت كتب "المكتب" تحمل ما يتراوح بين مقدمتين وأربع مقدمات، وخصوصاً خلال فترة حكم الحزب الواحد من ١٩٤٠ حتى ١٩٤٦ عندما بلغ نشاط "المكتب" ذروته. وقبل سنة ١٩٤٤ كانت هذه الكتب تظهر بمقدمتين لشخصيتين سياسيتين بارزتين في ذلك الوقت هما "عصمت إينونو" رئيس الجمهورية و"حسن على يوشيل" وزير التعليم. ومن سنة ١٩٤٢ حتى ١٩٤٦ أخذت الكتب تظهر بمقدمة ثالثة يكتبها مرة أخرى "يوشيل"، وتمثلت وظيفة هذه المقدمات، التي أطلق عليها "جينيت" اسم "اللوجرافية" Allographic (= الواقعة خارج المتن) (١٩٩٧: ١٧٩) في شرح أهداف الأنشطة التي يقوم بها "مكتب الترجمة". ولقد أشار الرئيس "إينونو" في مقدمته إلى أن ترجمة الروائع الأدبية والثقافية التي خلقتها عبقریات الأمم المختلفة منذ اليونانيين القدماء تعد أقيم أداة لأولئك الذين يريدون أن يخدموا ثقافة الأمة التركية ("إينونو" ١٩٤١) وأكد الوزير "يوشيل" أهمية الأدب للتطور العقلي لأي أمة من الأمم. وكتب يقول إن مفتاح العالم المتحضر كامنٌ في مكتبة قومية غنية بترجماتها ("يوشيل" ١٩٤١) وفي مقدمته سنة ١٩٤٤ كتب "يوشيل" حول نجاح برنامج الترجمة الذي أطلقه المسئولون الأتراك كي يقول إن البرنامج سوف يستمر في المستقبل بزخمٍ متزايد ("يوشيل" ١٩٤٤).

مثل هذه المقدمات لا تتمشى مع فكرة "جينيت" بشأن مقدمة "اللوجرافية"، فلقد كتبها مُرسِلون مختلفون عن مُرسلي النص (وهم في هذه الحالة سوف يكونون كلاً من المؤلف والمترجم معاً) ولكنها مضت إلى أبعد من مجرد الإبلاغ عن/و تقديم النص الذي ترافقه، وهما الوظيفتان اللتان أسندهما "جينيت" للمقدمات "اللوجرافية" (١٩٩٧: ٢٦٥). فمثل تلك المقدمات تطرح زاوية أيديولوجية، تضع استقبال النص داخل نطاق المشروع العام للتحديث، وبهذا المعنى تهدف إلى خلق تأثير عاطفي عند القارئ، يهدف إلى جعله يشعر أنه جزء لا يتجزأ من التحديث الثقافي لبلاده.

أما المقدمة الرابعة (وقبل سنة ١٩٤٤ الثالثة) فكانت عبارة عن حاشية حول مؤلف الكتاب أو العمل المحدد رهن الحديث، وكانت هذه المقدمات "اللوجرافية"، ولكنه كان عصبياً أن نكتشف كاتبها، فبعضها كان يكتبه طرف ثالث وبعضها لم يكن مذيلاً

بامضاء كاتبه وبعض آخر كان بقلم المترجم. وقد أثارت تلك التي نُسبت للمترجم بلبلة بشأن مرسل المقدمة. وإذا اعتمدنا على رؤيتنا الخاصة لوضع المترجم، فإننا قد نحبذ أن نسمي هذه المقدمات "تأليفية" أي منسوبة للمؤلف أو "اللوجرافية" ("جينيت" ١٩٩٧: ١٧٩) وإذا اعترفنا بأن النص المترجم منتج وسيط وارتأينا في المترجم مؤلفاً أو مؤلفاً مشاركاً على الأقل للكتاب (مثلما تفعل كاتبة هذه السطور) لأن الضرورة تقضى بأن ننظر إلى هذه المقدمات بصفتها جزءاً من تأليف الكتاب. وبالتبادل إذا نظرنا إلى المترجم بصفته وسيطاً موالياً للمؤلف الأصلي وسلمنا بأن النص المصدر قد نُقل إلى اللغة المستهدفة خالياً من أي تحوير، فإننا قد نخلص إلى أن هذه المقدمات "اللوجرافية". وغنى عن الذكر أن هذا الرأي الأخير يقوِّض المحددات الإجتماعية - التاريخية للترجمة وينزع من المترجم قوته كعامل آخذٍ للقرار.

تُخبرنا ملامح النصوص الموازية التي أوردناها فيما سبق بقدر كبير من المعلومات حول الطريقة التي قُدمت واستُقبلت بها على وجه الإمكان، هذه الكلاسيكيات المترجمة، كما تشير عناصر النصوص الموازية أيضاً إلى أن صورة المترجمين الذين عملوا مع "مكتب الترجمة" كانت ظاهرة للعيان. ومع أن أسماءهم لم تكن لتظهر على الغلاف، وكانت أسماءهم أدنى من أسماء المؤلفين الأصليين سواء على مستوى الموضع الذي تظهر فيه أو حجم البنت الذي تظهر به مطبوعة، إلا أن "المكتب سمح لهم أن يضعوا مقدمات يستطيعون خلالها أن يبلغوا قراءهم بمعلومات مفيدة عن النص ومؤلفه بالطريقة التي يختارونها، ومع ذلك فتواتر ظهور أسمائهم مضحوبة بالمهنة "الأخرى" وربما الأكثر "مشروعية" لهم توحى بأن الترجمة لم تكن تُعتبر مهنة في حد ذاتها، وكانت تعد بمثابة نشاط ثانوي أو نشاط يُؤدى لبعض الوقت. ولعله من الشيق أن نلاحظ أن العدد الأكبر من المترجمين كانوا مشغولين في شكلٍ أو آخر بالعمل الأكاديمي، سواء بالتدريس في إحدى الجامعات أو أحد المعاهد العليا، وهذا يشير إلى كيفية اتصال ترجمة الأعمال الكلاسيكية بصورة وثيقة بالتعليم.

تدل كل المقالات المنشورة في مجلة "مكتب الترجمة" أقصد "ترجوم" وعناصر النصوص الموازية للنصوص المترجمة على أن "المكتب" والمترجمين الذين عملوا معه، كليهما تصوراً الترجمة داخل نطاق معين، ينبع بصفة أساسية من علاقة الترجمة بنصها المصدر. ولم تدع منشورات "المكتب" مجالاً واسعاً للشك فيما يشكل جوهر الترجمة: الترجمة ليست سوى نقل نص أصلي محدد، اسمه مذكور - في غالب الأحيان - في صفحات العنوان للكتاب. وعناصر النصوص الموازية ليس في وسعها أن تقوى مركز الترجمة كنص بسيط. والغلاف الذي يعد أكثر عناصر النصوص الهامشية بروزاً في تقديم الكتاب سوف يُقيد - أولاً وقبل كل شيء - في حساب مؤلف النص المصدر. أما المترجم فلن يرد ذكره إلا على صفحة العنوان وإن يظهر إلا في عبارات هامشية إلى حد ما، ويبنط أصغر وحروف صغيرة (small letters vs. capital ones) وفي طوعنا أن نفترض أن الظواهر التي تقع على المشارف borderline مثل الترجمات الزائفة والاختباسات تقع خارج نطاق مفهوم "المكتب" للترجمة، وذلك بصفة رئيسية لأن مثل هذه النصوص تقع عند التقاطع بين الكتابة الأصلية والترجمة وتقاوم أي تناظر على أساس كلمة - كلمة بين النص المستهدف والنص المصدر، وفي حقيقة الأمر لم ينشر "المكتب" ترجمة واحدة يمكن أن تبعث أدنى شك يتعلق بمصدرها.

وعندما نلقى نظرة على الترجمات التي نشرتها الدور الخاصة وأمعا النظر في عناصر النصوص الهامشية المصاحبة لها، فإننا نصادف قصة مختلفة، وسوف ينصب تركيزي في القسم التالي على ميدان الأدب الشعبي (الواسع الانتشار) المترجم، وبصورة أخص على روايات "الدايم" dime (= عملة أمريكية تساوي عشر دولار) التي عرفت أربعينات (= أربعينيات عند المتفصح) القرن العشرين في تركيا. والنصوص المنشورة في هذا الميدان غاية في الاختلاف - ليس فقط في ضوء الملامح المادية لعناصر النصوص الموازية - ولكن أيضاً في ظل مفهوم الترجمة الذي يمكننا أن نستشفه من هذه العناصر.

٢-٢ النصوص الموازية للأدب الشعبي المترجم

تكشف النصوص الإضافية والنصوص الموازية التي نقابلها حول منتجات (= إصدارات) "مكتب الترجمة" المصطلحات المستخدمة في الإشارة إلى الترجمة كانت "ترجوم" *tercūme* و"تشيفرميك" *çevirmek* ، ومع ذلك يُبين مسح عام لمواد النصوص الإضافية الأخرى التي نشرت على هيئة كتب ودرجات ويوميات بالإضافة للنصوص الموازية خلال الثلاثينات (=الثلاثينيات) والأربعينات (= الأربعينيات) أن مصطلحات متنوعة قد استُخدمت للإشارة إلى عملية الترجمة. حقاً لا تدل كل هذه المصطلحات على وجود تلك الطريقة "الصارمة" *canonical* في تعريف الترجمة، ومع ذلك فكلها تشير إلى منتجات ظهرت جرأً قيام اتصالاتٍ مع نصوص أجنبية.

فيما يلي بعض هذه المصطلحات:

- ترجوم (= ترجمة، وهذه كلمة من أصلٍ عربي (والأدق سرياني. المترجم)
- "تشيفرميك" (= أن يترجم) وهذه كلمة قديمة، استخدمت لأداء معنى جديد في ثلاثينات القرن الماضي، ومنها اشتقت *çeviren* و *çevirici* اللتان تعنيان كلاهما "مترجم"، أما معنى الكلمة السابق فأصبح الآن مهجوراً.
- "ادبتاسيون" *adaptasyon* (كلمة مستعارة من اللغة الفرنسية تدل على معنى "اقتباس")
- "إكتبس" *iktibas* (كلمة عربية الأصل أصبحت تعني "أن يستشهد ب..." و"أن يستعير من...")
- "نكل" (= نقل) ومنها "ناكل" (= ناقل) وهذان المصطلحان اللذان أُستخدما في العصر العثماني وأوائل عصر الجمهورية، قد يدلان على كلٍ من الأصول والترجمات و"مؤلفيها" معاً، ومجرد وجودهما - أي هذين المصطلحين - يشير إلى أن الحدود بين هذه وتلك كانت غائمة أي متداخلة.

وبصرف النظر عن تلك المصطلحات، فإن بعض المترجمات لم تُقدِّم بهذه الصفة أى بصفتها مترجمات، وهذا ليس معناه أنها قُدمت على أنها أصولاً، وكل ما فى الأمر أن هذه الأعمال ظهرت دون اسم المؤلف أو المترجم أو حتى فى البيبلوجرافيات التى تغطى هذه الأعمال. ومع ذلك فعناوين هذه الأعمال ترفع علامات استفهام حول أصولها - وعلى سبيل المثال - فى سنة ١٩٤٤-١٩٤٥ نشرت دار النشر المعروفة باسم "جوفين يايينوى" Güven Yayinevi التى تعمل بصورة أساسية فى ميدان الأدب الرخيص الواسع الانتشار، سلسلة تسمى (سلسلة المخبر السرى الإنجليزى المشهور "شرلوك هولمز") وهى السلسلة التى ضمت ٨٢ رواية من روايات "الدايم" (= عشر نولار) وهى الروايات التى تقدم مزيجاً من الترجمات والترجمات الزائفة/الأصول. وكان "شرلوك هولمز" اسماً واسع الشهرة بين قراء الأدب الرخيص فى تركيا، وليس هناك شك كبير فى أن تلك الكتب كانت تُستقبل كترجمات عوضاً عن أن تكون أصولاً، رغم أن نصوصها الموازية لم تُقدِّم هذه الأعمال كترجمات، حتى ولو كانت كذلك فعلاً. واسمحو لى أن أقدم عناصر النصوص الموازية لإحدى هذه الروايات فى تلك السلسلة، وهى رواية "خطة الغواصة" فى سنة ١٩٤٤ .

تكشف المقارنة بين الكتب التى ظهرت فى سلسلة "شرلوك هولمز" هذه وبين أصولها أى قصص "شرلوك هولمز" نفسها أن "خطة الغواصة" كانت ترجمة لـ "مغامرة خطط بروس - بارتينجتون" The Adventure of Bruce-Partington التى نُشرت ضمن His Last Bow (كونان دويل 1981 Conan Doyle) ومع أن الناشر سُمى العمل "كتاب" إلا أنه كان فى الحقيقة كتيباً لا يزيد عدد صفحاته عن ١٦ صفحة. وكان الثمن المكتوب على الغلاف الخلفى هو عشرة قروش، بينما كان الكتاب الذى يضم ما يتراوح بين ١٥٠ و ٢٥٠ صفحة، وتنشره وزارة التعليم يُباع بنحو مائة قروش. وكان الغلاف الأمامى مزخوماً نوعاً ما ومزخرفاً بالألوان، وكان الجزء العلوى يحمل جملة ترويجية تقول: "أشد المخبرين السريين ذكاء وأكثرهم شهرة فى العالم"، وكان هذا الجزء يحمل أيضاً صورة مرسومة لـ "شرلوك هولمز" فى شبابه، أما المساحة الأكبر من الغلاف فكان مخصصاً لصورة إيضاحية تصور منظرًا من الصورة التى يظهر فيها "شرلوك هولمز"

Dünyanın En Zeki ve En
Meşhur Polis Hafiyesi
SERLOK HOLMES

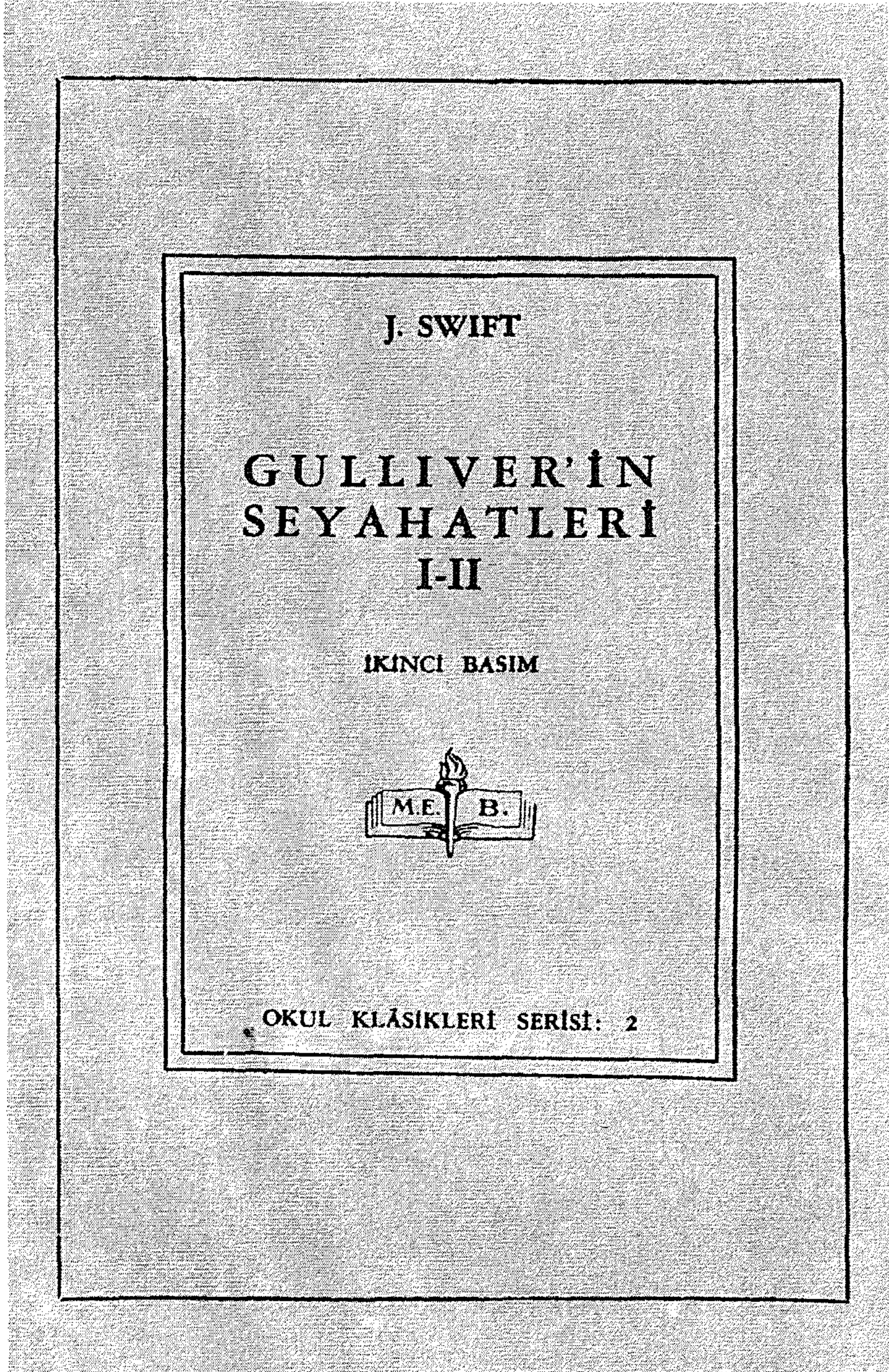


صفحة الغلاف الخاصة بسلسلة شرلوك هولمز
رقم ٤٨ (خطة الغواصة)

شاباً مقتول العضلات، وفي هذا المنظر يوجه "شرلوك هولمز" ضربة بالعصا إلى رجل عجوز، بينما يختلس رجلٌ أكبر سنّاً النظر من الباب الواقع في الخلفية. وفي الركن الأسفل إلى اليسار نرى الرقم المسلسل للكتاب وهو ٤٨ والكتاب ليس فيه شريط ربما بسبب صغر حجمه، ويحمل الغلاف الخلفي الثمن وإعلاناً للناشر يذكر عناوين أخرى في نفس السلسلة. ويحمل الجزء السفلي عنوان الناشر، وتحمل صفحة العنوان اسم السلسلة التي ظهر فيها الكتاب: (سلسلة المخبر السرى الإنجليزى المشهور "شرلوك هولمز". رقم ٤٨) ثم شعار الناشر. وتبدأ القصة في النصف السفلى من الصفحة.

ليس هناك إذن أى ذكر سواء للكاتب أو للمترجم. وجواباً على السؤال حول الأسباب التي تقف وراء هذه المجهولية anonymity يتعين علينا أن نتطّلع بعيداً فيما وراء الاستخدامات التقليدية لهذه الإستراتيجية الأدبية. يذكر "جينيت" في كتابه "النصوص الموازية" الحالات الأوضح مجهولية، ويرى أن المجهولية تحدث عندما يغيب أى معلومة عن المؤلف، إذا عزف المؤلف عن الإفصاح عن اسمه، نظراً لأن أشكالاً معينة من المجهولية "تشكّل إجراء وقائياً في وجه الاضطهاد سواء من جانب الدولة أو المؤسسة الدينية (كالكنيسة أو السيناجوج أو الجامع إلخ. المترجم)... أو لأن هذه المجهولية ترضى نزوة عنيدة ما عند المؤلف. ("جينيت" ١٩٩٧: ٤٢-٤٣) وفي حالة "خطة الغواصة"، عوضاً عن أن تأتي المجهولية استناداً إلى أى قرار فردي من جانب المترجم، فلقد جاءت نتيجة لإستراتيجية أدبية استُخدمت في الأعداد الثلاثة والثمانين التي ظهرت في السلسلة، وقد استُخدمت هذه الإستراتيجية في سلسلة أخرى لـ "شرلوك هولمز" نُشرت في سنة ١٩٥٥. وهذه المعلومة متوفرة فقط في النصوص الموازية لهذه القصص، والمجهولية بصفتها إستراتيجية متعمدة وواسعة الانتشار، ظاهرة فقط في الأغلفة أو صفحات العناوين أو "الكتالوجات" (= الفهارس المبوبة) بدلاً من النصوص ذاتها.

يوفّر النص الموازي لـ "خطة الغواصة" مؤشرات واضحة حول المفهوم الذي يتصوره هؤلاء الناشر أو مترجم القصة للترجمة، وهو المفهوم الذي ينطوى على



صفحة الغلاف الخاص بترجمة المكتب لكتاب «رحلات جليفر»

R. L. STEVENSON

Dr. JEKYLL İLE Mr. HYDE

Ankara İkinci Orta Okul İngilizce Öğretmeni Zarife
LÂÇINLER tarafından tercüme edilmiştir.

ANKARA 1944 — MAARİF MATBAASI

صفحة الغلاف العنوان الأول

المخاص بترجمة المكتب لكتاب «دكتور جيكول ومستر هايد»

نطاقٍ أوسع كثيراً من المفهوم الضيق الأفق الذي ينعكس في النصوص الموازية التي أصدرها "مكتب الترجمة". فالنصوص الموازية التي تصدر عن "المكتب" تجعل وضع النص واضحاً في مراحل متعددة، بدءاً من الغلاف. والعنوان واسم المؤلف الأصلي وذكر العنوان الأصلي واسم المترجم، بالإضافة إلى اسم سلسلة الترجمات التي تُنشر، تجعل الأمر غاية في الوضوح أن أمام أنوفنا ترجمة دون نقاش. ويلاحظ "جينيت" (١٩٩٧: ١١) أن النص الموازي "يمكن أن يذيع في الناس رأياً" أو "تفسيراً" ما من جانب المؤلف و/أو الناشر: وهذه هي الوظيفة الرئيسية لمعظم المقدمات، وكذلك الأمر بالنسبة للإشارات إلى النوع الأدبي على بعض الأغلفة أو صفحات العنوان (كلمة "رواية" التي تظهر تحت العنوان لا تعنى أن الكتاب عبارة عن رواية حقاً، فهذا تعريف توكيدي ليس في قدرة أحد، ولكن الحقيقة أن الأمر أمر رجاء على هذا النحو: "أرجو أن تنظر إلى هذا الكتاب كرواية") كما نستطيع أيضاً أن نفترض أن نصوص "المكتب" الموازية انطوت على وظيفة خاصة تتمثل في بسط دعوة إلى القراء كي يعتبروا النص ترجمة. ولو أن القصد مع "خطة الغواصة" وغيرها من الكتب، لم يكن سوى العكس تماماً، فهذه الأعمال تركت الأصل التأليفي وقد اكتنفته الغموض، ووضعت نفسها في منطقة رمادية بين الترجمة والكتابة الأصلية (= التأليف) وليس في طوع المرء أن يتحدث حتى عن إمكانية رؤيتها كتأليف هنا، دع عنك رؤيتها كترجمة. تلك كانت الاستراتيجية العامة للناشرين، وهو الأمر الذي يعكس موقفاً لا يميز بين الترجمة والكتابة الأصلية، وبالتالي بين الكتاب والمترجمين.

ليس في وسعنا أن نرصد الافتقار إلى تمييز واضح بين الترجمات والكتابات الأصلية في مجهولية الأعمال المنشورة وحدها، ولكن أيضاً في الكتابات الشعبية المنشورة الأخرى التي تُخفي أصولها كمؤلفات أو "تختلس" الموضوعات الرئيسية (= التيمات) أو الشخصيات للأعمال الأجنبية، ولقد استُخدمت النصوص الموازية، بصورة مراوغة في الحفاظ على نفس النوع من الغموض، الذي يتعلق بأصول هذه الأعمال - وعلى سبيل المثال - يحمل كتاب صدر في ١٦ صفحة وكتبه "سلامي منير يورداب" Selami Münir Yurdap وهو كاتب ومترجم بعنوان "بايتكين وطرزان"

(Baytekin and Tarzan) وقد طُبِع الكتاب في سنة ١٩٤٢، والكتاب مزود بغلاف مصور يحمل منظراً يظهر فيه كلُّ من "فلاش جوردان" و"طرزان" أمام سفينة فضاء، وتشير صفحة العنوان إلى أن الكتاب ألفه "سلامى منير يورداب". ومع أن الكتاب كان منسوباً - بصورة واضحة - لـ "يورداب" فإن إدراج اسم "طرزان" فى العنوان ووجود اسمى "فلاش جوردان" و"طرزان" (اللذين كانا مألوفين للقراء الأتراك خلال الترجمات بصورة أساسية) على الغلاف يشير إلى أن النص يرجع إلى أصلٍ أجنبى. وعوداً على بدء نجد أنفسنا أمام حالة يلتمس فيها كلُّ من الناشر والمترجم والكاتب من القارئ أن يدخل عالم النص دون أن يسأل أى سؤال حول مصدر القصة.

تجعل عناصر النص الموازى للكلاسيكيات التى ترجمها "المكتب" الوظيفة التعليمية لهذه الكتب واضحة دون مرأء. أو - على الأقل - تعبر عن التمنى والأمل فى أن يتلقى القارئ هذه الكتب كمواد تعليمية. وهذا ما يمكن لنا أن نستخلصه من عدد من المواضع، بدءاً بشعار الوزارة على الغلاف الأمامى، مروراً بالمقدمة التى يكتبها المدرس - المترجم حتى المقدمات. وعلى النقيض من ذلك نجد أن النصوص الموازية للروايات الرخيصة - "روايات الدائم" - لا تدعى أى وظيفة أخرى أكثر من "ترغيب" القارئ ("جينيت" ١٩٩٧: ٩٣) فهى لا تحمل أى مقدمات لإرشاد قارئ النصوص، ولا تبذل أى جهد فى التأكيد على مزاياها الثقافية أو الأدبية، واقتصر الأمر الأكثر شيوعاً فى تلك الروايات المترجمة على إضافة "عبارة تنم عن روح الدعابة" إلى الغلاف الأمامى للكتب، وكانت هذه العبارات تنطوى على وصف نوعى - موازى (= مواز) parageneric، يوفر للقراء مفتاحاً لنوع القصة التى بين أيديهم، فـ "رواية" بايتكين والطرزان" حملت هذه العبارة "روايات المغامرات المثيرة المصورة"، بينما حملت "خطة الغواصة" عبارة تعرف القصة بأنها رواية بوليسية. مثل هذه التسميات النوعية - الموازية كانت شائعة نوعاً ما، وخصوصاً فى قصص المغامرات التى تزيد عدد صفحاتها عن ١٦ صفحة وقصص المغامرات التى قام على نشرها عدد من دور النشر، التى كانت على رأسها "جوفين - يانيوى".

يعد هذا بمثابة مفتاح ذى مغزى قدمته "النصوص الهامشية" حول الطريقة التى سُوقَت واستُقبلت بها هذه الروايات، فالأغلفة وصفحات العناوين فى الأعمال الجادة ركزت على اسم المؤلف بصفته العنصر الأساسى فى تقديم الكتاب. وفى طوعنا - من هنا - أن نفترض أن قاعدة القراء التى توجَّهت إليها هذه الكتب كانت تختار المواد التى تقرأها فى ضوء مرجعية النص الأدبى الأصيل لهذه الكتب، أما ترويج الروايات الرخيصة، من جانب آخر - كان ليعتمد على النوع الأدبى، وهذا يعنى أن القراء الذين يشترىون هذه الكتب لا يكثرثون بمن كتبها أو ما إذا كانت ترجمات أو مؤلفات أصلية. وعضواً عن ذلك لا يلقون بالألإ للنوع الأدبى الذى تنتمى إليه. وهذا يؤكِّد الفكرة التى نقول، إن قراء الروايات الرخيصة - على النقيض - من قراء "الروايات الجادة"، يعتمدون فى قراءتهم على "النوع الأدبى" أكثر مما يهتمون بـ "المؤلف" (روبرتس ١٩٩٠ : ٣٢).

إذا راجعنا الملامح النصوصية للكتب التى بيعت تحت نفس الأغلفة، فإننا نكتشف أنها تشترك فى العديد من الخصائص التى تشير إلى أن هذه النصوص ربما تكون قد حُوِّرت كى تتماشى مع الإشارة النوعية الموازية التى تظهر على أغلفتها، وبعبارة أخرى قد تكون لعناصر نصوصية موازية تأثير قوى على الطريقة التى كُتبت بها النصوص الفعلية. وتقدِّم الترجمات أدلة تؤيد هذه الفكرة. فلقد أختصرت النصوص المترجمة فى الغالب كى تتناسب مع حجم الكتاب الذى لا يزيد على ١٦ صفحة. وكانت العقدة يجرى تبسيطها فى المعتاد، وهو الأمر الذى اقتضاه بالدرجة الرئيسية حجم الكتاب. وتمشياً مع تسميتها النوعية الموازية قصص "مغامرات" أو قصص "بوليسية"، ركزت على الحدث واللامح التى تتعلق بالمغامرات أكثر من الملامح العقلية أو العاطفية (أنظر على سبيل المثال "خطة الغواصة") وهذا يوضِّح أن الحاجة إلى الامتثال للمفهوم العام للسلسلة كان قوياً، ومؤثراً على القرارات التى اتخذها المترجمون. كما يبرهن إلى جانب ذلك على أن اللوافع التجارية كانت عميقة وراء مراعاة مترجمى هذه الكتب لأعراف محددة. وعلى النقيض من "جينيت" (١٩٩٧: ١٢) الذى يرى أن النص الموازى تابع يوماً لنصه الأصيل، فإننا قد نخلص إلى أن النصوص الموازية قد تقف فى حالات معينة أمام النصوص الأصول نفسها، وتقود ليس استقبالها فقط بل وترجمتها/كتابتها كذلك.

٣ - الصلة المنهجية بين النصوص الموازية والبحث الترجمي

يحتاج مشروع لتاريخ الترجمة، يسعى إلى المضي أبعد مما وصفه "أنتوني بايم" بعلم حفريات (= أركيولوجيا) الترجمة، كي يستكشف "السبب الذي يجعل مشغولات يدوية تظهر عندما وحيثما تظهر، والكيفية التي تتصل بها بالتغير" (١٩٩٨: ٥-٦) تصميم نموذج يكون في طوعه أن يمكننا من إدراج الظواهر الترجمية في سياقاتها الثقافية. ومثل هذا النموذج يحتاج إلى التوفيق بين نطاق واسع من الظواهر والمواد التاريخية، فالتركيز على نوع واحد بذاته من المواد يمكن أن يعرقل رؤية الباحث. وسوف يكون تحليل الأعراف في النصوص المترجمة غير كافٍ بحد ذاته لإدراج هذه النصوص في سياقات النسق الثقافي العام، وعندئذٍ تصبح مثالب (= عيوب) التركيز الكلي واضحة حتى قبل الشروع في تحليل النصوص المترجمة، وذلك لأن الباحث سوف يكون بحاجة ماسة كي يضع لنفسه معايير معينة لما يشكّل ترجمة قبل أن يتمكن من بناء جسمورها من الأعمال المترجمة، ويصير لزاماً على تحديد هذه المعايير أن يقوم ليس على التعاريف الجارية للترجمة وحدها، بل وأيضاً على مفاهيم الترجمة التي كان معمولاً بها في الفترة رهن الدرس.

وهذا يتطلب من الباحث أن يمد نطاق بحثه كي يشمل النصوص الثانوية التي توفّر نقاشاً ما - بعدياً ويساعد في الاهتمام إلى القوى الاجتماعية - الثقافية العامة التي تعطي الترجمة شكلها. وبصرف النظر عن العبارات العامة حول الترجمة، أو عن الظواهر الاجتماعية - الثقافية الأخرى التي قد تنطوي على صلة أو أخرى بكيفية إنتاج الترجمات واستقبالها (النصوص الإضافية) فلسوف يقع الباحث على تعليقاتٍ وعروضٍ ومقالاتٍ نقديةٍ ومقابلاتٍ تتناول أعمالاً معينة (نصوصاً فوقية) وقد توفّر دراسة مثل هذه المواد مفاتيح مفيدة ليس حول كيفية تعريف الترجمة فقط بل وحول الشروط التي تُنتج الترجمات تحت ظلها وتستهلك. وفي نفس الوقت يمكن أيضاً للعناصر المباشرة للنصوص الموازية التي تحيط بالأعمال والنص الهامشي *peritexts* أن توفّر نظرة ثاقبة في الآراء التي يبديها الناشر والمترجمون حول الترجمة.

بل وتغدو النصوص الهامشية أكثر اتصالاً في ميادين تكون فيها النصوص الإضافية والفوقية نادرة. ويعد الأدب الرخيص المترجم في تركيا في أربعينات (= أربعينيات) القرن الماضي جزءاً لا يتجزأ من النسق الأدبي الذي لم يحظ (= يحظى) بما يستحق من اهتمام، كما لم يكتب عنه النقاد، شيئاً على وجه التقريب، وبالتالي فإن النصوص والنصوص الهامشية peritexts المصاحبة لها، بالإضافة إلى الكتالوجات الأدبية والبيبلوجرافيات التي توفر نتفاً من النصوص الفوقية epitexts، هي كل ما يملك الباحث في هذا الميدان تحت يده.

وعندئذ لن تكمل الأفكار التي يتتبعها الباحث في النصوص الهامشية و(حيث يكون ذلك متوفراً) النصوص الفوقية والنصوص الإضافية توصيف النصوص المترجمة وتحليلها فقط، بل ولسوف تساعد أيضاً في مراجعة بعض النتائج التي توصل إليها هذه الباحث أو ذاك بعد إجراء مثل هذا التحليل، وعلى نفس النول أو المنوال قد تعطي دراسة أعراف الترجمة نتائج تجعل الباحث يشك في الادعاءات التي تنطوي عليها النصوص الإضافية والنصوص الموازية.

وعلى نحو ما سبقت الإشارة، فإن النظر إلى الترجمة بصفقتها نصاً موازياً يجلب أضراراً، نظراً لأنه يفرض منظوراً مصدرى - التوجيه ومقيداً على البحث الترجمي. وفي نفس الوقت فإن تحليل عناصر النص الموازي للنصوص المترجمة سوف يمدنا بمعلومات شائعة حول نقط عديدة تكون عندها النصوص قد لظمت الصمت. وتبرهن دراستنا الحالة اللتان تطرقنا إليهما فيما سبق على أن النصوص الموازية تمدنا بمعلومات حول آراء الناشرين و/أو المترجمين حول ما يشكل ترجمة. ولقد أبرزت bring into relief الأعمال الكلاسيكية التي نشرتها وزارة التعليم في أربعينات (= أربعينيات) القرن الماضي التعريف "التقليدي" للترجمة، وهو التعريف الذي اعتنقه "مكتب الترجمة" الذي كانت تشرف عليه الدولة. فلقد أكد النص - المصدر والمؤلف - المصدر وقيد ظهور اسم المترجم بعدد من الطرق، وأوضح بما لا لبس فيه الوظيفة التي يقصدها، ألا وهي تعليم القراء. وكشفت النصوص الموازية في روايات "الدايم"

المتجمة (أو الأصلية) أن الناشرين والمترجمين الذين نشطوا فى ميدان الأدب الرخيص وضعوا أنفسهم فى المنطقة التى يلفها الغموض بين الترجمة والكتابة الأصلية. ولقد كشفت هذه النصوص أيضاً عن أن الإشارات النوعية الموازية (شبه النوعية) وأنواع القطع المحددة للسلاسل تنطوى على صلة قوية بالطريقة التى كُتبت أو تُرجمت بها تلك الأعمال، وقد تثير المفاتيح التى توصلنا إليها عند مستوى النص - الموازى أسئلة تحتاج إلى مزيد من الاستكشاف سواء فى النصوص المترجمة أو نصوصها الفوقية بالإضافة إلى النصوص الإضافية: من هم أولئك المترجمون الذين كانوا ينقلون روايات "الدايم" تلك؟ هل كانوا منخرطين فى أشكالٍ أخرى من النشاط الأدبى؟ ولماذا قامت مثل تلك الفجوة بين "مكتب الترجمة" وناشرين مثل "جوفين يابنوى" فى نهجيهما تجاه الترجمة؟ هل يمكننا تعليل اللجوء إلى المجهولية، بدرجة كافية بعوامل السوق التى ترفع شأن الإشارات النوعية على قيمة الأصالة والإبداع؟ ويمكن بالتأكيد لمثل هذه القائمة من الأسئلة أن تمتد طويلاً.

يطرح الاستكشاف خلال النصوص الموازية أسئلة، بعضها قد لا يجد أجوبة إلا أن كل ما نطلبه من نماذج البحث هو أن تولد أسئلة، وهذا هو السبب فى أن النصوص الموازية تستحق إلتفاتاً أكبر فى نماذج البحث الراهنة فى تاريخ الترجمة.

الهوامش

(١) هذه الكتب لم ينشرها "مكتب الترجمة"، فلقد عمل بـ "المكتب" مترجمون دائمون بمجلس "المكتب" وآخرون بالقطعة، وهؤلاء ترجموا للمجلس كما ترجموا أيضاً لدور نشر خاصة، وما أطلق عليه هنا اسم "كتب مكتب الترجمة" هي تلك الكتب التي عهد بها "المكتب" إلى مترجميه وحررها أعضاء "المكتب" وقامت على نشرها وزارة التعليم.

الفصل الرابع مبادئ الترجمة و"أجندة" المترجم

نهج منهجى نحو فكر "يان فو"

بقلم إيلزى تشان Elsie Chan

خلاصة:

بلغت المبادئ الثلاثة للترجمة التي أعلن عنها المترجم الصينى "يان فو" فى سنة ١٨٩٨ - "إكسين" *xin* (الأمانة) و"دا" *da* (المفهومية) و"يا" *ya* (الرشاقة) - مرتبة عالية، وفى نفس الوقت ظلت تلاقى سهام النقد لما تنطوى عليه من مفارقة، إن لم نقل من تناقض. وهذا المقال يعيد تقييم موقف "يان" مع "أجندة" (= جدول أعمال) الترجمة فى سياق الأزمة السياسية الثقافية - الاجتماعية التاريخية التى وجدت الصين نفسها فى خضمها فى ذلك الوقت. والنهج المتبع هنا متعدد الأبعاد ويأخذ مفتاحه من نظرية متعددة المناهج، وقد يحتج كثيرون - من وجهة نظر "يان" - بأن هدفه الصادق فى الخلاص القومى عبر الترجمة يمكن تحقيقه - وحسب - عندما تتفهم وتتقبل قاعدته المختارة من القراء إخلاصه فى إشاعة فنيات شعرية قريبة المنال وعمليات ثقافت لأفكار أجنبية كان يمكن - لولا ذلك - أن تظل بعيدة المنال. ولقد فسّر كثيرون نموذج الترجمة الذى توصل إليه "يان" بصفته إعمالاً للسلطة والسياسات، فى الوقت الذى يحشد فيه المدروكية *accessibility* (= قابلية الإدراك بمعنى الوصول للهدف) الأيدولوجية والسياسية والمؤسسية والأدبية لهدف محدد.

احتج "ليفين دالست" Lieven D'hulst بأن تاريخ نظرية الترجمة جدير بالاهتمام، ليس لأن تفكيرنا الراهن ينبع منه، وحسب - بل أيضاً لأنه يحوز أهميته وتركيبيته

الخصوصيتين، وهي تركيبية تغدو جلية عندما نمعن النظر في الطابع المتعدد المناهج لتاريخ نظرية الترجمة (استشهد بها "هيرمانز" ١٩٩٩: ٩٩). ويلقى "دالست" باللوم على النقص النسبي للاهتمام بنظريات الترجمة الأقدم بين الدارسين المعاصرين بسبب الغرور و"فقدان الذاكرة الانتقائي" (المرجع السابق). يتخيل الباحثون الحاليون أنهم صنعوا مثل هذا التقدم الهائل بأمشاقهم (جمع مشق) الحديثة الاكتشاف new-fangled حتى أن التفكير الماضى أصبح غير ذى صلة بالأمر، ويميلون إلى النظر إلى التنظير السابق بصفته مجرد فسيلة نبئت على هامش الأداء الترجمى، وتناجاً عرضياً محصوراً فى مشاكل تكنولوجية (المرجع السابق).

وهذا المقال يسعى إلى معالجة الاستقطاب بين النظريات التاريخية وبين عمليات الترجيم، وأن يشرح لزوم وسداد التنظير السابق حول الترجمة. والحالة رهن النقاش تخص "يان فو" (١٨٥٤-١٩٢١) الذى يعد أكبر المترجمين والمنظرين فى ميدان الترجمة فى الصين. ولقد أحدثت الترجمات التى قام بها "يان" للأعمال الثقافية الغربية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تغييراً هائلاً فى رؤية معاصريه للعالم، وقد رحب أغلب المترجمين الصينيين بمبادئ الترجمة التى توصل إليها، كما لاقت هذه المبادئ حفاوة كبيرة فى مقتطفات الدراسات الترجمية منذ ذلك الحين.

أعترزم درس مبادئ "يان فو" فى ضوء المفاهيم الوظيفية المعاصرة، وعلى وجه خاص نظرية التعدد - النسقى polysystem ("إيفين - زوهر" ١٩٩٠، ١٩٩٧) فى ظل النقد الموجه إلى نظرية التعدد النسقى باعتبارها تبسيطية إلى حدٍ خطير، وحتموية determinist وثنائية dualistic واختزالية reductive (هيرمانز ١٩٩٩: ١٠٢-١١٩، لامبرت ١٩٩٧) وهنا نجد أن المفهوم المتعدد النسقى يخدم فقط، كإطارٍ عام لتصوير ديناميات تغير المشق الثقافى. وخلال تترىخ "يان فو" (= سلكه فى إطاره التاريخى) يمكننا تحليل نشاطاته الترجمية فى ضوء الثقافة والسلطة، وبصفتها أعمالاً وظيفية فى إطار مناهج متعددة مترابطة بدلاً من تجميع لعناصر متباينة، وسوف تقدم المنهجية المنظمة استبصارات فى تنوع وتركُّب الظواهر التى تتصل بحالة "يان"، كما تفسرُ

صحتها وقيمتها كبحت استراتيجي في الدراسات الترجمة. وعضاً عن استكشاف الترجمة بصفتها مهارة أو فناً أو علماً - على نحو ما سيطر على الاتجاه السائد في الدراسات الترجمة في الصين حتى وقت قريب - فإن مثل هذا النهج يؤكد على الطابع المتعدد الأبعاد والمتداخل المناهج للدراسات الترجمة.

١ - نظرية تترخية Historicizing theory

نقل "يان فو" خلال العقود (عقد = عشر سنوات) من أسرة "قنج" Qing الصينية المالكة (١٦٤٤-١٩١١) آخر الإمبراطوريات الإقطاعية في الصين عدداً من الأعمال الذهنية الغربية، كان معظمها كتباً منشورة في القرن التاسع عشر، مثل كتاب "توماس هكسلي Thomas Huxley المعروف باسم "التطور والأخلاق" Evolution and Ethics وكتاب "إدوارد جنكس" Edward Jenks المعنون بـ "تاريخ علم السياسة" A History of Politics وكتاب "جون ستيوارت ميل" John Stuart Mill الذي يحمل عنوان "عن الحرية ونسق المنطق" On Liberty and System of Logic وكتاب "هربرت سبنسر" Herbert Spencer المنشور باسم "دراسة في السوسولوجيا" (= علم الاجتماعيات) A Study of Sociology وكتاب "دبليو. إس. جيفونز" W.S. Jevons الذي يُسمى "مقدمة في المنطق" Primer of Logic ، ولكن بعض الكتب التي ترجمها "يان فو" كان أيضاً من القرن الثامن عشر، وعلى وجه الخصوص كتاب "آدم سميث" Adam Smith الذي ظهر تحت اسم "ثروة الأمم" Wealth of Nations وكتاب "مونتيسكيو" Montesquieu الذي أخذ عنوان "روح القوانين" Spirit of Laws. مع أن الصينيين يفضلون أن يتذكروا مترجمهم المتميز بعرضه في المقدمة التي كتبها لكتاب "هكسلي"، "التطور والأخلاق"، لثلاث صعوبات كبرى وطرحه الأسس الثلاثة للترجمة وهي "كسين" و"دا" و"يا" التي نستطيع ترجمتها إلى "الأمانة" و"المفهومية" و"الرشاقة" (١)

يلقى هذا النموذج الثلاثي حفاوة كبيرة في الصين بصفته توسيعاً منطقياً ومصقولاً للأركان التي تخلقت من جراء ترجمة الكتابات البوذية المقدسة القديمة،

وهي الأركان التي أكدت على كل من أمانة المضمون ومفهومية intelligibility التعبير. وفي كتابه "نظريات الترجمة في الصين: نسق صيني فريد يلخص "ليو إكسينزهانج" Luo Xinzhang ألقى سنة من التنظير الصيني حول الموضوع، متتبعاً تطوراً تاريخياً للمبادئ الترجمة، بدءاً من "المضمون الأصلي" لـ "داؤوان" (Dao'an, 314-385) مترجم الكتب البوذية المقدسة عبر "الأمانة" ("يان فو") و"التشابه الروحي" لـ "فو - لي" (Fu lei, 1908-1966) مترجم الأدب الفرنسي و"البراعة السامية" لـ "قيان زوهونجشو" (Qian Zhongshu, 1910-1998)، وهو باحث وكاتب متميز. ولكن هناك إجماعاً عاماً في الصين على أن ثالوث "يان فو" - نقل نص - مصدر بصورة أمينة (كسين) إلى لغة مفهومة (دا) وأسلوب ملائم (يا) - يعطينا زواجاً مثالياً بين المبادئ الترجمة الماضية وبين مشق الترجمة دائم الاضرار (= النمو والتجدد). إلا أن هناك جدلاً دائراً حول المجالات التي تغطيها مصطلحات "يان" في حقيقة الأمر، فهل "كسين" تعني "الأمانة" بالنسبة للشكل أو المضمون أو روح و/أو قصد المؤلف؟ هل "يا" تستلزم لغة متقنة مستغلقة على الفهم، وإذا كان الأمر كذلك، أفلا تتناقض "يا" مع "دا"؟ هناك أيضاً نقاش دائر حول الوزن النسبي لكل مبدأ من المبادئ الثلاثة، الذي ينبغي أن يقبل به المترجم الممارس. ومع ذلك فهناك قبول عام بأن أركان "يان" - وخصوصاً ركني "كسين" و"دا" - إنما تشكل الأعراف الراسخة لكل من الترجمة والنقد على حد سواء.

هناك إلى جانب ذلك رأي معارض، يشكك في صلاحية معادلة "يان" كمسوغ لتعقّد (= شريكة) الترجمة، غير أن هناك محاولات مبذولة لإبراز مشروعه الترجمي في ضوء قاعدة القراء المقصودة وكذلك الهدف المنشود (Chau 1986, Chu 2000, Shen. 1998) والوظيفة السياسية لترجماته (Wong 1997) ودور الترجمة في فترة الأزمة على المستوى الأدبي والأيدولوجي (Chang 1998:34-35)، كما طعن البعض أيضاً في صلاحية ثالوث "يان" على أساس أن "يان" انتهك المبادئ التي صاغها هو نفسه، وحوّر نصوصه - المصدر وأعاد كتابتها باللغة الصينية الكلاسيكية وبأسلوب غامض باطنى. ومع ذلك فمعظم الأعمال النقدية في ميدان الترجمات بعد "يان" تتخذ من نموذج "عود قياس" (= مازورة) كل ترجمة تنحرف عن "الأعراف" التي قال بها تواجه بالاستنكار،

مع أن ظروفاً "خاصة" قد تُستدعى في الغالب كي تُعفى ترجمات خاصة من هذا الاستتكار.

في بعض الأحيان، كانت الدراسات الماضية حول نموذج "يان" تُقابل بالسخرية على أساس أنها لا تخرج عن أن تكون ميكروسكوبية، إنطباعية ومكررة، وتحول دون بحث أكثر ماكروسكوبية وأعمق منهجية، وقد سلّم الباحثون المعاصرون الأصغر سناً بصفة خاصة بالتحدي، أولئك الباحثون الذين أغرتهم الدراسات الترجمية والأدبية الغربية (على سبيل المثال "وانج جونجفنج" (Wang Dongfeng 1999) وقد نجم عن ذلك تفجّر مناظرة حول الهيمنة النظرية، يرفض أحد طرفيها "القديم" بصفته "تبسيطي" ومتكلس، ويستبعد الطرف الآخر "الجديد" على اعتبار أنه ينطوي على نزعة تحطيم "الأيقونات" (= الصور والتماثيل، وهي نزعة ضيقة الأفق. المترجم) وغير متصل أى ذلك "الجديد" اتصالاً وطيداً بالموضوع. إلا أن أسئلتى هنا مختلفة، هل الحقيقة التي تقول إن مشق "يان فو" سيطر على البحث الترجمي لمدة تصل إلى قرن من الزمن تجعل منه موضوعاً مهماً من مواضيع البحث؟ هل ترقى مبادئه إلى مستوى نظرية؟ كيف نتصور ممارسات "يان فو" الترجمية وتصريحاته بشأن الترجمة داخل السياق التاريخي الأوسع؟ ما هي مساهمته في الدراسات الترجمية؟ والأهم من كل ذلك، ما مغزى آراؤه للبحوث القادمة؟

قد يكون البحث في سبيل وضع نظرية لتاريخ الترجمة عملاً ناقصاً إذا ابتعد عن دراسة المترجمين والسياق التاريخي والاجتماعي الأوسع، واقتصر على نطاق وأنوات مشق واحد أو منهج واحد. وفي هذا الصدد نجد أن معظم الدراسات الموجودة كانت محدودة النطاق. وقد انصبت الدراسات الترجمية الصينية طوال القرن الماضي بصورة غالبية على الفيلولوجيا (علم اللغات) والتفسير، واتخذ من ثالوث "يان فو" نموذجاً للنقد الترجمي، والواقع أننا نفتقر إلى دراسة معمّقة للسّمات المنهجية لمبادئ "يان" أو العلاقة بين التوفيق الذي يعمد إليه "يان فو" بين الاختلافات الشاسعة بين الثقافتين الصينية والغربية، وبين تصريحاته بشأن الترجمة. من ناحية أخرى تصور الدراسات في الأدب المقارن وكذلك

الدراسات السياسية والسيوسولوجية (= الاجتماعية) "يان" كمفكر كبير متبحر في كل من الدراسات الصينية والغربية على حد سواء، ودارس متأجج الوطنية ومصمم على اللجوء إلى التناقف في سبيل استخدام الفكر الغربي التقدمي في تنوير بنى وطنه. ولقد فسّر - على سبيل المثال - "بنيامين شفارتس" (1964) Benjamin Schwartz استقبال "يان" الانتقائي و"استيراده" للأفكار الليبرالية الغربية الحديثة كمحاولة لتحويل التهديد العسكري والاقتصادي الغربي إلى قوة وثروة للصين، ومع ذلك لم يكن اهتمام "شفارتس" مركزاً على المناهج الترجمية أو مبادئ الترجمة، ولم يرصد سوى أن "الترجمة بتصرف" (= إعادة صوغ المعاني بعبارات مقاربة) والتعليقات الجرافية "arbitrary commentaries" تُيسر وقوع تشويهاً خطيرة هنا وهناك للمعنى" (1964: 96)

٢ - فن الشعر والسلطة

إذن، انكب الدارسون على درس "يان فو"، من منظوراتٍ مختلفة وإن كانت باستمرار منظوراتٍ خاصة، ولكن ما نحتاج إليه الآن هو تحليل متعدد الأبعاد لـ "يان فو" كـ "ابن عصره". والاقتراح الذي سأقدمه فيما يلي يسعى إلى تترخ مبادئ "يان فو" في ضوء النموذج المتعدد النسق polysystem .

ولأبدأ بفحص السياق المباشر. طرح "يان" مبادئه الثلاثة في المقدمة التي كتبها باسم "ملاحظات عامة حول الترجمة" لترجمته للكتاب Tianyanlun أي "عن التطور" سنة ١٨٩٨، وهو أول عمل مترجم يُنشر له، والعمل مؤسس على كتاب "إي.إتش. هكسلي" Evolution and Ethics، وقد بدأ "يان" مقدمته على هذا النحو:

(تنطوى الترجمة على ثلاثة متطلبات قد يصعب تحقيقها: الأمانة «إكسين» والمفهومية «دا» والرشاقة «يا»، حقاً يصعب الوصول إلى الأمانة ولكن الترجمة التي تنطوى على أمانة دون أن تكون مفهومة ليست ترجمة على وجه الإطلاق. وبالتالي فإن للمفهومية أهمية أولية (Yan 1973: 4) ولسوف أعتمد على ترجمة "هسو" Hsu 1973 خلال هذا المقال. إيلزي تشان.)

من الشيق أن الشرح هنا يتمشى مع التقاليد الأدبية السائدة في الصين. وصياغة العبارة ذاتها تتمشى مع تحبيذ الأسلوب الملمغز، بل المبهم في الدراسات الأدبية الصينية والنقد، ومع أن هذه المتطلبات ظهرت مرة واحدة، إلا أن "يان" لم يبرز أوراق هويته حتى الفقرة الثالثة:

يقول "سفر التغيرات" I ching : "الأمانة هي الأساس الذي تستند إليه الكتابة". ولقد قال "كونفوشيوس": "ينبغي للكتابة أن تكون مفهومة" وأضاف أيضاً: "إذا افتقرت اللغة إلى الدقة البالغة فإن تأثيرها لن يمضى بعيداً"، وشقت هذه الأوامر الثلاثة الدرب السليم للأدب، كما أنها تعد بمثابة المبادئ الموجهة للترجمة (5: Yan 1973).

يرقى "سفر التغيرات" إلى مرتبة الأركان الخمسة العليا (wujing) لـ "الديانة" والأولى الفلسفة الكونفوشية، التي تعتبر أعلى أنساق الفلسفات المؤسسية -Institutionalized الصينية. كما شكّلت فنيّات الشعر، عند "كونفوشيوس" الأساس للأعراف الأدبية المعتمدة، أو أحد أشكال "الذخيرة" حسب مصطلحات "إيفين - زهر" (٢) ومن اللافت للنظر أن "يان" طرح نفس الشعريات في الأدب المحلى وفي الترجمة، وبذلك يكون قد نمذج modelled (= فرض نموذجاً) أعرافه الترجيمية استناداً للأعراف التي شيدها فعلاً نوع سائد في الأدب (الصيني) المستهدف. ويقول "إيفين - زهر" إن هذا ما يحدث عادة عندما يحتل الأدب المترجم موقعاً هامشياً داخل النسق المستهدف ويلجأ إلى نماذج ثانوية (١٩٩٠: ٤٨-٤٩) ومعروف أن النموذج الثانوي يحكم - فقط - المنتجات التي يكون التنبؤ بها عالياً، عندما تكون الذخيرة راسخة في موضعها وكافة النماذج المشتقة تُؤسس وفقاً لها (١٩٩٠: ٢٠-٢٢).

لعل من الحقائق الثابتة أن الترجمة في الصين الإمبراطورية لم تلعب مطلقاً دوراً مركزياً في الثقافة الأدبية، والتراث الفلسفي والتاريخي والأدبي لأقدم حضارة عالمية لا تزال على قيد البقاء، وتتمتع بحكومة مركزية ولغة مكتوبة مشتركة عبر رقعة جغرافية ممتدة تحيط بها عدة دول تابعة نون سن البلوغ، تعزز بوجهة نظر تجاه ذاتها، كمملكة وسيطة Middle Kingdom تقوم على الاكتمال - الذاتى والاكتفاء - الذاتى، وتستبعد

أى حاجة لها إلى ترجمة ثقافات أدبية أخرى. وكان المترجمون يُعرفون في الصين القديمة بـ "رجال اللسان" Sheren أو "موظفون مقلدون" Xiangxu . ولم تحظ (= تحظى) الترجمة بتقديرٍ عالٍ، فلم يوافق "كونفوشيوس" (٥٥١-٤٧٩ ق.ع.م.) ذات مرة عندما اعتزم ملك الصين دراسة الترجمة، لأنه كان يحتقرها باعتبارها مهنة تافهة xiaobian مقصورة على الشئون الدبلوماسية يُعهد بها لـ "للأسنة المقلوبة" fanshe (= مترجمين) الذين ينقلون الكلمات chuanyan (Chen 1992:11-13) ولعلها ملاحظة بليغة تلك التي لاحظها الباحث المتخصص في أسرة "قنج" Qing الملكية المرحوم "ليانج قيشاو" Liang Qichao (1873-1929) أن الأسفار البوذية كانت بمثابة النصوص الأجنبية الأولى التي عوملت باحترام، بعد أن كانت الثقافة البوذية قد بلغت في ذلك الوقت منزلة "يمكن أن تُقارن" بتلك التي كانت تحوزها الثقافة الصينية (Liang 1988: 85) .

تعد ترجمة الأسفار البوذية التي بدأت في القرن الثاني من عصرنا المؤلف (م.ع.م.) واستمرت حتى القرن العاشر الموجة الأولى من ثلاث موجاتٍ ترجمية كبرى عرفتها صين ما قبل قيام الحكم الشيوعي في سنة ١٩٤٩ (وشهدت الموجة الثانية استيراد الأعمال العلمية الغربية في القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر، أما الثالثة فعرفت ترجمة الأعمال الأدبية والثقافية بدءاً من القرن التاسع عشر وحتى ثلاثينيات (= ثلاثينيات) القرن العشرين) ومع أن تلك كانت فترات من النشاط الترجمي الغزير، إلا أن الأدب المترجم لم يلعب دوراً ملحوظاً في النسق الأدبي، اللهم إلا بعد سنة ١٩١٩ ، ولعل الأسباب وراء ذلك واضحة:

أولاً: تكفّلت بأعمال الترجمة دائرة ضيقة بصورة نسبية من المترجمين المحليين، الذين عملوا في الغالب بالتعاون مع الأجانب، وضمّت هذه الدائرة عدداً محدوداً من كبار الكتاب، إذا كانت قد ضمّت أحداً منهم أصلاً.

الثاني: مع أن الترجمة حققت عناصر جديدة في الأدب الصيني، إلا أن تأثيرها على الاتجاهات الكبرى كان محدوداً، وفي الغالب كانت تسير في أعقاب الأعراف الأيدولوجية والثقافية والأدبية السائدة. (٣)

ثالثاً: تخدم الترجمة - في الغالب الأعم - أغراضاً نفعية للمثقفين الأوسع أفقاً من الناحية السياسية في البيئات المتعددة - النسق، الأيدولوجية أو السياسية. أما فيما يتعلق بالأدب، فكان "الأدب المترجم" منه لا يُقابل إلا بالتجاهل إلى حدٍ كبير.

وخلال الفترة الترجمية الثانية - على سبيل المثال - نحا المبشرون "الجزويت" (= أعضاء طريقة دينية تأسست في حضان الكنيسة الكاثوليكية في سنة ١٥٢٩ على أيدي القديس "إجناطيوس" Ignatius ، وهو جندي أسباني نذر نفسه لأعمال البر والعطف على الفقراء إثر إصابته بجرح خطير في إحدى المعارك، وتعد هذه الطريقة مسئولة عن كثير من أشكال التجديد والتحديث التي زحزحت الشعائر الدينية بعيداً عن موروث العصور الوسيطة. المترجم) نحو ترجمة الأعمال التكنولوجية والعلمية الغربية - طالما لم تتعارض مع العقيدة المسيحية - بصفتها إحدى وسائل تعزيز "أجندتهم" التبشيرية. وقد تعاون هؤلاء المبشرون مع حفنة من المسئولين - الدارسين الصينيين الذين كانوا أبعد عن إتقان اللغات الغربية، لكنهم كانوا حريصين على اكتساب تطبيقات التكنولوجيا الغربية كي تستفيد منها بلادهم. إلا أن ترجمة الأعمال الغربية لم تلمس الثقافة الأدبية الصينية - سوى بالكاد - لكنها ظلت عاجزة عن التأثير في الفكر الصيني حتى ظهر "يان فو"، وهو الأمر الذي يفسر لنا السبب الذي يجعل منه - رغم اضطلاع فيالق المترجمين الذين سبقوه بترجمة الأعمال الغربية - أول دارس يعود من الغرب كي يؤثر في الفكر الصيني. (Liang 1998: 98) بل وأول صيني يقدم الفكر الغربي المعاصر (Hu Shi, 1891-1962, 1979: 194) ومع ذلك فإن جدارة "يان" بالثناء راجعة بالدرجة الأولى إلى براعته في كل من الدراسات الغربية والصينية (Liang 1990: 267) مع أن شعرياته قوبلت في الحقيقة بانتقادات قاسية. ولقد نمذج ترجماته وفقاً للتقاليد الأدبية (الصينية. المترجم) التي تحتفظ بمنزلة عالية، واستشعر التعاسة لوضعه المتدنى كـمترجم، ولكن وقت ذاك كانت الثقافة الأدبية في صين - ما - قبل - ١٩١٩ وحيدة اللغة بصورة ساحقة^(٤)، مع بعض الأدب المترجم، وكما سبقت الإشارة من قبل، وقد أُعيد صبُّه في العادة في قوالب تتمشي مع التقاليد الأدبية المحلية (= الصينية) وإبعاده إلى الهامش.

ترجع الاستشهادات الكونفوشية التي تدعّم مبادئ "يان" الثلاثة إلى المصادر السابقة على "هان" قبل القرن الثالث (ق.ع.م.) (= الأسرة الإمبراطورية الصينية الكبرى الثانية، التي أسسها "ليو بانج"، الذي أصبح فيما بعد "كاو تسو" (٢٥٦-١٩٥ ق.ع.م.) وهو رجل من طبقة متواضعة قاد انتفاضة واسعة ضد مظالم الأسرة السابقة، أسرة "تشين" حتى أطاح بملكها الذي لم يكن قد دام طويلاً على أي حال. المترجم) وقد أُكِّد "يان" على أهمية "يا"، أي "الرشاقة"، وذلك في مقدمته التي عنونها باسم "ملاحظات عامة"، وصدرَ بها لكتابه المترجم Tianyanlun "عن التطور"، وحدد أن المرء عندما "يستخدم نحويات Syntax وأسلوب الفترة السابقة على أسرة "هان"، فإنه يسهل - في واقع الأمر - مفهومية المبادئ العميقة والأفكار البارعة، في حين أن اللجوء إلى اللغة الشعبية الحديثة يجعل الأشياء مستغلقة على الفهم." (١٩٧٣: ٥) وبعبارة أخرى، يخبِّد "يان" - في واقع الأمر - الاعتماد على الأساليب الغامضة السابقة على أسرة "هان" كأفضل الوسائل لملاءمة للتعامل مع المفاهيم الأجنبية غير المألوفة (Chu 2000:10) ولقد أصبحت شعرياته المحافظة وسيلة لحفظ ذخيرة تقليدية، سارت في خط موازٍ (= موازٍ) مع النوق الفائق - المحافظة Ultra-conservative taste الذي تملك الصفوة الماندارية Mandarin (= نسبة للناطقين باللغة الماندارية التي يتحدثها سبعون بالمائة من الصينيين كلغتهم الأم، وتتميز هذه اللغة بأن معظم كلماتها تتكوّن من مقطع واحد وتعتمد وظيفة الكلمة في المنطوق على موضعها نون الإعراب. المترجم) الحاكمة التي طالما سعى المترجم "يان" إلى كسب عطفها. وكانت هذه الصفوة تتطلب المصقولية والطرافة eccentricity كي ترضى نوقها وتستولى على قلب النسق الثقافي، وقد عرضت الذخيرة المعتمدة هذه الملامح بغزارة. وبذلك يصبح واضحاً أن قاعدة القراء الذين وضعهم "يان" نُصب عينيه والغرض من الترجمة حدداً - معاً - أعرافه الترجيمية، وبعبارة أخرى، حكمت مسألة السلطة مجمل السيرورة course فما كان "يان" يجاهد في سبيله لم يكن لغة مفهومة في حد ذاتها per se ، بل مدروكية accessibility مؤسساتية وأدبية.

ولقد أشار "يان فو" في مقدمته "ملاحظات عامة" إلى أنه كان على وعي كامل بالنقد الذي يمكن للغة الغامضة أن تثيره، بما في ذلك أسلوب وتحييد ما هو طريف أو حتى غريب. لكنه دافع عن اختياره المحافظ على هذا النحو:

"ولكن يتعين على أن أقول إن هذه هي النتيجة التي تترتب على الجهد الذي يحوز مني كل إصرار، على "المفهومية" [دا] ومبثى في هذا الكتاب مؤسس - إلى حد كبير - على المنطق والرياضيات والعلم بالإضافة إلى الفلك. وإذا لم تكن هذه الدراسات مألوفة للقارئ، فحتى ولو كان يحمل نفس الجنسية ويتحدث نفس اللغة التي يتحدثها المؤلف، فلن يكون في طوعه أن يستوعب كثيراً، وبكل تأكيد، أقل بكثير عند قراءته للترجمة. ("يان" ١٩٧٣: ٥ والقوسان المربعان أو الراقصان من عندي إي. شان)

يتلخص زعم "يان" في أن الأعراف السابقة على الفترة "الهانية" (= نسبة لأسرة "هان") هي وحدها التي تلائم ترجمة الأعمال الغربية الجادة، ومع ذلك لم ينجح في الحيلولة بون التعرض للهجوم. ففي عرض لترجمة "يان" المتأخرة لكتاب "ثروة الأمم"، عنفه "ليانج قيشاو" - ليس لافتراض وجود قاعدة محدودة من القراء تألف الثقافة الكلاسيكية فقط - ولكن أيضاً لعجزه عن تلبية الاحتياج إلى إصلاح أدبي تأخر طويلاً، وافشله في جعل البحوث العلمية العويصة والعميقة ميسورة في متناول الطلاب. ودمغ "ليانج قيشاو" شعريات "يان" بأنها غير ملائمة وعالية الذاتية وتتناقض مع واجب المترجم في تقديم "أفكار متحضرة" إلى بني وطنه (ليانج ١٩٩٠: ٢٦٧) وفي رده على "ليانج قيشاو"، أشار "يان" إلى أن ترجماته لم تستهدف الطلاب أو القارئ البسيط، بل استهدفت الوصول إلى الصفوة المثقفة من الصينيين الذين تبحروا في الكلاسيكيات الصينية ("يان" ١٩٩٠: ١٢٤) وهو الأمر الذي يعنى أن "يان" استهدف بترجماته - بصورة عمدية - الصفوة الماندارينية التي تملك - بون سواها - القدرة والنفوذ اللذين يمكّنانها من تغيير الوضع الراهن *status quo*. فليس من صواب الرأي أن نتصور إمكانية اعتراف هذه الصفوة بأن نصاً ما هو "ممتاز"، بينما تنظر فتجده محمولاً في عبوة شعبية رخيصة، ودع عنك أن تجده جديراً بالقراءة وتقبل ما يحتويه من أفكار

أجنبية تقديمية. ومضى "يان" في محاججته كى يقول إن الهبوط باللغة لإرضاء غير المثقفين لن يقود إلى أى إصلاح بل عوضاً عن ذلك إلى كارثة. (المرجع السابق). ويضيف أن اللجوء إلى اللغة الشعبية الهابطة سوف يؤدي بالترجم إلى التحايل على المعانى الأجنبية، الأمر الذى سيسفر عن سوء تفسير جسيم ("يان" ١٩٧٣: ٥) وكانت تلك دعوة معقولة بشكلٍ كافٍ فى وقتٍ لم تكن فيه اللغة الشعبية baihua قد جُرِّبت بعد كأداة للتعبير الثقافى والأدبى.

وعلى نحو ما كان عليه الأمر، لعب الموقع الأيدولوجى والمؤسسى للمترجم دوراً رئيسياً فى تشكيل شعرياته. حقاً كانت مدرسة الأدب والثقافة التى ينتمى إليها "يان فو" وهى "تونج - تشينج" tongcheng ، تعارض الشكل التى يصطنعه "باجو" bagu فى كتابة المقالات، وهو الشكل الذى كان موضع سؤال فى الامتحانات فى السلك المدنى فى الصين الإمبراطورية، بل وكان قد تحول إلى بقجة جوفاء من النثر المبتذل المقولب. وكانت مدرسة "تونج - تشينج" تحبب الأساليب الرقيقة البسيطة فى بسط الحجج ذات المغزى العميق (شعريات)، وتستحضر التقاليد الكونفوشية (ثقافة) وتسعى لإتقان النسق الأخلاقى والاجتماعى (أخلاق). كما كانت مدرسة "تونج - تشينج" تقف أيضاً موقف النقد من الدراسات النفعية (jingshi) التى فقدت حيويتها، بالإضافة إلى البحث البديهي الخنوع والبليد (kaozheng) الذى كان رائجاً بين الدارسين منذ مطلع الأسرة "القينجية". ولعل التنافس الأيدولوجى والسياسى ظاهر للعيان. وكان أقطاب مدرسة "تونج - تشينج" يعتقدون أن الدرس العلمى يرقى إلى ما هو أسمى من النزعة النفعية والدراسات التى تبدأ وتنتهى بالامتنال، إذ ينبغى للكتابة الجادة أن تكون مفعمة بمضمون دالٍ وأساليب رفيعة، على نحو ما هو الحال مع الأعمال البارعة التى عرفناها عن فترتى "تانج" Tang و"سونج" Song اللتين تملكتهما روح حية جياشة (من القرن السابع حتى الثالث عشر م.ع.م. (= من عصرنا المألوف) وهى الروح التى نستطيع أن نتبعها على طول الطريق حتى حقبة "هان" الأقدم عهداً وما قبلها.

تتضح هذه الأركان المؤسسية - بكل جلاء - فى إطار قائمة المراجع وإطار معلّمه، الأستاذ المرموق "وورولين" (Wu Rulin (1840-1903) الذى ينتمى لمدرسة "تونج - تشينج" الذى كان يدرّس فيما يوازى جامعة حديثة اليوم فى العاصمة الإمبراطورية، وقد استحسن "وو" نوق "يان" الأدبى، وأكّد فى المقدمة التى كتبها للترجمة التى قام بها "يان" لـ "هكسلى" ("يان" ١٩٩٨: ١-٣) أن الأسلوب الأدبى ينطوى على أهمية أساسية للحفاظ على جاذبية وديمومة المضمون، وأن أحسن أنواع الكتابة ينبغى أن يكون غنياً فى كل من المادة والشكل. وفى تلخيصه لتطور الشعرىات (= فنّيّات الشعر) فى الصين يلاحظ أن الكتابات الأصلية التى تقوم على العرض والبسط، تلك التى عرفتھا الفترة "الهانية" (= نسبة إلى أسرة "هان") وما قبلها هى الكتابات التى يمكن اعتبارها معتمدة canonical . ولقد شكّا من أن الكتاب المعاصرين لم يكن فى وسعهم سوى وضع مقالاتٍ مقولبة مخصصة لامتحانات السلك المدنى الإمبراطورى أو مستندات رسمية متحلقة أو قصص أدبية رخيصة، وكلها عبارة عن أعمال جامدة الشكل فارغة المضمون، كما شن "وو" هجوماً عارماً على المترجمين المعاصرين وترجماتهم الجافة الجاهزة الصنع، تلك التى يجدها المثقفون وأبناء الصفوة "ملائمة" لأنواقهم، وبالتالي فإنها تفشل فى بث أى تنوير فى المجتمع، ويرى "وو" أن "يان" وحده هو المؤهل لإنجاز هذه المهمة الملحة.

تسمح لنا ملاحظات "وو" هذه بتقييم الإستراتيجية الترجمة لـ "يان" التى تلجأ إلى نموذج ثانوى محافظ، وهو نموذج رفيع تمكّن من الاستمرار على قيد البقاء، مع أنه لم يفلت من نقد معاصريه، ونجح فى الفوز باستحسان المثقفين وحتى الصفوة "الماندارية" التى كانت تتميز بالمحافظة المتشددة. ولكن يبدو أن "وو" نفسه كان على وعى بعدم استقرار النسق الأدبى. فى المقدمة التى كتبها لترجمة "يان" لـ "عن التطور" Tianyanlun ، لاحظ بحذرٍ أن صحته وسلامته الأسلوبيتين قد تكونان عاليتين لدرجة شاهقة تحول دون كسب جمهورٍ متجددٍ وواسع، طالما كان اختيار "يان" لشعريّات ما قبل الفترة "الهانية" أشدّ بعداً من الشعريّات التى تنتمى للحركة الأدبية الكلاسيكية لكلٍ من أسرتى "تانج" و"سونج"، تلك الشعريّات التى تبنتها مدرسة "تونج - تشينج".

وبعد حركة الرابع من مايو/بشنس سنة ١٩١٩، انهارت الكلاسيكية الصينية رسمياً وسقطت "الكونفوشية" في الصين، وأصبحت النماذج الأدبية المعتمدة والكلاسيكية متأخرة - بخطوات واسعة وإلى حدٍ خطير - عن الاحتياجات المتغيرة للمجتمع الذي تتوجه إليه. وفي وسعنا أن نتفهم هذا العجز أيضاً في ضوء القصور الثقافي ذاته، وطالما تبدى عجز المؤسسات والتقاليد المحلية عن مقاومة تهديدٍ أجنبي، فإن الأشكال الأدبية الآخذة في الانقراض قد تستمر على قيد البقاء، ولكنها تُدفع - بكل قسوة - إلى الهامش حيث تواجه تنافساً متزايداً من جانب ثقافات فرعية شعبية وإن كانت دينامية مفعمة بالحيوية ("إيفين - زوهر ١٩٩٠: ١٧) ومع أن الفكر الغربي التجديدي الذي نقله "يان" قوبل بالترحيب، إلا أن شعرياته الثانوية في الأهمية أُدينت بصفقتها مهجورة ومستعصية على الفهم، وهكذا حققت ترجمات "يان" - في أحسن الأحوال - معتمدية جامدة *static canonicity* : صادفت النصوص القبول كمنتجاتٍ حاذقة وأدرجت في مجموعة من النصوص التي تحظى بالتكريم، مما كان النسق المستقبل حريصاً على الحفاظ عليها، إلا أن الذخيرة الجمالية التي نشدتها فشلت في التحول إلى مبدأ أدبي منتج.

٣ - مؤسسة وأيدولوجية

أخذ كثيرٌ من الباحثين في ميدان الترجمة مبادئ "يان" الثلاثة بمعناها الحرفي. و/سعوا إما إلى التوفيق بينها وبين أدائه في الميدان، أو انتقدوه لأنه لم يراعيها بصورة تتم عن الاتساق، ولقد صادفت معظم التقديرات في هذا الشأن عدداً من التناقضات.

يتمثل أحد هذه التناقضات حول العلاقة بين "المفهومية" (دا) وبين "الرشاقة" (يا) وتذهب الحجة إلى أن شعريات "يان" تبلغ من الرشاقة حداً يحول دون قاعدة عامة وبالتأكيد قاعدة متأخرة - من القراء - وبين فهمها، وتكمن المشكلة هنا في أن "يان" كان مقتنعاً بأن الالتزام برشاقة فنيات الشعر (= الشعريات)، هو الذي يكفل لونه سواء قبول القاعدة التي يستهدفها بترجماته، أعنى الصفوة "الماندارينية" بما تنطوي عليه من

ولاء بالغ للقيم الكلاسيكية المعتمدة. ومن هنا فلا ينبغي أن نقرأ "المفهومية" وكأنها تعنى رأساً اللغة المفهومة. وعضواً عن ذلك، فهي تعنى مدروكية أيديولوجية وسياسية إلى قاعدة منتقاة من القراء، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان استشهاد "يان" بالركن الكونفيوشي الذي يستلزم لغة رفيعة لضمان ديمومة التأثير. ولقد كان "يان" - دون شك - مصلحاً يسعى إلى التأثير في الصفوة "الماندارينية" التي كانت تملك وحدها القدرة على تغيير البلاد وتمكين الصين من استعادة الثقة بالنفس. ففي وقت كانت القوى الإمبريالية الغربية تهدد فيه وجود الصين ذاته، أي قدرتها على الاستمرار على قيد البقاء، كان "يان" أحد الأوائل الذين رأوا أن مصدر التفوق العسكري والاقتصادي والعلمي للغرب كامناً - في حقيقة الأمر - في تفكير الغربيين الذي يقوم على التجديد والتعليم الليبرالي، وهو التفكير الذي يتأسس بدوره على الحكومة الديمقراطية والرؤية التي تؤمن بالتطور. وكان "يان" متأثراً على وجه الخصوص بالداروينية الاجتماعية التي نادى بها "هربرت سبنسر" (١٨٢٠-١٩٠٣) فيلسوف إنجليزي دعا إلى نظرية التطور، وقال بأولوية الفرد على المجتمع والعلم على الدين. المترجم) وآمن بأن الصين في أمس الحاجة إلى القوة والاستتارة حتى تصبح مؤهلة لخوض الصراع الدولي في سبيل البقاء. ولعل هذا هو السبب الذي دعاه إلى ترجمة كتاب "هكسلي" المعنون بـ "التطور والأخلاق" شارحاً - خلال التثاقف وصياغة العبارة وإعادة صياغتها بكلماتٍ أخرى - فكر الفيلسوف الإنجليزي في التطور الاجتماعي. وقد أدرك "يان" - مثلما فعل كثيرون من معاصريه - الحاجة لـ "ترجمة" الأفكار الغربية التقدمية إلى ثروة وقوة للصين، وبدت له الترجمة كالوسيلة المقبولة الوحيدة للتصدي للصفوة الرجعية الشوفينية (= نزعة التعصب المقيت للعرق أو الجنوسة (نكر أو أنثى) أو القومية إلخ. المترجم) فالتفكير غير التقليدي يحظى بقبول أكبر في ميدان الترجمة أكثر من أي شكلٍ آخر من أشكال الكتابة الأصلية، وقد نجح "يان" في وضع "أجندته" السياسية الإصلاحية موضع التنفيذ بتغليب أفكاره المنافية للتقاليد السائدة - التي ما كانت لتحوز أي قبول لولا ذلك - في أعرافٍ أدبية ظاهرة المحافظة.

شرح "يان فو" في ترجمته للفيلسوف الإنجليزي عقب الهزيمة المهينة - بكل المقاييس - التي تجرعتها بلاده على أيدي اليابانيين في سنة ١٨٩٥ ، وفي نفس السنة نشر أربعة مقالات (= جمع مقال أى مفرد مذكر) في النقد السياسى فى صحيفة " Zhibao التي تصدر فى "تيانجين" Tianjin (ثالث أكبر مدن الصين وتقع فى شرق البلاد، واسمها يعنى "المعبر السماوى" المترجم) وهى المقالات التى أرسلت دوامات واسعة فى دوائر المثقفين، لكنها لم تؤثر فى النظام السياسى الحاكم، حيث كان الرجل يشغل وظيفة متواضعة كمدرّب فى البحرية، وكان قد التحق قبل أن يكمل العشرين من عمره بمدرسة البحرية التى توفر تعليماً غريباً مجانياً لأبناء غير القادرين، ولعل هذا هو السبب فى رسوبه المتكرر فى امتحانات السلك المدنى الإمبراطورى الأعلى فى الفترة من ١٨٨٥ حتى ١٨٩٣، وهو الأمر الذى حال دون انضمامه إلى فئة كبار الموظفين العموميين. ولم تكن دراسته الصينية المعقولة تماماً والغريبة الممتازة، بالإضافة لقسوة الجو التى يتعرّض لها فى أعالي البحار، كافية للتعويض عن وضعه الاجتماعى البائس، فكان باستمرار عرضة للزدرء من جانب الذين يتربعون فى دست السلطة، ولم يكن رئيسه المباشر "لى هونج - زهانج" (Li Hongzhang (1823-1901 سعيداً باتجاهه، أى اتجاه "يان" السياسى التقدمى ونقده الجسور. ويذهب "تشين فوكانج" (Chen Fukang (1992:125-6 إلى أن "يان" قرر الشروع فى مسيرته كمتّرجم بعد فشل عملية "المائة يوم الإصلاحية" التى أجهضت فى سنة ١٨٩٨، وهى العملية التى حاولت إطلاق سلسلة من الإصلاحات الدستورية والمؤسّساتية التقدمية، وعند هذه اللحظة فى التاريخ بدت الترجمة للرجل بمثابة اختيار "هوبزون" Hobson (= ريشموند بيرسون، ضابط أمريكى بحرى ١٨٧٠-١٩٣٧ المترجم) لتتوير الصفوة "الماندارينية"، حتى مع نقده لجهلها وشوفينييتها وقد حدد اتجاهه الوطنى ذاك فى مقدمته لـ "عن التطور" ("يان" ١٩٩٨ : ١٤-١٦)

وإذا ما عدنا إلى المسوغات التى ساقها "يان" لفنيات الشعر (= الشعرىات) المعهودة التى لجأ إليها، فإننا نجد أن القياس الذى رسمه بين الجدارة التى تحوزها الأعمال الفكرية الغربية وبين الكتابات السابقة على الفترة "الهانية" (= نسبة لأسرة "هان")

والاقتباسات التي استشهد بها من كتابات "كونفوشيوس" تأييداً لمبادئه الترجمية الثلاثة تدفع المرء إلى إعمال الفكر. فالقضية هنا قضية سياسية أكثر من كونها قضية فنيات شعر أو شعريات. فمن بين ما يُسمى "مائة مدرسة فكرية" كانت منتشرة في حقبة ما قبل "الهانية" لم تحافظ على استمرارها سوى حفنة وحسب بعد رحيل أسرة "هان"، كان أبرزها هي المدرسة "الكونفوشية". وكان الإمبراطور "وو" في أوائل أسرة "هان" قد أضفى على "الكونفوشية" الطابع المؤسساتي institutionalized ، كي تصبح بمثابة الشريعة التي تحكم كافة مناحي الحياة، وشكّلت الكلاسيكيات الكونفوشية الأساس التي تُوضع عليه الامتحانات التي تُعقد لمن يريدون الانضمام إلى السلك المدني الإمبراطوري، كما سيطرت على التعليم اللاحق إلى جانب الأخلاق وفنّيات الشعر. وهذا وضع عصيب لمشروع "يان": الطريق الوحيد إلى هدفه الكونفوشي في إدارة شئون البلاد والتوصل إلى بناء عالم يسوده السلام، ليس سوى الترجمة التي غدت بمثابة كل ما في متناول يده. ولكن إذا كانت "المفهومية" (= الدا) إحدى مهام المدروكية المؤسساتية أكثر من كونها مهمة للمدروكية السياقية والأسلوبية، أي أن "المفهومية" لا تعنى بحالٍ من الأحوال اللغة الصريحة (= الخالية من كل جماليات) فلا سبب - هناك - يدعو إلى وجوب أن تتعارض مع "الرشاقة" (= يا).

تحقق مشروع "يان" الأيدولوجي والمؤسساتي - فيما يبدو واضحاً - على أيدي "وو رولين"، الذي أكد في مقدمته لكتاب "يان" المعنون "عن التطور" أن العمل الأصلي ليس مجرد كتاب في العلم الطبيعي فقط بل أيضاً دليل حكم. ولقد حدس (= خمّن) "وو" الذي لم يكن يعرف أي لغة أخرى بخلاف لغته الأم: الصينية - بالإضافة إلى ذلك - بأن في وسعنا أن نقارن بين الأعمال الغربية الحديثة وتلك الكتابات التفسيرية الأصلية التي ترجع إلى أسرة "هان"، وبالتالي فهي تستأهل الترجمة، وأن قلم "يان" البليغ قد رفع العمل الذي كتبه "هكسلي" إلى مصاف الأعمال الكلاسيكية التي ترجع إلى ما قبل - أسرة "هان"، تلك الأعمال التي تتمتع بمنزلة سامية. ويتصل اتصالاً وثيقاً بهذا السياق أن "يان" طلب، فيما يبدو جلياً - من معلمه أن يكتب له مقدمة، وذلك لأن الرعاية التي كان سيضيفها عليه قطب المدرسة الأدبية المعروفة باسم "تونج - تشنج" سوف تكون

حاسمة في رفع منزلته كمترجم في كل من الدائرة الأدبية والسياسية على حد سواء.
(“وونج” Wong 1997: 52-54) .

أما فيما يخص التناقض الذي يضع “الأمانة” (= زين) في حالة صراع مع “الرشاقة” (= يا) فالاستدلال العقلي يقضى بأن الأمر لابد وأن يكون قد بدأ من المشكوك فيه أن تتمكن اللغة الغامضة العويصة والمحافظة من التعبير عن فكرٍ أجنبيٍّ خلال ترجمة دقيقة بدرجة جديدة. ولعلّ أحتج إزاء استدعاء “يان” للتراث الكونفيوشي في سبيل تسوية “الأمانة” (= إكسين) بأن معنى “إكسين” غير محدد، مثلما هو الحال مع كثير من التعبيرات الأخرى المألوفة في الكلاسيكيات الصينية، وينبع عدم التحدد هنا من الطابع المركّب (= المؤلف من أجزاء عديدة. المترجم) والمعتمد على الحصافة الموازية أو شبه الحصافة paratactic للغة الصينية، تلك التي تبنى العبارات الجديدة بصورة مريحة عن طريق تجوير juxtaposing (جعل مجاوراً) عناصر أو رموزاً لغوية واحدة المقطع monosyllabic أو قواعد نحوية موجودة - حسب منطق مستتر - يسمح بتحريكٍ نشطٍ لأجزاء الكلام وعلامات الترقيم. ومع هذه العملية تأتي جماليات تحبذ تجميعات معتقدة clustering ملتبسة المعاني، والتصوير غير المحدد والحدس التقييمي، وهو الأمر الذي يفتح مجالاً واسعاً للإبداع التأويلي. وعلى نحو ما أشرت من قبل، فرمز “إكسين” مأخوذ من كتاب التغيرات (I Ching)، وبالتحديد من مقدمة الرسم البياني، الذي اقترحه “قيان” Qian Diagram، فهو الأول بين رموز الحدس (= التخمين) الثمانية فالمقدمة تقول:

Xiu ci li qi cheng.suo yi ju ye ye

بينما ملاحظات المترجم حول Tian yanlun تقول:

Xiu ci li cheng

وهذه العبارة يترجمها “هسو” على هذا النحو:

(تعد “الأمانة” cheng أساس الكتابة xiu ci)

وهذا ما يعتبر في حد ذاته تفسيراً عادياً ومألوفاً تماماً. ولعل من الصعوبة بمكان أن نحدد دلالة بل ولا حتى البنية النحوية لهذه العبارة المقتبسة من "سفر التغيرات"، إلا أن ترجمة حرفية مجردة قد تجرى على هذا النحو: يَجْمَلُ = (xiu)، فن الأداء = (ci) يؤسس = (Li) بتاع الواحد (qi) الإخلاص (cheng)، مثل ذلك = (sue yi)، يعيش = (ju)، مشروع = (ye)، أداة وصل جملة = (ye)، وباجتماع كل من Xiu و ci يمكن أن نجد عندنا إما "عبارة فعلية" بمعنى "يرقى أداءه اللغوي" أو جملة إسمية بمعنى "البلاغة"، ويمكن - حسب أجرومية اللغة الصينية - أن تكون العلاقة بين عبارتي xiu ci و li qi cheng سببية، أي البلاغة/ترقية أداء المرء اللغوي كى يؤسس لإخلاصه، أو كى ينسُق، البلاغة/أن يرقى المرء أداءه اللغوي ويؤسس لإخلاصه". ولما كان "الليكسيمان" (Lex-emes) : Ju و ye فى وسعهما أن يقفا كفعالين أو اسمين فإن الاقتباس بأكمله يعنى حرفياً: "البلاغة/الارتقاء بالأداء اللغوي للمرء كى / يؤسس لإخلاص هذا المرء هو المفتاح للحياة والمغامرة". وعلاوة على ذلك أصبح هذا التعبير البسيط قابلاً - بعد نزعه من سياقه - للعديد من التأويلات على امتداد أزيد عن ألفى سنة من التفسير والتعليق التى تولدت، أى تلك التأويلات عن عهود ومدارس فكرية مختلفة.

يطرح الرابط بين cheng و Xin أى "الإخلاص" أوسع التأويلات قبولاً لـ cheng : "الإخلاص هو أساس الكتابة الراقية" أو "الكتابة الرفيعة والإخلاص كلاهما على جانب كبير من الأهمية"، أما بالنسبة لـ "ليكسيم": "xin" فهو يمكن أن يقف كفعل أو اسم وهو يعنى حرفياً: "صادق"، "ثقة" أو "أمين/نزيه"، وإذا كانت "cheng" تشكل العمود الفقرى لـ "xin"، فإن معنى ذلك أن "xin" تعنى بصفة أساسية: الكتابة المفعمة بالإخلاص مع صدق ونزاهة/أمانة القصد، أو "حسن الطوية" bona fide، وبعبارة أخرى ينبغى أن يتحلى النص المترجم بقصدٍ مخلص، ومضمون واقعى ومفيد (= مفعم بالمعنى) وهو الأمر الذى يعنى فى النسق الكونفيوشى أى شىء يؤدي إلى تثقيف الذات والحكم الصالح والانسجام مع النظام الكونى، وكان فى وسع "يان" أن يحقق هدفه المخلص فى التنوير القومى والإخلاص عن طريق ترجمة ذلك الجزء من المادة المتوفرة فى النصوص - المصدر الذى يساهم فى بناء صلاح الصين ورفاهيتها.

وإذا كان الـ "ليكسيم" xin : يعنى الهدف المخلص، إذن فإن الظروف تكون قد فرضت ضرورة نهوض استراتيجية ترجمة تسعى إلى التثاقف، وهو الأمر الذى لا يحتاج إلى الترجمة بتلك "الأمانة" المقلدة أو إعادة إنتاج النص الأصيل كاملاً على مستوى المضمون والشكل معاً، كما يذهب التفسير التقليدى لـ "xin" .

ينطبق ما قلناه حتى الآن على عنوان أول ترجمة قام بها "يان"، فالعنوان الذى وضعه "هكسلى" لكتابه وهو "التطور والأخلاق" أصبح عنده "Tianyanlun"، حيث tian تعنى "السماء والجنة والطبيعة أو النظام الكونى الأسمى"، و "yan" تعنى "التطور أو التغيير" و "lun" تعنى "النقاش"، وبعبارة أخرى "حول التطور (الطبيعى)" وفى الكتاب وقع اختيار "يان" على تلك الفقرات التى تتناول الانتخاب الطبيعى، واستخدام الفن (= القدرة البشرية. المترجم) فى استئناس قوى الطبيعة والبقاء للأصلح كى "يعيد كتابتها" بلغة صينية بليغة وجميلة عززها بالتعليقات والتفسيرات والمقارنات المفصلة، مع ما بدا على بعضها من تعسف. ومما لا شك فيه أنه كان يعتبر تلك الأفكار التى أفصح عنها صادقة، والأكثر ملاءمة للسياق الصينى والصفوة "الماندارينية"، ومن المرجح أنه شذب - لنفس السبب - الجزء الذى يعرض لأخلاق التطور، بصفته غير مفض إلى تقوية الذات والتنوير، وعلى نحو ما شرح "يان" نفسه فإن ترجمته:

تسعى إلى تقديم الفكر العميق للأصل، إلا أنها لا تتبع الترتيب الدقيق للكلمات والجمل فى النص الأصيل، لكنها تعيد الترتيب وتفصل ما قد يكون قد أجمل، ومع ذلك فهى لا تحرف الأفكار الأصلية. وحقيقة الأمر أنها عرض أكثر من كونها ترجمة نظراً لأنها تسعى إلى الشرح - بصورة غير تقليدية فى النقل. ("يان" ١٩٧٣ : ٤)

ويمضى "يان" - عاقداً مقارنة مع المترجم البوذى القديم "كوماراجييا" Kumarajiva (334-413) المعروف بترجماته الشعبية والمتثقفة acculturated - كى يحذر المترجمين الآخرين من اتخاذ نمودجه كمبرر لإخفقاتهم، وكتب فى ختام ملاحظاته يقول:

"يشبه نشدان الحقيقة عمل الحكومة، إذ إن كليهما يعلقان أهمية كبرى على المساهمة بالأفكار، وحيث يتفق أو يختلف هذا العمل الذى بين يدي القارئ مع غيره من

الكتب، ترانى أضع ما فى جعبتى - فى هذا الصدد - فى ملحق الكتاب كى يرجع إليه القارئ، كما ترانى أضمنُ آرائى الشخصية بين الحين والآخر بروح "البحث عن أصدقاء" فى Shih Ching أى (سفر الأغاني Book of Odes) و"التشجيع والعون المتبادلين" فى I ching، وما إذا كانت آرائى سديدة أم لا، فإننى أترك الحكم هنا للرأى العام، ولست أصر على العصمة من الخطأ، ولكن إذا اتهمنى أحد بأننى "فشار" وأننى سعيت فى سبيل "الجرسة" لشخصى، فإنه يكون قد أساء فهم مقصدى من وراء تحمل مشاق هائلة فى ترجمة هذا الكتاب". ("يان" ١٩٧٣: ٦ الحروف المائة فى الشطر الأخير من عندى "إيلزى تشان")

وإذا أمعنا النظر فى كلماته هذه إزاء إطار المجادلات التى ألمحنا إليها فى خطوطها الرئيسية فقط فيما سبق، فإن "مقصده" ينبغى أن يكون قد أصبح فى وضوح البلور: أن يُنتج - استناداً إلى كتب أجنبية - كتاباتٍ مثقفة ومخلصة للتأثير على قاعدة من صفوة القراء فى سبيل بعث صين قوية ترفل فى الرخاء، وهذا ما يحول دون التفسير التوجيهى (= الإرشادى) واللغوى لمبادئه الترجمية الثلاثة. ولا عجب هناك فى أن يحدد الترجمة المثالية من وجهة نظره على هذا النحو: إذا ما فهم المترجم بدقة واستوعب مجمل النص حق الاستيعاب، فإنه يكون عندئذٍ قادراً على إعادة كتابته بأفضل طريقة ممكنة ("يان" ١٩٧٣: ٥) ولقد تحقق هدفه المفعم بالإخلاص، ذلك الهدف الذى يقوم على الخلاص القومى عن طريق الترجمة، عندما استوعبت قاعدته المنتقاة من القراء وتفهمت إخلاصه، خلال فنيآت الشعر التى يمكن إدراكها والتثاقف الذى لا غنى عنه فى نقل الأفكار الأجنبية، التى ما كان لها أن تُنقل لولا تلك الوسائل التى وظفها خير توظيف فى هذا السبيل. ونستطيع أن نصوغ البناء النظرى لـ "يان" فى هذه المعادلة التالية (تقف فيها "ف" نظير "وظيفة كذا"):

"يا": ف (أدبية/مؤسسية/مدروكية) + "دا": ف (سياسية/أيولوجية/مدروكية)
<إكسين": ف (هدف مخلص)

لطالما قورنت إستراتيجية "يان" الترجمية وهدفه المخلص بتلك الإستراتيجيات والأهداف التي وضعها نُصب عينيه كلُّ من "لين شو" (Lin Shu (1852-1924) و"كانج يوى" (Kang Youwei(1858-1927) الباحث الرسمي الذي دعا إلى "إصلاح الأيام المائة" Hundred Days' Reform ، وقد عُرف الرجلان بأنهما أبرز مترجمين جادت بهما تلك الفترة (ورد ذكرهما عند "قيان" Qian 1979:91) ومع أن "لين" الذي عمل بالترجمة بعد وفاة زوجته، فلم يكن يتقن لغة أجنبية إتقاناً كاملاً، ولم يترجم سوى أعمالٍ أدبية، إلا أنه كان عضواً في مدرسة "تونج - تشينج" tongcheng - هو الآخر - ورسب أيضاً عدة مرات في امتحانات الترقى للرتب العليا للسلك المدني الإمبراطوري، وقد نجح في نقل انطباع عن الظروف الأدبية والثقافية والاجتماعية في العالم الغربي فيما ترجمه من الفن القصصي، وهو الأمر الذي شكّل عوناً لأبناء بلده الذين لا يعرفون سوى لغتهم الأم، والغارقين في شوفينيتهم الضيقة على أن يدركوا حقيقة أن هناك - في الواقع - ثقافاتٍ وأدابٍ متحضرة، وربما حتى "أصلح" في بقاعٍ أخرى من العالم، ولقد أشار "لورنس فينوتى" إلى أن هذين المترجمين كانا أيضاً حارسين للإمبراطور، ولكنهما عملاً - دون أن يتوقع ذلك أحد - على تآكل سلطة الثقافة الإمبراطورية ١٩٩٠ : (١٩٩٨) وكان ينبغي على "فينوتى" أن يشير أيضاً إلى أن هذين المترجمين المفعمين بالروح الوطنية - وخصوصاً "يان" رغبا في قيام ملكية دستورية - إلى جانب إصلاحاتٍ مؤسساتية أخرى في سبيل إنهاء الصين مرة أخرى، ولكنهما لم يريا أن الوقت حان للإطاحة بأسرة "قنج" Qing ، وإحلال حكومة جمهورية محلها.

غير أن التاريخ راوغ الأجنداث السياسية للمترجمين، فلقد ساهمت ترجماتهم - بصورة غير متوقعة - في الاختمار الثوري، وهذه نتيجة ما كانوا يتصورون حدوثها حتى في أشد أحلامهم شططاً، إذ جذبت الترجمات التي قام بها "لين" - وعلى وجهٍ خاصٍ - ترجمات "يان" - قاعدةً أوسع بكثير مما كان متوقعاً، ومن المفارقات أنها كانت أعمق تأثيراً داخل نطاق الجيل الأصغر الذي لا يتمتع بثقافة عالية تماماً، أولئك الذين دأب "يان" على التعالي عليهم، وقد تجسدت جاذبية "يان" - بصفة أساسية - في الأفكار المستوردة التي تعتمد على التجديد - من ناحية - وفي إصراره الدؤوب على ربطها

بالظروف المحلية من ناحية أخرى، ولقد أثرت ترجماته على المثقفين العاديين بصورة أعمق - بما لا يقاس - من أولئك الذين كانوا في سدة الحكم، وكانت أعماله ضمن العوامل التي قادت إلى الإطاحة بالملكية في سنة ١٩١١ وساهمت في إشعال الاحتجاج القومي الذي عُرف باسم احتجاج "الرابع من مايو/بشنس" في سنة ١٩١٩ ، وهو الأمر الذي شكّل قطيعة في نهاية المطاف مع المؤسسات القديمة والأدب والثقافة القديمين.

الهوامش

(١) للاطلاع على ملخص للآراء السابقة في نظريات "يان"، انظر Shen وانظر أيضاً "شانج" (Chang 2000) حول الدراسات الترجمة الراهنة في الصين.

(٢) في النسق المتعدد، وفي الذخيرة بالذات تتجلى المعتمدية canonicity بأكثر صورها تجسداً <...> ويتعين فهم هذه الذخيرة هنا باعتبارها "مجمول" (= جملة) القوانين والعناصر (سواء أكانت فرادى أو محزومة أو نماذج شاملة) التي تحكم إنتاج النصوص ("إيفين - زهر" ١٩٩٠: ١٧) وتوصف الذخيرة "مجمول القواعد والمواد التي تحكم كلاً من الصنع making والتناول handling ، أو الإنتاج والاستهلاك لأي منتج معين"، على أن استخداميته قد تخضع للتقييد والتحديد والتضبيب من جانب مؤسسة أو سوق ما (١٩٩٧: ١٦) وأرى أن مصطلح "الذخيرة" فضفاض للغاية فيما يتعلق بأغراض البحث، فقد يشمل الأعراف الأدبية والاتجاهات الأيدولوجية والتقاليد الثقافية، وسوف أحدد القواعد والعناصر ، حسب هذه الحالة أو تلك - وعلى سبيل المثال - أفضل مصطلح "الشعريات" Poetics (= فنيات الشعر من مجازات وتوريات وموسيقى وطلاوة إلخ. المترجم).

(٣) مع أن البعض قد يحتج بأن الذروة التي بلغتها ترجمة الأسفار البوذية في أواخر القرن السادس حتى التاسع م.ع.م. شهدت نهوض طبقة فريدة من الأدب البوذي، الأمر الذي يعد نوعاً أدبياً في حد ذاته، إلا أنني أجد نفسي مضطراً إلى التأكيد على أن النصوص البوذية المترجمة غدت محل "الأصول" ذاتها، ومنها انبثقت بعض الترجمات الزائفة، بل ومنها خرجت طوائف صينية مستقلة، وكانت تُعد بمثابة أدب قومي هامشي - وهذا واضح من الحقيقة التي تقول إنها لم تلق أي ذكر - أو ذكراً لا يكاد يذكر - في المجلدات التي كتبت عن تطور الأدب الصيني - إذ لم تشر إليها هذه المجلدات بأكثر من "أدب مترجم".

(٤) في سنة ١٩١٩ تفجرت حركة الرابع من "مايو/بشنس" الديمقراطية الوطنية بعد فشل مؤتمر "باريس" للسلام في إدانة العدوان الإقليمي والاقتصادي للقوى الغربية على الصين، وقد دعت الحركة إلى نبذ الهياكل الأدبية والأيدولوجية والسياسية والاجتماعية المتكسبة، وقد اعترف كثير من الكتاب في ذلك الوقت بالقدرة الكامنة للأدب المترجم في تشكيل لغة دارجة جديدة، وأدب جماهيري جديد، وفي تقديم أفكار تجديدية من الخارج، وبالتالي فإن التغيير الهادم، في المجال السياسي (من الملكية "القنجية" > = نسبة إلى أسرة Qing < إلى الحكومة الجمهورية في سنة ١٩١١) والمستوى الأيدولوجي (من المحافظة المحلية إلى السعى في سبيل العلم والديمقراطية) دفع الأدب المترجم من وضع هامشي إلى مرتبة مركزية في الأدب المحلي المتعدد النسق polysestern بعد ١٩١٩ .

الفصل الخامس الأنساق فى الترجمة

نموذج شامل للدراسات الترجمة الوصفية

جيريمى موندائى Jeremy Munday

خلاصة:

تقترح هذه الورقة نموذجاً قابلاً للنسخ والتكرار وفى نفس الوقت منهجياً لتحليل النصوص الأصلية وترجماتها داخل إطار الدراسات الترجمة، وهذا النموذج يمضى بعيداً عن النماذج اللغوية الجامدة (= الإستاتيكية) الأقدم عهداً ويجمع بين مفاهيم من اللغويات الوظيفية - المنهجية واللغويات الجسمورية والإطار الاجتماعى - الثقافى. ولعل نهجاً يتمتع بالمرونة إلى التحليل الوظيفى - الشامل الذى قال به "هاليداي" Halliday يجيز لنا تحليل الخيوط الثلاثة الرئيسية للمعنى فى النصوص الأصلية والمترجمة على حد سواء، واستخدام أدوات مستقاة من اللغويات الجسمورية يحل لنا مشكلة الإمداد والتموين التى تخص التعامل مع نصوص كاملة، طالما يمكّن حتى الباحثين غير المتمرسين من التعامل مع كميات ضخمة من المعطيات بصورة سريعة وعلى نحو يُعتمد عليه، والاكتشافات اللغوية تكتسب اتصالاً وثيقاً بالموضوع متى وضعت فى الإطار الثقافى - الاجتماعى للنصوص، ونجد تجسيداً لإعمال هذا النموذج فى الإشارة إلى ترجمات مقال كتبه الروائى الكومبىانى "جابريل جارسيا ماركيز".

١ - تخطيط عام للنموذج المقترح

يتبنى النموذج المقترح فى هذه الورقة النهج الذى نادى به "تورى" فى كتابه "الدراسات الترجمية الوصفية وما بعدها" **Descriptive Translation Studies and Beyond** (1995)، وهو الكتاب الذى يعد دراسة فى حد ذاتها تتصل بعض الاتصال بالتعدد - النسقى ونظرية الأنساق، وقد أثبت تأثيره العميق خلال السنوات الأخيرة. وفى هذه الدراسة يؤكد "تورى" على الحاجة الماسة إلى دراسات ترجمية لتخليق فرع وصفى منهجى سليم من النسق للحلول محل الدراسات الطليقة الموقف المعزولة التى غدت شائعة غاية فى الشيوع:

"ما ينقصنا ليس المحاولات المعزولة التى تعكس أفكاراً حدسية ممتازة، ولا استبصاراتٍ (= نظراتٍ ثاقبة) (وهو الأمر الذى لا تتأخر كثيراً من الدراسات الحالية فى عمله) ولكن ينقصنا فرعٌ منهجى يبدأ من افتراضات واضحة، ويكون مسلحاً بمنهجية وتكنيكاتٍ بحثية يجعلها الباحثون جلية غير ملتبسة قدر الإمكان، ومسوغاً داخل نطاق الدراسات الترجمية ذاتها، ففرع من هذا النوع هو وحده الذى يضمن أن تصبح الاكتشافات التى تتوصل إليها الدراسات الفردية قابلة للفحص على أساسٍ بين - ذاتى intersubjectival وقابلة للمقارنة، وأن تكون الدراسات نفسها قابلة للتكرار. (تورى ١٩٩٥: ٣)

يقترح "تورى" (pp.36-9) المنهجية الثلاثية المراحل الآتية للدراسات الوصفية النسقية، تلك التى تدمج توصيفاً للمنتج مع الدور الأوسع للنسق الثقافى - الاجتماعى:

(١) ضع النص داخل النسق الثقافى المستهدف، مع إمعان النظر فى مدروكيته.

(٢) قارن النص المصدر (ST) source text والنص المستهدف (TT) Target Text سعياً وراء قنص التغيرات التى حدثت، والتعرف على العلاقات بين "الزوجيات المقرونة" **coupled pairs** لفصوص **segment** النص المصدر وفصوص النص المستهدف.

(٢) حاول صوغ تعميمات حول مفهوم الترجمة الكامن لهذا الزوج من النصوص.

هناك خطوة إضافية مهمة تتمثل في إمكانية (والحقيقة ضرورة) تكرار المرحلتين (١) و(٢) لزوجيات أخرى من نفس النصوص في سبيل توسيع الجسمور وبناء فكرة/نبذة وصفية عن الترجمات، حسب النوع الأدبي genre والفترة الزمنية والمؤلف إلخ، وبهذه الطريقة تستطيع الأعراف التي تنتمي لكل نوع من أنواع الترجمة أن تتماثل مع الهدف النهائي، كلما أُجريت وقورنت دراسات وصفية أكثر، وهو الهدف الذي يتلخص في صوغ قوانين للأداء الترجمي بشكل عام.

ولكن المنطقة الأكثر إثارة للجدل - في منهجية "تورى" - هي المنطقة التي تأخذنا إليها الخطوة الثانية، وتتعلق بتقرير أى الفصوص من النص المصدر وذاك المستهدف، هي التي سنخضعها للفحص، وماهى العلاقات بينهما التي تتطلب منا عُدَّة يستشعر "تورى" (١٩٩٥: ٨٥) وجوب أن توفرها نظرية الترجمة، ومع ذلك فنظرية الترجمة لا تزال بعيدة عن التوصل إلى إجماع بشأن ما ينبغى أن تكون عليه تلك العُدَّة، طالما سقطت على جانب الطريق نماذج لغوية حازت فيما مضى نفوذاً واسعاً، مثل النموذجين اللذين قال بهما كلٌّ من "فيناي" و"داربيلنيه" Vinay and Darbelnet (١٩٨٥/٧٧) و"فان ليفين - تسفارت" (Van Leuven-Zwart ١٩٨٩، ١٩٩٠) فلقد عانى نموذج "فان ليفين - تسفارت" المقارن - الوصفى الذي يتكوّن من جزئين - مع أنه كان واعداً فى البداية - من مشاكل نمطية تتصل بالتصنيف العلمى، فهو معقّد بصورة صارخة - حيث يضم تصانيف للتغيير الترجمى (ما يصل إلى ٣٧) أى أنها تصل فى الكثرة حدّاً يستعصى معه على الباحث أن يتحقق من دقة تصنيفها أو يتمكّن من تكراره - أى ذلك التصنيف - وتخلق علاقة أوتوماتيكية بين التغييرات اللغوية والتغييرات التي تحدث عند مستويات أعلى من القصة والخطاب، نون اهتمام جادٍ بالتحليل النقدي المنبثق.

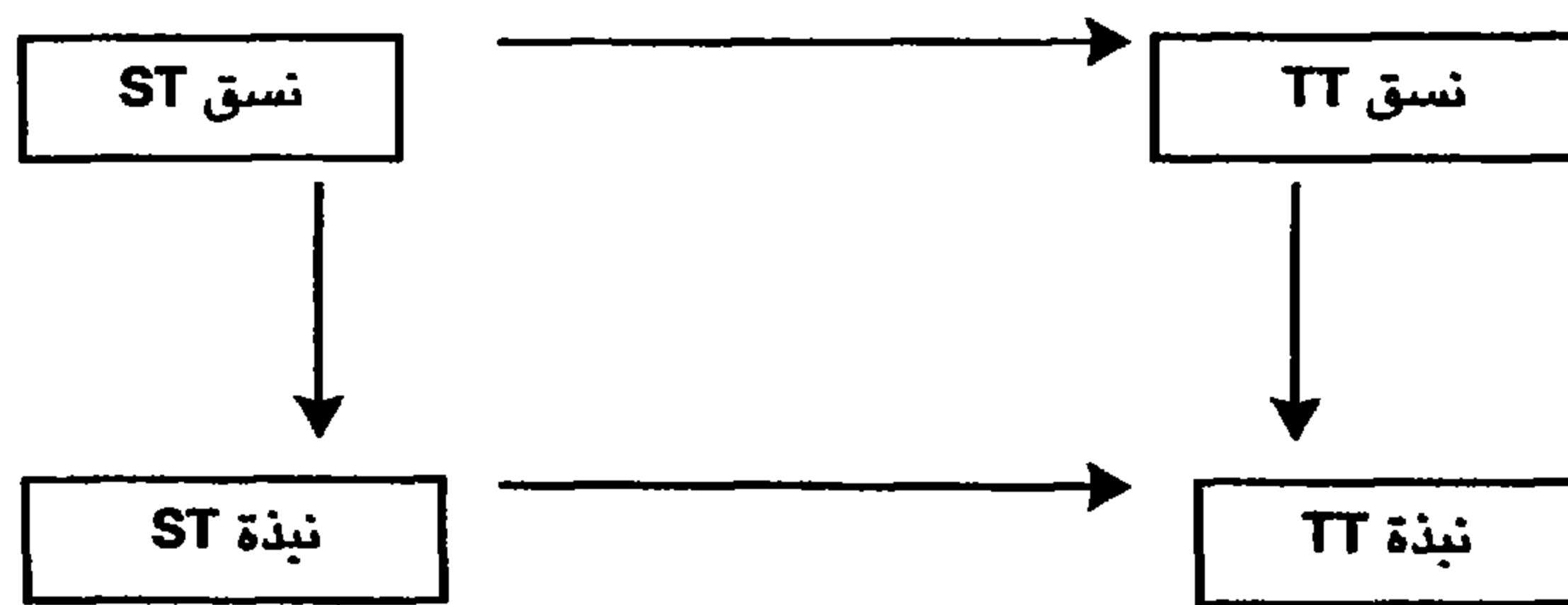
يقترح "تورى" (١٩٩٥: ٧٧) إنطلاقاً من استخدامه الأسبق (١٩٨٠) للمفهوم الثابت، وفى محاولة لإضافة الموضوعية إلى العملية، "رسم خريطة" للنص المستهدف TT على النص المصدر، كى نجد عندنا (لفرض خاص) "سلسلة من الزوجيات المقرونة".

وهذا نوع من المقارنة يعترف "تورى" نفسه بأنه ناقص بالضرورة، ويحتاج إلى الخضوع لـ "مراجعة مستمرة" (المرجع السابق) خلال عملية التحليل نفسها. وتكون النتيجة وجود وسيلة مرنة وغير توجيهية - ولو أنها أيضاً - أقل من منهجية بصورة صارمة، لمقارنة النصوص المصدر ST والنصوص المستهدفة TT وتبرهن على هذه المرونة الحقيقة التي تقول إن السمات المختلفة للنصوص يجرى فحصها فى دراسات حالة مختلفة. وبناء عليه ففى إحدى الدراسات ("تورى" ١٩٩٥: ١٤٨-٦٥) تكون إضافة القوافى وحذف فقرات فى ترجمة عبرية لقصة خيالية ألمانية من قصص الجنيات، وفى دراسة أخرى (pp.102-12) تكون العبارات المترابطة لشبه المترادفات (مثال: *able and talented, might and main*) فى الأدب المترجم إلى اللغة العبرية.

ومع ذلك، فمرونة هذا النهج متحققة عن طريق تكتيكات البحث التى لا تزال تفتقر إلى الوضوح الضرورى لتوصيفٍ يجب أن يكون موضوعياً وجديراً بالاعتماد عليه قدر المستطاع، ويتلخّص البديل لهذا المنهج الذى يُستخدم لغرضٍ خاص *ad hoc* فى نهجٍ يتمتع بـ "نخيرة من الملامح" الأكثر منهجية والموسّعة، مع أن ذلك يُعد - على وجه الاحتمال - "مجهداً ومملاً" ("هولمز" ١٩٨٨: ٨٠) وتتمثل أمثلة على هذه المحاولات المبذولة فى سبيل التوصل إلى مثل هذا النهج الموسّع فى نموذج تحليل السجل المقتبس الذى قال به "هاوس" House (١٩٧٧، ١٩٩٧)، والنموذج الوصفي الذى دعا إليه كلٌّ من "لامبرت" Lambert و"فان جورب" Van Gorp، ونموذج تحليل النص الذى نادى به "نورد" Nord (1991)، ومع ذلك فهذه النماذج لا تزال تتعزّر عندما تُواجه بمشكلة التعامل مع كم ضخم من النصوص، وهناك نقد إضافي يُوجه لنموذج "تورى" (انظر "هيرمانز" ١٩٩٦، ١٩٩٩: ٣٩-٤١) ويتعلّق بالادعاء الذى يقول إن الترجمات ليست سوى "حقائق" فى النسق المستهدف وحده، وعلى نحو ما أشرنا أعلاه، يبدأ "تورى" بوضع النص المستهدف TT فى سياقه الثقافى - الاجتماعى. ومع ذلك فليس هناك، فيما يبدو - أى سبب يدعو إلى تضييق البحث بهذه الطريقة، فالنص المصدر يشتغل بكل وضوح - أيضاً - فى سياقه الثقافى - الاجتماعى الخاص، وهذا أيضاً سوف يؤثر فى كليهما سواء أكانت ثقافة النص المستهدف هى التى اختارته للترجمة أم لا،

وكذلك الطريقة التي يُترجم خلالها، ويتأسس على ذلك ضرورة الاهتمام بالسياقات الثقافية – الاجتماعية لكل من النصين المصدر والمستهدف عند درس الترجمة.

توصف الورقة الحالية نموذجاً توصلت إليه داخل إطار نهج "تورى" الوصفى، ولكنه يقترح وسيلة لتحليل زوجيات النص المصدر/ النص المستهدف، وهي وسيلة قابلة للتكرار ومنهجية ومحددة، كما تُسلك وتُقارن النصين داخل نطاق سياقهما الثقافى – الاجتماعى الخاص. وإذا ما نجح هذا النموذج، فلسوف ييسر عملية استخلاص القرارات (التي اقترحها "تورى") التي تُتخذ خلال الترجمة و"الأعراف" الترجمية التي كانت تعمل عملها، وسوف يكون هذا النموذج قابلاً للتكرار، الأمر الذى سيمكّن من إجراء مزيد من الدراسات فى المستقبل لاختبار صحة الفرضيات، والنموذج المقترح يختبر أربع مناطق مترابطة فيما بينها (شكل رقم ١) فالنص المصدر واقع داخل نسقه الثقافى ومقارنٌ بدور النص المستهدف واستقباله فى نسقه المناظر، وهناك فكرة/نبذة تعقب نهج "نخيرة الملامح" الموسّعة، وإن كانت مرنة كذلك، وهذه تُقارن بالفكرة/النبذة المناظرة للنص المستهدف، وبهذه الطريقة نستطيع التعرف على التغيرات اللغوية وعندئذٍ تُبذل محاولة فى سبيل قياس تأثيرهما – أى النصين – على المستوى الثقافى.



شكل رقم ١ أربع مناطق للتحليل.

يجمع الأعمال اللفظي لهذا النموذج، الأفكار والأصوات من (١) اللغويات الوظيفية الشاملة و(٢) اللغويات الجسمورية مع (٣) تحليل السياق الثقافي. ويمكننا تفصيل درجات القيمة الخاصة والمتصلة بالموضوع على النحو التالي:

(١) اللغويات الوظيفية الشاملة: النحو الوظيفي الشامل (SFG) Systemic functional grammar، وهو الطريق الجديد الذي فتحه الرائد "مايكل هاليداي" Michael Halliday (انظر مثلاً "هاليداي" ١٩٧٠، ١٩٨٥/٩٤)، يشمل التحليل المنهجي التفصيلي الذي يتناول الخيوط الثلاثة المترابطة، كل خيط بالآخر للدلالة في هذا النص أو ذاك. (١) وتسمى هذه الخيوط الثلاثة "الوظائف" "الما - بعدية" metafunctions، وهي "الأفكارية" ideational وال"بين - شخصية" interpersonal و"النصوصية" textual، وهذه ترتبط بالتحقق اللغوية المختلفة أو "النحوية - المعجمية" في هذا النص أو ذاك.

● الوظيفة الما - بعدية الأفكارية تقيد على وجه العموم "معنى التقديم"، وهو ما يُطلق عليه في الغالب "مضمون" ("هاليداي" ١٩٩٤: ١٠٩). ويصرف النظر عن الأهمية الواضحة للمكوّن الإشاري للمفردات المعجمية المختارة، فإن التحقق النحوي - المعجمي لهذه الوظيفة هو نظام "التعدية" (عكس اللزومية بالنسبة للأفعال. المترجم): العملية التي يصفها الفعل، والمشاركات في العملية والظروف المرتبطة بالعملية - على سبيل المثال - مجموعة ظرفية adverbial group أو جملة من جار ومجرور

● الوظيفة البين - شخصية وتشمل المعنى بوصفه "تبادل" ("هاليداي" ١٩٩٤: ٦٨) سواء للسلع أو الخدمات أو المعلومات، ونراها تتحقق في اللغة الإنجليزية - قبل أي شيء آخر - عن طريق "الكيفية" Modality التي يمكننا تعريفها باعتبارها "حكم القائل على مدى الاحتمال أو الإلزام، الذي ينطوي عليه قوله" ("هاليداي" ص ٧٥) فخلال التعبير عن الإلزام أو الاحتمال أو الاعتقاد أو التعنى، وتسمح "الكيفية" - بمعناها كمصطلح - للكاتب أو المتحدث أن يشير إلى رأيه بدرجة عالية من الدقة، وعلى نحو ما يؤكد "سيمسون" (1993) Simpson، ففي الأدب ترتبط بصورة وثيقة تماماً بتطور وجهة نظر السرد.

● تتناول الوظيفة النصوية المعنى بصفته "رسالة" ("هاليداي" ١٩٩٤: ٢٧)، أى تنظيم وتركيب العبارة والنص وتحقيق، أى تلك الوظيفة خلال التركيب "التيماى" (مصدر صناعى من "تيمه" المترجم) (ترتيب العناصر فى هذه العبارة أو تلك والطريقة التى تُركب بها المعلومة) وخلال أنماط الترابط cohesion (بما فى ذلك استعمال المدلولات "جمع مدلول" والضمائر، بالإضافة إلى التنسيق collocation وتكرار الكلمات والترادف والعطف، على سبيل المثال لا الحصر).

ونظراً للروابط الوطيدة بين الأنماط النحوية - المعجمية والوظائف الما-بعدية، ينبغى أن يكون ممكناً، عن طريق تحليل أنماط "التعدية" و"الكيفية" و"التركيب التيمائى" و"الترابط" - فى نص مصدر ST ونص مستهدف TT - أن نرى الكيفية التى تعمل خلالها الوظائف الما - بعدية، وخلال إتباع إجراءٍ مشابه فى كلٍ من النص - المصدر ST والنص المستهدف TT ومقارنة الأنماط فى النصين، فإن أى تغيير على مستوى الوظائف الما-بعدية ينبغى أن يصبح واضحاً، وهذا النهج يصلح تماماً لتحليل التغييرات الترجمية وعمليات اتخاذ القرار من جانب المترجم، وحقيقة الأمر أن هذا النهج أثر - بقوة - على الدراسات الترجمية التى أجراها باحثون مثل "بيكر" Baker (1992) و"حاتم" و"ماسون" (١٩٩٠، ١٩٩٧) و"تايلور" (١٩٩٠).

مع أن التحليل الموجّه بالنحو الوظيفى الشامل SFG استُخدم فى دراساتٍ أخرى، إلا أن الحقيقة لا تزال قائمة بشأن وجود نقص فى دراسات منهجية لأعمال الترجمة المنشورة الكاملة (عوضاً عن فقرات مبتسرة ومنعزلة هنا وهناك) ويرجع السبب فى ذلك بصفة رئيسية إلى مشكلة الإمداد والتمويل التى يضعها التحليل المفصل لنص مطوّل، ويرى النموذج الحالى أن فى طوعنا أن نتغلّب على ذلك باستخدام أدوات من اللغويات الجسمورية لتحليل النسخ المحفوظة إلكترونياً للنصوص رهن الفحص.^(٢)

(٢) اللغويات الجسمورية Corpus Linguistics : أخذت الأدوات المستخدمة فى اللغويات الجسمورية تغزو متاحة بصورة متزايدة للباحثين، وهو الأمر الذى أصبح يمكّنهم من الوصول بصورة سريعة إلى المواد اللغوية، ويغضى نوع المعلومات التى

أصبح في الإمكان الوصول إليها معاجم شاشاتية *on-screen concordances* عن طريق كلمة "ابحث" Search أو أى كلمة أخرى شبيهة، بما في ذلك نصوص كاملة (عدد الرموز) وعدد الأشكال المختلفة للكلمات ("أنماط")، ونسب الأنماط - الرموز (تلك التي تعطى مؤشراً على مدى التنوع اللغوي) وقوائم الكلمات المتواترة أو المتكررة وهكذا (انظر "سينكلير" Sinclair 1992 و"بيكر" ١٩٩٥ لمزيد من التفاصيل حول الإمكانيات المتوفرة). وتضع هذه الأدوات في أيدينا ميزتين مهمتين، فبوسعها أن تكشف لنا عن ظواهر قد تغيب عن انتباه الباحث الذي يجرى تحليلاً يدوياً (= نون اللجوء إلى تقنية الكمبيوتر مثلاً)، نظراً لتوزعها على امتداد نص مطول، وإلى جانب ذلك تسرع هذه الأدوات من عملية التحليل ذاتها وتجعلها أكثر معتمدية (= جدارة بالوثوق) بما لا يقاس (يمكن استدعاء كافة الحالات التي ينطبق عليها مصطلح ما في بحر ثوانٍ)، وهذا يحزر الباحث في سبيل التركيز على التحليل المكثف للظواهر الكامنة في السياق اللغوي المباشر، وبناء عليه ففي تحليل تفصيلي بمساعدة الكمبيوتر للقصص القصيرة ("مونداي" ١٩٩٧) طلب الباحث من الكمبيوتر أن يعطى قائمة بالكلمات لكل نص، وهي القوائم التي طُرحت لصيد تحقيقات الوظائف الما - بعدية (مثلاً كل فعلٍ أو أى شكل لعملية في حالة تحقيقات الوظائف الما - بعدية الأفكارية) تلك التي استُدعيت وقت ذاك على شاشة الكمبيوتر و"شُيكت" (= رُوِجت) على الترجمة التي لجأت إلى الشكل "الزوجي" الذي يقوم على إدراج سطور النص المترجم (= المستهدف TT) بين سطور النص الأصلي (= المصدر ST) سطرًا بسطر، وتتوفر في هذا الصدد العديد من البرمجيات التي تستطيع أن تقوم بهذه العملية، ربما يكون أوسعها انتشاراً وأقربها منالاً على أساس الاستعمال الودي (= نظير مبالغ زهيدة أو بدون. المترجم) هو برنامج "وردزسميث" Wordssmith .

وبناء عليه فالمرحلتان الأوليتان من وظيفة النموذج هما كما يلي: فكرة/نبذة يمكن بناؤها عن طريق تعيين التغيرات بصورة منهجية، باستخدام نموذج "النحو الوظيفي الشامل" SFG ، وقد سُوِّدَ بأنواتٍ منتزعة من اللغويات الجسمورية، وبهذه الطريقة يمكننا تعيين أنماط التغيرات على طول هذا النص أو ذاك والأعراف التي تبناها المترجم (سواء بوعي أو بونه) وهذا تطوُّر في غاية الأهمية على وجه الاحتمال.

ثم، عن طريق (٣) وضع النتائج في سياقات ثقافية-اجتماعية وسياسية ونشرية" أوسع، قد يكون في الإمكان تعيين العوامل الأخرى - بخلاف تلك اللغوية البحتة - التي تحرك التغييرات، وفي هذا الصدد نستشعر فائدة "النحو الوظيفي الشامل" في الربط - بصورة منهجية - بين الاختيارات اللغوية والسياق الثقافي - الاجتماعي، وعلى سبيل المثال "تحقق" الأنماط النحوية - المعجمية الوظائف الما - بعدية، التي تحددها البيئة المباشرة للنص (أى ما يُعرف باسم "سياق الموقف"، والمجال والفحوى أو العلاقة بين الكاتب والقارئ وطريقة أو شكل التوصيل) والمعروف أن "سياق الموقف" يجرى تنسيقه بما يسمى "السياق الثقافي"، وهو ما يعد النسيج الأعلى وأيدولوجية النسق الاجتماعي والنوع اللغوي Language genre الذي ينتمى إليه أى نصٍ محدد (Halliday 1978: 189) .

يتمثل الهدف الرئيسى لهذه الورقة فى أن أقترح - على هذا النحو - منهجية للدراسات الوصفية تكون قابلة للتكرار، وسوف تعطى الأجزاء التالية من الورقة مؤشراً على النموذج المقترح فى هذا الشأن عند التطبيق، والنصوص المستعملة فى هذا التصوير الايضاحى هى الترجمات الإنجليزية لمقال كتبه الكاتب/الروائى الكولومبىانى "جابريل جارسيا ماركيز" حول قضية الصبى الكوبى "إليان جونزاليز" . Elián González

٢ - النموذج فى التطبيق: قصة إليان جونزاليز

احتلت أخبار الصبى الكوبى الذى لا يزيد عمره عن ست سنوات العناوين الرئيسية فى أواخر ١٩٩٩، عندما اصطحبت والدته وصديقها فى قارب صغير فى محاولة لم تكلل بالنجاح للهروب من كوبا إلى سواحل "فلوريدا"، وحدث أن انقلبت العبارة وغرقت الأم، ولكن البحرية الأمريكية انتشلت الصبى من أمواج البحر الكاريبى، كى لا يدُخِر وقتاً قبل أن يُصبح موضوعاً للعبة "شد حبل" بين أقاربه فى "ميامى" عاصمة ولاية "فلوريدا" الأمريكية ووالده فى العاصمة الكوبية "هافانا"، الذى أصر على عودة الصبى إلى أحضانه. وقد سيطرت تشعبات المواجهة بين الأُم

الإنسانى والنظم السياسية على وسائل الإعلام حول العالم مع مطلع سنة ٢٠٠٠ ، وهذا هو السياق الذى كتب فيه "جارسيا ماركيز" - وهو مناصر قوى لـ "فيدل كاسترو" عمودا فى صفحتين عن القصة، بعنوان "غريق فى اليابسة" *Náufrago en tierra firme* ، وهو المقال الذى نُشر - أول ما نُشر - فى صحيفة "الشبيبة الثورية" *Juventud Rebelde* ، الناطقة بلسان الحزب الشيوعى الكوبى، ثم أُعيد نشره فى وقتٍ لاحقٍ على نطاقٍ ما من المنافذ الإعلامية، من بينها صحيفة "البائيس" *EL Pais* يوم ١٩ مارس/برمهات ٢٠٠٠ وقد ظهرت له ترجمات عديدة إلى اللغة الإنجليزية من بينها: صحيفة الـ "جارديان" البريطانية التى نشرته تحت هذا العنوان "مزمق فى الولايات المتحدة" يوم ٢٥ مارس/برمهات، وعنوانه الـ "نيويورك تايمز" بعنوان "غريق فى اليابسة" يوم ٢٩ مارس/برمهات وعادت المجموعة الكوبية *Granma International* كى تنشر له ترجمة إنجليزية أخرى يوم ٢١ مارس/برمهات، وهى الترجمة التى وضعت على شبكة الإنترنت (= الشبوكة) .

١-٢ : موضع النصوص داخل السياق الثقافى - الاجتماعى

نستطيع من فورنا أن نرى الاختلاف بين الـ ST و TT فى الطرق التى قُدمت بها القصة فى المصادر المختلفة التى حوتها، وهذا واضح على وجه الخصوص فى الصور الفوتوغرافية التى وقع عليها الاختيار لمصاحبة النص بهدف تصويره: بينما نشرت "البائيس"، على سبيل المثال (١) صورة الصبى مع جدتيه عند زيارتهما له فى "ميامى"، (٢) و"فيدل كاسترو" خلال لقائه لـ "خوان ميغيل" والد الصبى "إليان" فى "هافانا"، و(٣) آلاف الكوبيين يتظاهرون فى العاصمة الكوبية تأييداً لعودة الصبى إلى والده، أما الـ "جارديان" البريطانية فنشرت صورة أقل من عادية للأب وقد عقد ذراعيه على صدره، ووصفته بأنه أحد "أطراف" النزاع، أما الطرف الآخر فلقد صورته عن طريق متظاهرين فى "ميامى" يلوحون بلافتة، ويطالبون ببقاء الصبى فى الولايات المتحدة. وقد يمكننا أن نعزى التعارض بين اختيار صور المظاهرات

إلى سهولة الوصول إلى المجتمعين المختلفين على المستوى اللغوي، إلا أن لهذا التعارض - بكل تأكيد - تأثير على تركيز انتباه القارئ على منظور أحد جانبي الجدل في القضية، ومع ذلك فلقد طبعت الصحيفتان صورتين فوتوغرافيتين متشابهتين للصبي "إيليان" الذي وقف حائراً خلف سور من السلك الشائك، وطرحت "الجارديان" السؤال "وقد انحسر في الوسط <...> هل سيُسمح لـ "إيليان" بالعودة إلى والده في وطنه كوبا؟

يضع استخدام صور توضيحية مختلفة هذين النصين في إطارين مختلفين يرتبطان كلاهما بالسياقين الثقافيين الأيدولوجيين اللذين نُشر فيهما النصان. فالسياق الأسباني يندمج بصورة أكبر في المنظور، أما عنوان الـ "جارديان" الرئيسي "ممزق في الولايات المتحدة" فيلعب على تحفة "بروس اسبرنجستين" Bruce Springsteen التي أثارت جدلاً واسعاً في ثمانينات القرن الماضي وكان قد عنونها باسم "مولود في الولايات المتحدة" Born in US فيشير إلى أن تركيز الصحيفة منصبٌ على الجوانب العاطفية والإنسانية للمعركة على الصبي، كما يعطى خلفية إضافية للقصة ("محنة الصبي الكوبي الذي حملته الأمواج إلى شاطئ "فلوريدا" <...> "استمرار المعركة في سبيل حضانة الصبي")، وهذه معلومات من المتوقع ألا تكون غائبة عن القارئ الإسباني، وكلا النصين يقدمان بصفتيهما كتابة أصلية (= غير مترجمة) فالنص الإنجليزي ينشر اسم "جارسيا ماركيز" ببنت عريض كجزء من العنوان ويهمل الإشارة في أي موضع إلى أن النص مترجم.

ولكن الحال مختلف - على وجه التأكيد - مع النصين الآخرين المستهدفين، فترجمة الـ "نيويورك تايمز" تحمل اسم "إيديث جروسمان"، التي اشتهرت كمترجم لروايات "جارسيا ماركيز" منذ سنة ١٩٨٥، وتؤكد على منزلة "ماركيز" كحاصلٍ على جائزة "نوبل" في الأدب. أما الطبعة الرقمية للدورية الكوبية Gramna International Digital Edition فتقدم النص بهذه العبارة الهادئة والمتحفظة (الكاتب الكولومبياني

"جابريل جارسيا ماركيز" كتب هذا المقال في "هافانا"، وقد نُشر في العديد من الصحف الأمريكية - اللاتينية والإسبانية)، ولكنها تمنح قراءها الحق في نسخه سعيًا - على ما يبدو - وراء كسب أوسع نطاق للذيع والانتشار للقضية الكويتية، وتدعو القراء إلى إرسال آرائهم عن طريق البريد الإلكتروني، وقد يكون لهذا التقديم المختلف للنصوص صلة أو أخرى بالأهداف الأيدولوجية التي تقف وراء النشر. وسوف يحاول التحليل التالي أن يتعرف على التغييرات اللغوية التي تحدث داخل هذا الإطار.

٢ - ٢ - إحصائيات متعلقة بالنصوص بالاستعانة بالكمبيوتر

	ST	Granma TT (Gln)	Guardian TT (Gd)	NY Times TT (NYT)
word count (tokens)	3146	2998	2396	1621
different words (types)	1097	1059	866	621
type-token ratio	34.87	35.32	38.16	38.31
average sentence length in words	28.34	24.37	21.59	20.26

جدول ١ : إحصائيات الكلمات والجمل في النصين المصدر ST والمستهدف TT

لعل أشد الاكتشافات لفتًا للنظر في هذا الجدول يدور حول عدد الكلمات في النصوص المختلفة، ففي كل الحالات نجد أن النص المصدر ST أطول من النص المستهدف TT، وهو الأمر الذي يتعارض مع التفكير التقليدي (مثال : Vinay and Dar- 1958/1977:185) ، ذلك التفكير الذي يرتأى أن النص المستهدف TT يميل إلى أن يكون أطول من نظيره المصدر ST من جراء الرغبة في الشرح والتوضيح. ومع ذلك

فالاختلافات في جدول رقم (١) تتجاوز مجرد التوضيح أو التكتيف. هناك أيضاً اختلافات هائلة بين النصوص المستهدفة المختلفة : يزيد نص الدورية الكوبية Granma International ستمائة كلمة عن نص "الجارديان" المستهدف، وبما يصل إلى الضعف أو يكاد، عند مقارنته بالنص المستهدف لـ "نيويورك تايمز"، وسوف يشير لنا تحليل عن قرب للنصوص الفعلية في قسم ٢-٣-٢ إلى ما حدث.

تسلط الإحصائيات - التي تتعلق بطول الجمل - الضوء على أن نصي الـ "نيويورك تايمز" والـ "جارديان" يقفان متفردين، نظراً لأنهما يملكان أقصر متوسط طول جملة (٢٦:٢٠، ٢١:٥٩ كلمة على التوالي بالمقارنة مع ٢٤: ٣٧ في الدورية الكوبية Granma International و٢٨: ٢٤ في النص المصدر) ومن الملاحظ أن كتابات "ماركيز" تعتمد على الجمل الطويلة بصورة مفرطة، (انظر Munday 1997: 187) وسوف نعود لمناقشة التغيير في الترجمة في قسم ٢-٣-٢

ومن المعروف منذ مدة طويلة أن نسبة الرموز إلى الأنماط - وهي تعد بمثابة مؤشر على تنوع المفردات المعجمية في النص - تختلف حسب طول النص (Jones 1991: 18) وفي جدول رقم (١) لن يكون من المفيد، إلا أن نقارن - فقط - هذه النسب التي تخص النص المصدر ST ونص الدورية الكوبية المذكورة عالياً، التي لم تجر سوى حذف طفيف من النص، فالنسبة بين الأنماط وبين الرموز متشابهة إلى حد كبير.

	ST			Gla TT			Gd TT			NYT TT		
1	de (of)	184	5.85	the	205	6.84	the	165	6.89	the	91	5.61
2	la (the)	106	3.37	to	85	2.84	to	70	2.92	and	48	2.96
3	que (that)	106	3.37	of	84	2.80	and	61	2.55	to	46	2.84
4	el (the)	101	3.21	and	78	2.60	a	51	2.13	in	41	2.53
5	a (to)	86	2.73	a	77	2.57	in	49	2.05	a	35	2.16
6	y (and)	77	2.45	in	68	2.37	of	47	1.96	of	33	2.04
7	en (in/ on)	71	2.26	that	55	1.83	his	37	1.54	his	32	1.97
8	los (the)	59	1.88	his	44	1.47	Elián	34	1.42	was	27	1.67
9	para (for)	50	1.59	was	39	1.3	had	34	1.42	on	24	1.48
10	con (with)	44	1.40	on	36	1.2	that	33	1.38	had	22	1.36
11	un (a)	38	1.21	with	34	1.13	was	28	1.17	for	19	1.17
12	se (refle xive)	37	1.18	for	29	.97	for	25	1.04	Elián	18	1.11
13	su (his/ her/ their)	37	1.18	Elián	28	.93	he	25	1.04	he	18	1.11
14	por (for)	33	1.05	had	28	.93	they	23	.96	with	18	1.11
15	lo (it/ him)	31	.99	he	27	.90	Juan	21	.88	Juan	17	1.05
16	no (no)	30	.95	it	24	.80	on	21	.88	Mig -uel	16	.99
17	una (a)	27	.86	as	23	.77	Mig -uel	20	.83	they	16	.99
18	Elián	25	.79	they	23	.77	with	20	.83	at	15	.93
19	ni (nor)	25	.79	is	22	.73	us	19	.79	that	15	.93
20	o (or)	24	.76	be	21	.70	but	16	.67	but	14	.86

Table 2 Word frequency statistics for ST and TTs

يتضح لنا أن الإحصائيات التي نستقيها من تقنية الكمبيوتر تسلط الضوء على مناطق قد تستحق منا تحليلاً نقدياً مكثفاً، وهذا هو الحال - على وجه الخصوص - مع قوائم تردد (= تكرار) الكلمات، ويوفر لنا الجدول رقم ٢ قائمة بالكلمات العشرين الأكثر تردداً في كل نص على حدة. وإلى يمين هذه الكلمات نجد عدد المرات التي وردت فيها في النص والنسبة التي يُشكّلها هذا الورد إلى مجموع الكلمات في النص، كما نجد المقابل الإنجليزي النموذجي للكلمات الإسبانية بين قوسين، وبناء عليه فإن كلمة de (غالباً بمعنى of الإنجليزية) أي "بتاع" (= أداة الملكية في المصرية الحديثة في ضوء تحليليتها، بينما لا يوجد مقابل لها في العربية في ظل تركيبيتها. المترجم) هي أكثر الكلمات شيوعاً في النص المصدر، فهي ترد ١٨٤ مرة وتمثل نسبة تصل إلى ٥,٨٥ ٪ من مجمل عدد أشكال الكلمات في النص المصدر.

ومعظم أشكال - الكلمات الشائعة هذه مثل de ، the سوف تكون الأكثر شيوعاً في نص سواء في الإسبانية أو الإنجليزية، ولعلها أكثر تشويقاً تلك الترددات (= التكرارات) المقارنة التي يمكننا متابعتها عن طريق الفحص عن قرب للأمثلة المعنية، وقد يكون في الإمكان أيضاً مد نطاق الدراسة بصورة ملحوظة حتى نعاين أشكالاً متعددة للغاية للكلمات المختلفة، ونظراً لضيق المساحة، فلسوف أقتصر على مثالين اثنين فقط، يتمثل المثال الأول في أن تردد اسم "إليان" - في ضوء النسبة المئوية - أكثر بمراحل كبيرة في نص الـ "جاردان" المستهدف TT ، بالمقارنة بالنص المصدر ST أو النصوص المستهدفة TT الأخرى، والمعروف أن دلالات اسم العلم (=اسم الشخص) مهمة في ترابط/تماسك cohesion النص، وبالتالي فإننى سأرجئ فحصي لهذا الاختلاف إلى قسم ٢-٣-٢ الذى سأفرده لترابط النص والوظيفة الما - بعدية meta-function له أى للنص. أما المثال الثانى فى دور حول كلمة that الإنجليزية، وهى الكلمة الأكثر شيوعاً فى النص المستهدف TT للدورية الكويتية Granma international . حقاً يتنبأ البعض أحياناً حول كلمة that (مثال: "بيكر" ١٩٩٥: ٢٣٦) بأن الاستخدام المفرط للضمير الموصول that يعد خاصية من خصائص الترجمة إلى الإنجليزية عن لغات مثل الإسبانية يستحيل فيها حذف ضمير الموصول المقابل que (دون تهديد الدلالة

المقصودة. المترجم) مثلما نستطيع ذلك في اللغة الإنجليزية (التي تجيز حذفه دون خدش المعنى المراد. المترجم)، ويلفت التحليل الذي يستعين بتقنية الكمبيوتر الأنظار إلى الترددات المختلفة ثم يوفر إمكانية رصد كل الحالات وفحصها على وجه السرعة على شاشة الكمبيوتر.

ويكشف تحليل أمثلتنا أننا لا نستطيع إهمال أكثر من أربع حالات وردت فيها *that* بسبب وظيفتها النحوية هنا كـ "ضمير إشارة" (demonstrative pronoun: *that Friday*) ومن الحالات الأخرى نجد النص المستهدف TT للدورية الكوبية Granma International يقتفى في العديد منها عن قرب تركيب النص المصدر ST ويضمن كلمة *that* والمثال رقم ١ عبارة عن تعليق صدر عن والد "إليان" حول التدخل والتشويش عندما اتصل بابنه:

1a. *A veces le hablan a gritos al niño mientras conversamos, suben al máximo el volumen de los dibujos animados en la televisión o le ponen un caramelo en la boca para que no se le entienda lo que dice.*

1b. *Sometimes they talk to the boy in loud voices while we 're having a conversation, they turn up the volume of the cartoons on the television as high as possible ,or put a candy in his mouth so that I can't understand what he's saying.(Gln)*

1c. *Sometimes they shout at the boy while we 're talking, or turn the volume all the way up on the television cartoons, or put a candy in his mouth so it's hard to understand what he's saying.(NYT)*

يقول النص المصدر أي الإسباني (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

"أحياناً كانوا يتكلمون بأصواتٍ عاليةٍ إلى الصبي بينما كنا نتجاذب أطراف الحديث، أو يرفعون صوت الرسوم المتحركة على شاشة التلفزيون إلى أعلى ما يمكن، أو يضعون قطعة "كاراميللا" في فمه كيلا أفهم منه ما يقول"

هنا نلاحظ أن النص 1c. بحذفه كلمة *that* يصبح أقل رسمية وبذلك يكون أكثر مناسبة لترجمة حديث بين أبٍ وابنه.

أهدف من وراء هذا العدد المحدود - وهو ما أعترف به بصراحة - من الأمثلة المضروبة هنا، أن أشير - فقط - إلى الإمكانيات التي توفرها تقنية الكمبيوتر للتحليل التي يستعين بها، وهي التقنية التي تسمح برصد ملامح نصوص كاملة، بصورة سريعة نسبياً، وجلب ملامح معينة إلى انتباه المحلل، لولا هذه التقنية لغابت عن فطنته. وعلى نحو ما سنرى في الأقسام التالية، فإن الكمبيوتر يُعد أداة فعالة عندما تتضافر مع إطار وظيفي - شامل في إمعان النظر في كافة أمثلة الوظائف الما - بعدية المختلفة في نصين وفي مقارنة العلامات التي تحملها الفكرتان/النبتان في النصين المصدر ST والمستهدف TT .

٢ - ٣ - التحليل الما - بعد - وظيفي

يكشف تحليل الجوانب الما - بعد - وظيفية في النصين عن وجود اختلافات بينهما - وسوف أركز بؤرة اهتمامي نتيجة للمساحة المتاحة - على مقارنة الأنماط بين النص المصدر ST وبين نص الـ "جارديان" المستهدف، ولكننا لن نتردد في مد المقارنة حيثما يكون الأمر متصلاً بما نحن بصددده على وجه الخصوص - كي تشمل النصوص المستهدفة الأخرى.

٢ - ٣ - ١ الوظيفة - المابعدية الأفكارية Ideational metafunction

غالباً ما تتغير أنماط أفعال التعدية في النص المستهدف TT، على ما نستطيع التحقق منه في المثال رقم ٢، الذي يصف رفاق "إليان" في الهروب، وهم يستعملون عقاراً ما لمقاومة دوار البحر:

2a. La mayoría de los pasajeros se inyectaron gravinol intravenoso.

2b. Most passengers were injected with Gravinol (GD)

يقول النص المصدر، أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

غالبية الركاب حقنوا أنفسهم بمادة الجرافينول فى الوريد.

بينما يشير المثال 2a. إلى أن المسافرين حقنوا أنفسهم بأنفسهم، يحذف المثال 2b. الفاعل المسئول عن الفعل، وهو الأمر الذى يعنى ضمناً أن الفعل وقع عليهم بفعل فاعل، من المرجح أن يتمثل - أى ذلك الفاعل - فى المسئولين عن العبور، الذين ينتظرون جنى مبالغ كبيرة من المال متى نجحت المغامرة. ومع ذلك فالمثال 3b غير نمطى لأن غالبية التغييرات فى الفكرة/النبذة الأفكارية فى نص الـ "جارديان" المستهدف TT تنحرف بالمسئولية عن أقارب الصبى فى "ميامى"، وبالتالي فإن الـ "جارديان" تستعمل صيغة المبني للمجهول فى النص المستهدف TT، عندما ألقى بالـ "موتور" الثقيل المعطوب بلا أمل فى إصلاحه عن ظهر "العبارة" (وهو الخطأ الذى أسفر عن انقلبها)، بينما يشير النص المصدر - بوضوح - إلى أن هذا "الفعل" ارتكبه أولئك المسئولون عن الرحلة (Los responsables del viaje)

3a. Los responsables del viaje desmontaron el motor desahuciado

3b. the engine - a write off - was dismantled (GD)

و يقول النص المصدر أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

فك المسئولون عن الرحلة الموتور المعطوب.

أضف إلى ذلك أن المسئولية عن التغيير الذى طرأ على شخصية "إليان" خلال انتظاره فى "فلوريدا" تتبدل هى الأخرى. وهذا واضح فى تقرير جدتيه عقب عودتهما من زيارته فى الولايات المتحدة.

4a. De modo que (Las abuelas) volvieron a Cuba escandalizadas de cuánto lo habían cambiado

4b. They (the grandmothers) returned to Cuba outraged at how much the child had changed. (GD)

ويقول النص المصدر، أى الإِسباني (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

(بِحِثْ إن) الجدان عادتَا إلى "كوبا" مستاعتين بسبب إلى أى حدٍ غيروا الصبى.

فالعِبارة الواردة فى النص المصدر ST ، وهى: *Lo habían cambiado* "بمعنى غيروه" أى الصبى تشير إلى أن أقارب الصبى المقيمين فى "ميامى" هم الذين أحدثوا التغيير، بينما استعمال صيغة المبنى للمجهول فى النص المستهدف TT عاد مرة أخرى كى يطمس المسئولية عن هذا التغيير.

٢ - ٣ - ٢ الوظيفة - الما - بعدية البين - شخصية

حذف النص المستهدف TT كثيراً من العلامات البين - شخصية، وخصوصاً تلك التى يسميها "هاليداي" (١٩٩٤: ٣٥٤) المجازات البين - شخصية. أحد الأمثلة على ذلك يتمثل فى حذف: *parece que* التى تعنى: يبدو/تبدو

5a. *Parece que* habían zarpado el 20 de noviembre ...

5b. They sailed on November 20 ... (GD)

ويقول النص الإِسباني:

يبدو أنهم أبحروا يوم ٢٠ نوفمبر/بابة...

حذف مثل هذا التحفظ جعل من سرد "جارسيا ماركيز" أكثر وقائعية، بما لا يُقاس، وفى بعض الأحيان يمكن أن يُسفر مثل هذا الحذف عن تنحية العواطف جانباً، وهذا ما يحدث فى الوصف التالى لما حصل فى عرض البحر، عندما نجحت "إليزابيث"، والدة الصبى "إليان" فى مساعدة ابنها على نحوٍ أو آخر.

6a. *Lo que es difícil de entender, aunque merece ser cierto, es que ella tuvo la serenidad y el tiempo para darle al hijo una botella de agua dulce.*

6b. *She is said to have the foresight and time to give Elián a bottle of water.*(GD)

يقول النص المصدر ST، أى الإسباني (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

ما يصعب على المرء أن يستوعبه، ولو أنه يستحق أن يكون صادقاً، أنها امتلكت صفاء الذهن والوقت الكافى كى تعطى ابنها زجاجة من المياه العذبة.

فى النص المصدر ST يركّز "ماركيز" على المأثرة الدهشة التى يمثلها الفعل الذى أقدمت عليه الأم، إذا ما كان صادقاً، أما نص الـ "جارديان" المستهدف TT (She is said to) (= ويقال إنها...) يحذف مشاعر الدهشة جملة وتفصيلاً عن طريق استبدال العناصر البين - شخصية بصيغة المبني للمجهول للفعل الذى يقرر الأمر بروح محايدة (إلحاقاً متعمداً من جانبى للباء بالمأخوذ دون المتروك. المترجم)

كما يتضح أيضاً تخفيض القوة البين - شخصية للنص فى حذف النعوت الواقفية *attitudinal epithets* (للاطلاع على شرح وافٍ لهذه النعوت، أنظر "هاليداي ١٩٩٤: ١٨٤): يصف النص المصدر ST والد "إليان" بأنه (*de buen carácter*) أى "يتمتع بروح طيبة"، بينما نجده فى النص المستهدف TT مجرد (*laidback*) أى هادئ الطباع أو رصين، وعبارة (*anfitriones interesados*) أى "المضيفين المفترضين" تظهر - فقط - كـ "مضيفين" فى اللغة الإنجليزية. مثل هذه الحذوفات تؤثر على المزايا النسبية لطرفى العائلة اللذين يواجهان أحدهما الآخر عبر المضايق (= البحر الكاريبى)، وهناك مثال يتعلّق بموقف الأب، الذى ظل "إليان" يعيش معه حتى أخذ منه إلى رحلته تلك:

7a. Juan Miguel, por su parte, se casó más tarde con Nelsy Carmeta, con quien tiene un hijo de seis meses que fue el amor de la vida de Elián hasta que Elizabeth se lo llevó para Miami.

7b. Juan Miguel had married Nelsy Carmeta: the couple have a six-month-old baby. (GD)

يقول النص المصدر أى الإسباني (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

تزوج "خوان ميغيل" - من جانبه - فى الأونة الأخيرة بـ "نيلسى كارميتا"، وأنجب الزوجان رضيعاً كان عمره ستة أشهر، وكان بمثابة الحب فى حياة "إليان" حتى أخذته "إليزابيث" إلى "ميامى".

وهكذا حذف النص المستهدف TT العبارة الأخيرة بأسرها، وهى العبارة التى تُرجمت كاملة فى النص المستهدف الآخر أى فى الدورية الكوبية -Granma Interna- tional ، ويضيف اختيار مثل هذه التفصيلىة فى النص المصدر ST - بصورة واضحة - ضوءاً إيجابياً على الأسرة الكوبية، وآخر سلبياً بصورة بالغة على الأم، ولو أنها سيئة الحظ، التى كانت على استعداد لتدمير سعادة ابنها "إليان". ونفس الأمر يحدث مع الإشارة المتأخرة إلى أن الولايات المتحدة سوف تعانى من خسارة قانونية وتاريخية (pérdida jurídica e histórica) ، إذ تصبح تلك "الخسارة القانونية والتاريخية" مجرد "خسارة شاملة" overall loss فى النص المستهدف TT ، وبينما يمكن اعتبار كلمتى "قانونية" و"تاريخية" وصفتين - كما يجرى العرف - وليستا مواقفيتين أى لا تنطويان على موقف، إلا أن ورودهما فى حالة اتصالٍ مع كلمة "خسارة" يضيف تقييماً سلبياً من جراء الظلال التى تحملانها حول انتهاك القانون وتلطيح الصيت فى نظر التاريخ، غير أن هذه الظلال تختفى فى نص الـ "جارديان" TT، مع احتفاظ الترجمة الكوبية بها غير منقوصة.

٢ - ٣ - ٣ الوظيفة الما - بعدية للنص

لاحظنا فى الإحصائيات التى وردت فى القسم ٢ - ٢ أعلاه زيادة معدل تردد اسم "إليان" فى النص المستهدف لـ "جارديان"، والاختلاف فى طول الجمل واختلاف الطول بصفة إجمالية بين النصين المختلفين، وهذه النقاط تقع كلها داخل مدى الوظيفة الما - بعدية للنص، وخصوصاً ترابط النصوص، والفحص الأعمق للحالات التى

تستعمل معجماً بكلمات النص توفّره تقنية الكمبيوتر لفحص تواتر الورد، يعطى مؤشراً على ما يجري، وبالتالي فإن استدعاء اسم "إليان" عن طريق الدوس بالـ "ماوس" على كلمة "ابحث" سوف يعطينا ما يصل إلى ٣٤ مرة ورد فيها الاسم في الـ "جارديان" و٢٥ مرة في النص المصدر ST ، ويمكننا التعرف على تلك الوردات التي حدثت في TT، دون أن تكون موجودة في الـ ST ، على نحو ما حدث في المثال رقم ٨، حيث يهدد "مونيرو" Munero رفيق الأم ابنها "إليان":

8a. Se ha dicho también que Elián tomó conciencia allí mismo de los peligros de la travesía, y lloraba a grito herido para que lo dejaran. Munero, temeroso de que los descubrieran por *el llanto*, amenazó a la esposa : "O lo callas tú o lo callo yo".

8b. Elián also became aware of the dangers of the crossing and screamed, begging to be allowed to stay in Cuba. Munero, fearful they would be discovered because of *Elián's crying*, threatened *Elizabeth*: "Either you shut him up, or I'll do it myself."(GD)

يقول النص المصدر أي الإسباني (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

قيل أيضاً أن "إليان" وعى عندئذٍ الأخطار التي ينطوي عليها العبور، وأخذ يبكي بصراخٍ مشروخ كى يتركوه، فهدد "مونيرو"، الذي استبد به الخوف من انكشاف أمرهم بـ "البكاء"، الزوجة: إما أن تُسكتيه أو أسكته أنا"

يكشف الـ TT ترابطاً أوثق خلال ترجمة : *Elián's crying* أي "بكاء" "إليان" بدلاً من مجرد "البكاء" أو "الصياح"، وفي كل موضع آخر من الـ TT يُستخدم اسم "إليان" للحلول محل أي مترادف من قبيل "الصبى" أو "الطفل". ومن الشيق أن مثال 8b يشير إلى الاستخدام المتزايد لاسم "إليزابيث"، (عوضاً عن زوجته)، وهذا ما يحدث بعينه في الترجمة التي نشرتها الدورية الكويتية Granma International .

8c. Munero, fearful of being discovered due to the *child's wailing*, threatened *Elizabeth*: "Either you shut him up, or I will."(GLn)

يستشعر المرء، بصفة عامة - أن الترابط الآخذ في التزايد يُعد خاصية من خواص النصوص المترجمة (مثال: Blum-Bulka 1986) ويوفّر لنا التحليل الذي يتلقى عون الكمبيوتر أداة فعّالة تمكّنا من رصده وفحصه.

وعلى نفس المنوال، كشف لنا الكمبيوتر التغيّرات في طول الجملة، وتمثّلت أبرز الاختلافات في هذا الصدد بين الـ ST والـ TT الذي نشرته صحيفة الـ "نيويورك تايمز". وقد جرى رصد وفحص أمثلة محددة، ويعد مثال رقم ٩ بينها نموذجياً:

9a.Elizabeth quedaba encinta pero sufrí abortos espontáneos en los cuatro primeros meses de embarazo. Al cabo de siete pérdidas, y con una asistencia médica especial, nació el hijo tan esperado, para el qual tenían previstos un nombre único desde que se casaron; Elián.

9b.Elizabeth would conceive but miscarry in the first four months of pregnancy. After seven miscarriages, the child they had longed for was born.They had decided on a unique name for him: Elián. (New York Times)

و يقول النص الـ ST أى الإسباني (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

ظلت "إليزابيث" تحمل وتعاين من فقدان حملها تلقائياً خلال الشهور الأربعة الأولى، وبعد سبع مرات من فقدان الحمل، وبمساعدة طبية خاصة، وُلد الابن الذي طال انتظاره، والذي كانا يستعدان له باسم فريد منذ تزوّجا: "إليان".

يشتمل الـ ST جملتين الأولى تتكوّن من ١٤ كلمة والأخرى من ٢٩ كلمة، أما الـ TT في المثال رقم 9b في حمل نفس المعلومات في ثلاث "سُخ" (=جمع سلخنة أى شريحة كبيرة. المترجم) من ١٢، ١١، ١٠ كلمات على التوالي.

ويرتبط طول الجملة - بشكلٍ وثيقٍ - بعلامات الترقيم، الاستخدام الأصولي للشولة المنقوطة (؛) في المثال رقم 9a، والشولة (,) في المثال رقم 9b كان دافعاً وراء إجراء تردد (= تكرار) ورودهما في كل النصوص، ويشتمل الـ ST على شولة منقوطة واحدة وعشر شولات (تقدّم بصفة أساسية الاستشهادات) أما نص الـ "نيويورك تايمز"

الـ TT فيحتوى على شولة منقوطة واحدة وخمس شولات، ويلجأ نص الدورية الكوبية إلى أربع شولات منقوطة وإحدى عشرة شولة، بينما يضم نص الـ "جارديان" عشر شولات منقوطة وست عشرة شولة، ومعلوم أن تقاليد علامات الترقيم تختلف فى اللغة الأسبانية عنها فى الإنجليزية، وقد يكون من الجدير بالبحث تقصى مدى اختلافها فى اللهجة البريطانية عنها فى تلك الأمريكية، ولكن يكفينا الآن - بكل تأكيد - أن نقرر أن نص الـ "جارديان" الـ TT يقيم دليلاً على أنه يتميز بشكلىة أكبر، على نحو ما يتضح فى المثال رقم 10b حيث نجد شولة ثم شولة منقوطة فى ترقيم النص المترجم:

10a. Estas artimaños fueron sufridas también en carne propia por Raquel Rodríguez y Marcela Quintana, las abuelas de Elián, durante su tormentosa visita a Miami, cuando un agente de la policía a órdenes de una monja frenética les arrebató el teléfono celular con que ellas daban noticias del niño a sus familias de Cuba. La visita que había sido prevista para dos días se redujo al final a noventa minutos, con toda clase de interrupciones provocadas, y con más de un cuarto de hora a solas con Elián.

10b. Raquel and Marcela Quintana, Elián grandmothers who made a stormy visit to Miami had the same problems: at the order of a frantic nun, a police officer snatched their mobile phones so that they could not pass on news to the family in Cuba. Their two-day visit was eventually reduced to 90 minutes, with all kinds of manufactured interruption; they only had a quarter of an hour on their own with Elián. (Gd)

و يقول النص الـ ST أى الإسبانى (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

هذه المكائد عانت منها أيضاً كل من "راكيل رودريجيز" و"مارسيلا كينتانا" جدتى الصبى "إليان" معاناة شخصية بمعنى الكلمة، خلال زيارتهما الصاخبة لـ "ميامي"، عندما انتزع منهما رجل بوليس - بناء على أوامر من راهبة هائجة - التلفون النقالى (= المحمول) الذى كانا قد نقلنا خلاله أخبار الطفل إلى عائلتيهما أو أقاربيهما فى كوبا.

وفى النهاية اقتصرت الزيارة التي كانت مقررة فى البداية بيومين على تسعين دقيقة لا غير، مع كافة أنواع التعطيل المستفزة، ومع ما لا يزيد عن ربع ساعة انفراداً فيه بـ "إليان".

قد يبدو أن طول الجمل وعلامات الترقيم اختلافات طفيفة نسبياً، ولكنها تشير فى الحقيقة إلى أن إحدى الخصائص التى تتميز بها كتابات "ماركيز" تتغير خلال الترجمة، وكذلك الأمر بالنسبة للتحويلات التى تدخل على أفكار/نُذ الترابط والتماسك للنصين، ويمكن أن تتعكس لهما بعض العواقب عند قراءة المقال، وبناء عليه فإن الإشارة إلى البلدين اللذين يشكّلان طرفى النزاع، خلال المترادفات بخلاف اسميهما المباشرين واللذين يُشتهران بهما إنما تعكس المنظور الذى تُروى القصة من خلاله. ففي الـ ST - يُشار مرة إلى الولايات المتحدة كـ "الشاطئ الآخر" أى La otra orilla والنظام الكوبى كـ "الثورة" أى La revolución . وفى نص الـ "جارديان" أى الـ TT يفقد الطرف الأول كل مدلول عاطفى أو شعري كى يصبح "فى الولايات المتحدة"، وتتحوّل الظلال الإيجابية لـ "الثورة" أى الطرف الآخر، إلى Castro's Cuba أى "كوبا بتاع كاسترو" (لعدم وجود أداة ملكية مقابلة فى اللغة العربية. المترجم) وهى العبارة التى تحمل رنين الدكاتورية.

مع أن "النحو الوظيفى الشامل" SFG يحل - على سبيل التيسير - الوظائف الما - بعدية بصورة منفصلة الواحدة عن الأخرى، إلا أن المقتطف التالى يبرهن على كم هو عدد الظواهر، من بين هذه التى نُوقشت فى هذه الورقة (سيان أكانت أفكارية ideational أو بين - شخصية interpersonal) يتفاعل داخل نفس الفقرة:

11a. Según ellos, a la medianoche del 22, los responsables del viaje desmontaron el motor desahuciado y lo tiraron en el mar para aligerar la carga. Pero la barca, descompensada, dio una voltereta de costado y todos los pasajeros cayeron al agua. Sin embargo, una suposición de expertos es que la voltereta pudo haber roto las frágiles soldaduras de los tubos de aluminio, y la barca se hundió .

11b. At midnight on the first day out, the engine - a write off - was dismantled and thrown into the sea to lighten the load. But the boat was destabilized and turned over on to its side. All the passengers fell into water. Experts suspect that the capsizing may have broken the fragile soldering on the aluminium tube, causing the boat to sink.

يقول النص المصدر أى الإسباني (كلمة - كلمة قدر الإمكان):

(وفقاً لهم) فى منتصف ليلة الثانى والعشرين فك المسئولون عن تنظيم الرحلة، "الموتور" المعطوب وألقوا به فى عرض البحر حتى يخفوا الحمل عن "العبارة"، إلا أن "العبارة" انقلبت على جنبها ووقع كل الركاب فى الماء، ومع ذلك يشتبه الخبراء فى أن يكون الانقلاب قد كسر اللحامات الضعيفة للأنايب المصنوعة من الألومينيوم، الأمر الذى أدى إلى غرق "العبارة".

يعرض السطر الأول - كما سبق أن رأينا فى المثال رقم (٣) - تغييراً من بنية التعدية transitivity للفعل، الأمر الذى يسقط المسئولية فى الحادثة عن أولئك الذين نظّموا الرحلة (Los responsables del viaje) إلى صيغة المبني للمجهول اللاعاملية agentless (= أى نون أى إشارة إلى العامل أو الفاعل فى وقت لاحق من قبيل بواسطة: by . المترجم) was dismantled . كما يؤثر أيضاً حذف عبارة (وفقاً لهم según ellos) التى وردت فى السطر الأول من ST على الفكرة/النبذة البين - شخصية وقيمة الصدق للنص ال TT ، أضف إلى ذلك أن ترابط السطور من الثالث إلى الخامس فى النص الأسباني يتبدل خلال الترجمة. ومعلوم أن تواتر استعمال أداة أو حرف العطف "الواو" (y) يعد أحد خصائص كتابات "ماركيز" - وخصوصاً فى إنتاجه القصصى - حيث يغلب عليه اللجوء إلى نمط قصص الجنيات الخيالية، وحيث يميل على الجمل البالغة الطول والتراكيب التى تقوم على الحصافة الموازية غير المرتبطة بأسباب non-causal، وهو ما يميز لغة وتفكير الأطفال، إلا أن البنية تتغير تماماً فى ال TT : حرف والأولى أداة العطف فى السطر الثالث تُستبدل بنقطة ختام full stop، وهو ما ينطوى على وقفة أقوى، مما يتطلب إعمالاً ذهنياً أكبر من جانب القارئ لبناء الصلة بين الجملتين. ونلاحظ أيضاً إسقاط عبارة "و مع ذلك" (Sin embargo) من الترجمة، تلك التى تطل علينا فى السطر الرابع من ال ST ، حيث تعمل كمؤشر إلى الخطاب ومرشد للقارئ حتى ينتظر تعارضاً قادمًا فى الطريق إليه، وقد يكون المترجم قد شعر بعدم وجود تعارض بمعنى الكلمة هنا، على اعتبار أن الكسر الذى وقع للحام كان نتيجة منطقية

لانقلاب "العبارة". وأخيراً يتحاشى الـ TT استعمال كلمة and كترجمة لأداة (= حرف) العطف فى الأسبانية y التى ترد فى السطر الأخير، مفضلاً عليها هذه المرة صيغة التصريف الرابع للفعل فى الإنجليزية التى تفيد التبعية النحوية hypotactic ، وأقصد بذلك causing ، أى "مسبباً" (= أو "مما أدى إلى.. إلخ) وهو الأمر الذى يعزز الصلات بين الأفكار والعبارات. ونتيجة لمثل هذا النمط من التغييرات فى اللغة الإنجليزية يعد الأمر بمثابة "ملخ" لأسلوب "ماركيز" الخاص عند ترجمته.

بالإضافة إلى مثل هذه الاختلافات، يكشف النموذج أيضاً عن تغييرات أكثر لفتاً للنظر. إذ نلمس خلال تحليل رواية النص المستهدف TT الذى نشرته الـ "نيويورك تايمز" للمثال رقم ١٠ - ولما يدعو إلى الاندهاش - حذف الجزء الذى وضعنا تحته خطأً فى المثال رقم 10a :

10c. These kinds of stratagems were also suffered in person by Raquel Rodriguez and Marcela Quintana, Elián's grandmothers, during their turbulent trip to Miami. Their visit with him, scheduled to last two days, was reduced to 90 minutes, with all kinds of intentional interruptions, and they said spent no more than a quarter of an hour alone with Elián .(NYT)

و غنى عن الذكر أن التفصيلىة المحنوفة هنا وهى "عندما انتزع منهما رجل بوليس - بناء على أوامر من راهبة هائجة - التلفون النقالى (= المحمول) الذى كانا قد أعطيا خلاله أخبار الطفل إلى عائلتيهما أو أقاربهما فى كوبا" ترسم صورة سلبية إلى أقصى درجة للسلطات الأمريكية. كما يكشف فحص أقرب من باقى هذا النص المستهدف أن تلك الحذوفات الكثيرة إنما تقع بصفة أساسية فى تصنيفين اثنين:

الأول: ذكر أسماء الأماكن الجغرافية مثل "كارديناس" Cárdenas (=مدينة وميناء تقع شمال كوبا شرقى "اتانساس". المترجم) أو أسماء الفنادق التى اشتغلت فيها الأم "إليزابيث". الثانى: الكلمات الثمانمائة التى تناقش تاريخ العلاقات الكوبية الأمريكية والضرر السياسى الذى يمكن أن يلحق بالحملة الانتخابية للمرشح الرئاسى "آل جور"

فى نوفمبر/يابه سنة ٢٠٠٠ . ولعل هذا الحذف هو الذى يفسر إحصائيات عدد الكلمات الواردة فى النص فى القسم رقم ٢ - ٢ أعلاه.

٢ - ٤ دوافع ممكنة وراء التغييرات التى دخلت على النصوص المترجمة

هناك تغييرات أساسية حدثت عند النقل من النص المصدر الـ ST إلى النص المستهدف الـ TT ، تلك حقيقة ليست محل شك، إلا أن السؤال الآن هو: ما هو السبب فى ذلك؟ وهنا نجد أنفسنا بحاجة ماسة إلى الرجوع مرة أخرى إلى الإطار السياسى والثقافى - الاجتماعى التى جرى فيه إنتاج النصوص المترجمة. هناك عدد من الإمكانيات: انتهج مترجم صحيفة الـ "جارديان" استراتيجية ترجمة غير - منهجية، أسفرت عن ترجمة غير - منهجية وإلى حد ما مشوهة، وقد تتصل التغييرات بالتملص من مشاكل ترجمة محددة فى النص، وبناء عليه فى المثال رقم ٣ ليس من السهل ترجمة كلمة *responsables* بصورة مقتضية على النحو الذى حدث، وفى المثال رقم ٦ قد يكون المترجم قد وقف موقف الاندهاش أمام هذه الصياغة (*lo que es difícil de entender, aunque merece ser cierto*) كما قد يكون المحرر - الناسخ هو الذى أدخل بعض التغييرات على علامات الترقيم، بينما قد ترجع الحذوفات التى وقعت فى الـ TT إلى القيود التى تفرضها اعتبارات المساحة فى وسائل الإعلام من ضرورة اختصار الأصل، ولكن السؤال عندئذ يظل: لماذا حدثت هذه الاستقطاعات بون غيرها؟ وما هو أكثر إثارة من الناحية الأيدولوجية يتمثل فى إمكانية أن تكون التغييرات قد جاءت نتيجة لبواعث خاصة من جانب الناشر أو حتى المترجم نفسه، وهى التى تدفعه لخلق صورة مختلفة للقصة فى أذهان القراء . وقد لا يكون من الشطط أن نفترض أن تكون الرغبة فى تخفيض حجم العواقب السياسية الممكنة من نشر نص إشكالى كتبه "الأعداء"، هى التى تقف وراء الحذوفات التى حدثت فى الـ TT الذى نشرته صحيفة الـ "نيويورك تايمز" وتتعلق ببعض المشاعر المناهضة للولايات المتحدة. وليس هناك ما يدعو للاندهاش فى أن يأتى النص المستهدف TT الذى نشرته الدورية الكوبية

Granma International كترجمة كاملة للنص المصدر الـ ST ومحتفظاً بالتعليقات
المناهضة للولايات المتحدة.

٣ - استنتاج

حاولت تسكين النصين، كل في إطاره الثقافي - الاجتماعي المباشر، إلا أن هناك مزيداً من الفحص الذي يمكننا إجراؤه، فالمقابلات مع محرري الصحف والمترجمين - إذا كان ذلك ممكناً - يمكن أن تسلط ضوءاً على المنطق الكامن وراء قرارات الترجمة، واستقبال النصين يمكن أن يُقاس بامعان النظر، على نحوٍ أكثر قرباً في ربود الفعل. ومما هو جدير بالملاحظة أن الأسبوع الذي أعقب نشر ذلك المقال شهد سلسلة من الرسائل التي تدفقت على الصحف في بريطانيا والولايات المتحدة تأييداً لـ / أو هجوماً على الموقف الكوبي، دون أن يشير أيُّ منها إلى النص الإنجليزي المستهدف TT بأكثر من مقال "ماركيز"، مع أن بعض تلك الرسائل استعانت ببعض الاقتباسات منها في لغتها الإنجليزية، فلم يكن في طوع هؤلاء القراء - على سبيل الاحتمال - أن يتوصلوا إلى الترجمة الكوبية الأكثر اكتمالاً.

نجح هذا التحليل "النحوي - الوظيفي - الشامل" SFG للزوجيات الـ ST-TT في وضع أيدينا على سمات مهمة مما تعرضت لتغييراتٍ خلال الترجمة، وقد تلقى هذا التحليل عوناً غير منكور باستعمال أدوات اللغويات الجسورية التي تمكن الباحث من التعامل على وجه السرعة مع النص وكشف الستار عن الاتجاهات التي قد لا تتضح مع التحليل اليدوي وأخيراً وفّر وضع النتائج داخل سياق النصوص السياسية والثقافية - الاجتماعية، إمكانية استخلاص استنتاجاتٍ بخصوص الأعراف التي تعمل عملها في العملية الترجمة، وبطبيعة الحال قد تحتاج مناطق معينة للنموذج إلى التكيف مع الموضوعين رهن الفحص، وبالتالي قد لا يفلح تحليل "نحوي وظيفي - شامل" صارم، وخصوصاً للتراكيب النصوصية والتعددية فلاحاً كبيراً مع اللغات غير - الأوروبية، بينما يمكننا إجراء تحليل تفصيلي لنصوص أقصر دون اللجوء إلى تقنية الكمبيوتر.

ولعل هذا هو السبب في تأكيدى على مرونة النموذج: خلال فحص "التعليم" -marked ness (= التأشير بوضع علامات) النسبى على النبذة/الفكرة الما - بعد وظيفية لزوجيات النص (بدلاً من مجرد الإدراج في قوائم للتحققات النحوية - المعجمية المحددة) على أن التكيف يمكن إجراؤه للغات التي يختلف تركيبها عن لغاتنا. ومما ينطوى على أهمية خاصة أيضاً أن ذلك يعنى أن هذا النموذج لا يزال قابلاً للتكرار، بمعنى أن دراسات أخرى يمكن بل وينبغى أن تُجرى لاختبار صحة الفرضيات: هل ترجمات نص "إليان جونزاليز" إلى لغاتٍ أخرى يُظهر نفس الظواهر التي ظهرت عند الترجمة إلى اللغة الإنجليزية؟ هل كتابات "ماركيز" غير الأدبية عرضة بصفة عامة لتغييرات أعمق من أدبه عند الترجمة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي الأسباب؟ هي أسباب أيديولوجية؟ هل تلقى الأعمال غير الأدبية معاملة مختلفة بشكل عام عند الترجمة؟ بهذه الطريقة، وباستخدام نموذج مصمم منذ البداية كي يكون قابلاً للتكرار، وقابلاً للاختبار وقابلاً للتطبيق على زوجيات لغوية ونصوصية أخرى، نستطيع أن نبدأ في بناء صورة أكثر منهجية لظاهرة الترجمة، وهي صورة تستطيع أن تقود إلى اختبار مزيدٍ من الفرضيات وكذلك إلى رفع شأن ما يطلق عليه "تورى" "قوانين" الترجمة.

الهوامش

(١) هناك صلة وطيدة بين الـ (SFG) وما يُعرف باسم "تحليل الخطاب" (وهو ما قد يوصف كتحليل لقطع من النص، والأولى لنصوص كاملة فوق مستوى الجملة، مع انتباه خاص معطى لنورها التوصيلي في التفاعل بين الكاتب والقارئ في إطار سياق ثقافي-اجتماعي معين) ويسوق "هاليداي" حجة قاطعة لصالح التحليل النحوي - المعجمي المفصل: لا يعد تحليل لا يتأسس على النحو grammar تحليلاً بالمرّة، بل مجرد تعليق عابر على النص (١٩٩٤: ١٦)

(٢) ينبغي الحصول على تصريح من صاحب حق الملكية الفكرية قبل استعمال أي نص في أغراض البحث، ولما كان عدد المواد التي يوفرها أصحابها على شبكة الإنترنت (= الشبوكة) في تزايد مستمر، فإن المحتمل أن تخف صعوبة المشكلة مع المستقبل، وحقيقة الأمر كلما أصبح النشر الإلكتروني هو العرف السائد كلما صار التحليل المستند إلى الجسمور ضرورة لا غنى عنها.

الفصل السادس نموذج التركيبيّة البنيوية في الدراسات الترجّمية

جان-مارك جوانفيتش Jean-Marc Gouanvic

خلاصة:

يقترح هذا المقال نظرية ترجمية ترتكز على "التركيبيّة البنيوية" - *Structuralist Con-structivism* التي قال بها "بيير بورديو" *Pierre Bourdieu*. وبهذا المصطلح يعنى أى المقال نشأة اجتماعية مزبوجة، إحداهما تأسيسية لما يطلق هو عليه اسم "بيئة" *Habitus* والأخرى هي البنيات الاجتماعية، و"بيئة" المترجم هي اتجاه أو ميل *Disposition* دائم أو معمر وقابل للتبديل، يكتسبه كيان مجتمعي يمارس خلالها عمله في ميدان ينتمى إليه النص المرشح للترجمة، وهذا الميدان هو المطرح الذي يرسى فيه المترجم عمله على النص عند التقاء درجة من الذاتية مع قدرٍ من التوارخية *historicity*، ولسوف نقف أمام حالتين اثنتين من حالات بيئة المترجم كتصويرين للأمر، بالإشارة إلى "موريس - إيجار كواندرو" *Maurice-Edgar Coindreau* ومارسيل دوهاميل *Marcel Duhamel*. إذ يبدو أن بيئتهما مختلفتان كل عن الأخرى - بصورة عميقة - مع أن ترجمتهما نُشرت في نفس دار النشر، وهي "جاليمار" *Gallimard*، ولسوف نفحص الوضع التعليمي لفكرتي أو مفهومي "البيئة" و"الميدان" وشروط التريخية *historicization* فيما يخص الترجمة، وإنتهاجاً لـ "التركيبيّة البنيوية" التي قال بها "بورديو"، فإن "المتكفلين بالترجمة" سوف يُنظر إليهم بصفتهم لاعبين لنور المؤدين العمليين الذين يمارسون سلطتهم بطريقة علاقاتية (نعت صناعي من علاقات. المترجم) وأقصد هنا بطريقة تنافسية إلى جانب كونها تعاونية.

يلزمنا - لكي نفهم الإنتاج الأدبي حق الفهم - أن نتناوله خلال مصطلحات علاقاتية، عن طريق بناء الميدان الأدبي أى فضاء المواقف المتخذة *prises de positions*

(من جانب الأديب) وهي المواقف الممكن اتخاذها في فترة زمنية معينة في مجتمع معين، وتتبع هذه المواقف المتخذة من اللقاء بين اتجاهات يكتسبها المترجمون (بيئاتهم التي تشكلها سيرتهم المهنية في المجتمع) وبين موقفهم داخل نطاق من الاتجاهات التي يحددها توزيع شكل محدد للرأس مال. ("بودريو ١٩٨٣: ٣١١).

١ - مقدمة

يُفرق كثيرون - عادة - في ميدان الدراسات الترجمية بين الدراسات التي تتناول المنتجات القائمة، وتلك التي تحاول تحليل القرارات المحددة التي يتخذها المترجم خلال عملية الترجمة، وكان "جيمس هولز" هو أول من أدخل التفريق بين العملية والمنتج في سنة ١٩٧٢ (Holmes 1988) ^(١)، وهو التفريق الذي أصبح الآن كلاسيكياً. وتتضح جدواه في الإشارة إلى الحالات المختلفة للمعكوسية reflexivity (= صيغة معينة للأفعال يكون فيها الفاعل هو نفسه المفعول. مثال : أغتسل. المترجم) وبوسع دراسة الترجمة أن تركز بصورة أكثر تحديداً على العمليات الذهنية أو على تحليل الخطاب في الترجمة، أو على مفاهيم أكثر برامجية تهدف إلى فهم ما يمكن للترجمة/ أو يتعين عليها، أن تكون عليه. أما دراسة الترجمة كمنتج فلا تعنى - من زاوية وصفية - سوى فحص العوامل التاريخية والاجتماعية التي تتصل - بقوة - بالترجمة في زمنٍ ومشروع معينين. ونتيجة لذلك، نجد أن النهج الموجهة - عملياتياً (نعت صناعي من عملية process . المترجم) أقل اهتماماً بكثير بالبعد التاريخي للنشاط الترجمي ، وأكثر كثيراً بالسمات الوصفية له، في الوقت الذي تهدف الدراسات الموجهة - منتجياً (نعت صناعي من منتج product . المترجم) فيه إلى إعادة تركيب المنطق التاريخي الذي تسيد خلال انبثاقها. ودراسة الترجمة بصفاتها منتجاً تسعى - وهذا هو أفقها النهائي - لاستكمال المعرفة التاريخية بشريحة ثقافية من فضاء معين في زمنٍ معين، كما تنشُد وضع الترجمة كأحد محدداتها أي تلك الشريحة في ذلك الفضاء في ذلك الزمن.

هناك إمكانية نظرية أخرى، مع أنها لا ترقى تماماً إلى رؤية جديدة إلى الترجمة. ويتمثل في النظر إلى الترجمة باعتبارها "إنتاجاً"، وعلى هذا الإشكال الذي يدور بشأن الترجمة كإنتاج أود أن أركز في هذا المقال.

وخلال تركيزي هنا أعتزم أن أشرح - في نفس الوقت - ما هو كامن في قلب هذا النهج، وأقصد بذلك النموذج الذي ابتكره "بيير بورديو" أي "التركيبيية البنيوية".

قبل التطرق لهذا النموذج، قد يكون من المفيد أن نعيد إلى الأذهان أن "بورديو" بدأ للتو يجذب أنظار الدارسين في ميدان الترجمة، وعلى سبيل المثال يفحص "دانييل سيميوني" Daniel Siméoni في مقالٍ عنونه باسم "الوضع المحوري لبيئة المترجم"، مسألة البيئة المتخصصة للمترجم والدور الأولي الذي يمكن أن يلعبه في الدراسات الترجمانية. ويراجع "ثيوهيرمانز" Theo Hermans في كتابه "الترجمة في أنساق" Translation in Systems مساهمة "أندرية لوفيفر" André Lefevere في نقاش دار على وجه الخصوص حول فكرة "بورديو" عن "الرأسمال الثقافي". ومن جانبي، أعالج في كتابي "سوسيولوجيا الترجمة" (1999) Sociologie de la traduction تاريخ ترجمة روايات الخيال العلمي الأمريكية إلى اللغة الفرنسية خلال خمسينات (=خمسنيات عند المتفاحص. المترجم) القرن العشرين من وجهة نظر "سوسيولوجيا الثقافة" التي قال بها "بورديو".

وبناء عليه فإن نظرية "بورديو" في الثقافة آخذة - بكل تأكيد - في كسب الأرض أي في الاستحواذ على القبول في الدراسات الترجمانية، وسوف أختبر الآن - وبصورة موجزة - الأسس التي تنهض عليها هذه النظرية وإمكانية تطبيقها في ميدان الترجمة. يحدد "بورديو" التركيبيية على هذا النحو:

"هناك نشأة اجتماعية مزبوجة، فمن جانب نُظْم الإدراك نجد الفكر والعمل اللذين يعدان مكونين لما أدعوه بالـ "بيئة" habitus، ومن جانب الهياكل الاجتماعية - نجد على وجه الخصوص - ما أدعوه بالميادين والمجموعات - وبالتحديد - تلك التي نسميها في العادة بالطبقات الاجتماعية." (بورديو ١٩٨٩: ١٤)

يمكننا - دون عناء - تطبيق نموذج "بورديو" للتركييبية (سوف نعرض للمكون البنيوي في النموذج في ختام هذا المقال) على الترجمة، أضف إلى ذلك أن هذا النموذج يسلط ضوءاً على مظاهر يغفل عنها الباحثون على نحو متواتر، كما سنرى.

تتمثل إحدى لزوميات التركييبية الاجتماعية في أنها تعالج الحالات الواقعية للأمور في مجتمع معين في لحظة معينة في تاريخ ذلك المجتمع، فالتركييبية الاجتماعية لا يمكنها أن تقنع بذلك التمرحيل *periodization* الغامض لجسمور متباين، وفي سبيل تطيل يقول باستلهاهم: هذا النموذج يكون ضرورياً أن يخرط الأنشطة التي يفحصها في وسط *milieu* اجتماعي، يبالغني الكامل للمصطلح، وفي عبارة أخرى سوف يركز هذا النوع من التطيل - من جانب - على الليتكرات التي يتوصل إليها "الوكلاء"، وهم منتج النص من النقاش، ومن جانب آخر على الشروط المؤسسية والهيكلية التي تقف وراء نشأة الإنتاج رهن البحث، والوسط الاجتماعي ليس أي شيء آخر سوى إطار يسكن فيه الباحث نصاً ما قد يسبق في الوجود الوسط إلى حد ما أو يظهر إلى الوجود بصورة مستقلة عنه. فأى نص - سواء أكان مترجماً أو غير مترجم - ينتج عن عملية إنتاج اجتماعية. ويستحيل بالتالي النظر إليه باعتباره منفصلاً عما هو اجتماعي، فمن شأن هذه النظرة أن تسحبه بعيداً عما يجعل منه نصاً - بكل ما يحتويه - بدءاً من إبداع منتجته إلى القوالب الجامدة التي يعيد تكرارها، وهي القوالب المتجذرة في "التسايبج" السائدة، ويملك الجسمور خصائص معينة، وفي سبيل عمل تطيل يقوم على التعارض سوف نقارن بين جسمورات متميزة حتى نحدد تلك الخصوصيات. ترى كيف تعرف الترجمة نفسها في هذا السياق؟

٢ - البيئة والترجمة

تعد الترجمة - مثلها في ذلك مثل أشكال المنتجات المكتوبة الأخرى - ميداناً مفتوحاً أمام تطيل الدارسين، إلا أنها تختلف عن سائر الأعمال المكتوبة الأخرى في وجود أربعة عناصر على الأقل تتدخل في عملية إنتاجها، وهذه هي: النص المصدر

(ومحدداته) والنص المستهدف (ومحدداته) والمترجم كذاتية، والمترجم مرة أخرى كتواريخية، وهذه العناصر تتمتع بعلاقاتٍ تربط بينها برباطٍ وثيق، ويمكننا توصيفها بمصطلحات "بورديو" خلال فكرتي "البيئة" و"الميدان".

نستطيع تعريف "البيئة" ("بورديو" ١٩٩٠ : ٥٢) الخاصة بالمترجم بصفته منتجاً كـ "اتجاهٍ دائمٍ أو معمرٍ وقابلٍ للتبديل، يكتسبه كيان مجتمعي يستثمر في الممارسة المبادئ المنظمة التي رُكِّبت اجتماعياً خلال مسيرة تجربة متحيّزة مكانياً وزمنياً. وقد يبدو من الطبيعي في عالم اليوم - على سبيل المثال - أن يكون المترجم الفرنسي للأدب الأمريكي قد درس اللغة الإنجليزية في المدرسة الثانوية. غير أن المهارات التي تحتاجها ممارسة الترجمة سوف تتطلب الاكتساب - كما هو معهود - في مؤسسة لتدريب المترجمين على أداء عملهم. غير أن المهارات المكتسبة بحد ذاتها لا تحوّل أي شخص لمترجم، فلكي يصبح المرء مترجماً يتعيّن عليه أن يصب موضع التطبيق أنشطته أي قدراته في ميدانٍ محدد. وتتشكل العلاقة بين الاتجاهات أو المهارات المتحققة لبيئة المترجم وموضع المترجم إزاء النص المرشّح للترجمة، أي إزاء نصٍ ينتمي لميدانٍ معيّن، وقتما يصبح النشاط الترجمي مسألة روتين، عندما تدخل البيئة كجزءٍ لا يتجزأ في عملية الترجمة في الميدان.

تعد الترجمة إنتاجاً منذ اللحظة الأولى لمولدها - أي لحظة انبثاقها - فهي ليست بعدية *a posteriori* أي ليست منتجاً يُنظر إليه في ضوء الاستخدام الذي يجري له في وقتٍ لاحقٍ في إطارٍ معيّنٍ وفقاً لأعرافٍ أعيد بناؤها بالانتفاع بالحكمة بأثر رجعي *hindsight* ، ويقوم العامل الخبير أي المترجم بتسكين عمله بالاشتراك مع الذاتية والتواريخية، وذلك كملتقى للذاتية المتترخّة *historicized subjectivity* والتواريخية المتذيتة *subjectified historicity* ، ويتمثّل الحس العملي للمترجم في السهولة التي ينتج بها ترجمة تُنقش في ميدانٍ معيّن. (٢) والميدان - بصفته ذاتية - يوفر الطريق للممارسات الذاتية التي تنتج نفسها في نفس الوقت، خلال المران على الأنشطة النابعة من الميدان، ذلك الميدان الذي يبني الاتجاهات الذاتية المحددة للمترجم كعامل خبير.

وهذه الاتجاهات الذاتية التي تتشكل في الممارسة التاريخية وتتجسد في بيئة معينة، هي التي يعيد المترجم عندئذٍ استثمارها في الميدان الذي كانت قد تسيّدت في البداية نشأته، وهناك تجد شروطاً مواتية للإفصاح عن نفسها.

يتصل ما هو عنصر مكوّن في التجربة في تصور مجرد *in abstracto* ببيئة مكتسبة في ميدانٍ مخصوص، وهو ميدانٌ ينتمى إليه أيضاً النص المزمع ترجمته. ومع ذلك فالميادين ليست مغلقة تمام الإغلاق، فنتيجة لساميتها *permeability* النسبية نجد أن بيئة الترجمة قد تتغير من ميدانٍ لآخر ومن نصٍ لآخر، وعلى سبيل المثال من السوسولوجيا إلى الأنطولوجيا *anthology*، غير أن الميادين البعيدة للغاية الميدان عن الآخر - تلك التي لا تشترك في ركائز متجاورة، مثلما هو الحال مع الفيزياء والفلسفة - لا تكشف عن سمات رابطة تعبر عن نفسها في شكل اتجاهات تُكتسب في ميدانٍ وتسرى في ميدانٍ آخر.

(٣) حالات من حالات بيئة المترجم - موريس - إيجار كواندرو و (مارسيل دوهاميل،

تُرى كيف يكتسب المترجم بيئته؟ ويكلماتٍ أخرى، كيف يهضم المترجم التدريبات على الترجمة؟ فلنأخذ مثلاً من الميدان الأدبي، وإثنين من أعلى المترجمين الناطقين باللغة الفرنسية في الميدان صينياً، "موريس - إيجار كواندرو"، مترجم الروائي الأمريكي "وليم فوكنر" (١٨٩٧-١٩٦٢) وكان قد حصل على درجة جامعية في اللغة الأسبانية، ولم يبد في البداية اهتماماً كبيراً بأدب أمريكا الشمالية. إلا أنه عقد في "مدريد" في مطلع عشرينيات (=عشرينيات عند المتفصح. المترجم) القرن العشرين علاقة صداقة مع "بيب روبلز" *Pepe Robles*، الذي قدمه إلى "جون بوس باسوس" *John Dos Passos*. وفي ١٩٢٣ نزح كواندرو إلى الولايات المتحدة، حيث اشتغل بتدريس اللغة الفرنسية في جامعة "برينستون"، وقد اضطلع بترجمة "تحول مناهاتن" *Manhattan Transfer*

(المنشورة في سنة ١٩٢٨) كى يتقن - كما قال فى إحدى المقابلات التى أجريت معه -
العامية الأمريكية ("كواندرو" ١٩٧٤: ٣٦-٣٧)، وتلك هى إحدى خصائص بيئته المركبة:
تعلمها خلال الترجمة فلقد كانت معرفته بالإنجليزية الدارجة والعامية فى مستهل عمله،
مثقلة بالقوالب القديمة التى ترد - عادة - فى الكتب bookish ، ولكن هذه اللغة أسرتة
بعد تجربته الأولى معها، وأصبح الناطق الرئيسى والمترجم إلى اللغة الفرنسية - لنوع
خاص من الأدب الأمريكى - أدب الولايات الجنوبية للولايات المتحدة. وفى ظل إزدراءه
لما كان يُطلق عليه كُتَّاب "الجيل المفقود" (اسم صكَّته "جيرترود شتاين Gertrude
Stein") ، تحوَّل "كواندرو" بشوق كبير إلى جنوب الولايات المتحدة، وقارن تجربة
الولايات الجنوبية خلال الحرب الأهلية والنتائج التى أسفرت عنها مع تجربة
"الشوانيين" Chouannerie (= هم المتمردين ومعظمهم من مهربي الملح والمتاجرين فيه،
وقد فشل تمردهم الذى نظموه فى غرب فرنسا فى سنة ١٧٩٣ وانضموا خلاله
إلى الملكيين. المترجم) وثورة "فيندى" Vendée الملكية المضادة التى باءت بالفشل أيام
الثورة الفرنسية، وكان ذلك بمثابة مكُون عميق فى تركيب أو بناء بيئة "كواندرو" وتقع
فى موضع القلب بالنسبة لمساره الاجتماعى: كان يفضِّل - بصورة ملحوظة وواضحة
لا لبس فيها - كُتَّاب الولايات الجنوبية ("وليم فوكنر" على رأس القائمة) نظراً للتشابه
بين نظرتهم للعالم Weltanschauung وبين نظرة "الشوانيين" إلى العالم، وهى وجهة
نظر تتميز بـ "قهر الفشل" failure overcome ، ولو كان يمتلك موهبة الكتابة - هكذا
يرى الأمر - لكان قد كتب عن "الشوانيين" بدلاً من ترجمة أعمال تتناظر مع تجربتهم.
("كواندرو" ١٩٧٤: ١٠٣)

نتحوَّل الآن إلى حالة تتعارض بشكلٍ حادٍ مع هذه الحالة، وهى حالة "مارسيل
نوهاميل" (١٩٧٢)، والمقارنة هنا طبيعية؛ نظراً لأن كلاً منهما اشترك فى ترجمة رواية
"عناقيد الغضب" للروائى الأمريكى "جون شتانبك" فى سنة ١٩٤٧. (٣) ويعد
نوهاميل إلى حدٍ كبير مترجماً علَّم نفسه بنفسه، فلقد انتهت دراسته بالمرحلة
الابتدائية، وظل يجهل اللغة الإنجليزية تماماً حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره،
وفى سنة ١٩١٥ وجد نفسه فى مدينة "مانشستر" (مدينة تقع بشمال غرب إنجلترا،

وقد تميّزت المدينة بغزل ونسج القطن وشهدت بشائر الثورة الصناعية وفي القرن التاسع عشر كانت ثاني كبرى مدن بريطانيا. المترجم) حيث تعلم أو "لقط" الإنجليزية خلال عمله في أحد الفنادق التي يملكها أحد أعمامه، وبعد الحرب العالمية الأولى أدى الخدمة العسكرية - ومعظمها كان في "إستانبول" - حيث التقى بـ "جاك بريفييه" Jack Prévvert وخلال عشرينيات (=عشرينيات) أصبح مديراً لفنادق عمه في العاصمة الفرنسية "باريس"، وسكن في شارع القلعة rue de Château مع كل من "جاك بريفييه" و"إيف تانجى" Yves Tanguy الرسّام، مستمتعاً بأسلوب الحياة البوهيمي الذي كان يعيشه السرياليون. وقد جرّب ترجمة روايات بوليسية، كـ "التج الأخضر" تأليف "راؤول ويتفيلد" Raoul Whitfield وفي وقت لاحق "القيصر الصغير" لـ "دبليو. آر. بيرنيت"، وهي الترجمة التي صنعت شهرته، وانضم إلى شركة "توبيس كلانج" - فيلم "Tobis Klang film" في "دبلجة" الأفلام الأنجلو - أمريكية، وذات يوم أعطاه "مارسيل أشار" Marcel Achard ثلاثة كتب كي يقرأها "هذا الرجل خطير" "This Man is Dangerous" و"اللباب السام" "Poison Ivy" لـ "بيتر شيني" Peter Cheyney و"لا توجد أركارديا للأنسة بلانديش" "No Archid for Miss Blandish" من تأليف "جيمس هادلي تشيز" James Hadley Chase ، وفي نوبة من نوبات الحماس ترجم الكتب الثلاثة دون أي أمل في رؤيتها مطبوعة، ولكنها أصبحت في نهاية المطاف أول ثلاثة عناوين في سلسلة تسمى "السلسلة السوداء" "Série noire" ، تلك السلسلة التي وافق "جاستون جاليمار" على نشرها اعتباراً من سنة ١٩٤٤ فصاعداً؛ وقام "جاليمار" بإيفاده إلى إنجلترا كي يتفاوض على حقوق الترجمة ونشر أعمال كل من "إرسكين كولدويل" Erskine Caldwell و"جون شتانيك" و"داشيل هاميت" Dashiell Hammett و"رايموند تشاندلر" Raymond Chandler ، بالإضافة إلى كل من تشيز و"شيني"، الذي قابله شخصياً، ولما كان حريصاً على مواصلة مسيرته بالتوافق مع تاريخه السابق، فلقد ملك عمله المهني كـمترجم وناشر للمؤلفين الأمريكيين وأحد كتّاب "السلسلة السوداء" عليه فؤاده.

ويتلخّص الملمح الرئيسي لترجمات "نوهاميل" في استعماله للصيغ الدارجة والعامية، تلك التي كانت طريقة فريدة وأصيلة للترجمة في ذلك الوقت، وإلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ويعتبر النظر عن نوع الأدب الذي كان ليترجم، ارتفع المترجمون الفرنسيون - يوماً - بالنصوص الأصلية إلى "ترجمة تأليبية" Literarization (=إضفاء طابع أدبي المترجم) راقية، وهو الأمر الذي يرفع، أو كما يصفه بصدق "أنطوان بيرمان" (١٩٨٦: ٧٠) بـ "إعلاء" exhaussement المستوى الأسلوبى للأصل، وعلى العكس من ذلك نجد "نوهاميل" يتبنى - عن عمد - طريقة شعبية عند نقل الأسلوب، وهو الأمر الذي يتصل - دون شك - ببيئته الأولية التي اكتسبها خلال "التقاطه" للغة الإنجليزية، خلال عمله في مدينة "مانشستر" الإنجليزية في الحرب العالمية الأولى وفي العشرينات (=العشرينيات) عندما كان يعيش هو ورفاقه في "الكوميونة" السريالية في شارع القلعة rue du château في "باريس".

٤- بيئة المترجم والميدان الأدبي في الترجمة

يسهل علينا أن نرى المسافة التي تفصل بين "كواندرو"، خريج الجامعة (كان يحمل شهادة "الأجرجية" agrégé في اللغة الأسبانية) وبروفيسور - أضيفى وظيفة شبه فلسفية - في قهره للفشل التاريخي على الأدب، وبين "نوهاميل"، الذي يوفّر الأدب له - وقبل كل شيء - متعة، وحتى بهجة أو استمتاعاً شعرياً، فالفجوة بينهما واضحة عند اختيار النصوص المرشحة للترجمة في النصوص المترجمة وفي الطرق التي ترجمهاها فعلاً خلالها، فبينما ترجم "كواندرو" أدب "وليم فوكنر"، وهو أدب واقعي عالي الجبين على نحو بارز، مال "نوهاميل" على أنواع أدبية منخفضة القيمة مثل الرواية البوليسية. ولا نكران هنا في اتصال الاختيار المختلف للنصوص - كما هو واضح - بنوع المترجم الذي يستند إلى البيئة التي اكتسبها، ففي حالة "كواندرو" دفعته بيئته - بصورة متجانسة مع طبيعته - إلى النصوص التي تبرز صورة تراجمية للحياة، وهي صورة فرضها على النص خلال ترجمته له، بعيداً عن مغزاه الأصلي. (٤) أما في حالة "نوهاميل"، فبيئته (التي تشكلت من اللغة الإنجليزية الدارجة التي تعلمها أو "التقطها" واستعملها) خلال شغله، ومشاركته في الحركة السريالية، ونشاطه المهني كمديبلج للأفلام) كل ذلك مال به نحو الأنواع الأدبية والمؤلفين الذين قام فعلاً بترجمتهم.

تفصح محددات الترجمة وهرميات (عتراتبيات) النوق السوسيوجمالى (=الجمالى - الاجتماعى) التى تحملها عن نفسها خلال وضع بيئة المترجمين موضع التنفيذ، ولكن بعيداً عن هذه المحددات، فبيئة المترجم هى التى تستحضر صورة معينة للأدب المترجم بل وللأدب بحد ذاته *per se* ، وما يقع عليه اختيار المترجم لترجمته، هو الذى يضع بيئته تلك موضع التنفيذ، وبيئة المترجمين الأدبية تؤثر على ميدان الأدب؛ أى على الفضاء الذى يقوم مقام مشهد يصطرع فيه المنتجون المختلفون للأدب فى سبيل تحديد شكل الأدب القادم.

والآن لا تعد الترجمة عملاً محلياً، أى عملاً يتصورُ أحد أنه سيدرج نفسه فى اتصالٍ *continuity* أو انقطاعٍ *discontinuity* لأى تقاليد أدبية قومية، وكقاعدة عامة تخرج الترجمات فى سلاسل معينة، يقر الجميع بثئها لـ "مؤلفين أجنب" تحمل - أى تلك السلاسل - عناوين مثل: "من مختلف أنحاء العالم" *Du monde entier* أو "ناثرون أجنب محدثون" *Prosateurs étrangers modernes* . وبهذه الطريقة يحفظ الناشر للترجمات مسافة لا يُستهان بشأنها بعيداً عن ميدان الأدب القومى أو المحلى وتقاليده، وفى نفس الوقت يصنّفونها داخل نطاق ميدان الأدب المحلى كذلك، ويتمثل الأثر الرئيسى لهذا التصنيف: "داخل" و"خارج" فى أن هذه الترجمات لا يسمح أحد لها بإشاعة الاضطراب فى هرمية النوق الأدبى فى الميدان المستهدف. فعوضاً عن إثارة انقلابٍ عنيفٍ ومفاجئٍ تسفر الترجمات عن إحداث تغييرٍ "خارجى" - على مراحل - فى شكل تأثير مطرد تدريجى فى قلب تغييرٍ "داخلى". على أن هذه التأثيرات لا يرى أحد فيها "أجنبية"، نظراً لامتزاجها بالتغيير غير المتميز (=لا يكاد يلحظه أحد) المحلى الجارى على قدمٍ وساق.

٥ - الوضع التعليمى لـ البيئة ولـ الميدان

سوف توضح لنا الأمثلة أن مفهومى "البيئة" و"الميدان" مفهومان متّصلان اتصالاً وثيقاً يتعدّر فصله، الواحد عن الآخر، إذ لا يمكننا أن نتصور هذا دون ذاك. فما هو النموذج النظرى الذى يحملهما هذان المفهومان؟ تتمثل الروح الموضوعية التى انبثقت عنهما فى أنها صفة لأداة بحثية، فوضع البيئة والميدان تعليمى، وهو ما يعنى أن هذين

المفهومين لا يهدفان على وجه دقيق إلى الوصول إلى "ما هو حقيقي" بل توفير " نقطة الاستشراق vantage point التي نراه منها. ويعد نمطهما الإنتاجي نمطاً من نوع "كما لو"، فمفهوما "البيئة" و"الميدان" يعملان على هذا المستوى "كما لو"، وهو بطبيعة الحال الشرط ذاته للخطاب العلمي - وبعبارة أخرى - نحن نسلك - ونكتب - "كما لو" كان هناك ميدانٌ موجود للأدب في فرنسا، يصطرع فيه منتجو الثقافة - بمن فيهم المترجمون - لفرض إنتاجهم لما يتمتع به من أفضلية على إنتاج الآخرين، وصراعهم ذاك مدعوم بما حصلوه من خبرات في الصراعات السابقة.

نخطئ - في حقيقة الأمر - إذا قلنا أن المنتجين "يصطرعون في سبيل فرض منتجاتهم لأفضليتها على منتجات الآخرين"، فالصراع هنا لا يدور على مستوى واعٍ عمدي، بل هو "كما لو" كان المنتجون يصارعون من أجل فرض رؤيتهم على واقع الميدان. وفي نموذج "بورديو" نجد أن قوة "البيئة"، أي القوة الدافعة التي تحرك الأشياء واقعة، ليس على مستوى الوعي بل عند مستوى المعتقدات، بمعنى أنها تعمل "على أعمق مستوى لمجمل الميول النفسية للمرء" ("بورديو" ٢٠٠٠: ١٧٧).

٦ - ميدان المصدر وميدان المستهدف والتاريخ

بين كافة منتجي الثقافة؛ يملك المترجمون دوراً خاصاً يستطيعون أداءه في ضوء الحقيقة التي تقول إن العمل الذي سيظهر في الميدان هو موجود - فعلاً - في نص أجنبي في الميدان المصدر، وصراعات المترجمين بين بعضهم البعض الآخر لفرض أنفسهم في الميدان المستهدف، ليس تماماً من نفس نوع الصراعات التي ينهمك في خوضها الكاتب في الميدان الأدبي. فمتى اتخذ الناشر قراراً بالترجمة، فإن العمل المرشح للترجمة يتحرر من الصراعات الحادة التي تخوضها الكتابات الأصلية، وبطبيعة الحال هناك نماذج كثيرة لأعمالٍ مرشحة للترجمة، يكون المترجمون هم الذين اكتشفوها، وعندئذٍ يقوم المترجمون بدور محرري السلاسل أو المشرفين على النشر. ولكن المترجمين - من حيث هم مترجمون - يعتبرون منتجي ثقافة فهم يتولون مسؤولية نص أجنبي

كى يضعوه فى نطاق لغة مستهدفة، وأداؤهم متجه نحو كل من النص المصدر والنص المستهدف فى نفس الوقت.

تنمى الصلة التى تربط بين المترجم والميدان المصدر - بصورة مؤقتة - خلال عملية الترجمة: ينتزع المترجم النص من سياقه فى الميدان المصدر، وكذلك من إطاره التاريخى، ثم يعيد سلّكه فى سياقٍ وتاريخٍ جديدين فى الميدان المستهدف. ومعناه أن الترجمة تحدث انقطاعاً مع الميدان المصدر، بما يشتمل عليه من صراعات وركائز لتلك الصراعات، إلا أن هذا لا يعنى أن المجتمع المصدر يغيب فى الترجمة. ففى الحقيقة أنه يكون حاضراً تحت قناع معين فى النص المستهدف، ومنذ اللحظة التى يحصل فيها النص على الإقرار بأنه مترجم عن لغة وثقافة أجنبيتين، ومنذ اللحظة التى يُعلن فيها عن مصدره الأجنبى بهذه الإشارة التى تظهر على صفحة العنوان: ترجمه "فلان" عن اللغة "العلائية" تقوم علاقة ما مع مجتمع الأصل، وهو الأمر الذى يُنتج رؤية لذلك المجتمع كما يبدو فى نظر المجتمع المستهدف. وحالما تظهر عبارة "ترجمه فلان عن اللغة العلائية" على صفحة العنوان تتحقق مشروعية المجتمع المصدر فى المجتمع المستهدف، أى تكون قد اكتسبت تاريخية وذاتية جديدتين، وفى حالة ترجمة الأدب الأمريكى فى سياق الثقافة الفرنسية بعد الحرب، يحق لنا أن نقول إذا كان فى طوعنا أن نقيس المشروعية (ضمن أشياء أخرى) بعدد الترجمات، فإن الأدب الأمريكى يحظى بمشروعية ملحوظة فى المجتمع الفرنسى بالمقارنة - بطبيعة الحال - بعدد الترجمات للأعمال غير الأمريكية خلال نفس الفترة.

ولعلها صورة مجتمع بأكمله، تلك التى تأتى إلى مدى الرؤية عند الترجمة. مع أن هذه الرؤية قد تكون مخطئة أو منصفة أو منحازة - وبطبيعة الحال - ليس فى طوع نص واحد أن يعكس رؤية كاملة لمجتمعه، ولا حتى رواية "بلزاك" البانورامية: "الكوميديا الإنسانية" *La Comédie humaine* فأى نص يرفع صورة جزئية تقتصر صحتها على القطاع الذى عولج فى إطار الإفصاح اللغوى المخصوص الذى يبينه النص نفسه، والصورة التى تخلقها الترجمات إذا أخذناها فى كليتها للمجتمع المصدر تستحق قدراً

من الرأسمال الرمزي يجرى تبادل بين تلك المجموعات الاجتماعية المستهدفة التي تنتفع بهذا الأدب مترجماً.

٧ - تركيبية بنيوية

لا يضيف "بورديو" على تركيبته أى طابع مثالي، فهي "تركيبية بنيوية"، و"البنيوية أو البنيوى أقصد أن هناك داخل العالم الاجتماعى نفسه، وليس داخل الأنساق الرمزية (اللغة والأساطير إلخ) وحدها، بنيات موضوعية مستقلة عن وعى وإرادة المنتجين/الفاعلين، الذين يستطيعون توجيهه وتقييد ممارساتهم وأنوارهم." ("بورديو" ١٩٨٩: ١٤) وهي تركيبية تُمارس خلالها السلطة الرمزية بالتعاون مع أولئك الذين يخضعون لها، ولكن قدراً من "الوعى" بهذا التعاون ليس كافياً لهذه السلطة الرمزية كي تتحقق، فالسلطة - كما سبق لنا أن رأينا - تُفصح عن نفسها فى ميادين معينة خلال كيانٍ مادى صار مجتمعاً عبر المعتقدات وما تحت أيدينا الآن، بالتالى عبارة عن تركيبية تضع فى الحسبان البعد غير الواعى للفعل الإنسانى.

عند هذه النقطة يجدر بنا أن نتذكر مكوناً آخر لنموذج "بورديو"، وهو مكونٌ يسلط الضوء على الطابع العلاقتى للسلطة، وفى ميادين معينة نجد أن المنافسة هي التي تؤسس قواعد اللعبة التي تجرى بين منتجين/فاعلين متعددين، يحرص كلٌ منهم على اكتساب أحسن موقع لأنفسهم ولحلفائهم، والمنافسة المتعاونة أو المنافسة المتصارعة بين المنتجين/الفاعلين هي التي تخرج بالميدان إلى الوجود فى المقام الأول، وهذا واضح فى الصراع بين الناشرين على الاستحواذ على النصوص بهدف ترجمتها والفوز بعقود من المؤلفين الأجانب ووكلائهم تُقصر حقوق الترجمة عليهم دون سواهم. وعلى سبيل المثال وقعت منافسة طاحنة بين كلٍ من "ستوك" Stock و"دلامان" Dela-main و"بوتللو" Boutelleau من جانب و"جاليمار" Gallimard من جانب آخر، انتهت بحصول الطرف الأول على حقوق الترجمة بخصوص رواية "سكوت فيتزجيرالد" Scott "Fitzgerald" "ناعم هو الليل" Tender is the Night ، وقد ترجمتها "مارجريت شيفاللى"

Margurette Chevalley كى تُنشر تحت عنوان *Tendre est la nuit* ، مع مقدمة المشرف على الأدب "أندريه باي" André Bay .

يوزع المترجم بصفته منتجاً/فاعلاً خبرته أو سر صنعته على نصٍ بالتوافق مع الميدان المستهدف المعين الذى ينتمى له هذا النص. على أن انتماء النص هو أمر يجرى التفاوض بشأنه بهدف تجاوزه فى الميدان المستهدف خلال الطريقة الخاصة التى يتبناها المترجم فى ترجمته. ونتيجة لذلك يكون اقتصاد التبادلات الرمزية هو الآخر تفاضلياً فى أن طريقة المترجم فى الترجمة تمثل شكلاً من أشكال التفاوض بين "ما هو ممكن" مما يتحمّله الميدان وبين التميّزات التى يسمح بها. ويمكننا دراسة البعد التفاضلى للترجمة عندما تتوفر عندنا ترجمات عديدة لنص واحد، أى عندما يُعاد ترجمة نصٍ ما بعد مدة من الزمن لأسبابٍ تظل فى حاجة للفحص. وفى هذه الحالة يكون التحليل التباينى *contrastive analysis* للترجمات ممكناً، كما تظهر المواقف التى اتخذها الناشر والمترجم للعيان بوضوح، ولقد ترجم "موريس ريمون" Maurice Rémon الرواية التى كتبها "جون نوس باسوس" John Dos Passos بهذا العنوان "١٩١٩" ونشرتها دار Editions sociaux internationals فى سنة ١٩٣٧ ثم عادت "إيف مالارتيك" Yves Malartic إلى ترجمتها فى سنة ١٩٥٢ باسم "السنة الأولى فى القرن" (1919) *L'an premier du siècle* . وقد نشرت هذه الترجمة فى سلسلة "من مختلف أنحاء العالم" التى تصدرها "جاليمار" وتكشف المقارنة بين الترجمتين مواقف مختلفة تماماً فى الميادين الأدبية المستهدفة فى فرنسا.

٨ - استنتاج

لا يُنظر إلى الترجمة بصفقتها إنتاجاً، فى ضوء النهج التى رسمنا خطوطه العريضة هنا، خلال الاستخدامات التى تُكتشف لها، ولا الوظائف التى تتناسب معها أو العوامل التى تحددها، فدراسة الترجمة كمنتج تتقصى اللحظة التى تنبثق فيها الترجمة وفقاً لبيئة المترجمين النشطين فى الميادين التى تقصدهم الترجمات، وبالتالي فالترجمة بصفقتها منتجاً تنهض على التعاطف بين نمط إضفاء الطابع الاجتماعى

الذى يتجسّد، أى ذلك الطابع فى البيئة التى تفرض شروط الممارسة الاجتماعية للترجمة من ناحية، ومن ناحية أخرى الذاتية المترخّة أو التى اكتسبت سياقاً تاريخياً، وهو الأمر الذى ينتج عن انتماء النص المترجم إلى ميدانٍ معيّن، هذا التعاطف أو بعبارة "بيرمان" "الدافع إلى الترجمة" *pulsion à traduire* ("بيرمان" ١٩٨٦) نعثر عليه فى ذاتية المترجمين، كما تتبدى فى السير والسير الذاتية والتمهيدات والمقدمات والتعليقات التى ترد فى الختام وفى هوامش المترجم وخلافه، ولكن - وكما نعرف كلنا - هناك نقص مفعج فى الوثائق التى يشرح فيها المترجمون الكيفية التى يتصوّرُون أنفسهم عليها والطريقة التى يزاولون بها عملهم. ويرتبط هذا النقص بما يدعوه "لورنس فينوتى" (١٩٩٥) "احتجاب" المترجمين. ولكن الدراسات الترجمية لن تصل - من فورها، سن البلوغ - إلى أن يحتل المترجمون - هم أيضاً - مكانهم الذى يستحقونه فى ميدان الإنتاج الثقافى ويستشعرون الحرية فى الإفصاح عن تجربتهم الخاصة فى ميدان الترجمة.

الهوامش

- (١) أضاف "هولز" إلى هذا التفريق بين المنتج والعملية اختياراً ممكناً ثالثاً، هو البحث الموجّه - وظيفياً، وهو ما لا يصادف فلاحاً تاماً على نفس المستوى من زاوية الاتصال بالموضوع المطروح، نظراً لأن دراسة الترجمة كمنتج وكعملية يمكن أن تكون مقبولة وواقعية.
- (٢) يعد الحس العملي Le sens pratique للمتخرج توافقاً ضرورياً بين البيئـة habitus والميدان، فخلاله يجد المرء - مباشرة - ودون تردد، ما يجب عليه أن يفعل وما يجب عليه (التكرار مقصود. المترجم) أن يفعل بطريقة سليمة خلال ظرف الترجمة. (برديو ٢٠٠٠: ١٣٥-٦)
- (٣) ترجم "كواندرو" الخمسين صفحة الأولى - على وجه التقريب - وعندئذٍ استكمل "نوهاميل" الترجمة، محاولاً تقليد أسلوب "كواندرو" (١٩٧٢: ٥٢٣). ويلعب "كواندرو" الدور الرئيسي هنا، نظراً لأن "نوهاميل" هو الذى حاول جاهداً أن يتبنى أسلوب "كواندرو" فى الترجمة التى احتاجت من يستكملها. (لمزيد من التفاصيل، انظر "جوانيفتش" (٢٠٠٠)
- (٤) حلل "أنيك تشابدين" (1994) Annick Chapdelaine كيف أن ترجمات "فوكنر" إلى الفرنسية (وخصوصاً رواية "الكوخ" التى ترجمها "رينيه أيليريه" René Hilleret عجزت عن رؤية المضامين الكوميديّة للنص، كما طمست المواقف الخصوصية للهجات السود فى الولايات الجنوبية، وهذه الملاحظة تنطبق أيضاً على ترجمات "كواندرو".

الفصل السابع الترجومية (= قابلية الترجمة) بين أمشاق:

ترجمة "جرامشى" لمفاهيم "كروتشى"

ديريك بووتمان Derek Boothman

خلاصة:

طرح "توماس كوون" Thomas Kuhn فى كتابه "بنية الثورات العلمية" (١٩٦٢) - بين ما طرح - المشكلة التى تدور حول كيف يمكننا أن نترجم من نسق علمى إلى نسق علمى آخر، وكان "أنطونيو جرامشى" Antonio Gramsci قد أثار قبل ثلاثين سنة مشكلة مشابهة فى كتابه المعنون بـ "كراسات مسجون" حول الترجومية أو قابلية الترجمة والأولى التترجيم من لغة علمية إلى لغة علمية أخرى، وهو الكتاب الذى جاء نشره وقت ذاك خلال السنوات التى أعقبت الحرب مباشرة. وهذه الورقة تتقصى كيف تكفل "جرامشى" بترجمة عددٍ من المفاهيم الرئيسية إلى مشقه المادى-الواقعى، تلك المفاهيم المستخدمة فى مشق مثالى من الزاوية الفلسفية مثل مشق "بينيديتو كروتشى" Benedetto Croce ، الذى يعد أكبر فيلسوف محترف عرفته إيطاليا فى النصف الأول من القرن العشرين، وهو مشق وضعه الفيلسوف الإيطالى بهدف التصوير والتوضيح مع إقدامى على إعادة - تركيب والأولى إعادة بناء لتلك المصطلحات المترجمة من مشقٍ لآخر. وعلاوة على ذلك قدمت تعليقا على نهج "جرامشى" تجاه الاختلافات بين الثقافات القومية وعلى رؤيته لما يودى إلى دقة أكبر أو أقل فى مثل تلك الترجمات التى تُجرى من ثقافة لآخرى. وأخيراً ناقشت باختصار بعض الأمثلة على الترجمات التى تتم من مشقٍ لآخر، بما ذلك مشق "جرامشى" أو أمشاقٍ أخرى مشابهة وملائمة.

(١) ما معنى الترجمة من مشق لآخر

تعلق "لويزا باسيريني" Luisa Passerini في العدد الأول من السلسلة الجديدة من "مجلة اليسار الجديد" New Left Review على ما تدعوه بـ "فشل قيام أى تقاليد مشتركة أو أى نقل للمعاني" فى منطقة محددة واحدة من العلوم الاجتماعية، الأمر الذى يشمل مؤرخين من مختلف الأجيال السياسية، وهذا ما يشير - على هذا النحو تمضى كى تقول - "ليس إلى عدد كبير من اللغات الراقية المختلفة، بل إلى صعوبة كبرى فى الترجمة من أى واحدة منها إلى الأخرى". ("باسيريني" ٢٠٠٠: ١٤٠) وقد أكد المرحوم "توماس كوون" على إشارة تكاد أن تكون مشابهة فى كتابه "بنية الثورات العلمية" (١٩٧٠: ٢٠٣) ثم تابعت حديثها فى الجدل الذى دار حول ذلك الكتاب بأن كثيراً من العلوم الاجتماعية يبدو موسوماً بـ "الادعاءات والادعاءات المضادة والمساجلات حول الأصول"، تماماً مثلما كان عليه الحال فى الجدل الذى سبق "سقراط" (القبل - سقراطى) وهو الأمر الذى أسفر عن أنه "لا يشبهه من قريب ولا بعيد" فى ضوء مفهومه عن مرحلة "العلم المعيارى" normal science لما يُسمى بالعلوم الصارمة ("كوون" ١٩٧٤: ٦) بين مثل هذه الأنماط من "الخطاب النقدي" نجد فى رأى "كوون" ليس المشاكل التى تتعلق بالترجمومية (= القابلية للترجمة) لنفس المصطلحات الهوموفونية (= كلمات تشترك فى النطق لكنها تختلف فى الدلالة وغالباً الكتابة. مثال: "حما" بمعنى أحد الأسماء الخمسة أو الستة فى حالة النصب وهو والد الزوج أو الزوجة، و"حمى" بمعنى فعل ماضى للمفرد الغائب ومضارعه "يحمى". المترجم) أو للمصطلحات التى تلعب أدواراً متساوية فى بنية الأمشاق المتناظرة، بل وأحياناً عدم الترجومومية (=عدم القابلية للترجمة) بحق بسبب التوصيفات المتعارضة للواقع التى يقدمها ما يطلق عليه "كوون" الأمشاق التى تمتنع على القياس عليها.

ويسهل علينا فهم هذا "الإمتناع على المقايسة" تماماً فى بعض الحالات فى العلوم الدقيقة: هناك "امتناع على المقايسة" من ذلك النوع - واضح تماماً - على سبيل المثال، بين النسق الذى يقول بمركزية "الأرض" والنسق الكوبرنيكى (=نسبة لـ "كوبرنيكوس")

الذي حل محله، ولكن بينما كان "كوون" يتناول اللغات الشكلية نجد سلطات معينة تتبنى - لواقع متنوعة - رأياً مشابهاً في اللغات الطبيعية هي الأخرى. وقد يكون في طوعنا أن نشير إلى الفرضية الإنسانية (=الأنثروبولوجية) التي طرحها كل من "سابير" و"وورف" Sapir-Whorf ، وكذلك إلى رأى "كين" Quine الذي يرى أن التجربة لم تحكم بشكل حاسم under-determined على خطط المفاهيم المتعارضة: في حدود شخص يحط في أرض ثقافة اجنبية دون إلمام بلغتها، تصبح الترجمة الجذرية الناتجة مبهمة.

ما أود طرحه في الصفحات القليلة التالية يتمثل في محاولة الربط بين بعض مظاهر ما سبق لى أن ذكرته عاليه وبين مجموعة الفقرات القصيرة المعنونة باسم "ترجومية أو قابلية الترجمة بين اللغات الفلسفية والعلمية"، في الكراسة الحادية عشرة من كتاب "أنطونيو جرامشى" المعنون "كراسات مسجون" Prison Notebooks . يستخدم "جرامشى" (٢٢ يناير/طوبية ١٨٩١ - ٢٧ أبريل/برمودة ١٩٣٧ مثقف وسياسى إيطالى بارز، وهو مؤسس الحزب الشيوعى الإيطالى، وقد أودعه الفاشيون بعد أن حظروا الحزب السجن فى سنة ١٩٢٦ كى يقضى ١١ سنة وراء القضبان، وخلال هذه الفترة كتب الكتاب المذكور الذى نشره تلاميذه بعد وفاته فى سنة ١٩٤٧ بعنوان Lettere dal carcere . المترجم) أيضاً، خلال تناوله الأمر من زاوية مختلفة، "المشوق"، كمفهوم وحتى كمصطلح فعلى - ولكن فى حالته - كما يُشار إليه فى ضوء العلوم الإنسانية. وقد يبدو غريباً عند البعض أن نستشهد بـ "جرامشى" فى مسائل تتعلق باللغة والترجومية أو قابلية الترجمة، طالما انصب اهتمامه فى "كراساته" تلك إلى حد كبير على السياسة، إلا أن كتاباته تضى إلى أبعد من ذلك، ولا ينبغى فى هذا الصدد أن ننسى أن دراسته الجامعية كانت فى اللغويات، والحقيقة أنه منذ أصبحت النسخة الكاملة من "الكراسات" متوفرة فى إيطاليا فى أواسط السبعينات (=السبعينيات) شرع اللغويون - هناك وأحياناً فى كل مكانٍ آخر - يتبنون عدداً من استبصاراته (=نظراته الثاقبة) التى وردت فى كتاباته، ولقد نشرت^(١) له حتى الآن فى العالم الناطق باللغة الإنجليزية - بين كتاباتٍ أخرى - ثلاث ترجمات منفصلة لبعض أو كل الملاحظات التى كتبها حول الترجومية (=القابلية للترجمة).

يبدأ "جرامشى" من المقدمة التى تقول بضرورة وجود نوع من التشابه الكامن، كى تكون الترجمة ممكنة بين اللغات - سيان كانت طبيعية أو خلاف ذلك - أو الثقافات. ومع ذلك يجب الحذر هنا عند تحديد ماهى طبيعة الترجمة فى واقع الأمر، وهنا يحسنُ بنا أن نستعيد عبارات "جرامشى": "الترجمومية (=القابلية للترجمة) لا تنطوى على "كمال" فى كافة جوانبها، بما فى ذلك الجوانب المهمة(و لكن ما هى اللغة القابلة للترجمة - بصورة دقيقة - للغة أخرى؟ وما هى الكلمة الفرد القابلة للترجمة بدقة للغة أخرى؟) غير أنها كذلك أى بالغة حد الكمال فى أساسياتها الرئيسية. ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٠٩) واتفاقاً مع ما يُميّز نهجه الشامل، فإنه لا يتخذ موقفاً مطلقاً للنزعة متخشباً تجاه ما إذا كان فى الإمكان ترجمة المفاهيم أم لا، وهو بهذا يبدو وقد تبنى موقفاً مختلفاً عن نهج "كوون" الضمنى تجاه العلوم الإنسانية على نحو ما يقرره الاقتباس الموجز عليه.

فما كان فى ذهن "جرامشى" هو - فى الواقع - ثلاثة أنماط من الترجمة، وهو الأمر الذى يجعل من ملاحظاته حول الموضوع مستعصية أو تكاد سواء على التكثيف أو التقاط مغزاها بصورة فورية، أولاً: بخصوص الترجمة "القيومة" orthodox من لغة إلى أخرى، وفى وقتٍ لاحقٍ يوسّع تعليقه هنا فى حديثٍ جانبيٍّ يحمل طابعاً معيارياً إلى حد معقول، ويلاحظ عند حديثه عن تمارين الترجمة التى يتعلمها تلاميذ المعاهد العالية من اللغات الكلاسيكية أن:

ما يبدو هوية عند بداية التمرين (كلمة rosa الطليانية = كلمة rosa اللاتينية) يكتسب تعقيداً متنامياً مع توالى سنوات "التدريب"، إذ يمضى بعيداً بصورة متزايدة عن المنظومة الرياضية mathematical scheme حتى يصل الأمر إلى إطلاق حكمٍ تاريخى أو حكم تنوقى، ففيه تغلب القوة التعبيرية "المتفردة والفريدة"، وهذا ما ينطبق أيضاً داخل نطاق اللغة الفرد بحد ذاتها، على التنويعات الدلالية التاريخية وعلى التنويعات المحددة - وظيفياً داخل نطاق هذه الجملة أو تلك. ("جرامشى" ١٩٨٥: ٣٨٤-٥)

ثانياً: يتحدث "جرامشى" عما يمكننا أن نطلق عليه الآن الترجمة داخل نفس اللغة ليس تماماً على النحو الذى يستخدم به "جاكوبسون" (١٩٧١: ٢٦١) المصطلح، بمعنى إحداث صياغة جديدة داخل لغة طبيعية، لكن بمعنى ترجمة بين أمشاق والأولى من مشق إلى آخر، ومن باب ضرب الأمثلة يستشهد بتعليقات الاقتصادى الليبرالى "لويجى أينودى" Luigi Einaudi حول قدرة الفيلسوف البراجماتى "جيوڤانى فيلاتى" Giovanni Vailati على بسط براهين على نفس النظرية فى اللغات، مماثلة للمدراس المختلفة فى الفكر الاقتصادى ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٠٥). ويصف فى إشارة سابقة بوقت بسيط عن نفس الموضوع، هذه العملية بأنها "ترجمومية أو قابلية للترجمة متبادلة بين هذه اللغات" ("جرامشى" ١٩٩٥: ١٨٣) ويمضى كى يقول فى الملاحظة الأخيرة كى يستشهد بمثال آخر: قد يصل المرء - سواء أكان يستخدم المشق الاقتصادى للمنفعة الحدية (=الهامشية) أم لا - إلى نفس التفسير للأرباح الذى تذهب إليه نظرية العمل التى تقوم على القيمة. (٢) وهنا يشير "جرامشى" إلى تأكيد "فريدريك إنجلز" (فيلسوف ألمانى عاصر "كارل ماركس" وشاركه فى تأسيس الشيوعية الحديثة، وقد حرر الجزءين الثانى والثالث من "رأس المال" بعد رحيل "ماركس" ١٨٢٠-١٨٩٥ المترجم) بأن الصيغة التى طرحها الاقتصادى الذى يقول بالنظرية الحدية "فيلهلم ليكسس" Wilhelm Lexis لنظرية الأرباح "تعادل النظرية الماركسية عن فائض القيمة" وفى حقيقة الأمر (...) "ليست سوى صياغة للماركسية بكلمات أخرى" ("إنجلز" ١٩٦٧: ٩-١٠) فى هذين المثالين، نجد رؤية للمنظومات المفهومية المختلفة باعتبارها شاملة لنفس الحقيقة بطرق مختلفة. وعلى هذا النحو نتعامل مع ترجمات المفاهيم بين مختلف الأمشاق، بدلاً من لغة طبيعية إلى أخرى.

الخطوة الثالثة التى يخطوها "جرامشى" تتمثل فى طرح تخطيط عام للشروط التى قد تتم وفقاً لها ترجمة ما من ثقافة أمة ما إلى ثقافة أمة أخرى أى ترجمة بين ثقافات. وهنا يكون المرء قد دخل فى التعامل مع خطابات كاملة قد تنتمى لميادين لا صلة بينها على المستوى السطحى، ولكنها تعكس عمليات اجتماعية عند مستوى أعمق، وهذه نقطة لا يجد أحد، يلم إماماً طفيفاً بكتابات "ماركس" (أو "شترواس") أى صعوبة فى قبولها.

وهو يصف العملية بقوله: "البنيتان المتشابهتان بشكل أساسي اللتان تملكان بنيتين فوقيتين متكافئتين" - تتبادلان القابلية للترجمة أى تقبلان الترجمة كل إلى الأخرى، أياً كانت اللغة القومية الخاصة. ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣١٢) حيث يتعين علينا أن نفهم عبارة "المتشابهتان بشكل أساسي" بصفقتها تشير إلى مجتمعات بلغت مراحل اقتصادية - اجتماعية تصل إلى حد من التطور يمكننا من عقد مقارنة بينها.

تسعى المساهمة الحالية (فى النقاش) بشكل أساسي إلى إمعان النظر فى النمط الثانى من هذه الترجمات، فى المثال الرئيسى على وجه الترجيح الذى عالجه "جرامشى" نفسه. وتلك هى الترجمة فى ضوء مشقه الماركسى الخاص من المفاهيم، بعد استلامها من الفيلسوف المثالى الإيطالى "كروتشى". وفى ظل مصطلح "جرامشى" نفسه يشير البعض أحياناً إلى العملية بصفقتها ترجمة من لغة حدسية (= تخمينية) إلى متترخة (= أضفى عليها طابع تاريخى) أو لغة متترخة واقعية، عوضاً عن المصطلحات الأكثر معيارية للمثالية والماركسية على التوالى. وأمل خلال استكشافى لهذه المنطقة ثم الاستشهاد ببعض الترجمات الأخرى بين الأمشاق، أن أشير إلى أساليب ممكنة قد تظهر فيها اختلافات أو تشابهات بصورة واضحة بين الأمشاق، وهو الأمر الذى يقود بالتالى إلى فهم أعمق لمشاكل التلاؤم بين المنظومات المفهومية المختلفة.

٢ - مشق جرامشى

ليس من باب المصادفة أن يكون "جرامشى" فى النصف الثانى من سنة ١٩٣٢ منهمكاً فى وضع الشكل النهائى لملاحظاته حول الترجومية أو القابلية للترجمة، وفى نفس الوقت كان أيضاً مشغولاً بعمل نفس الشئ بالنسبة لملاحظاته حول "كروتشى". وفى إيطاليا النصف الأول من القرن العشرين وقف "كروتشى" كالمثل الأكبر للنقائيد المثالية الفلسفية، وكشخصية رئيسية تقول بثقافة ديمقراطية غير - ماركسية، وتسيطر على ميادين الفلسفة والتاريخ والجماليات الأدبية literary aesthetics (=علم الجمال الأدبى). ويقول "جرامشى" عن نفسه (١٩٩٥: ٣٥٥) إنه كان "منحازاً نوعاً ما لـ"كروتشى"

خلال وعقب السنوات التي قضاها في دراسته الجامعية مباشرة، لكنه حسم أمره معه خلال الترجمة بين الأمشاق (=من مشقٍ لآخر) التي أجراها عن "كروتشي". وقد ورد التسويغ النصوصي لهذا القول في بداية الجزء الثاني من الكراسية العاشرة الذي عنونه بـ "فلسفة كروتشي". وهناك نجد فقرتين موجزتين يعلّق فيهما بأن ملاحظاته حول "ترجومية أو قابلية اللغات الفلسفية والعلمية للترجمة" في الكراسية الحادية عشرة الملاصقة، ينبغي أن تُجمع مع تلك الملاحظات التي تدور حول العلاقة بين ما قال به من فلسفة "الواقع التاريخي" ^(٢) والفلسفات "الحدسية"، وهو الأمر الذي يشير إلى فلسفة "كروتشي" ("جرامشي" ١٩٩٥: ٣٠٦). كما أفصح بصريح العبارة - أيضاً - عن القول بأن الفلسفة الأولى: "الواقع التاريخي" تستطيع ترجمة الأخيرة أي الفلسفات الحدسية خلال مصطلحاتها، ومن هنا فإن بوسعنا أن نرى في شغل "جرامشي" على "كروتشي" ترجمته الخاصة إلى مشق فلسفة "الواقع التاريخي" لنقطة عالية بلغتها الفلسفة المثالية في إيطاليا.

عند الحديث عن الترجمة تقفز مشكلة - مع ذلك - لكتاب مثل "جرامشي". فالأول نظرة يبدو نهجه انتقائياً إلى حد كبير، والحقيقة أن المفاهيم التي يستخدمها مستقاة من نطاق واسع من المفكرين، وخصوصاً أولئك الذين ظهروا بعد نقطة التحول التي يراها وقد تمثلت في الثورة الفرنسية، ولكنها أيضاً ترجع إلى الوراء حتى "ميكيافيللي". ويتلخّص ما لاحظته دارسو "الجرامشية" من الجيل الأخير في أن هذا الفيلسوف عندما يضمن في خطابه مصطلحاً مستقى من هنا أو هناك، يون تغيير الكلمات المستخدمة، فإن معناه يتغير مع ذلك. وفي حالات أخرى قد يأخذ مصطلحاً من هنا أو هناك، وتحت ظل لافتة مختلفة، يعيد تأويله لتخليق مفهوم يحوز وظيفة مساوية أو مشابهة داخل نطاق حديثه هو نفسه، وكلاهما مثالان على الترجمة بين الأنساق أو من نسقٍ لآخر، مع ما يجمعهما من خاصية مشتركة تتمثل، سواء أكانت المصطلحات المتضمنة هي نفسها أو مختلفة، في المفاهيم التي تتعرض لتحوّل دلالي عند نقلها ("ترجمتها") من نسقٍ لآخر، في نفس الوقت الذي قد لا يكون الوضع الذي تحتله في هرمية نسقٍ ما مماثلاً - بصورة تلقائية - لنفس الوضع في هرمية الآخر (انظر "كون" أيضاً ١٩٧٠: ٢٠٠).

يظهر عدد كامل من مثل هذه "الترجمات" في خطاب "جرامشى" (٤) ، لكننا سوف نركّز هنا - وحسب - على بعض المصطلحات التي تبناها "جرامشى" وكيفها من "كروتشى"، وبالتحديد "التاريخ السياسى - الروحى" (انظر قسم رقم ٣ أدناه) و"جدل الفروق" (قسم ٤) ومعه السؤال العام الذى يخص الجدل، والعلاقة بين "الخطأ" و"الأيدولوجية" أو "الوهم" (قسم ٥)

٣ - التاريخ السياسى - الروحى، والمادية التاريخية والهيمنة: قوانين تجريبية ورتبة هرمية

علّقنا بالفعل أعلاه على الأهمية التي يحتلها "كروتشى" فى الثقافة الإيطالية، والحقيقة أن الـ "كراسات" التي كتبها "جرامشى" تحتوى على إشاراتٍ إلى "كروتشى" أكثر من أى فيلسوفٍ آخر، بلا استثناء، ومن بين المفاهيم التي ابتكرها "كروتشى" نجد مفهوم "التاريخ السياسى - الروحى" الذى انطوى على أهمية خاصة لـ "جرامشى"، والواقع أن "جرامشى" كان قد تلقى فى السجن كتابين من تأليف "كروتشى" هما "تاريخ إيطاليا من سنة ١٨٧١ حتى ١٩١٥" (١٩٢٨) و"تاريخ أوروبا فى القرن التاسع عشر" (١٩٣٢) وهو الكتاب الذى طبّق فيه ذلك المفهوم، وقد اعتبرهما "جرامشى" بمثابة "الكتاب المنثور؛ لكى يصير مشق الكتابة التاريخية الكروتشسية" و"تاج منجزاته" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٢٤٨ و٣٦٧ على التوالى).

يشرح لنا "كروتشى" ما كان يعنيه بمصطلح "التاريخ السياسى - الروحى" فى مقالاته التي نشرها على شكل كتابٍ فى أواسط عشرينات (= عشرينيات) القرن العشرين ("كروتشى" ١٩٢٦) وأصبحت متوفرة تحت هذه العناوين "التاريخ الاقتصادى - السياسى والتاريخ السياسى - الروحى" و"الصراع الذى لا ينتهى بين الكنيسة والولة" ("كروتشى" ١٩٤٦)، وهنا يجدر بنا أن نفهم ممثلى "الكنيسة" - فى هذه المناسبة - بمعنى مجازى واسع، كى يعنى "أولئك الذين يمثلهم فى المجتمع

العلماني الحديث، سحنة الأفكار" ("كروتشي" ١٩٤٦: ١٢٩) بمعنى صفوة أخلاقية -mo ral élite من "المثقفين"، مستعملين هنا اسماً لم يكن وقت ذاك رهن الاستعمال الشائع في شكله الإيطالي: élite . ففي هذه المقالات يشرح "كروتشي" أن ما يعنيه بمفهومه لـ "التاريخ السياسي - الروحي" هو تاريخ "روحي"، راصداً التيار الرئيسي في التاريخ الإنساني كتوسيع للأخلاقية على نحو ما يمثلها أولئك المثقفون أو الصفوة. ويتفق المعلقون على أن مفهوم "كروتشي" للأخلاق كان متصلاً وقت ذاك - بصورة وطيدة - بالحرية وتلك الحرية المزيدة ترتبط عنده بشكلٍ جوهري، وليس مجرد ارتباط اشتقاقي بالليبرالية ("بوبيو" 1998: 39-40). وهذا المفهوم للحرية هو الذي يميز التاريخ السياسي - الروحي، كما سبقت الإشارة.

يلاحظ "روبرت كابونيري" Robert Caponigri خلال مناقشته لتاريخي "كروتشي" السياسيين - الروحيين/الأخلاقيين المصاغين في مشقين، أن "القوة السياسية - الروحية/الأخلاقية الفعالة والإيجابية في القرن التاسع عشر كانت الليبرالية، التي أمدت ذلك القرن بمثاليته وإرادته الأخلاقية الفعالة" وأن إحدى "التييمات" (= جمع "تيمة") الرئيسية لهذه التواريخ كانت كيفية ترجمة الحرية التي تحدد الليبرالية إلى مؤسسات ("كابونيري" ١٩٥٥: ١٧٥) وفي عبارة "كروتشي" الخاصة، الهدف الذي يضعه نصب عينيه السياسي - الروحي "ليس الدولة وحدها... بل أيضاً ما هو موجود خارج الدولة وبالتحديد المؤسسات الأخلاقية" ("كروتشي" ١٩٤٦: ٧٣). فهو - أي "كروتشي" - يميل إلى القفز على التاريخوجغرافيا الماركسية، التي كان قد "غازلها" قرب نهاية القرن التاسع عشر، وخلال تلك الفترة قبل، بصورة غير نقدية - في رأي "جرامشي" - قراءة للماركسية كتب عنها - هو نفسه - عند انحناؤه القرن بصورة لاذعة ("جرامشي" ١٩٩٥: ٤١٥-٤١٦) وهكذا فاتفاقاً مع "مراجعة" الماركسية - والأولى نبذها - تلك التي أعلن عنها "كروتشي" في مقدمته لطبعة سنة ١٩١٧ من كتابه "Materialismo Storico ed Economica Marxistica" (واحد من عدة أشياء غير متوفرة في الترجمة الإنجليزية لذلك الكتاب) يلاحظ "كروتشي" أنه "فيما يتعلّق بالنظرية السياسية فيبدو أن مفهوم السلطة والصراع الذي انتزعه أو خصّمه من الدول كي يسلمه للطبقات، يرجع الآن مرة أخرى

من الطبقات إلى الدول ("كروتشى" ١٩١٧: مقدمة، xvi). وهنا يخلص "كابونيرى" إلى نتيجة مزبوجة، تتمثل بالنسبة لـ "كروتشى" فى، أولاً: الحرية هى المفهوم الذى يحدد ماهية الروح الإنسانية بطابعها الأونطولوجى (الأنطولوجيا هو فرع من الميتافيزيقيا يتناول طبيعة وعلاقات الوجود. المترجم) فخلال هذا المفهوم (للحرية) نستطيع إدراك كنه الروح الإنسانية فى كفييتها النهائية من الوجود ... والتاريخ السياسى - الروحى ... هو تاريخ الحرية الإنسانية، وذلك لأن الحرية شكلٌ مكوّن للروح الإنسانية ككل" وأن ثانياً: "مفهوم التاريخ كتاريخ الحرية يتطلب الحرية كمكملٍ عملى ضرورى بصفتها مثلاً روحياً - أى غاية - بل والغاية الأساسية لكل نشاطٍ عملى" ("كابونيرى" ١٩٥٥: ١٧٦-١٧٧)

وقد صدق على هذا الرأى "كروتشى" نفسه، الذى قال بـ "نسبة التواريخ بأسرها إلى النشاط العملى ... أى أنها تفقد استقلالها الذاتى كى تصبح جزءاً من أخلاق (أى تاريخ سياسى - روحى) ("كروتشى" ١٩٤٦: ٧٥). فالحرية والتحرر يمثلان معاً القوة الدافعة والنتيجة أو غاية التاريخ، وفى الوقت الذى يغفل فيه عن أزمة التوتر والفقر إلخ، إلا أنه لا يدرجها فى نموذجها مكتفياً بالإشارة إلى أن هناك أزمة يسودها الفقر والعسر، أو الجشع المسعور إلى جمع المال والطغيان والعبودية، خلال مثل هذه الأزمنة تجد الروح الأخلاقية أو الدينية نفسها وقد عجزت أو كادت عن التنفس، ومع ذلك فإن هذه الروح لا تغيب أبداً ولا تكف مطلقاً عن الحياة" ("كروتشى" ١٩٤٦: ١٢٧) وفى الحقيقة ظلت هذه الروح باستمرار أسمى ما يشغل بال "كروتشى"، وقد اتخذت شكلاً وجوهراً ملموسين غير زائفين، والنتيجة التى يخلص إليها بخصوص العلاقة بين التاريخ السياسى - الروحى وبين المادية التاريخية لا تزيد عن أنه مثلما كان "بين أوائل الذين وصّووا بدراسة مفاهيم المادية التاريخية، كان دائماً ينصح بالتعامل مع "أحكامها الصارمة" على اعتبار أنها مبادئ تجريبية بسيطة للبحث" ("كروتشى" ١٩٤٦: ٦٨) حيث تحل كلمة "مبادئ" canons الأكثر دقة محل كلمة "قواعد" rules فى ترجمة "كاستيليونى" Castiglione ، وبذلك يكون قد خفّض مرتبة المادية التاريخية إلى موضع ثانوى فى بنية التاريخ السياسى - الروحى.

يحوز نهج "كروتشى" هنا وزن التقاليد الذهنية العظيمة الشأن، التي تقف وراءه وخصوصاً الكتابة التاريخية الألمانية، التي عرفها القرن التاسع عشر، وبهذه الصفة لا يجوز لنا طرحها جانباً دون ترو، فهي تعدل هذه التقاليد باحتوائها كل مما ترى فيه المدرسة الألمانية "بطريقة غاية فى الضيق" ما تعتبره "الدولة" (بالنسبة لـ "كروتشى" العضو "السياسى"، انظر "جرامشى" ١٩٩٥: ٣٧٢) و"ما يُعد مجتمعاً" (العضو الروحى انظر "كروتشى"، ١٩٤٦: ٧٢-٧٣). فالمنطقة المشمولة بالتناول تكاد أن تكون هي نفس المنطقة فى مشق "جرامشى"، ولكن بالنسبة له أى "جرامشى" فإن "كروتشى" لم يمض فى الشوط حتى منتهاه، فالكتابة التاريخية عند "كروتشى" تتكون من إعادة - بناء ما يمكن أن يُسمى بالتناظر، مع مفهوم "كون" عن "العلم المعيارى" - normal sci- ence، بـ "التاريخ المعيارى" normal history، ولكن كما أننا لا نستطيع أن نستوعب تماماً مظاهر العلم المعيارى اليوم - إذا جاز التعبير - مثل "ميكانيكا الكم" quantum mechanics أو النسبية، دون الوقوف على خلفية إخفاقات الأمشاق السابقة عليهما (الميكانيكا الكلاسيكية عند تطبيقها على المستوى التحت - ذرى (= المستوى الأدنى من الذرة) sub-atomic level أو بعض مظاهر الجاذبية النيوتينية (= نسبة إلى إسحاق نيوتن" ٢٥ ديسمبر/كياك ١٦٤٢ - ٢٠ مارس/أمشير ١٧٢٧ (حسب التوقيت القديم) عالم فيزياء ورياضيات إنجليزى، يعد عمله تتويجاً للثورة العلمية فى القرن السابع عشر. ولعل أهم اكتشاف له هو سر تماسك الكون: الجاذبية. المترجم) والثورة التي فتحت الطريق أمام وصول أمشاق جديدة، فإن "جرامشى" يكون قد أصاب، على نفس المنوال، الهدف فى إحدى فقراته الأكثر حرارة وبلاغة، عندما يقول إننا لا نستطيع فهم تواريخ أوروبا وإيطاليا ما بعد سنة ١٨٧١ فى القرن التاسع عشر، دون أن نستعيد الثورة الفرنسية والحروب النابليونية فى الحالة الأولى وحركة الإحياء الإيطالية - Risorgi- mento (= حركة سياسية نشأت فى القرن التاسع عشر تدعو إلى وحدة إيطاليا. المترجم) فى الحالة الأخرى ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٤٨-٤٩، ٣٣٠).

لا يزال كل هذا أبعد عن الإحياء بأن "جرامشى" رفض التاريخ السياسى - الروحى الذى دعا إليه "كروتشى"، وهناك قولان لـ "جرامشى" ينطويان على أهمية كبيرة

في هذا الصدد. فخلال القراءة، يحتوى نهج "ماركس" فى طياته "لمحة إلى مظاهر سياسية - روحية فى علم السياسيات politics أو نظرية الهيمنة والقبول، بالإضافة إلى مظاهر كل من القوة والاقتصاد" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٩٩)، وتتبدى المعانى الضمنية للعبارة الأخيرة بصورة أوضح وتندرج بشكل أفضل فى مشق "جرامشى" فى موضع آخر: ف "التاريخ السياسى - الروحى - إلى الحد الذى ينفصل عنده - عن مفهوم "الكتلة التاريخية" historical bloc^(٥) ، وهو المفهوم الذى يحتوى تناظراً ملموساً بين المضمون الاقتصادى - الاجتماعى وبين الشكل السياسى - الروحى فى إعادة - بناء الفترات التاريخية المتعددة، لا يُعد أكثر من تقديم إشكالى لنظريات فلسفية على جانب من الأهمية، ولكنه ليس تاريخاً" ("جرامشى" ١٩٩٥ : ٣٦٠). وهنا نجد أنفسنا أمام اثنتين مما يسميها "إم.إيه.كى. هاليداي" M.A.K.Halliday انقطاعات دلالية أو قفزات ("هاليداي" و"مارتين" ١٩٩٣: ٨٢-٨٤) وواضح أن "جرامشى" يتحدث فى الاقتباس الأول عن مجاز أو استعارة القاعدة / البنية - الفوقية، التى يعرف جيداً أنها ترجع لـ "كارل ماركس" إذ يقول: "البنية الاقتصادية للمجتمع هى الأساس الحقيقى" لأى مجتمع معين "فعلياً تنهض البنية - الفوقية السياسية والقانونية" ("ماركس" ١٩٧٠: ٢٠) التى كانت لتشمل - فى رأى "جرامشى" - التاريخ السياسى - الروحى الذى قال به "كروتشى" كأحد مظاهر تلك البنية - الفوقية، وتتمثل الفجوة الدلالية الثانية فى التكافؤ الجزئى بين "الكتلة التاريخية" وبين نموذج القاعدة / البنية - الفوقية، وقد اختفت هذه الاستعارة / المجاز بصورة مطردة بين سنتى ١٩٣٢ و ١٩٣٣، كى تحل محلها استعارة أخرى هى "الكتلة التاريخية" blocco storico ("كوسبيتو" 1990 Cospito) اللهم عندما يجرى التقسيم إلى الجزئين لأغراض التحليل.

تتمثل النقط الرئيسية التى تترتب على ما سبق، فى أنه طالما أخذنا فى حسابنا عنصر القوة، فإن مفهوم التاريخ السياسى - الروحى الذى قال به "كروتشى" يكون متناسباً مع مشق "جرامشى"، وهنا قد تكون القوة بمثابة نمطٍ من الإلزام الخارجى، مثل العلاقات التى يدخل فيها الرجال والنساء، بالاستقلال عن إرادتهم، بالنسبة لـ "ماركس" ("الإنتاج الاجتماعى لوجودهم") أو قد تكون القوة التى تخلق موقفاً جديداً

مثل الصراعات التي انطوت عليها حركة الإحياء الإيطالية أو فترة الحروب النابليونية، وكلاهما مفقود في تواريخ "كروتشى"، أما الهيمنة فأشبهه بـ "قنطورس" عند "مكيافيللي" Machiavelli (كاتب وسياسي إيطالي، يعد كتابه "الأمير" عمله الأساسي الذي عرض فيه نظريته السياسية ١٤٦٩-١٥٢٧) نصف حيوان والنصف الآخر إنسان، وهو ما يرمز إلى كل من القوة والقبول، بينما بالتعريف الضيق للهيمنة كقبول، يكون التاريخ السياسي - الروحي بمثابة "تشيئ" hypostatization (=اعتبار المجرّد محسوساً. المترجم) للحظة الهيمنة، والقيادة السياسية والقبول في الحياة وتطوير نشاط الدولة والمجتمع المدني" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٤٣).

نقطة ثانية تتمثل في أن "كروتشى" بينما يقرر في مقاله الرئيسي حول التاريخ السياسي - الروحي أنه، "الوحيد بون سواه الذي يبدو تاريخاً، وتاريخاً بكل معاني الكلمة *par excellence*" ، ومفهوم التاريخ السياسي - الروحي في رأي "جرامشى" (يمكن تبنيه كـ "مبدأ تجريبي" للبحث التاريخي يحتاج الباحث بصفة دائمة أن يضعه في ذهنه ... طالما كان الهدف هو إنتاج تاريخ متكامل، وليس تاريخاً جزئياً أو تاريخاً عرضياً غير جوهري بالمرّة "تاريخ القوى الاقتصادية بصفتها هذه إلخ") ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٥٨ وبصياغة مختلفة قليلاً ٣٣٢) حقاً هناك تواؤم بين التاريخ السياسي - الروحي ومشق "جرامشى"، ولكن يجدر بنا أن نلاحظ ذلك في الترجمات المتبادلة التي يقوم بها أحد المفكرين لمنظومة يستصوبها مفكراً آخر (بمن في ذلك "كروتشى"، بطبيعة الحال، الذي اتجه بقراءته لـ "ماركس"، عوضاً عن "جرامشى") فهناك نجد قلباً للرتبة في البنية الهرمية، رأساً على عقب، فمن ناحية يرى "كروتشى" - من جانبه - أن توجهات المادية التاريخية ليست سوى "مبادئ تجريبية بسيطة للبحث" والمادية التاريخية التي قال بها "ماركس" ليست أكثر من "مبدأ تفسيري للتاريخ" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٣٥)، وإذا كانت المدرسة الألمانية قد كتبت "تاريخاً متكاملًا" ("كروتشى" ١٩٤٦: ٧٢)، فإن التاريخ السياسي - الروحي في تجاوزه له أي لذلك التاريخ الألماني، يكون حتى أكبر من مجرد "تاريخ متكامل"، بينما تفقد التواريخ الأخرى التي تنتمي للنشاط العملي ... استقلالها الذاتي كي تصبح جزءاً من التاريخ الروحي ("كروتشى" ١٩٤٦: ٧٣-٧٤)

وواقع الأمر أن أى شئ بخلاف التاريخ السياسى - الروحى هو - بالضرورة - جزئى وأحادى الجانب ("كروتشى" ١٩٤٦: ١٣٠) ومن ناحية أخرى، يرى "جرامشى"، أن التاريخ السياسى - الروحى ليس مرفوضاً - كما سبق أن رأينا - ومع ذلك ما لم يوضع باطمئنان داخل "الكتلة التاريخية"، فهو لا يعدو كونه "طرحاً إشكالياً لمقدمات فلسفية مثيرة للأهمية، لكنه ليس تاريخاً" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٦٠)

فى هذا الحوار بأكمله، الذى تأتى مساهمة "كروتشى" فيه من كتاباته التاريخية ذاتها وكذلك بصفة جزئية فى المراجعات التى كتبها "جرامشى" بعد الحرب لكتابه "رسائل مسجون" Prison Letters و"كراسات" Notebooks، نجد أن كل طرف يقبل بصحة جزئية معينة فى موقف الطرف الآخر، فيقبل "جرامشى" التاريخ السياسى - الروحى كجزءٍ مكوّنٍ من مفهومه عن الهيمنة، بينما يقبل "كروتشى" المادية التاريخية كجزءٍ ثانوى للنوع الجديد من بحثه التاريخى، ومع ذلك فهناك قلبٌ فى هرمية الرتب، وفى ظل هذا القلب لا تشكّل مفاهيم هذا المفكر سوى جزءٍ ثانوى فى الرؤية الشاملة لذلك.

٤ - الفروق، جدلها ومسألة رتبة البنية - الفوقية

تتمثل إعادة - ترجمة أخرى على جانب من الأهمية فى تلك التى أقدم عليها "كروتشى" فى مفهومه المسمى *dialettica dei distini* أى "جدل الفروق" *distincts* أو "جدل التفريقات" *distinctions* الأربعة، حسب السياق، ويعطينا فكرة عامة عن المراد - فى هذا الصدد - كلٌ من "ميور" (1967) Mure و"إتش. ويلدون كار" H.Wildon Carr (1917: 136-152) و"أورسينى" (1961: 19-21) Orsini و"روبرتس" (1987: 77) Roberts (78) و"أورسينى" مرة أخرى (١٩٦١: ٣١٧) الذى يلاحظ - إضافة إلى ذلك - أن كتاب "جوهر الجماليات أو علم الجمال" *Nuovi Saggi di Estetica* ("كروتشى" ١٩٢٠) المترجم للغة الإنجليزية بعنوان *The Essence of Aesthetics* (1921) يُوفّر تعليقاَ جيداً جاد به قلم "كروتشى" نفسه على ما هو متضمن، وقد تطرّقنا إليه هنا.

يرى "كروتشى"، أن الروح الإنسانية تنقسم إلى روحٍ نظرية (المعرفة) وروحٍ عملية (الممارسة)، والأولى تنقسم انقساماً فرعياً إلى جمالية (حدسية) والفكر المفهومى الملموس ("الصدق") أما الأخرى فتتقسم إلى الأخلاقية ("الخير") والاقتصادى أو النفعى، وهو الأمر الذى يشكّل الإضافة المحددة التى أضافها "كروتشى" إلى المقولات الثلاث التى وصلت إلينا من الفكر اليونانى الكلاسيكى، ومقولة الروح الاقتصادية أو النفعية هذه تصل من الاتساع حد ضم أى شئ - بما فى ذلك - وكما يشير "جرامشى" - الحب - فقد تكون له صلة بالإنتاج وإعادة - الانتاج لوجود البشرية، ويوفّر "جدل الفروق" الذى قال به "كروتشى" التدوير circulation بين هذه المقولات التى تميّز كافة جوانب النشاط الانسانى.

وعلى نفس المنوال يهدف مفهوم "جرامشى" عن "الكتلة التاريخية" - بالمثل إلى أن يكون شاملاً، وبالمثل يواجه مشكلة التوصل إلى آلية للربط الفعال بين مجالٍ من النشاط ومجالٍ آخر، فلم يخلُص إلى أن هناك قدرًا من الأهمية فى المفهوم، إلا بعد قليل من التردد تجاه على سبيل المثال، ما إذا كان بوسعنا أن نرى فى "جدل الفروق" "جدلاً" حقيقياً ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٦٩، إبريل/برمودة - مايو/بشنس ١٩٣٢). ومع أن الأمر بالنسبة له - كان بالتأكيد - مجرد حل لفظى، إلا أنه يشير - بقوة - إلى "ضرورة منهجية حقيقية" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٩٩، ترجع إلى الشهور الأخيرة من ١٩٣٢).

وفى نفس الوقت - إلى هذا الحد أو ذاك - عندما كان "جرامشى" يكتب الفقرة الأخيرة، كان أيضاً قد بدأ فى مراجعة ملاحظاته حول النظرية السياسية التى كان قد وضع تخطيطاتها الأولية فى الشهور الأولى من السنة وأعطاهما شكلها النهائى فى وقت ما بين مايو/بشنس ١٩٣٢ وأواخر سنة ١٩٣٤، فهنا يبدأ "جرامشى" فى استكشاف إمكانية تطبيق "الفروق الأربعة" التى قال بها "كروتشى" على منظومته هو الخاصة، "مترجماً اللغة الحدسية إلى لغته التتريخية (أى الماركسية) ... وممعناً النظر فيما إذا كان للغة الحدسية هذه قيمة فعّالة ولموسة، تتفوق على القيم الفعالة السابقة"، على نحو ما يقول فى مكانٍ آخر ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٤٤).

يرصد "جرامشى" فى ملاحظاته حول النظرية السياسية - بادئ ذى بدء - بخصوص "الترجمة" إلى مشقه لمفهوم "كروتشى" عن "الفروق"، أن "الفرق" سوف يكون بين "رتب" (gradi) البنية - الفوقية، فالمشكلة كانت فى "تأسيس وضع جدلى للنشاط السياسى (والعلم المناظر) كمستوى خاص للبنية - الفوقية" ("جرامشى" ١٩٧١ : ١٣٧). ويمضى إلى القول بأن مثل ذلك النشاط يشكّل "اللحظة الأولى أو المستوى الأول، اللحظة الأولى التى تكون فيها البنية - الفوقية لا تزال فى طورها السابق لعملية التوفيق من مجرد مطلب مشوش للإرادة (Affermazione volontaria) أى فى مرحلة أولية"، وعندئذٍ يجيب: "هل بوسع المرء أن يتحدث حقيقة عن جدل للفروق وكيف يمكننا استيعاب مفهوم دائرة تصل بين مستويات البنية - الفوقية؟" (المرجع السابق) والجواب الذى يقترحه يأتى خلال "مفهوم الكتلة التاريخية" بمعنى وحدة العقل والطبيعة (البنية والبنية - الفوقية)، وحدة الأضداد والفروق" (المرجع السابق). وعلى نفس المنوال يسأل: ما هى العلاقة التى ستقوم هناك بين اللحظة الإقتصادية - السياسية والأنشطة التاريخية الأخرى؟ هل يمكننا الركون إلى حلٍ حدسى لهذه المشاكل أم لابد من الاستناد إلى حلٍ تاريخى دون سواه يقدمه لنا مفهوم "الكتلة التاريخية"، الذى يقول به الفيلسوف الفرنسى "سوريل"؟ ("جرامشى" ١٩٩٥ : ٣٩٩-٤٠٠)

وعوداً على بدء، يجرى "جرامشى" ترجمة، فهو يعيد تفسير أو يعيد ترجمة المفهوم الذى قال به "كروتشى" حول "جدل الفروق" كى يطبقه على مستويات أو رتب البنية - الفوقية بدلاً من مظاهر الروح الإنسانية، ولكننا قد نلاحظ أن الوظيفة فى المشقين هى الوظيفة المكافئة لإشباع الحاجة إلى الربط، بصورة فعالة بين القطاعات المختلفة للنشاط الإنسانى، وبهذا يبدو أننا وضعنا أيدينا على ما يصفه "كوون" بالتقاء أعضاء مجتمعين لغويين مختلفين، وقد تمكّن أحدهما على الأقل من تعلّم ترجمة نظرية الطرف الآخر، وما يترتب عليها إلى لغته الخاصة ("كوون" ١٩٧٠ : ٢٠٢)

٥ - الأيدولوجيا والخطأ

ينهض داخل نطاق "الكتلة التاريخية"، حيث تكون القوى المادية هي المضمون والأيدولوجيات هي الشكل ("جرامشي" ١٩٧١: ٣٧٧) سؤال آخر بشأن الترجمة بين "جرامشي" و"كروتشي"، وهو سؤال يدور هذه المرة حول "الأيدولوجيا" و"الخطأ". وهنا تكون "الأيدولوجيا" - في غالب الأحيان - عند "جرامشي" هي "المجموع الكلي للأبنية الفوقية" ("جرامشي" ١٩٩٥: ٤١٣)، تلك التي تتصل بينية اقتصادية معينة للمجتمع، ولكن إيدولوجية "جرامشي"، بالاختلاف مع قراءات أخرى لـ "ماركس"، بل وربما بالاختلاف مع ما قصده "ماركس" نفسه، ليست مجرد إنعكاس للقاعدة الاقتصادية للمجتمع، ففي وسعها - أي تلك الأيدولوجيا - أن تكون مجموع الأفكار الملائمة لتلك القاعدة، ولكنها تستطيع أيضاً أن تكون تلك الأفكار التي تنبثق من وضع الأمور في مراحل سابقة للمجتمع، أو بالتبادل يمكن أن تمثل إعلاء للوضع الراهن للأمور إلى مستوى آخر، فالأيدولوجيا والأبنية - الفوقية - في رأي "جرامشي" - عبارة عن أجزاء موضوعية من واقع مؤثر، وليست سوى تركيبات جزافية ("جرامشي" ١٩٩٥: ٣٩٥). ومع ذلك فهي ليست باقية ولا شاملة، بل عابرة من جراء هذه الأصول العملية ("جرامشي" ١٩٧١: ٤٤٥)

في مقدمة سنة ١٩١٧ لكتابه "المادية التاريخية والاقتصاد الماركسي" - *Materialis- mo Storica ed Economia Marxista* (وكما سبق أن ذكرنا عاليه، وهذا النص ليس موجوداً في الطبعة الإنجليزية) رفض "كروتشي" الموقف الذي يتأسس على أن "الأبنية - الفوقية تحوز واقعاً موضوعياً وفعالاً" بالنسبة للماركسية مدعياً - عوضاً عن ذلك - أن الماركسية لا ترى فيها أكثر من مظاهر.

ومع ذلك فهناك نقطة تماس، فمفهوم يلعب بالنسبة لـ "كروتشي" دوراً مشابهاً، لأحد مظاهر "أيدولوجية" "جرامشي" هو "خطأ"، يتمثل في تصور مغلوط لتلك الحقائق الذهنية العابرة أو سريعة الزوال ومنتجات غير موفقة للنشاط العملي ("جرامشي" ١٩٩٥: ٤١٣) على أنها فكر حقيقي باقٍ ومستمر (فلسفة). وفي واقع الأمر يطرح

"كروتشى" نفسه هذا السؤال البلاغى ... ترى كيف يولد الخطأ ما لم يكن تدخلاً للنشاط العملى فى الروح النظرية؟" ("جروتشى" ١٩٢٦ : ٨٩)، أى إقحاماً غير مسموح به لمستويات أدنى فى هرمية الفروق بين الأيدولوجيا والفلسفة فى المستويات الأعلى، وفى الوقت الذى لم يكن "جرامشى" مقتنعاً فيه بالتفريق الحاد بين الأيدولوجيا وبين الفلسفة، إلا أنه يرى هنا تأثيراً للماركسية إن لم يكن إشتقاقاً فعلياً منها، ويحتل مفهوم "الخطأ" عند "كروتشى" محل المفهوم الماركسى: الوهم، وهو بصفته جزءاً من الظواهر البنيو - فوقية، وبالتالي من الأيدولوجية، ليس أى شئ آخر سوى "مقولة تاريخية عابرة من حيث طبيعتها، فى ضوء التغيرات التى تجدد فى الممارسة" ("جرامشى" ١٩٩٥ : ٤١٣).

فى إطار المصطلحات المذكورة فى ختام القسم الأول عالىه، يلخص "جرامشى" كل هذا فى قوله بأن "فلسفة" كروتشى "ليست إلى حد ملحوظ تماماً سوى إعادة ترجمة إلى لغة حدسية خاصة بالتاريخية الواقعية، لفلسفة الواقع التاريخى أو التطبيق العملى. ("جرامشى" ١٩٩٥ : ٣٥٥)

٦ - الترجمة من ثقافة إلى أخرى

قد تكون هناك "قيمة فعالة" - على نحو ما حدس بذلك "جرامشى" - فى مبدأ الفروق، الذى قال به "كروتشى"، وأنها توجد - بالتأكيد - فى نمط ما من الجدل الذى يسمح للمرء بالمرور من مستوى هرمى (= تراتبى) لآخر. وهنا تكون العجلة قد دارت دورة كاملة وعدنا إلى نفس المشكلة التى طرحناها فى بداية هذه الورقة، تلك التى تدور حول الترجمة المتبادلة بين الثقافات المختلفة، وربما يبدو هذا فى هيئة ترجمة من لغة للغة أخرى، ولكن الأمر - مثلما يتعين أن تكون عليه بالضرورة الترجمة بين اللغات - ترجمة بين ثقافات.

بالنسبة لـ "جرامشى" ما نعرض له الآن ليس سوى تناظر ثقافى - cultural homo-logue ، ويشير أى "جرامشى" إلى الحقيقة التى تقول إن المجتمعات المختلفة،

ويستشهد هنا بألمانيا وفرنسا عند انحناة القرن التاسع عشر، تعبر بصورة أساسية عن نفس الأفكار في الثقافات المختلفة التي تميزها ("جرامشي" ١٩٩٥: ٢١٠-٢١٣) وكان مصدره المباشر هنا مقالاً من مقالات "كروتشي" (١٩٥٠ طبعة جديدة: ٢٩١-٣٠٢) يشير فيه إلى مذكرة للمحامى الأكاديمي "أدولفو رافا" Adolfo Ravà ("رافا" ١٩٠٩). وقد تمثلت نقطة المرجعية الرئيسية بالنسبة لـ "جرامشي" - مع ذلك - في العمل الذي كتبه "ماركس" الشاب "العائلة المقدسة"، الذي يمد المقارنة بتصنيف الممارسة السياسية الفرنسية والأدب والفلسفة الكلاسيكية الألمانين مع الاقتصاديات الإنجليزية ("دافيد ريكاردو") فلقد عبرت جميعها في زمنها المحدد، عن تحركات كامنة في مجتمعاتها، ولا تزيد المعاني الضمنية لموقف "جرامشي" ولا تنقص عن أن كلاً من هذه التيارات الفكرية التي تسرى في إطار البنية - الفوقية للمجتمع، إنما يرتبط بـ "القاعدة" بسلسلة تمر خلال مختلف المستويات (=الرتب) للبنية - الفوقية ("جرامشي" ١٩٧١: ١٢٧) ومن المحتمل في رأيه، أن تمر خلال مستويات مختلفة داخل بنيات متكافئة بصورة أساسية، أي مجموع علاقات الإنتاج التي يدخل فيها الناس، وبذلك يكون قد استفاد في مشقه عن الترجمة التي تعتمد على إعادة التفسير من "جدل الفروق" الذي جاء به "كروتشي" ونوقش في القسم الرابع أعلاه.

وبينما كان "جرامشي" يميل هنا على أوروبا الثورة الفرنسية والثورة الصناعية الأولى كي يأخذها كمشق له، فإن نمونجه كان أشمل كثيراً - بطبيعة الحال - في مداها، وإذا كان تعليقه في أي نقطة أقرب إلى الصحة، فلسوف يمضي شوطاً ما على الأقل، نحو تفسير السبب في انبثاق حركات ثقافية واجتماعية مماثلة، بصورة متزامنة إلى هذا الحد أو ذاك، في بلدان مختلفة عند نفس المرحلة من الحضارة، وتتمثل أمثلة أكثر حداثة على ذلك في حركة الحدائة بتجلياتها المختلفة - تلك التي تبتعتها تأريخياً - cronologically كـ "الأدنىة" minimalism والتفكيكية والليبرالية - الجديدة والفكر النحيل weak thought، كرفض في الفلسفة الإيطالية المعاصرة للأنساق الميتافيزيقية الضخمة، وكل ذلك عبارة عن أشكال من رد الفعل البعد - حدائى على المذاهب السابقة التي بالغت في إغراءاتها عوامل مثل هذه، وقوتها النسبية في هذا البلد أو ذاك.

تساعد في تحديد الخطاب المهيمن الذي يميز بصفة جزئية الخطاب "القومي - الشعبي" الذي حله "جرامشى".

يحتاج التحذير - أول ما يحتاج - إلى التطبيق عند التطرق للسؤال غير البلاغي الذي طرحه "جرامشى" حول "ما إذا كان يوسع المرء أن يترجم تعبيرات المراحل المختلفة للحضارة، إلى ذلك الحد" الذي يرى عنده "أن كل مرحلة من هذه المراحل ليست سوى لحظة في تطور الأخرى" ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٠٧). إلى أي حد - على سبيل المثال - يستطيع المرء أن يترجم في الواقع الفعلي، تجربة مجتمع مستعمر من موضع شخص داخل ثقافة أمة إمبراطورية هو أمر مفتوح أمام الشك، فالخلاف واسع بين علاقات الإنتاج وعوامل البنية - الفوقية هنا وهناك. وينطبق تعليق مناظر أيضاً عند محاولة ترجمة تجارب الجماعات العرقية والجنوسية (= ذكر/أنثى). ويلزمنا - على وجه الاحتمال - أن نعود إلى موضع متقهقر *fall-back*، مقتبس في القسم الأول عاليه، بأن "الترجومية ليست كاملة" في كل جانب من جوانبها، بما في ذلك حتى الجوانب المهمة منها، ... ولكنها كذلك أي "كاملة" في مبادئها الأساسية" ("جرامشى" ٣٠٩). وعلى نحو ما يذكرنا - عن حصافة مدهشة - "جرامشى"، فالعنصر الذهني "يعرف" ولكنه لا يفهم باستمرار وعلى وجه الخصوص لا "يشعر" دائماً. ("جرامشى" ١٩٧١: ٤١٨). ويدون ذلك "الفهم" وذلك "الشعور" لا يكون في طوع أي مجتمع أن يقترب من "ترجمة" تجربة مجتمع آخر، ولكننا إذا مضينا إلى أبعد عن ذلك فإن ذلك سيعني نفع نموذج بعيداً عن حدود قابليته للتطبيق والوصول إلى موقف عدم الترجومية أو القابلية للترجمة، وقد اقترحت الماركسية حلاً يتمثل في "الانغماس فيما هو قومي محلي" *going native*، بمفاهيم كل من "كوون" و"كين" وغيرهما، إزاء المشاركة في الحركات المناهضة للإمبريالية وتلك التطبيقية، إلا أن هذا الحل ليس ممكناً بصفة دائمة وربما لا يكون متصلاً باستمرار بما يدور.

٧ - بعض الاستنتاجات المؤقتة

ورد مصطلح "المشق" - بمعناه المؤلف عند "كوون" - في هذه الورقة بصورة متواترة إلى حدٍ كبير، ولقد رأينا كيف أن "جرامشى" استعمله - هو الآخر - بطريقة مشابهة في توصيف ما كان "كروتشى" يسعى أن يفعل في اثنتين من تواريخه على وجه الخصوص، والمصطلح لا يُستعمل بصورة غير ملائمة سواء من جانب "جرامشى" أو عنه، وفي الآونة الأخيرة لاحظ اللغوي "ستيفانو جينزيني" Stefano Gensini أن "كل كلمة رئيسية - عند "جرامشى" - منظمة في مستواها الأساسى، بفضل علاقاتها ... مع باقى النسق" ("جينزيني" ١٩٩١: ٧٢)، وأن فيلسوف اللغات "فيروكشيوروسى" - لاندى Ferruccio (1983: 26) Rossi-Landi يبدى ملاحظة عامة شبيهة، وحقيقة الأمر أن المصطلحات المتعددة الواردة فى خطاب "جرامشى" "تتعاون" على النحو الموصوف عاليه، فكل جزء يتفاعل مع الأجزاء الأخرى، وكل الأجزاء غير قابلة للتعريف - بصورة معيارية - دون استدعاء سائر الأجزاء بطريقة تتناغم مع ملامح أحد أمشاق "كوون".

ملك الشك فى البداية أفئدة أولئك الذين استحضروا تعريفاً صارماً للمشق تجاه ما تسميه - على سبيل المثال - "هيلارى بوتنام" Hilary Putnam بالـ "فضفضة" والافتقار إلى قوانين ونظريات دقيقة، والافتقار إلى الصرامة الرياضية فى العلوم الاجتماعية ("بوتنام" ١٩٧٥: ١٥٢)، ونظراً لأن ما نواجهه يتمثل فى خليطٍ من نسق لغة - طبيعية بصورة أساسية مع عناصر من لغة شكلية، فإن الصواب - فى رأى - يحالف "بوتنام" تماماً، إلا أن ذلك متوقفٌ على إقرار المرء بالاختلاف، وفقاً لمصطلحات مبحث العلامات أو السيميوطيقا Semiotics بين "الإشارات" المستعملة فى الإشارة إلى المفاهيم فى العلوم الدقيقة وبين "العلامات" المستخدمة فى العلوم الإنسانية. فهنا نجد "الإشارات" عبارة عن وسائل تكنولوجية للدلالة على الأشياء والأفعال والعمليات وما يشبه تلك التى تعكس بصفة عامة مضموناً غير - أيولوجى، أو على الأقل أقل قدرٍ منه للنظريات الأكثر رسوخاً فى "العلم الصارم". أما العلوم الاجتماعية فصياغتها أكثر إيغالاً فى مصطلحات "العلامات" التى تشير إلى "تيمة" أيولوجية. والعلامات "تعكس وتكسر

(بالمعنى الضوئي) واقعاً آخر... ويتوافق مجال العلامات مع ميدان الأيدولوجيا" (فولوسينوف " 10: 1973 Volosinov) ولعل "عامل الفضفضة" الكامن في الخطاب الأيدولوجي هو الذي ظل حتى وقت قريب يطمس أمام أعين الكثيرين ذلك الطابع المشقى (من مشق) لخطابات مثل خطابات "جرامشي".

يتمثل أحد مظاهر مثل ذلك الخطاب المشقى - وكما سبق أن أُلحنا - في أننا عند المرور من خطاب إلى آخر، لا يكفي لمصطلح معين في مشق من الأمشاق أن يُترجم، سواء كمماثل من الناحية الهوموفونية أو كمصطلح مختلف بعض الاختلاف، في مشق آخر. ويمكن أيضاً أن يكون لموضع المصطلح داخل بنية هرمية جانب من الأهمية. فعندما يُترجم مصطلح أو مفهوم من الخارج - ربما تكون هناك أيضاً اختلافات أخرى - فقد يتغير عند الإدراج (في المشق) أو التوسع (في معناه)، مثلما هو الحال مع "التاريخ السياسي - الروحي كتاريخ للحظة الهيمنة" ("جرامشي" 1995: 345)

يتبقى عند هذه النقطة أن نؤكد أننا لسنا مشغولين بالدرجة الأولى هنا بما إذا كان مشق "جرامشي" أو مشق "كروتشى" (أو مشق أي من كان) سيعطى نتيجة أحسن، ولكن عوضاً عن ذلك بالإشارة إلى - كما يقول كوون" في "تأملات حول نقّادي" - أن اللغات تُقطع العالم بطرق مختلفة، وهو الأمر الذي يُعد من بين الأسباب التي تجعل من الترجمة "بين النظريات أو اللغات" عملاً "بالغ الصعوبة" (كوون" 1974: 268). وليس هناك - على نحو ما يذكرنا كوون" باستمرار - لغة للملاحظة المحايدة كي نلتمسها" (1970: 146 و 1974: 266 و 268) والالتماس الوحيد الذي نستطيعه هو الالتماس الذي نتوجه به إلى الواقع التاريخي الإنساني لـ "مجتمع الخطاب"، ليس بمعنى مجتمع أكاديمي بل بمعنى المجتمع نفسه خلال - وفقاً لـ "جرامشي" - هوية التاريخ (ممارسة) مع الفلسفة (نظرية) وبالتالي مع السياسات ("جرامشي" 1995 : 282-283): قد يترجم المترجمون الأفراد كلمات على صفحات الورق، ولكن مثل هذا العمل - ويجب ألا ننسى أنه مقحم - يمكن أن يُترجم فقط في ثقافة وبالتالي يكون قد حاز ترجمة كاملة على أيدي أعضاء ثقافة مستهدفة.

نظر "جرامشى" لاستيراد هذا المصطلح أو ذاك فى مشق ما، بشكل واضح خالٍ من الالتباس فى كراسته الحادية عشرة، وبناء عليه فلم يكن الأمر مجرد قلب أو عكسٍ للعبارة التى استعملها كارل مارزانى "Carl Marzani"، أول مترجم للغة الإنجليزية لملاحظات "جرامشى" عن المترجومية (=القابلية للترجمة)، وقد عنون مجموعة أعمال "جرامشى" التى نقلها للغة الإنجليزية باسم "ماركسية أنطونيو جرامشى المفتوحة" *The Open Marxism of Antonio Gramsci* ("جرامشى" ١٩٥٧)، ولقد كان "جرامشى" أخذاً فى الابتعاد منهجياً - نون أن يفتن لذلك - عن النسق الجامد المغلق فى وجه التأثيرات الخارجية، لما أصبح يُعرف باسم "الماركسية - اللينينية" وقاضياً - فى واقع الأمر - عليها بالفناء كصرح نظرى، قبل ما يزيد على نصف قرن من انهيار النسق الاقتصادى - الاجتماعى الذى بُنى عليها فى نهاية المطاف. وقد يجدر أن نلاحظ - فى نفس الوقت أن "جرامشى" رفض مفاهيم معينة طرحها زملاؤه الماركسيون، كان من المتعذر التوفيق بينها وبين نهجه الجدلى الهيجلى والإنسانوى humanist ، على نحو ما يتضح على سبيل المثال فى مساجلته مع "بوخارين" Bukharin ("جرامشى" ١٩٧١: ٤١٩-٤٧٢ ، وهناك عامل "الامتناع على المقايسة" (= اللاقابلية للقياس عليه لعدم التجانس) بين هذه الأمشاق المتنافسة - يتعدّر فصله - بل وراجع على وجه الترجيح لموضع حاكم أو مسيطر فى هرمية المفاهيم الخاصة بأمشاقها النسبية.

يغطى مشق "جرامشى" مساحة كبرى من الأرض التى تغطيها الأمشاق الأخرى مثل المثالية الكروتشبية، وبعض الاتجاهات داخل الماركسية، وبعض أنواع التفكيكية بعد - الماركسية، وهذا الموقف قريبٌ مما يقوله "هيربرت بترفيلد" Herbert Butterfield عن التبديلات التى اضطر العلماء المعاصرون الأوائل إلى الإقدام عليها: هنا يكون المرء أيضاً يعالج نفس حزمة المعطيات، كما كان عليه الحال من قبل، ولكنه يضعها فى نسقٍ جديدٍ من العلاقات مع بعضها البعض الآخر بإضفاء إطارٍ مختلفٍ عليها" ("بترفيلد" ١٩٤٩: ١)، وعلى سبيل المجاز، قد يكون فى طوعنا أن نتصور الأمشاق وقد ضمّت أعشاشاً عنكبوتية مثلثة الأبعاد، تمتد على نفس الرقعة من الأرض، ولكنها قد تقلب - فى بعض الأحيان - الوضع الرأسى أى الهرمى لمفهوم ما فى أحد الأمشاق بالمقارنة مع وضع مفهومٍ مشابه فى مشقٍ آخر.

تشمل المعانى الضمنية لهذا إمكانية ترجمة أمشاقٍ أخرى، بمعنى رؤية ما هي المصطلحات التي تتناظر، وأين تصلح في هرمية ما، وإلى أى حد تكون البنية الناتجة معقولة، وهنا تقفز حالة من هذا النوع إلى الذهن فوراً وتتعلق بجدالٍ غير مباشر خطير آخر عرفه القرن العشرون، ويعلقُ "لوسيان جولدمان" Lucien Goldmann بقوله إن "مارتن هايدجر" (فيلسوف ألماني يعد أحد أكبر الوجوديين في القرن العشرين ١٨٨٩ - ١٩٧٦ المترجم) يميّز نفسه في كتابه "الوجود والزمن" Being and Time عن ثلاثة فلاسفة آخرين، لكنه لا يذكر منهم بالاسم سوى اثنين فقط، ولكن مواضيع الكتابة ومادتها لا تترك مجالاً واسعاً للشك في أن هذا الفيلسوف الثالث المقصود هو "جيورجي لوكاتش" György Lukács (فيلسوف وناقد أدبي مجري ١٨٨٥ - ١٩٧١ المترجم) ("جولدمان" ١٩٧٧: ٢٧). ويرى "جولدمان" في تحليله أن هناك بين "الوجود والزمن" وهو كتاب ظواهرى phenomenologist وبين "التاريخ والوعي الطبقي" History and Class Consciousness ، وهو كتابٌ ماركسي تماثلاً أو على الأقل علاقة وطيدة للغاية بين المفاهيم التي تعبرُ في بعض الأحيان عن أفكار تكاد أن تكون متماثلة، ويمكننا - وفقاً لـ "جولدمان" - أن نحسم "الاختلاف الجذري في المصطلحات" بين العمليين "عن طريق تترجيم، *translating* تطورات كل مفكرٍ منهما - كل على حدة - إلى مصطلحات الآخر." ("جولدمان" ١٩٧٧: ١٠-١١) (التأكيد بالحروف المائلة من عندي د.ب.).

ويقدمُ لنا المفكر البراجماتي الأمريكي - الأفريقي البارز "كورنيل ويست" Cornel West مثلاً أحدث كثيراً، ولقد اعترف بدينه لـ "جرامشي" فيما يتعلق بالالتزام الفلسفي، وبشأن السؤال المهم حول دور المثقفين يبدأ "ويست" فيستخدم تفريق "جرامشي" بين المثقفين التقليديين الذين يرون أنفسهم كشريحة اجتماعية مستقلة، والمثقفين "العضويين" الذين يرتبطون - بصورة أوثق - بطبقة اجتماعية معينة، وعندئذٍ يتضح لنا ما يقترب من التماثل بين المفكرين تجاه طابع العلاقة القائمة بين بلورة المثقفين العضويين للأفكار وثقافة المضطهدين اجتماعياً الذين يرتبط بهم هؤلاء المثقفون العضويون. ("ويست" ١٩٩٧: ٢١٢-٢١٣) وحول هذه النقطة - وهي ليست نقطة

تافهة على أى حال - نجد أن ماركسية "جرامشى" - مع أن الأمر لا يسرى بالضرورة على أشكالٍ أخرى من الماركسية - تُترجم خلال تماثل المفاهيم إلى خطاب "البراجماتية التنبؤية" prophetic pragmatism ، كما يطلق "ويست" على تطويره الخاص للفكر البراجماتى.

ثم إذا أخذنا حالة ما بعد - الماركسية التفكيكية على نحو ما يعرضها كمثال كل من "إرنستو لاكلو" Ernesto Laclau و"شانتال موفى" Chantal Mouffe فبوسعنا أن نسأل هذا السؤال: هل هناك تواؤم أم أن هناك "لاقابلية للقياس" incommensurability بين رؤية "جرامشى"، التى تسند للطبقة الاجتماعية - أياً كانت - دوراً أساسياً داخل هذا التشكيل الإقتصادى - الإجتماعى أو ذاك فى "المبدأ الموحد الوحيد" single فى كافة التشكيلات المهيمنة ("لكلاو" و"موفى" ١٩٨٥: ٦٩)، ومواقفها التفكيكية الخاصة، التى لا تسمح بأى مركزٍ منظم من هذا النوع؟ أو - عوداً على بدء - أى نوع من التوافق نجده بين الماركسية التتريخية التى نادى بها "جرامشى" وبين الماركسية البنيوية التى دعا إليها "ألتوسير" (فيلسوف ماركسى فرنسى يعد أهم ما كتبه Lire le Capital وفيه يعرض نظرياته. المترجم)

تعود بنا النقطة الأخيرة التى نتطرق لها هنا، إلى الترجمة بين الثقافات أو من ثقافة إلى أخرى، ويمدنا "جرامشى"، خلال ترجمته لنسق schema "كروتشى" الجدلى حول "الفروق" distincts ، بوسيلة للربط بين مختلف المستويات الهرمية (التراتبية) للبنية - الفوقية، الواحد بالآخر ومن هنا بالقاعدة بلغة "ماركس" المجازية، وإذا كانت القواعد أى علاقات الإنتاج بالتعريف الموسع للإنتاج طبقاً لـ ("مقدمة" Preface "ماركس" ١٨٥٩) - بالنسبة لمجتمعاتٍ معينة - متشابهة بصورة أساسية - وبعد ذلك - عن طريق الصعود إلى أعلى فى ضوء مجاز (=استعارة بلاغية) القاعدة / البنية - الفوقية، فإن هذه المجتمعات تملك بنياتٍ - فوقية "متكافئة" وقابلة للترجمة البنية إلى الأخرى أى بشكلٍ متبادل ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣١٢) حيث يتناظر مجموع البنيات - الفوقية مع مجمل "الأيدولوجيات" بالتعريف "الواسع" الذى يعطيه لها

"جرامشى". وبناء عليه يُطرح نموذج يفسر التحركات الثقافية المتناظرة فى المجتمعات القومية المختلفة، وقد تكون مثل هذه النماذج غير ناضجة، إلا أنها - وكما يلاحظ فلاسفة العلم الواقعيون - تستطيع - دون أن تكون، بالضرورة كاملة - أن تفسر ظواهر مهمة. وتتمثل إحدى مهام "العلم المعيارى" الذى قال به "كوبن" - إذن - فى تحسين صلاحية النظرية لاستيعاب الحقائق - ويحدث ذلك فى الغالب عن طريق إعادة تفسير "الحقائق المحملة بالنظريات".

ومع ذلك يجدر بنا أن نذكر أن نموذج "جرامشى" المقترح للترجمة من ثقافة إلى أخرى يعتمد على وجود - داخل مشمول totality هيجلى - ماركسى متناقض ومتراكب - لمركز منظم، توفره القاعدة (ومن هنا التحفظات على التلاؤم مع النزعة الما - بعد - ماركسية التفكيكية وما - بعد - البنيوية المناهضة للهيجلية). وكلما كانت القواعد المجتمعية أشد تشابهاً، كلما كانت الترجمة بين الثقافات أدق وأشد إقناعاً هل بوسع نظريات مثل التفكيكية، التى تعتمد النكوص اللانهائى وترفض مفهوم المركز المنظم توفير نموذج يمدنا هو الآخر بتفسير للترجومية (=القابلية للترجمة) المتبادلة لظواهر البنية - الفوقية؟ أم أن " فى فلسفة "الواقع التاريخى" / "التطبيق العملى" وحدها دون سواها" - على نحو ما يرى "جرامشى" - تكون "الترجمة" عضوية وثابتة الدقة؟ ("جرامشى" ١٩٩٥: ٣٠٧) هذا سؤال مفتوح - وفى رأى الخاص - جدير بالسعى وراء جواب عليه .

الهوامش

(١) ترجع هذه الترجمات إلى كل من كارل مارزاني Carl Marzani ("جرامشى" ١٩٥٧) وستيفن آر. مانسفيلد ("جرامشى" ١٩٨٤) وكاتب هذه السطور ("جرامشى" ١٩٩٥) ولأسباب تتعلق بتسهيل الأمور سوف أرجع في كل إشاراتي في هذه الورقة إلى المجلد الأخير، الذى لا يبخل أيضاً بمعلومات إضافية حول متى كُتبت هذه وغيرها من الملاحظات وأين تجدها فى الطبعة النقدية Critical Edition للكراسات. وقد أشرت هنا إلى التواريخ حيثما ظهرت حاجة ماسة لها، ولزيد من المعلومات أحيل القارئ إلى "فرانسيوني" (1984) Francioni

(٢) يرى الاقتصاديون الذين ينتمون لمدرسة "المنفعة الحدية" بعد سنة ١٨٧٠ أن قيمة أى سلعة معينة - مما يلزم عندئذ ربطها بطريقة أو أخرى بسعرها فى السوق - تتحدد عن طريق منفعتها للفرد أى الأهمية التى يوليها الفرد بصورة ذاتية للسلعة فى إشباع حاجته، أما "كارل ماركس" (١٨١٨-١٨٨٣) فيرى - من ناحية أخرى - أن قيمة السلعة تتحدد عن طريق كميات وكيفيات العمل المبذول فى تصنيعها أو إنتاجها (Roll: 321+269).

(٣) ظهرت أمام الجميع صياغة فلسفة "الواقع التاريخي" فى الغالب كمجرد "حشو" على هامش "التاريخية المادية" تجنباً لمشاكل الرقابة، وقد أقامت "ماريا روزاريا رومانولولو" Maria Rosario Romagnuolo (1987-8) الدليل على أن فلسفة "الواقع التاريخي" حلت محل مصطلح "المادية التاريخية" بعد منتصف سنة ١٩٣٢، حتى فى النسخ المكتوبة من جديد للمسودات الأولى للملاحظات، وهذا التغيير الواعى يؤيد تأكيد "جرامشى" على سمة التدخل الإنسانى إزاء القراءات الوضعية والميكانيكية للماركسية.

(٤) فى طوع المرء - دون عناء يُذكر - أن يفرز ما لا يقل عن ثلاث "دست" (=أكثر من ثلاثين) مادة رئيسية يتميز بها خطاب "جرامشى"، يبدو حوالى الثلث منها عبارة عن استعارات من معجم مفكرين آخرين، وقد سردت إحدى الأوراق فى الآونة الأخيرة بعض هذه الاستعارات التى تناقش المفاهيم التى تنطوى عليها بشكل ضمني، الأفكار التى تدور حول ما أسماه "الكتلة التاريخية" و"الهيمنة" ("بوثمان" ١٩٠٩: ٥٨-٥٩)

(٥) "الكتلة التاريخية" مفهوم مستقى بصورة رئيسية من المنظر السياسى الفرنسى "جورج سوريل"، بمدخول input، ولو أنه منكور من كتاب (طروحات حول "فيورباخ") لـ "كارل ماركس"، ويتلخص تعريف "جرامشى"، وهو تعريف أصولى للمفهوم، فى وحدة البنية أو القاعدة والبنية - الفوقية ("جرامشى" ١٩٧١: ١٣٧)، ولكن هذا المفهوم يختلف عن الاستعارة الجامدة static البنية - البنية الفوقية فى تركيزه على سمة الحركة التاريخية، وفى سبيل الاطلاع على دراسة لغوية وبالتحديد فيلولوجية أكثر تفصيلاً انظر "بوثمان" (٢٠٠٠)

الفصل الثامن الترجمة كـ "تركيمي" Terceme و"نازيري" Nazire

مفاهيم ثقافية - الارتباط ودلالاتها في إطار مفهومي للبحث في تاريخ التترجيم العثماني

صالحة بيكر Saliha Paker

خلاصة:

تناقش هذه الورقة مسألة نزع الطابع الإشكالي - في الخطاب الأكاديمي - عن التترجيم كمفهوم ثقافي الخصوصية *culture-specific* أي تنفرد به الثقافة بون سواها، وتغطي - في ذلك - نطاقاً عريضاً من الممارسات الترجمية خلال العهد العثماني من القرن الثالث عشر حتى العشرين، وتقترح إطاراً مفهوماً للبحث بهدف كسر الجمود في النهج المقيّدة التي تنبع من الهموم الأيدولوجية أو المفاهيم الحديثة للترجمة، كما تدعو إلى البحث الذي ينطوي على الانغماس في فحص معمق *in-depth* لنشاط المترجمين - الشعراء ونصوصهم التي تُعتبر ترجماتٍ أو يستطيع الباحثون أن يفترضوا أنها ترجماتٍ، استناداً إلى الأدلة التي توفرها التقاليد أو مناهج الدرس الحديثة، وبهذه الطريقة لا يندمج في هذا الإطار الـ "تركيمي" Terceme فقط، بل وكذلك مفهوم وممارسة الـ "نازيري" Nazire أو الشعر المنافس أو الموازي. ويمكننا أن نجد سياقاً لدراسة كليهما في مفهوم البين - ثقافة العثمانية، منظوراً إليه بصفته موضعاً أو مطرحاً حيث ينخرط المترجمون - الشعراء في عملياتٍ بين - ثقافية في تراكب متداخل يجمع بين كلٍ من الثقافات العربية والفارسية والتركية. ويسوق كثيرون حججهم بأن البين - ثقافة العثمانية نشأت في إطار نسقٍ مستقل، خلال عملية تهجين لغوي وأدبي، وأن البحث داخل نطاق هذا السياق

يدعو إلى الاعتراف بدخول تغيراتٍ ظاهرة ومستترة في ديناميات الثقافة على امتداد القرون، وكذلك في ممارسات ومفاهيم الترجمة.

١ - مقدمة

أقترح في الصفحات التالية إطاراً مفهوماً للتوصيف التاريخي والدراسة الشارحة للممارسات الترجمية العثمانية في ميدان الأدب، ويهدف هذا الإطار إلى المساهمة في تحديد ميدان البحث في ضوء ثلاثة مفاهيم: "تركيمي" *terceme* (ممارسة الترجمة على نطاقٍ واسعٍ للغاية)، "نازيرى" *nazire* (أى المحاكاة *imitatio* في شكل شعر مناظر ومجيب) والبين - ثقافة العثمانية، وأسوق حججى بأن الـ "تركيمي" التي بدأت ممارستها اعتباراً من القرن الثالث عشر فصاعداً، والـ "نازيرى" التي أخذت تسيطر - بدءاً من القرن الخامس عشر - مفهوميين للترجمة يرتبطان بالثقافة، وينبغي الإقرار بأنهما كذلك ويتسميتهما بهذين الاسمين الـ "تركيمي" والـ "نازيرى" في الخطاب الذي يتعرض للترجمة. كما أقترح أيضاً أنه طالما كان الشعراء هم أول المتكفّلين بالترجمة والنقل في التقاليد الأدبية العثمانية، فإن من المفيد أن ندرس أنشطتهم في ضوء نوعٍ من البين - ثقافة، ويمكننا تصوّر البين - ثقافة العثمانية كمطرح أو موضعٍ مفترض *hypothetical* اشتغل في نطاقه المترجمون - الشعراء ، ^(١) في تراكب - متداخل من الثقافات العربية والفارسية والتركية، وهو تراكب - متداخل ينبغي تمييزه عن المفهوم السائد بصفة عامة لـ "ثقافة إسلامية مشتركة". أما الحجة الأخيرة التي أسوقها فتنتمئ في أننا نستطيع أن نميّز البين - ثقافة العثمانية بحلول نهاية القرن السادس عشر، كنسقٍ ثقافى - أدبى كان قد اكتسب استقلالاً ذاتياً من جراء التهجين، وفي هذا الإطار يكون في طوع مفهوم البين - ثقافة هذا أن يشق منظوراً للباحثين كي يرصدوا التغيرات التي تدخل على ممارسات كلٍ من الـ "تركيمي" والـ "نازيرى" التي ينهض بها المترجمون - الشعراء ، كما أن في وسعها أن تيسر التساؤل أو إثارة الشك في بعض الأمشاق المستقرة في الدراسات التاريخية - الأدبية التركية .

ولسوف يكون للقضايا المثارة هنا قدرٌ من الاتصال بالموضوع بالنسبة للباحثين الذين يسعون إلى فحص "الترجمة" من زاوية المشاكل التي تنطوى عليها سواء في اللغة الإنجليزية أو في اللغة/اللغات لهذه الثقافة/الثقافات التي يشتغلون فيها أو عليها. وفي طوع التساؤل والتنظير في اللغة الإنجليزية - وهو الأمر الذي يعنى في حالتى الشغل خارج نطاق لغتى القومية - أن يحوز تأثيراً محرراً من القيود على الباحث الذى قد يكون ساعياً وراء منبر بديل سواء للنقاش أو للتغذية المرتدة *feed-back*. كما يمكن أن يحوز أيضاً مؤثرات إحيائية على سياق (البحث) المحلى التى ترحل عائدة إليه - بصفة عامة - هذه المناقشات التى دارت باللغة الإنجليزية (بصفتها لغة مشتركة *Lingua Franca*) أو خلال الترجمة.

كسب البحث فى سبيل الحصول على درجة الدكتوراة الذى يتخذ اللغة الإنجليزية كأداة للصياغة، مع بعض التركيز التاريخى على خطاب الترجمة من اللغة التركية والترجمة إليها زخماً ملحوظاً فى السنوات الأخيرة،^(٢) ففى رسائل كل من "شيبينيم سوزام - سراييفا" (2002) *Sebnem Susam-Sarajeva* و"شهناز طاهر - جورتشاغلار" (2001) *Sehnaz Tahir-Gurçaglar* نجد أن المصادر الأولية تغطى الترجمات التى تنتمى - بصفة رئيسية - إلى الفترة الجمهورية (١٩٢٣ - ولا يزال البحث الأكاديمى فى تاريخ الترجمة إلى اللغة التركية مقصور - إلى حد كبير - على هذه الفترة، ويتمثل المعنى الضمنى لقولى هذا فى أن هناك حاجة ماسة لمزيد من البحث الجاد فى التقاليد الطويلة التى تقف وراء المفاهيم والممارسات الحديثة، ويكاد التاريخ السابق للفترة الحديثة (التي بدأت - على سبيل الافتراض - خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر) وبعبارة أخرى، هناك ما لا يقل عن خمسة قرون ونصف من تاريخ الترجمة العثمانية^(٣) يكاد أن يكون بكرة لم يُمس فى مشق البحث فى الدراسات الترجمانية،^(٤) حقاً اللغة والأبجدية التركيتان العثمانيتان ليستا فى متناول جميع الباحثين فى الميدان^(٥)، وهو الأمر الذى يجعل من التعاون البين - منهجى *interdisciplinary* بين الباحثين فى ميدان الترجمة وبين مؤرخى الأدب والثقافة العثمانيين أشد إلحاحاً ومع ذلك فلم يؤكد سوى أقلية محدودة للغاية من الباحثين - فى الواقع الفعلى - على الحاجة إلى مثل تلك

الدراسات المتعاونة، ويُعد المؤرخ المعاصر "كمال كافادار" Cemal Kafadar واحداً من هذه الأقلية، مع أنه لم يقصد الدراسات الترجمية بوجهٍ خاص. (١٩٩٥: ٦٤) ففي تحليله الثاقب النظر لملاحم الأبطال المحاربين الأناضوليين في العصور الوسيطة التي تظهر وكأنها ترجماتٌ تركية لمصادر فارسية وعربية يلاحظ أن:

"يطرح نقل هذه الروايات عبر الزمن والمكان والبيئة والوسيلة كثيراً من المشاكل التي لم يتطرق لها أحد، ويلزمنا اليوم عبور الحدود شبه الصارمة القائمة في الدراسات التركية بين الدراسات التاريخية وبين الدراسات التاريخية - الأدبية في سبيل تناول بعض الأسئلة المهمة التي تنبع من وجود هذه المواد المترابطة بشكلٍ متشابكٍ من الروايات" (المرجع السابق)

يستحق التنوع في التقاليد الترجمية قبل العصور العثمانية وخلالها وتعدد بدائلها (١) بحثاً دقيقاً في الأسس التي يمكن منها إعادة بناءٍ تعدديةٍ لـ "تواريخ" الترجمة ("طاهر - جورتشاغلار" ٢٠٠١: ١)، أما المصادر الثانوية التي تستطيع توفير معطياتٍ تاريخية حول مفاهيم الترجمة وممارساتها فشحيحة، وفحص هذه التقاليد الترجمية الطويلة الأمد سوف يكشف لنا كثيراً مما نحتاج إليه بشأن الاستمرار والتغير في كلٍ من الثقافة والأدب واللغة.

إلا أن وهماً معيناً لا يزال يسيطر: يبدأ تاريخ الترجمة التركية مع نقل المصادر الأوروبية في أواسط القرن التاسع عشر، أما القرون الخمسة أو أكثر من تقاليد التثاقف والتناص في العصور العثمانية - تلك التي شملت الفارسية والعربية - فلم تكن في واقع الأمر تقاليد عن ميدان الترجمة. ولقد لعبت الحقيقة التي تقول إنه كان من الأيسر ملاحظة الاختلافات بين النصوص - المصادر التي ترجع إلى "الأخر" الأوروبي وبين النصوص المستهدفة التركية دوراً في ذلك بطبيعة الحال، ولكن كان للثورة الأيدولوجية الجمهورية - بتركيزها على التغريب، أيضاً - دورٌ في حصر التحليل الماضوي في ميدان الترجمة بحيث لا يرجع إلى أبعد من تنظيمات tanzimat أواسط القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي شهدت إصلاحاتٍ مكثفةً نجمت عن أول لقاء ضخم على المستوى

السياسى والثقافى - الاجتماعى تعرفه تركيا مع أوروبا. ومع ذلك، فلما كانت أمشاق الثقافة والنقد التاريخى متغيرة، يكون الوقت قد حان للنظر إلى القطيعة مع الماضى العثمانى والنفور التالى منه، كتحديات فى إعادة التفكير فى الانقطاع فى ضوء كل من التغير فى التقاليد والاستمرار، ولعل المصطلح نفسه الذى أصبح الآن عتيقاً "تركيمى" terceme بليغ فى هذا السياق، فلقد تبنته اللغة التركية من العربية قبل القرن الثالث عشر، ولم يسقط من الخطاب الذى يعرض للترجمة فور الإصلاحات اللغوية التطهيرية الجمهورية الذى عرفتها البلاد فى ثلاثينات (= ثلاثينيات)، بل ظل رهن التداول كمصطلح تقنى حتى ستينات (= ستينيات) القرن العشرين.^(٧)

٢ - الترجمة كـ "تركيمى" و"نازيرى"

وجدت الحاجة إلى طبع الـ "تركيمى" بطابع إشكالى حافزها فى الأفكار والمناقشات التى انبثقت من مصدرين متصلين الواحد بالآخر: من حلقات البحث التى انعقدت حول تاريخ الترجمة فى المجتمع التركى - العثمانى فى قسم الترجمة والترجمة الشفوية فى جامعة "بوغازتشى" Bogaziçi ، وهى الحلقات التى خرجت للنور بفضل مساهمات المتخصصين فى الأدب التركى العثمانى، ومن المشاريع البين - منهجية المشتركة التى بدأها نفس القسم بالاشتراك مع قسم اللغة التركية والأدب.^(٨)

وفى سبيل رؤية نطاق الترجمات العثمانية لرصد وظائفها، بدأنا باستخدام تقنية الكمبيوتر فى عمل فهرسٍ مبوبٍ (= كاتالوج) بالنصوص من كافة القرون، وهو العمل الذى أتبعناه بمشروعٍ إضافى لتشكيل جسمورٍ من ترجمات الحكايات الرومانسية المكتوبة خلال النوع الشعرى المعروف باسم "مسنيفى" mesnevi (= مثنوى) من القرنين الرابع عشر والخامس عشر،^(٩) وبينما كانت بعض هذه الأعمال موصوفة باعتبارها نصوصاً موازية كترجمات (فى ضوء الـ "تركيمى" والأفعال ذات الأصل التركية والفارسية والعربية التى تتصل بالموضوع) فإن كثيراً منها تميّزت - وحسب - بأنها تحوز صلة تناصية (= بين - نصوصية) مع أصول عربية/فارسية^(١٠) وإذا أعدنا النظر إلى

الماضى، ففي طوعنا أن نصوغ المشكلة على هذا النحو: ما هي المعايير التي سنطبقها عند "افتراض" أن نصوصاً معينة هي في الحقيقة ترجمات في الثقافة العثمانية؟ وبعبارة أخرى، لقد ووجهنا بمشكلة تعريف المفاهيم العثمانية لما نسميه translation باللغة الإنجليزية و"ترجمة" باللغة العربية و"تشفيرى" çeviri باللغة التركية السائدة اليوم؟

٣ - مشكلة التعريف: طبع الـ «تركيمة»، بطابع إشكالي

تتمثل نقطة البدء أو الانطلاق بالنسبة لي في الجملة الموجزة والبالغة الأهمية للمؤرخ الأدبي المرموق "أغا سرى ليفيند" Aga Sirri Levend في كتابه "تاريخ الأدب التركي" Türk Edebiyatı Tarihi : في أدبنا القديم (أى ما - قبل - العثماني والعثماني) كانت "تركيمة" terceme تفيد معنى أوسع من كلمة çeviri التي تجرى على ألسنتنا اليوم" (١٩٨٤ : ٨٠)، ويتبع المؤرخ المرموق هذه الجملة مباشرة بتصنيفه الخاص لأربعة أنواع من الـ «تركيمة» النوع الأول: اللفظي أو الحرفي كالنوع الأقدم من ترجمات القرآن التي كانت تدرج بين السطور، كل سطر من النص الأصلي يتلوهُ السطر الذي يحمل النص المترجم. النوع الثاني: "الأمين" كما حدث في وقت لاحق في ترجمات القرآن وفي كثير من ترجمة الأعمال الأدبية. النوع الثالث: الترجمات الأدبية التي تشمل نقل موضوع العمل، والنوع الرابع: الترجمة (الأدبية) بتصريف. ولكن "ليفيند" لم يقصد لهذا التصنيف - الذي يعد النوع الثالث والرابع منه غير واضح الحدود - أن يكون تحليلياً بل مجرد وصفي. ومن حسن الحظ أن المؤرخ المرموق كان يحوز ما يقول زيادة على ذلك بشأن النوع الرابع، وهو الأمر الذي هياً لنا الفرصة كي نشكّل رأياً نقدياً بشأن آرائه هذه حول الـ «تركيمة»، فلقد كتب بشأن الترجمة بتصريف يقول:

لا يخطر على بال الشعراء أن يترجموا أى نصٍ مصدر - كما هو - فهم لا يعتبرون أنفسهم خاضعين للنص المصدر. فتراهم يغيرون بعض الفقرات ويترجمون فقرات أخرى. فالأجزاء التي يرونها على جانب أكبر من الأهمية يترجمونها بشكلٍ موسّع أو بتصريف، أى يضيفون إليها أفكارهم ومشاعرهم هم. والواقع أنهم يغيرون

هيئة العمل بطريقة يستحيل معها أن نطلق على العمل الجديد ترجمة أى *çeviri* (المرجع السابق)

وهنا يبدو أن "ليفيند" يريد أن يلفت نظرنا إلى التفريق الذى أوضحه فى جملته الأولية بين الـ "تركيمى" العثمانى والمعنى التركى المعاصر لـ "تشفيرى" *çeviri*. ولعله يقصد من وراء شرحه لمعنى "الترجمات الموسعة" أو الترجمة بتصرف، أن يُعرّف الـ "تركيمى" كممارسة عثمانية للترجمة فى مقابل الـ *çeviri* التى يبدو أنها تعنى بالنسبة له "الترجمة الحقة" أى التى تستحق اسمها. ولكن ينبغى علينا الحذر، فالشرح الذى يقدمه "ليفيند" يفتقر لتحديد المصطلحات. فإشارته الجرافية فى الغالب إلى *çeviri* - كما هو الحال فى الجملة التالية - يقود بصفة عامة إلى التشوش، ما لم يقرأها المرء بعناية فائقة:

"مع أنهم أى الشعراء - يطلقون فى بعض الأحيان على عملهم لفظ ترجمة (يسمونها أولاً لـ *çeviri* ولكن بعد ذلك *terceme*) إلا أن هذا راجع إلى الإذعان للمؤلف المصدر" (١٩٨٤: ٨١) وفى سبيل الأمثلة على هذا يستشهد "ليفيند" بثلاثة أعمال لثلاثة مترجمين - شعراء: "الترجمة التى قام "جولشهرى" *GülSehri* (القرن الرابع عشر) "منطق الطير" للعطار (توفى ١٢٢٠ على وجه التقريب) والترجمة التى قام بها "قطب" *Kutb* (القرن الرابع عشر) "خسرو وشيرين" لـ "نظامى" (١١٤١-١٢٠٣/١٧ بالتقريب) وترجمة "سيف السرايى" (القرن الرابع عشر) لـ "جولستان" *Gülstan* التى كتبها "سعدى الشيرازى" (١٢١٣ بالتقريب - ١٢٩٢ بالتقريب) وفى رأيه أن هذه الأعمال ليست ترجمة حقة أو ترجمة بالمعنى الدقيق *proper translation*. وهناك مثال رابع يتمثل فى الترجمة التى قام بها "نواى" *Nevai* (1441-1501) بعنوان "لسان الطير" وهى ترجمة أخرى للعمل الذى كتبه "العطار" بالفارسية وذكرناه قبل قليل إلى "تركية تشاجاتاي" *Chagatai Turkic* "لا يمكننا اعتبارها ترجمة" (*çeviri bile sayilma* المرجع السابق).^(١١) وعند هذه النقطة يصبح واضحاً إلى حدٍ معقول بالنسبة لى أن تفسير "ليفيند" لهذا الشكل من الأداء الـ "تركيمى" *terceme* قد صيغ فى الحقيقة بالتعارض مع مفهوم

الـ "تشفيري" *ceviri* بصفتها ترجمة حقة أو ترجمة بالمعنى الدقيق، ويوسعنا أن نستنتج أن النوعين الأول والثاني في تصنيفه يوافقان مفهومه عن "الترجمة الحقة" أي مفهوم الترجمة التركي المعاصر، وذلك بالاختلاف مع النوع الرابع، وبعبارة أخرى يرى "ليفيند" في النوعين الأول والثاني أن الـ "تركيمي" والـ "تشفيري" يتداخلان كمفهومين ومصطلحين، ولكن ذلك ليس كذلك هي حالة النوع الرابع حيث يوصف الـ "تركيمي" كمفهوم مرتبط بالثقافة العثمانية.

كما يتضح أيضاً أن النوع الثالث، أي الترجمات الأدبية التي "تنقل موضوع العمل" وفقط إشكالي كذلك. ففي الفصل الذي عنوانه بعنوان "تركومي" *Tecüme* (١٢) يقول "ليفيند" عن هذا النوع أن "الكتاب لا يترجمون العمل الذي بين أيديهم جملة جملة، ولكنهم ينقلون المعنى بالطريقة التي يقنصوه بها" (المرجع السابق). ومع ذلك ففي الفصل السابق المعنون "نازيري وكفاب" *Nazire and Cevap* (= الشعر الموازي والشعر المجيب *response*) كان عنده - على ما يبدو واضحاً - ما يقوله أكثر من ذلك عن الموضوع، ولكن دون رجوع عرضي إلى الفصل الذي خصصه لـ "تركومي" (١٩٨٤: ٧٠-٨٠). فبعد أن يقرر أن الـ "نازيري" في الأدب الإسلامي ليس محاكاة بالمعنى الحديث للكلمة، ولكنه عبارة عن قصيدة مشابهة مكتوبة بنفس البحر ونفس القافية كعمل لشاعر آخر، تمجيداً لذلك الشاعر - المصدر (١٢) يمضي "ليفيند" كي يشرح كيف أن الشعراء كتبوا الـ "نازيري" على نطاقٍ أوسع كثيراً، في قصصهم الرومانسي المعروف باسم "المسفيني" (= المثوى)، في ميلهم للـ "تيمات" الشائعة أي نفس الموضوعات التي يطرقها أرباب الشعر المعتمدين. (١٩٨٤: ٧٠)

ولقد أشارت "زهرة توسكا" *Zehra Toska* (2002: 65) إلى أن كاتب السير الأدبية الذي عرفه القرن السادس عشر "لطيف" أثنى على الرواية الرومانسية التي أبدعها الشاعر "شيخي" *Seyhi* (توفي ١٤٢١ بالتقريب) "خسرو وشيرين" بصفتها "نازيري". إلا أننا نعرف أيضاً أن هناك من كتب السير الأدبية من تعرف على نفس العمل باعتباره "تركيمي"، من بينهم "أشيك تشلبي" *Asik çelebi* (1520-1572) الذي لم ينس

أن يُثنى عليها - أي الرواية - ببعض الكلمات الطيبة و"تقى زاده كافير تشلبى" Taci Zade Cafer çebebi (توفى ١٥١٥) الذي وجه نقداً لاذعاً إلى العمل (قارن تيمورتاش Timurtas1980: 89-90) ولعل ما يلفت الأنظار هنا، في ضوء المساجلات القادمة حول الـ "نازيرى" في هذه الورقة هو أن عملاً يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر يمكن أن يوصف بمصطلحات كلٍ من الـ "تركيمي" والـ "نازيرى" في القرن السادس عشر، وأن يواجه نقداً بصفته "تركيمي" ولكن يقابل بالثناء باعتباره "نازيرى".

يرى "ليفيند" أن روايات الـ "نازيرى" تعالج "الموضوعات الشائعة"، مثل رواية حب "ليلي والمجنون" أو "خسرو وشيرين" تلك التي "لا يجوز تناولها كسرقات أدبية، بل باعتبارها اختلافات في المعالجة الفنية والإسهامات الشخصية التي يستقل بها كل شاعر على حدة" (١٩٨٤: ٧٠)، وفي بعض الحالات لا نجد الشاعر قد تبنى سوى البحر (= الوزن) والقافية والروح، ولكن في حالاتٍ أخرى نجده قد نقل أيضاً التقطيع النصوصي هو الآخر (١٩٨٤: ٧١)، وبين الأمثلة الكثيرة التي يسوقها "ليفيند" في هذا الفصل من كتابه، نجد مثلاً على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية، وهو يصفه كـ "نظيرٍ متقن" لأصله الفارسي، وهنا يكتب "ليفيند" أننا لا نخطئ إذا دعونا ذلك "ترجمة" çeviri . (المرجع السابق).

وفي ضوء شروحه على الممارسات العثمانية لكـ "نازيرى" بصفتها محاكاة في صيغة شعر موازٍ أو شعر مجيب فإن أشكال الـ "تركيمي" من النوع الثالث في تصنيف "ليفيند" تكتسب نطاقاً أو بعداً أكبر كثيراً. إذ تُصبح الآن وقد ضمت الـ "نازيرى". ولكن الأمر يعتمد على القارئ في خلق هذه الصلة، كما يعتمد الأمر كذلك عليه في استحلاب التعارض من كلمات "ليفيند" بين مفهومه لكـ "تركيمي" العثماني وفكرته عن "الترجمة الحقة" التي أفصح عنها في استخدامه لمصطلح "تشفيرى" çeviri . وتتمثل إحدى الصعاب الكبرى أمام الباحثين اليوم في أن "ليفيند" لم يقر بهذا التعارض أو يفسره، وعلينا أن نستنتج من تعليقاته المقتضبة وشروحه الفضفاضة وقائمة الأمثلة التي يسوقها.

ولما يزيد الطين بلة والأولى "المبلّة طيناً" أننا لا نكاد نعثر على أى إطارٍ تأريخى Chronological فى الفصول المذكورة عالياً لـ "ليفيند" كى تقود الطالب أو غير المتخصص خلال الأمثلة التى يسوقها. وعلى سبيل المثال هناك تعليقات نقدية كثيرة فى الفصل الذى أفرده لكـ "تركومى" Tecūme التى قام بها الشعراء العثمانيون الأفراد شعراً، وهى الترجمات التى تعكس - بوضوح - مفاهيم الممارسين المرتبطة بالزمن. إلا أن هذه التعليقات أبعد من أن تكون مفيدة فى ظل افتقارها للسياق والتأريخ. ومثالاً على ذلك نجد "ليفيند" يضمن الاقتباس النثرى التالى لكاتب الوقائع Chronocler "ترجسى" الذى يرجع إلى القرن السادس عشر أيضاً فى التعليقات الشعرية. ويوفّر لنا هذا النص توصيفاً على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية لاستراتيجيتين فى الأداء الـ "تركيمى" "terceme" - بكلمة ومعنى - بمعنى " (والبعض يضع الكلمات المترجمة فى نفس الترتيب النحوى بالضبط، لكن العبارة الناتجة تكون فاترة وباهتة فى التعبير وتفتقر إلى "النصاعة والوضوح" و"الرشاقة البلاغية") ("ليفيند" ١٩٨٤: ٨٣). "الإستراتيجية الأخرى تأخذ المعنى اللغوى (فى المصدر) وفى سبيل صب المعنى الداخلى للغة (الفنية) للمؤلف الأسمى فى قالبٍ تعبيرى جميل، يُعطيه مسحة جذابة عن طريق كلماتٍ وعباراتٍ وصياغاتٍ ومجازاتٍ مناسبة حتى يؤكد ويمثّل رغبة ذلك المؤلف الأسمى فى شكلٍ شيقٍ وأسلوبٍ جديرٍ بالاحترام. (المرجع السابق فى ترجمة "والتر أندروز"، التى استشهدت بها "هولبروك" 2002: 98). وفى نفس المقتطف الذى أورده "ليفيند"، يزعم "ترجسى" أيضاً أنه نفسه يلجأ إلى النوع الثانى من الـ "تركيمى" terceme فى سبيل "خدمة أصدقائه"، الذين لا ينتظر منهم، كما يتصور، أن يلوموه بل وسيغفرون زلاته طالما كان فى وسعهم أن يتفهموا الأسباب التى تدعوه سواءً إلى إضافة أى تعبيراتٍ أو حذف أى تعبيراتٍ أخرى من ترجماته (المرجع السابق). ومع ذلك، فليس هناك أى إشارة فى هذا الفصل الذى كتبه "ليفيند" إلى أن "ترجسى" لم يكن شاعراً بل كاتب وقائع بارز، كتب نثراً شعرياً مزخرفاً، وهو الأمر الذى يعد مثلاً آخر على فقدان السياق. ويجب علينا ألا ننسى أنه مع أن توصيف "ترجسى" لنوعين اثنين من الـ "تركيمى" terceme خطوة مفيدة، إلا أننا لا نستطيع الركون إليه على اعتبار

أنه يُمثل القاعدة التي تنطبق على كافة الممارسات "التركيمية" سواء النثرية أو الشعرية في العصور العثمانية على امتداد قرونٍ عديدة، فالحقيقة أنه يقف كأحد زوايا فهم الترجمة في القرن السادس عشر.

يتمثل المثال الآخر الذي يسوقه "ليفيند" من عالم النثر في "لطيفي"، الذي كان شاعراً ولكنه كان أيضاً ناقداً وكاتب سير للشعراء (١٩٨٤: ٨٣). ولقد كتب "لطيفي" عن معاصريه في القرن السادس عشر يقول: "بعض الشعراء يترجمون والأولى (فعل من تركيمي)، ويقتبسون (فعل من تيراش *tiras*) من الشعراء الذين يكتبون بلغة أخرى أو يرصدون المعنى ثم يعالجونه بطريقة أحسن بعد اقتباسه منهم. وهناك من الناس من لا يرى غضاضة في مثل هذه "السرقعة" ويفضلونها على المقطوعات التي كان الشاعر يسير في أعقابها في النص المصدر أو "يترجمها". ومع أن هناك إشارة أعلاه إلى شكليْن هما الـ "تيراش" والـ "اقتباس" للنقل البين - نصي *intertextual transfer* (= النقل المتناص)، لم يذكر "ليفيند" أيّاً منهما قبل أو بعد هذا الفصل، غير أنه لم يعلّق على أيّ منهما أو على علاقتهما بـ "تركيمي" *terceme*.

ومع ذلك فلعله مما ينطوي على أهمية كبرى بالنسبة لنا أن "ليفيند" يعطينا توصيفاً لنوع النصوص التي يمكننا في رأيه أن نفترض تمثيلها لـ "تركيمي" *terceme* والـ "نازيري" *Nazire*، ومع فقدان القوة التحليلية، وهو ما يُفسد طرح "ليفيند" وخطابه، غير أن أحكامه وتصانيفه والأمثلة (= جمع مثال) التي يسوقها لا تزال تقف بمثابة المصدر الثقة الرئيسي الذي نستطيع التعويل عليه في صوغ تعريف - مهما كان فضفاضاً - لـ "تركيمي". أو - ولكي نكون أكثر دقة - تشكّل بصفة إجمالية، تعريفه الخاص لـ "تركيمي"، وهو التعريف الذي يبدو في نظري أكبر التعاريف فائدة عملية كي نتبناه في دراسة عن الممارسة الترجمية خلال العصور العثمانية - أكبر التعاريف فائدة نظراً لأنه يمدنا بمعايير جديرة بالثقة كي نصوغ افتراضاتنا بشأن ما قد تكون عليه الـ "تركيمي" *terceme* في ميدانٍ بالغ الاتساع حيث يبدو أن هناك كثيراً من الأمثلة لا تزال طي الخفاء ("توري" ١٩٩٥: ٣١-٣٥، ٧٠-٧١، قارن "بيكر" و"توسكا" ١٩٩٧: ٨٠، ٨٧، ٨٨).

هناك نقط قليلة أخرى تحتاج إلى التوضيح فى هذه اللحظة مع إشارة خاصة إلى الترجمة (فى اللغة الإنجليزية. فى توصيف ميدان الـ "تركيمى" - الذى أستخلص منه مفهوماً مرتبطاً بالثقافة - يتعرّف "ليفيند" على بعض أشكال الأداء العثمانى فى مجال الترجمة، بصفته متمشياً مع المفهوم التركى الحديث لكـ "تشفيرى" *ceviri* فى حين أن بعضها الآخر لا يتمشى. ومعنى القول أن معياره فى التعرّف على الـ "تركيمى" يستعين بالـ "تشفيرى" *ceviri* الذى يُعد أقرب مصطلح تركى يتناظر مع المفهوم الحديث للترجمة أو *translation* باللغة الإنجليزية، مع أنه مفهومٌ مرتبطٌ بالثقافة هو نفسه. ولقد برهنت "شهناز طاهر - جورتشاغلار" (٢٠٠١: ١٥٠-٢٢٦) فى الآونة الأخيرة فى تحليلها للخطاب التركى بشأن الترجمة من سنة ١٩٢٣ حتى ستينات (= ستينيات) القرن العشرين، على أن المفهوم التركى الحديث للترجمة ظل يُفسرُ ويُشرح على امتداد ما لا يقل عن أربعة عقود من الزمن من الجدل والنقاش حول طبيعة الوظائف والتعاريف والاستراتيجيات الخاصة بالترجمة باستخدام كلٍ من المصطلحين القديمين "تركيمى" و"تيركومى" وكذلك الفعل الحديث *ceviri-mek* ومشتقاته المتعددة. وتتوج ذلك بما أستنتج أن يكون إجماعاً على المفهوم الحديث كـ "تشفيرى" *ceviri* . وبصفتنا باحثين، وجب علينا - بالتالى - ألا ننسى أن هناك مفهوميين رئيسيين للترجمة فى سيرورة الترجمة التى تقوم على الاستمرار فى الثقافة التركية، ولعل العلاقة بين الـ "تركيمى" والـ "تشفيرى" أشبه بالعلاقة بين *traductio* (التي تناظر "تركيمى") وبين *translation* (التي تناظر "تشفيرى") على نحو ما ناقش الموضوع "أندريه لوفيفر" *André Lefevere* (1990) ، ولكنها أى العلاقة مختلفة من زاوية على جانب كبيرٍ من الأهمية: يتعيّن ربط التفريق التركى بين وجهتى النظر بعملية بناء - الأمة فى العصر الحديث، والثورة الأيدولوجية المصاحبة التى تهدف إلى إحداث انقطاع ثقافى وسياسى مع الماضى. ويتعيّن علينا أن ننظر إلى كلٍ من الـ "تركيمى" والـ "تشفيرى" بصفتهما مرتبطتان ثقافياً وزمناً، فكلٌ منهما يشير إلى الأخرى (= الغيرية) الثقافية للآخر، والاعتراف بذلك يبدو أن يشكّل جزءاً من عملية إعادة التفكير فى الانقطاع فى ضوء دخول تغيراتٍ على الاستمرار الثقافى. (١٤)

طرح "ثيو هيرمانز" خلال عودته إلى كتاب "جديون تورى" المعنون "بحثاً عن نظرية للترجمة" هذا السؤال: إذا كنا نحاول أن نعاير المصطلح الأمهرى (نسبة للغة الأمهرية إحدى لغات إثيوبيا) *tirgum* (= ترجموم) الذى يتصادف أن يكون مماثلاً من الناحية الاشتقاقية مع *Terceme* (ص.ب) (ليس فى الأمر صدفه فالتركية أخذت الكلمة عن العربية التى نقلتها بدورها عن السريانية وهذه شقيقة للأمهرية فى الفرع السامى من العائلة الحامية - السامية. المترجم)، فهل نتخذ الـ *translation* أى مفهوم الترجمة المرتبط - ثقافياً، كما نقابله فى الاستعمال الحديث فى اللغة الإنجليزية" أو الترجمة كمفهوم فوق - لغوى *supra-lingual* عمومى/كونى مفترض، كأساس؟ (١٩٩٥: ٢٢١) ولكنى أود بادئ ذى بدء - وقبل التعليق على هذا السؤال - أن أركز على الرد الخاص الذى ساقه "هيرمانز"، ويتركز على "نحن كباحثين" أى باعتبار "نحن" هنا مسند/فاعل، الذين:

"سيتعين علينا أن نفسر الحقيقة التى تقول الأ مناص أمامنا من أن نتخذ نهجاً تجاه الترجمة أو الـ *tirgum* أو أى مصطلح كان، لنقل من ثقافة العصور الوسيطة فى أوروبا أو عند الـ "نامبيكوارا" *Nambikwara* فى إقليم "الأمازون" - بصفتنا أعضاء ننتمى لثقافة خاصة تفسر مفهوم الترجمة بأسلوب معين." (المرجع السابق).

أما بالنسبة لى فالسؤال ينصب على من يعود الضمير المنفصل: "نحن؟ إذا كان يعود على مجتمع الباحثين الذين يشتغلون فى منطقة أحادية اللغة متخذين اللغة الإنجليزية أساساً وحيداً أو على الأقل الأساس الرئيسى لرجعيتهم، فلسوف يعنى ذلك، بالتالى أن استيرادنا أو تفسيرنا للمعطيات سوف يكون من ثقافات ليست معروفة إلا على نطاق أضيق أو قديمة، وأحادى الاتجاه وخاضع للمركزية الإنجليزية - *Anglo-centric* . (بل ونوع من الثقافات التى قد تعطى وزناً للطريقة التى ستفسر أو تعالج بها فى اللغة الإنجليزية)، ولكن إذا نظرنا للأمر أو لذلك الضمير المنفصل "نحن" بصفتنا باحثين نمثل ثقافات مختلفة، يقدمون معطياتهم كل من لغة الثقافة التى ينتمى لها وتلك الإنجليزية، فلسوف يعنى ذلك أننا نتوقع من أولئك الباحثين، عوضاً عن "المراقب" - مع - المفسر، أن يساهم على الأقل فى نقاش ثنائى اللغة، خلال تقديم سياق ما وتعريف

ما أو تفسيرٍ للترجمة والأولى الـ "ترجوم" أو أى مفهوم آخر يتناولونه بالنقاش. ولعللى أميل إلى الاعتقاد بأن الوضع الأخير هو الذى كان يملك على "هيرمانز" فؤاده عندما لفت النظر إلى الحاجة إلى "تجديد التساؤل حول أى نوع بالضبط من الترجمة الثقافية تلك التى يقصدون (أى أولئك الباحثون المترجميون الذين ينصب عملهم باستمرار على الآخر الثقافى) عندما "يفسرون" - واستعمالى هنا للكلمة مقصود - مفاهيم مختلفة للترجمة" (١٩٩٥: ٢٢٢).

على أن الحاجة إلى إعادة التساؤل أو تجديد التساؤل فى هذا الصدد لا ينطبق وحسب على التفكير والصياغة باللغة الإنجليزية، ولكن أيضاً باللغة التركية. وفى ضوء غزارة الدراسات الترجمية التاريخية التى تمت بكل من اللغتين الإنجليزية والتركية، يتعين أن نضع نصب أعيننا ضرورة طبع الخصوصية الثقافية للمصطلحات والمفاهيم بطابع إشكالى بدلاً من القفز فوقها، وتعد الطريقة التى نزع بها الطابع الإشكالى عن الـ "تركيمى" أو انتحال الأعذار له فى اللغة التركية حالة فى صميم الموضوع الذى نحن بصددده، ولعللى أرى أن امتلاكنا لوعى بذلك يمكن فى الحقيقة أن يقود خطانا على الطريق إذا كنا على استعداد للسير فيه حتى نصل إلى قلب بعض الصعاب فى الأمشاق الحالية والتاريخية للبحث التركى.

٤ - كيف جرى نزع الطابع الإشكالى عن الـ "تركيمى" ؟

إذا عدنا إلى سؤال "هيرمانز" (قارن ١٩٩٥: ٢٢١) الذى استشهدنا به عالياً، فيكون جديراً بنا أن نركّز على اتصاله أيضاً بالموضوع فى ضوء السياق التركى العثمانى: إذا كنا (نحن الباحثين المحدثين) نحاول أن نتصور ما هى الـ "تركيمى"، فهل نأخذ كأساس لنا الـ "تشفيرى" çeviri، وهو مفهومنا الحديث - نحن الأتراك - الذى يحمل فى طياته الأمانة (كل الأمانة) مع النص المصدر، ومن هنا النزول بالتدخل فى اكتمال هذا النص إلى أدنى حدٍ ممكن، أو شىءٍ قد يبدو مؤدياً وظيفية "كونية" (= عمومية) كما هو الحال فى "ترجمة" الباحث "هيرمانز"؟ وفى ضوء التحليل الذى

قدمته حتى الآن لـ "ليفيند"، أعتقد أن الجواب على السؤال أصبح واضحاً. إنه مفهومنا أى نحن الباحثين "الكونى" أو العمومى" وذلك لأن هذا المفهوم "الكونى" هو الذى يدل على امتلاكنا وعياً وإقراراً بالتفريق بين مفهومنا الثقافى – الخصوصية أى الذى تنفرد به الثقافة بون سواها، وهو مفهوم حديث للترجمة وما الذى ننتظر أن نعثر عليه كترجمة فى الثقافة العثمانية، وإذا كان هذا التفريق قد ظل مغفلاً حتى الآن أو مفتقراً إلى الصياغة فى لغة واضحة، فذلك راجع إلى الحقيقة التى تقول إن مصطلح الـ "التركيمى" بصفته مجموع الممارسات الترجمية استمر منزوعاً عنه كل طابع إشكالى.

وأظن أن أحد أهم الأسباب الكامنة وراء ذلك تتمثل فى أن الدارسين الأتراك المحدثين بمن فيهم "ليفيند" (الذى اقترب كثيراً من شكل أو آخر من طبع الترجمة بطابع إشكالى، ولو أنه عجز عن توضيح مصطلحاته) قد ساروا وفق مشقٍ أيديولوجيٍّ معينٍ فى دراساتهم، وقد استقر هذا الأمر على امتداد سنواتٍ وسنواتٍ نتيجة للدراسات الواسعة التأثير التى قام بها "محمد فؤاد كوبرولو" Mehmed Fuad Köprülü (1890-1966) وهو مؤرخ معاصر من الرواد وناقد أدبى ودارسٌ غزير الإنتاج، يتمتع بسعة اطلاعٍ فريدة، وكان منخرطاً بشكلٍ نشطٍ فى الحركة الثقافية التى قامت على أكتافها عملية بناء – الأمة التركية، فلقد أسس معهد التركيات Institute of Turcology وبالتركية Türkiyat Enstitütü فى جامعة "إستانبول" فى ١٩٢٤، أى بعد سنة واحدة من تأسيس الجمهورية، وتبنت الأجيال اللاحقة المشق القومى الذى وضعه خلال عمله، للدراسات الأدبية العثمانية فى تركيا الجمهورية على المستوى الأيديولوجى والمنهجى. ولقد جرى فحص اللغة السابقة – على – العثمانية والعثمانية فى ضوء التلوين التدريجى خلال تنامى التأثير اللغوى العربى – الفارسى: ساد الاعتقاد أن لغة أدبية مصطنعة قد طرقت طرق المعادن خصيصاً للصفوة (فيما سُمى بأدب "الديوان" Divan)، وذلك بالتعارض مع خطاب الشعراء الشعبيين، مثل خطاب الشاعر الصوفى "يونس إمرى" Yunus Emre الذى عاش فى القرن الثالث عشر. ولقد رأى الباحثون فى شعراء "الديوان"، خلال تكييفهم للغة التركية لقواعد العروض Aruz العربى – الفارسى، وسطاء فعالين فى "طرق" أو صك خطابٍ شعريٍّ عثمانيٍّ "متكلف". ولو أن الباحثين

الأمريكيين في ميدان الأدب العثماني "والتر أندروز" (١٩٨٥) و"فيكتوريا هولبروك" (1994) Victoria Holbrook يريان أن الأيدولوجية المبكرة للدولة - الأمة التركية هي التي كانت ولا تزال تقف وراء مثل هذه الآراء، التي انعكست في "روايات" (أو في خطاب) التي أعادت بناء الثقافة العثمانية في ضوء تشعب إلى شعبتين أي هويتين منعزلتين وغريبتين الواحدة عن الأخرى (الشعب والبلاط) في سبيل تبرير فك كل صلة بين النزعة الصفوية (نعت صناعي من صفوة) للماضي العثماني وبين النزعة الشعبية للجمهورية التركية.

في مثل هذا السياق غدا الإبداع أو الابتكار الشعري باللغة التركية من العناصر المهمة للغاية أمام الدراسات الأدبية كي تسعى في أثره وترصد موضعه وتبرزه، بينما جرى تقييم الترجمات التي وصفها مؤلفوها أو التقاليد بأنها "تركيمي" بصورة سطحية في ضوء المفهوم الحديث بشأن الأمانة، وأدى العزوف عن تطبيق قواعد الـ "تركيمي" على تلك الأعمال التي حكم عليها بأنها أمينة - بل مختلفة - إلى نزع الطابع الإشكالي عن الممارسات الـ "تركيمية" في العصور العثمانية، كما جرى فحص النقل البين-نصوصي أو التناسي من اللغتين العربية والفارسية في الغالب في ضوء "تأثير" منبثق من تراث إسلامي مشترك من التقاليد الثقافية والأدبية واللغوية. (١٥)

لاحظت "إبرو ديريك" Ebru Diriker خلال عرضها النقدي لكتاب "كوبرولو" بحث أدبي "Edebiyat Arastırmalar" أن "كوبرولو" استعمل في كتابه ذاك هذه المصطلحات الـ "تركيمي" و"المحاكاة" و"مترجم" (müttercim) ومحاكي/مقلد (taklitçi) بالتبادل، المصطلح مع الآخر، وأن اتجاهه تمثل في نبذ الـ "تركيمي" "الأمينة" وإعلاء شأن تلك الترجمات سواء الموسعة أو المختصرة، بطرق هدفت إلى إثراء الثقافة التركية في لغة تركية رفيعة ("ديريك" ١٩٩٧: ٩٧) ويرى "كوبرولو" أن تلك الأعمال التي نقلها المترجمون الأتراك - مع أقل قدر من التلوث الفارسي - كانت على جانب كبير من الجدارة. ولقد كتب "كوبرولو" على سبيل المثال، خلال تقييمه (وليس تقويمه. المترجم) لترجمة "جولشهرى" Gülsehri (القرن الرابع عشر) "منطق الطير" للعطار عن الفارسية يقول:

"هذا الشاعر العظيم الذي يبدو أنه لم يُخرج ترجمة عابرة - بل عملاً من إنتاجه الخاص - كان على وعي بأهمية ما يفعل. فلقد قال إن عمله ليس أقل جدارة من العمل الفارسي نفسه "منطق الطير" وإن ما من أحد قبله قد أخرج عملاً يوازي عمله في لغة تركية رفيعة إلى ذلك الحد. (١٩٦٦ : ٢٧٤-٢٧٥ ، ١٩٩٣ : ٢٣٩-٢٤١)

يقبل "كوبرولو" من "جولشهرى" تقييماً لنفسه، لكنه لا يخرطه على وجه خاص في طبقات المترجمين بل يراه شاعراً قدّم إسهاماً على جانب كبير من الأهمية للشعر التركي، وخصوصاً إذا تذكرنا استعماله الخلاق لمصادر شعرية إضافية. (المرجع السابق). وبناء عليه وفي عبارة "ديريكر": "لقد كشف "كوبرولو" عن المترجم (في هذه الحالة "جولشهرى") وجعله "منظوراً"، لكنه لم يعد يعترف به كمترجم ("ديريكر" ١٩٩٧ : ٩٧) ولعل في هذا تلخيصاً لما أعنيه بـ ("نزع الطابع الإشكالي عن الـ "تركيمي") وإذا ما عقدنا مقارنة بين هذه الآراء وبين تعليقات "ليفيند" (الواردة أدناه) بشأن نفس الشاعر ونفس الترجمة، فلسوف نكتشف أن عباراته الأخيرة تصور - زيادة على ذلك - محاولة أخرى لنزع ذلك الطابع الإشكالي: على سبيل المثال لا تُعد ترجمة "جولشهرى" لـ "منطق الطير" للعطار و... ترجمات حقة أى بالمعنى الصحيح لكلمة "تشفيري" *ceviri* ، ولطالما قدّم المؤلفون مساهمات كثيرة بكتاباتهم الخاصة خلال الترجمة (*cevirirken*) ، ولو أنهم وصفوا أعمالهم بأنها "تركيمي" (أم كانت "تركومي") من باب الامتثال لمؤلف النص المصدر الذي رأوا فيه معلماً ضليعاً ("ليفيند" ١٩٨٤ : ٨١). وقد كتبت "زهرة توسكا"، بالإشارة إلى هذه الأقوال تقول: "مع أن "ليفيند" وصف مثل هذه الأعمال بأنها "ترجمات موسّعة"، إلا أنه قال أيضاً: "ليس في وسع المرء أن يسميها ترجمات". كيف نستطيع إذن أن نميزها من الأعمال الأصلية؟" (٢٠٠١ : ٦٣) ويبدو أن أسئلة مشابهة مما استمرت تشرّب أمام أعيننا بصورة متكررة في المشروع الذي تكفّلت به جامعتنا "بوغازتشي" تُثار، ليس بسبب مثل هذا الغموض على مستوى المصطلح والمنهج، كما في استعمال كلمتي *ceviri* و *terceme* في خطاب "ليفيند" و فقط، بل أيضاً ولعله أكثر أهمية من الاندفاع العام الأيدولوجي - الأدبي نحو "حجب" (قارن "تورى" ١٩٩٥) الـ "تركيمي" في سبيل تسليط الضوء على ما ساد الاعتقاد بأنه تجديدي وأصيل وضارب بسهم وافر في الشعر والثقافة التركيين.

لا يستطيع أحد أن يقول إن "كوبرولو" انحرف عن الخطاب الأدبي العثماني الذي يتضمن نقداً للممارسات التي تقوم على الانتحال والمحاكاة في الترجمة إلى جانب التفاضل عن التدخلات التي يقوم بها مترجمون - شعراء بارعون وعلى جانب كبير من الكفاءة. إلا أن التفريق الذي ابتكره "كوبرولو" بين "المترجمين" كمقلدين من جانبٍ و"الشعراء" من جانبٍ آخر أولئك الذين يوظفون ملكاتهم في إضافة مساهمات فردية جديدة بالإعتبار للنصوص التي يشتغلون عليها، كان فعلاً في (أ) قصر نطاق الباحثين على فحص الممارسة الـ"تركيمية" العثمانية و(ب) نزع الطابع الإشكالي عن تنوعها، وبذلك (ج) محو الـ"تركيمي" من الخطاب النقدي - الأدبي التركي كمفهوم وظيفي في التحليل الثقافي والأدبي واللغوي،^(١٦) في هذا السياق يصبح النقد الذي وجهته "زهرة توسكا"، وهي دارسة متخصصة في الأدب العثماني وترأسست المشروع الثاني الذي نظّمته جامعة "بوغازتشي" للاتجاهات السائدة في البحث الراهن التي تنحو نحو القفز على الملامح الترجيمية لأعمال الشعراء خلال العصور العثمانية (٢٠٠٢: ٥٩-٦١). ويوازي هذا النقد في الأهمية أنها لفتت الأنظار إلى الحاجة الماسة لدراسة أعمال كاتبى السير biographers العثمانيين للشعراء كي نرى ما إذا كان في وسعنا أن نتبنى مصطلحاتهم (مثل الـ"نازيري") في توصيف الترجمة اليوم (٢٠٠٢: ٦٦)

٥ - مظاهر الطابع الإشكالي لممارسة الترجمة العثمانية في ضوء نفس

المصطلح باللغة الإنجليزية (translation)

في هذا القسم وفي القسم التالي سوف أركّز على مقالين صدرتا في الآونة الأخيرة، الأول كتبه "فيكتوريا هولبروك" (٢٠٠٢) والآخر كتبه "ولتر أندروز" (٢٠٠٢) ويؤسس كلاهما حججه في مفهوم لغة فارسية - عثمانية مشتركة للشعر والثقافة وكلاهما يبرز إلى الصدارة أيضاً الشعراء بصفتهم متكفّلين بالترجمة ونقل أعمال الإبداع وهاتان النقطتان ساهمتا في تعزيز الصلة بين المترجمين - الشعراء ، وبين المفهوم الذي يقول بوجود "بين - ثقافة عثمانية" حسب الإطار المفهومي الذي أذهب إليه.

تستعرض "هولبروك" في مقالها الممارسة الترجمية الأدبية خلال العصور العثمانية في ضوء مفهومي الترجمة "الصريحة" وتلك "المستترة" والسياق الخاص بكليهما مرسوماً في نقاشٍ حول الأدب نظمه أتباع الشاعر الفارسي الصوفي مولانا "جلال الدين الرومي" (توفي ١٢٧٣) من أجل نشر مبادئه السلوكية، أي في مجال بين - ثقافي أو "تثاقف" تشترك فيه كل من اللغات التركية والفارسية والعربية. ويُغطى مفهوم الترجمة "المستترة" عند "هولبروك" استراتيجيات النقل التي ظل فيها السياق الثقافي الذي أدى إلى انبثاقها خافياً، وتعرّف "هولبروك" الترجمة "الصريحة" بأنها "الترجمة بالمعنى التقليدي" (٢٠٠١: ١٣). وتكشف إشارتها اللاحقة إلى كاتب الوقائع الذي عرفه القرن السادس عشر "نرجسي" أن نعت "الصريحة" إنما يتناظر مع توصيفه للترجمة الحرفية، وقد لاقت كلماته حول الترجمة الحرة - من جانبٍ آخر - تفسيرها على اعتبار أنها "إعادة صياغات للمادة التيمية thematic material التي تُظهر استقلال الأسلوب العثماني ... وتقابل بالثناء لأصالتها" (المرجع السابق) أي كُنشاطٍ قريبٍ من ممارسة الـ "نازيري"/المحاكاة التي سنعرض لها فيما بعد. وسوف تعيد إلى الأذهان - مع ذلك - أن "نرجسي" وصّف كل إستراتيجية على نحوٍ خاص بصفاتها شكلاً من أشكال الـ "تركيمي"، ويتعيّن ألا يغيب هذا لحظة عن بالنا في الوقت الذي نكون فيه منهمكين في قراءة أقوال "هولبروك" أدناه، وهو الأمر الذي يتأسس على زعمها بأن الترجمة "الصريحة" سقطت من الممارسة بحلول القرن السادس عشر أي عندما توطدت أركان السلطة الإمبراطورية لبني عثمان:

"طالما استوعبت شريحة كبيرة بدرجة كافية من الناطقين بالتركية، ولو أنها كانت في نفس الوقت متعددة اللسان، وهي الشريحة التي خرجت منها الطبقات الحاكمة لإمبراطورية أصبحت في ذلك الوقت شاسعة، انتفى كل سبب للعكوف على ترجمة أي أعمال، إذ كان في طوع أبناء تلك الشريحة أن يقرأوا الأصول، بل وكان في وسعهم أن يكتبوا بالعربية والفارسية مثلما يكتبون بالتركية، وكانت التركية قد حققت سلطاناً عريضاً كلغة أدبية. وكفّت الشروط التي تحبذ النقل الثقافي من الفارسية عن الوجود أو كادت، أما الثقافة التي لاقت الاستيعاب فلم يعد أحد يرى فيها ثقافة أجنبية،

ولكنها كانت عوضاً عن ذلك جزءاً لا يتجزأ من "نظام الحياة" بعبارة "إيفين - زوهر"، وبالتالي فليس هناك حاجة إلى ترجمتها". (٢٠٠٢: ٩٩)

يصعب علينا أن نتبين السبب في انعدام الحاجة إلى الترجمة، ما لم نربط "النقل الثقافي" في السياق المنكور أعلاه بالرأى الذي تذهب "هولبروك" إليه بأن "الترجمة في العصور الوسيطة (لأغراض التثاقف) من اللغتين الفارسية والعربية إلى التركية كُفّت بصفة عامة، عن الاستمرار كنشاطٍ على جانبٍ من الأهمية بين العثمانيين" بحلول منتصف أو أواخر القرن الخامس عشر (٢٠٠٢: ٩٧)، وعند هذه النقطة تكون أسئلتى الرئيسية هي: هل بوسعنا الافتراض أن كافة الترجمات في الفترة الأولى كانت "صريحة" أو حرفية؟ وحتى لو قبلنا أن "الترجمة الصريحة" انتهت بحلول القرن السادس عشر، فكيف نفسّر وجود نصوصٍ كثيرةٍ عدّها الباحثون "تركيمي" في التقاليد العثمانية حتى مطلع القرن العشرين؟ لما كانت "هولبروك" قد غفلت عن الإشارة إلى ممارسة الترجمة - كما سماها العثمانيون - فإن المرء لا يستطيع إلا أن يستنتج من الاستشهاد الوارد أعلاه، أن الممارسة الترجمية العثمانية لم تكن خاضعة للفحص في ضوء مفهوم الـ"تركيمي" الثقافي - الارتباط، بل في ظل "الترجمة بالمعنى التقليدي" وأن المصطلح الأخير أي "الترجمة" إنما يدل على مفهوم يغطّي كلاً من الترجمة الإنجليزية translation والتركية في نفس الوقت، وهو الأمر الذي لا يشمل أكثر من النقل الحرفي من لغة إلى أخرى. فلقد محت "هولبروك" من خطابها - سواء عن قصدٍ أو بغير قصدٍ - الـ"تركيمي" كممارسة ثقافية - الارتباط.

ومع ذلك، فالهم الأساسي لـ "هولبروك" ينصب على أشكالٍ معينة من الترجمة "المستترة" أبرزها - في رأبي - يشمل سياسات الثقافة واللغة العثمانيتين. ففي مناقشتها لنقل التقاليد الصوفية الأدبية لـ "جلال الدين الرومي" شعراً من الفارسية ترشدنا "هولبروك" إلى إمعان النظر في بعض أشكال "الترجمة المستترة"، وتقول حول أبرز هذه الترجمات المستترة ما يلي:

قد يكون من الصواب أن النصوص التي يُفترض أنها كانت ترجماتٍ في عصرها، تخفى - أيضاً - بغير ذكر، أي بغير الكشف عن ذلك - ما قد يكون على وجه الترجيح

صراعاً شرساً (أى بين التركية والفارسية) وراء السلطة والهوية، وهو صراع مرتبطُ بشكلٍ وثيقٍ باللغة عن طريق تغيير منزلة إحدى اللغتين وشكل السلطة السياسية المرتبطة بها، بالنسبة للغة الأخرى (٢٠٠٢: ٩٤)

تعيد الإشارة اللاحقة لـ "الأحكام الغائبة - القومية" (المرجع السابق) التي تجاهلت المعانى الضمنية لمثل ذلك الإخفاء، إلى الأذهان بعض النقط التي نستطيع أن نربط بينها وبين استعمال الفارسية أو العربية فى الترجمات العثمانية، والطريقة التي مال بها الباحثون الأتراك المعاصرون عليها كي يفسروها.

قد تساعدنا - فى هذا الصدد - بعض التعليقات التي صدرت عن "كيم ديلتشين" Cim Dilçin على المترجم - الشاعر "هوكا مسعود" Hoca Mesud (توفى ١٣٧٠ بالتقريب) على سبيل المثال، فى تصوير هذه النقطة. فيقرر "هوكا مسعود" فى الختام المعهود ("hatm sü-l kitab ve özr averden") لترجمته "سهيل ونيفبهار" Süheyl ü Nevbahar (١٧) (النص - المصدر بالفارسية مجهول) أنه "ترجم كلمة - بكلمة lafzen-be-lafz eyledüm tercüme" ("ديلتشين" ١٩٩١: ٥٧٥)، ويشكو "مسعود" أيضاً من الصعاب التي واجهها عند ترجمة الشعر إلى التركية، ويشير على وجه الخصوص إلى القيود التي يفرضها الوزن والأولى البصير الشعرية: "(حرفياً) عندما ننقل التعبير العربى أو الفارسى إلى شعر تركى، أحياناً يكون متسقاً مع الأصل وأحياناً أخرى لا يكون، وذلك لأن البحر لا يقبلها" ("ديلتشين" ١٩٩١: ٥٧٤، 4: 5593 II). ويرجع كيم ديلتشين فى طبعته النقدية الرائعة لـ "سهيل ونيفبهار" شكوى "مسعود" وبعض العيوب فى نظمه التركى إلى الحقيقة التي تقول إن الشاعر لم يتوقّر له "ناصحون أكفاء" (مثل الفرس) كي يسير على هدى نصحهم، ويوضّح أن "هوكا مسعود"، لو كان قد أفعم، فى فترة كان للشعراء الفرس كل ذلك التأثير على الأدب التركى، لغته بكلمات فارسية وعربية، على نحو ما فعل الشعراء فى القرون اللاحقة، فإن هذه الطريقة، هي الأخرى كانت ستقابل بنقدٍ حادٍ اليوم. إلا أنه أخرج - على النقيض من توقعنا، وعلى نحوٍ لا يخلو من مغزى - أعمالاً مكتوبة بتركية صافية. ("ديلتشين": ١٩٩١: ١٩) غير أن مثل هذا

التفسير يتجاهل تلميحاتٍ ممكنة، في كلمات "مسعود" إلى وجود صراعٍ على المستوى اللغوي - الشعري بين النفوذين الفارسي والتركي، وفي نفس الوقت يعطى الانطباع بقدرٍ من الحرص الأيدولوجي على تأكيد أهمية التركيبة الصافية إزاء تلك "الملوثة" بالفارسية والعربية.

لا يُعد "مسعود" الشاعر الوحيد بين الشعراء والكتاب الأوائل الذين شكوا من القيود التي تفرضها لغته التركية على ما يقوم به من عمل. فلقد لفت «ديلتشين» نفسه الأنظار إلى كل من: "جواشهرى" و"شيخوغلو" Seyhoglu، و"أشيك باشا" Asik Pasha و"ساريكا كمال" Sarica Kemal (1991: 6-7, 19)، وكذلك "قاضي - إي مانياس" Kadi-i Manyas Özkan 1993: (10) وليس في طوعنا أن نصرف النظر عن الحقيقة التي تقول إن الشعراء أنفسهم خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر قابلوا صعوبة في التعبير عن أنفسهم باللغة التركية. ويستشهد "ليفيند" (1984: 83-87) بكثير من الأمثلة معظمها من شعراء القرن السادس عشر، الذين تكبّدوا مشقة كبيرة كي يُظهروا - في شعرهم - الابتعاد عن سطوة الشعراء الفرس، فلا تصير أعمالهم كما لو كانت مجرد "ترجمة" لهم. ويجدر بنا أن ننظر بصورة أعمق في مثل هذه الأقوال والأسباب التي يمكن أن تكون كامنة وراءها. ترى ما هو السبب في حقيقة الأمر، في أن أولئك الشعراء كانوا كثيرى الاحتجاج؟ هل كان الأمر راجعاً إلى مجرد لفت الأنظار إلى صعوبة العثور على مقابل تركي دقيق للكلمات وعناصر الوزن العربية - الفارسية أم أنهم كانوا يقرّون أيضاً بوجود ضغوطٍ وتوتراتٍ معينة في إطار صراعٍ في سبيل السيطرة بين الهويتين الثقافيتين واللغويتين الفارسية والتركية، وهي توترات ظلّت مستترة والأولى محجوبة عن الرؤية حتى استخرجناها إلى النور؟ وهذا ربما ما كانت "هولبروك" ترمى إليه عند إشارتها (أعلاه) إلى ترجمات مستترة، ومع ذلك فالسؤال المتصل بالموضوع حول الرجحان العربي - الفارسي في الترجمات العثمانية بعد القرن الخامس عشر، وهو ما سوف أصوره فيما يلي ببعض الأمثلة، متصل أيضاً بالحجة التي تسوقها "هولبروك" بشأن انتهاء "الترجمة الصريحة" في القرن السادس عشر.

يشير كلُّ من "زهرة توسكا" و"ندرت كوران - بورتشوغلو" Nedret Kuran- Burçoglu إلى أن حكاية مأخوذة بشكلٍ عشوائي من الترجمة التي قام بها "ضيفي" Zalfi (القرن السادس عشر) لتحفة "الطار" منطق الطير" أبقّت على ما يصل إلى سبعين كلمة من أصل ١٣٦ وردت في النص - المصدر دون تغيير (عند الترجمة إلى التركية) (١٩٩٦: ٢٥٩) أي ما يزيد على النصف، ولكن يتعيّن علينا ألاّ ننسى أن النصوص - المصدر الشعرية الفارسية كانت تحتوى بالفعل على عناصر عربية، وأن عدد المفردات المعجمية "العربية" التي يتضمّنها السياق النحوي في أي حكاية تروى نثراً بـ "الفارسية" (في "جولستان" لـ "سعدى الشيرازي" على سبيل المثال) يمكن أن يرتفع حتى يبلغ خمسين بالمائة بل وحتى أعلى من ذلك ("أباك" 1999: 28، ٣١) وبالتالي فإن المترجمين العثمانيين الذين اشتغلوا على نصوص - مصادر فارسية كانوا يتعاملون مع لغة شعرية مهجّنة بالفعل، كما تكشف دراسة مقارنة أخرى لحكاية مأخوذة بصورة عشوائية من ست عشرة ترجمة لـ "جولستان" تحفة "سعدى الشيرازي" (توفى ١٢٩١) الكلاسيكية التي تراوحت كتابتها بالفارسية بين الشعر والنثر أن ٢٦ من أصل ٢٨ كلمة عربية، إلى جانب ١٧ من أصل ٢٧ كلمة فارسية في النص - المصدر نُقلت كما هي في الترجمات التي يتراوح ظهورها من القرن الخامس عشر حتى العشرين، وأتينا وجدنا في الترجمات التي ظهرت حتى القرن العشرين تناظراتٍ أكثر في العربية مما في التركية في ترجمة العمل الفارسي، وأن العدد الإجمالي للعناصر العربية تجاوزت خمسين بالمائة بين المفردات المعجمية الكلية في ترجمات القرنين السابع عشر والثامن عشر ("أباك" ١٩٩٩: ٢٨، ٣١-٣٢). ويعيد "كيم ديلتشين" إلى الأذهان، في دراسته المقارنة لخمس ترجمات لـ "منطق الطير" أنه بينما كان المترجمون الأقدم الذين عرفهم القرنان الرابع عشر والخامس عشر مهمومين إلى حدٍ كبيرٍ بترجمة "المعنى" إلى التركية، حاول الشعراء "قاضي زاده محمد" Kadizade Mehmed و"ضيفي" (القرن السادس عشر) و"فداي ديدى" Fedai Dede (القرن السابع عشر) أن يحافظوا على الملامح السردية والأسلوبية العربية - الفارسية لنصوصهم - المصدر ("ديلتشين" ١٩٩٣: ٣٦).

في هذا السياق من التهجين الثلاثي الأبعاد - كما هو واضح - قد يكون من الأسهل علينا أن نفهم الأسباب الكامنة وراء زعم "فيكتوريا هولبروك" بأن الترجمة "الصريحة" أي الترجمة الحرفية فقدت أهميتها بحلول القرن السادس عشر.

٦ - طبع الـ نازيري بطابع إشكالي

نقابل محو الـ "تركيمي" الذي لاحظناه في خطاب "فيكتوريا هولبروك" أيضاً في الحجج التي ساقها "ولتر أندروز" في مقاله المعنون "عوداً على بدء: بعض الاقتراحات نحو إعادة النظر في شعر الديوان العثماني في سياق الترجمة والنقل" (٢٠٠٢). فهنا نجد طبعاً ساحقاً لـ "نازيري" أي المحاكاة بطابع إشكالي في ضوء وظيفتها الترجمية الخلاقة في الشعر الموازي والشعر المجيب (٢٠٠٢: ١٩). (١٨) ويبدو الـ "نازيري" بصفته مفهوماً ثقافياً - الارتباط للترجمة بكل معاني العبارة، وذلك بالتعارض، مع "الترجمة الاستبدالية" (substitutive translation) ، التي أرى فيها ترجمة "أندروز" الإنجليزية لـ "تركيمي" (و"الترجمة الصريحة" لـ "هولبروك").

يبدأ "أندروز" بالإشارة إلى المشكلة التي واجهها في "الفصل بين ما نراه في العادة كترجمة في نطاق عريض من الأنشطة، بعضها يمكن أن يتفق مع أي تعريف لأي شخص كان - لـ "ترجمة" - وبعضها الآخر لا يمكن أن يتفق"، ويضيف: "ولعلها بالتحديد تلك الأنشطة التي تبدو أقلها شبيهاً بـ "الترجمة" هي التي تهمني بالدرجة الأولى كأمثلة للترجمة" (٢٠٠٢: ١٥) وهنا أنتبه للتفريق الذي يقول به "أندروز" بين مفهوم حديث للترجمة ومفهوم خاص، هو الـ "نازيري". واستناداً إلى مفهوم "هارولد بلوم" Harold Bloom حول الـ "بين - قصيدة" أو "التقاصد" inter-poem وربطها بالنطاق الواسع من "القصاصد المجيبة أو التنافسية أو الموازية"، و"القصاصد المضافة" و"القصاصد التلميحية" في النخيرة الشعرية العثمانية، يلح "أندروز" في الدعوة إلى استكشاف للترجمة في ضوء التناص Intertextuality ، ويستنتج أن "الاعتراف بالعلاقات بين القصاصد الأصلية" و"الخلاقة" (على نحو ما يتضمنه مفهوم إعادة الكتابة

الذي أصبح شائعاً الآن بالفعل) علاوة على تلك العلاقات التي نظن أنها ثانوية أو إلى حدٍ ما "استبدالية"، فإننا نجد أنفسنا مدفوعين إلى طرح بعض الأسئلة غير المعتادة إلى حدٍ كبير حول الترجمة" (٢٠٠٢: ١٦-١٧)

يرى "أندروز" أن الـ "نازيري" أفادت على أوسع نطاقٍ كالوسيلة الممكنة لترجمة الغنائيات العثمانية الأخرى بالإضافة إلى الأشعار الغنائية الفارسية، فيما عدا "السرقة الصريحة" (٢٠٠٢: ٢٥) وفي رأيه أن شكل الـ "نازيري" يتمتع بجانبٍ كبير من الأهمية أيضاً في سبيل فهم كيفية تطور ونقل ونشر "المعرفة" *episteme* العثمانية - الفارسية التي بدأت في الظهور اعتباراً من مطلع القرن الخامس عشر فصاعداً" (٢٠٠٢: ١٩) ولعل من الأهمية بمكان عند هذه المرحلة أن ننظر إلى الـ "نازيري" كـ "مجازٍ" في حد ذاتها:

كامنٌ في طبيعة الـ "نازيري" العثمانية (والأعمال الشبيهة بالـ "نازيري") أن تمحو الحدود (أو تتغاضى عن "الاختلاف" بطريقة متسلطة). كما أن الحال، على العكس تماماً، مع طبيعة "الترجمة" - بأضيق معنى للكلمة - أن تعززها أي تلك الحدود ... ويعكس التشابه الضمني في مفهوم الـ "نازيري" أو يبتكر، أي ذلك التشابه مجازاً لمعنى التشابه الأساسي عند مستوى اللغة الشعرية (أو المتشعرة بمعنى المطبوعة بطابع الشعر) التي تمتد عبر لغات المجال المعرفي (٢٠٠٢: ٣٣).

ولما كانت تلك عبارة عن لغاتٍ تنتمي لنفس "المجال المعرفي"، فإن "أندروز" يكتشف أن "العثمانية والفارسية والأردية لغاتٍ شعرية غير قابلة للترجمة" *untranslatable* فيما بينها بالمعنى الذي يستعمله "ولتر بينيامين" *Walter Benjamin* بالإشارة إلى النصوص "المقدّسة" (المرجع السابق)، وبالتالي يكون مفهوماً ضمناً أنه لا ينبغي لنا أن نفكر في الترجمات التركية العثمانية للشعر الفارسي، وعضواً عن ذلك، يرى "أندروز"، أنه ينبغي لنا أن نمعن النظر في الكيفية التي نُقلت بها اللغة الشعرية العثمانية أو تُرجمت إلى المجتمعات الصغرى الأخرى الناطقة بالتركية مثال: من تعابير الصفوة إلى تلك التعابير التي تخص الأهالي.

لما كانت لغة الأدب العثماني هي العامل المنتج المركزي للعالم المعرفي/الثقافي العثماني، فإن النقل والترجمة من هذه اللغة هو الذي يؤسس شخصية التركية الغربية في الفترة العثمانية ويصبح بمثابة السلف الأصلي للتركية التي نعرفها اليوم ("أندروز" ٢٠٠٢: ٢٨-٢٩) (الخط المائل تأكيد من عندي. ص.ب).

وهكذا يشير "أندروز" إلى منطقة من النقل بين - اللغوي^(١٩) التي غفل عنها النظر النقدي من جراء إيمان قطاع من الباحثين بمفهوم يرى التركية كـ "لغة قومية صرفة"، وتبعاً لذلك تعتبر التركية العثمانية لغة ملوثة بكل من الفارسية والعربية ويفترض أن "طبقة وسيطة من الشعراء والحكائين" الذين بذلوا قصارى جهدهم في سبيل إدخال التركية إلى بلاط الأمراء الناطقين باللغة الفارسية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر "مضوا قدماً في التوسط بين "التركية المتفريسة" Persianized Turkish التي تتحدثها الصفوة وبين لغة الأهالي التي لا تكف عن تخليق (خلال أنواع متعددة من "الترجمة") مفردات وتعبيرات في اللغة التركية" (٢٠٠٢: ٣٥)

يرى "أندروز" هذا اللون من الترجمة البين - لغوية (= داخل نطاق نفس اللغة) نوعاً من النشاط (بل ونوعاً جديراً بالدرس بمصطلحات "الترجمة") أكثر مما يسميه بـ "الترجمة الاستبدالية"، ويعيد لأذهاننا أن الترجمة الأخيرة، وهي قريبة من "التقليد المفرط في الحرفية" كانت محط ازدراء عددٍ من الشعراء وكتاب السير العثمانيين نتيجة لمعرفتهم بكم هو نحيف ذلك الخط الفاصل بين الشعر العثماني وذلك الفارسي. (٢٠٠٢: ٣٠) وتوضّح - وكما هو متوقّع - الأمثلة التي يستقيها من شعراء معينين ممن أفصحوا عن ازدراءهم، أنهم كانوا يقصدون الـ "تركيمي"، وهو المصطلح الذي لم يستخدمه "أندروز" فعلاً بالمرّة. ومن الواضح أن السبب في ذلك كامنٌ في أنه يرى في هذا المصطلح مثلاً على مفهوم التراكم Hrōnir "البورخيسي" (= نسبة لـ "بورخيس") وهو المفهوم الذي خلّفته "تقاليدنا (أي التركية) في الدرس والبحث، تلك التي أصرت - استناداً إلى الوضوح المزعوم للحاضر - على أنهم أي الشعراء كانوا في الواقع يترجمون وكانوا في حقيقة الأمر يقلّدون" (المرجع السابق) وهنا أظن أن "أندروز" كان

محققاً في نقده للدارسين والباحثين لعجزهم عن رصد ودرس خصوصيات ثقافية معينة، مثل الـ "نازيري" في الترجمة العثمانية. وهذه تعد إحدى النقاط الأساسية التي أعتمد عليها في نقاشي. ولكنني أرى أن "أندروز" بمساواته الـ "تركيمي" (أو أي مصطلح آخر في التركية يدل على الترجمة) بأي مفهوم حديث للترجمة (في اللغة الإنجليزية) يشير إليه في بداية مقاله كـ "أي تعريف لأي شخص كان"، إنما يبدو وقد تجاهل - هو الآخر - ممارسة تمثل خصوصية ثقافية معينة.

وإذا كان لنا أن نعيد فحص افتراضات مستقرة معينة في ضوء ما قاله العثمانيون عن أنفسهم وعن أعمالهم، فلسوف يلزمنا - أول ذي بدء - أن نضع في ذهننا أن ما أشار إليه العثمانيون في الغالب الأعم بالـ "تركيمي" يبدو أنه كان نشاطاً على جانب من الأهمية، استمروا منخرطين في ممارسته وظلوا يغالبنه طوال حياتهم الثقافية. ثانياً: يتعين علينا أن نكون على وعي ببعض الغموض الذي ينطوي عليه الخطاب الأدبي - النقدي التركي الحديث. فهذا الخطاب، الذي ينتقده "أندروز" يلقي ثقله في الاعتماد على الـ "تركيمي" (أو الـ "تركومي") كـ "مصطلح يستعمله عند الإشارة إلى/أو التعرف على بعض الأعمال في التقاليد العثمانية أو نبذ أعمال معينة وإعلاء شأن أعمال أخرى، ولكن ليس على الـ "تركيمي" كمفهوم وظيفي يمثل خصوصية ثقافية . فلقد نزع الدراسون الأكاديميون الطابع الإشكالي عن المفهوم، في اتخاذهم المفهوم الحديث للترجمة (أي ما يبدو أن كلمة "تشفيري" çeviri تدل عليه) كأساس ينطلقون منه، وليس الـ "تركيمي" كمفهوم ثقافي - الارتباط. وبناء عليه - ففي رأيي - أن إصرارهم على مفهوم "الترجمة" translation الذي يشير إليه "أندروز" أعلاه، يظل غير منطقي.

موجز القول، تفرض قوة الحجة التي يسوقها "أندروز" لصالح الـ "نازيري" كممارسة ترجمية خلاقة ومفهوم ثقافي - الارتباط أن نضعها ضمن إطار مفهومي يهدف إلى توسيع ميدان البحث أمام الدارسين في تاريخ الترجمة العثمانية، وفي طبعه الـ "نازيري" بطابع إشكالي بصفتها ترجمة خلاقة، يكون "أندروز" قد أبرز إلى مقدمة الصورة الفاعلية النشطة للشعراء العثمانيين الذين انغمسوا بعمق في عملية التناص

(= البين - نصوصية) فى فضاء من التثاقف (= البين - ثقافية). وداخل نفس الفضاء لفت الأنظار أيضاً إلى دور المترجمين البين - لغويين intra-lingual (= أى داخل نفس اللغة) كوسطاء بين الشعر الرسمى وذاك الشعبى، كما تصلح الحجج التى ساقها كمقدمة لمفهوم التثاقف.

٧ - التثاقف العثمانى

يلجأ "أنتونى بايم" فى تعريفه الواسع الأولى لك "التثاقف" (= البين - ثقافى) إلى استعمال المفهوم "فى الإشارة إلى الآراء والممارسات التى نجدها فى التقاطعات والتداخلات التى تقوم بين الثقافات، حيث يضفر الناس شيئاً من ثقافتين أو أكثر فى نفس الوقت" (١٩٩٨: ١٧٧) وفى الآونة الأخيرة، انتصر "بايم" لصالح "تقييدىن تعريفين على الأقل": ينبغى أن يكون هؤلاء "الناس" مجموعات تنتمى إلى هذا الحد أو ذاك إلى مركز مهني وأن تلك "التقاطعات" ينبغى النظر إليها هرمياً (= تراتيبياً) بصفتها "ثانوية فى تقسيم الثقافات"، وذلك لأنه "بمجرد أن يكف الخط الفاصل بين الثقافات عن التأثير، وبمجرد اختفاء كل حاجز وظيفى كان ليجتاج إلى المقاومة والتغلب عليه، فإن التناص يفقد وضعه كمشتق ويتعذر علينا عندئذ تمييزه عن الممارسة الثقافية العامة" (٢٠٠٢: ٥) ويبيّن "بايم" أيضاً أنه مع أن هذه التقييدات فضفاضة، لكن ينبغى لها أن تُحذّرنا من "أى قاعدة شائعة وعمومية النزعة تشترك فيها الثقافات المختلفة" (المرجع السابق). وبناء عليه، يصير لزاماً على أى تثاقف عثمانى أن يجرى تصوّره مفهوماً، فى التقاطع بين ثلاث ثقافات (الفارسية والعربية والتركية) أى المطرح الثلاثى اللغات، الثلاثى الثقافات الذى عمل فيه المترجمون - الشعراء العثمانيون^(٢٠) وبينما يبدو "التثاقف" تركيباً بسيطاً، فإن فكرة وجود تثاقف عثمانى ليست بكل تأكيد، كذلك. ولعل بساطتها أو مرونتها فى حد ذاتها تنضم إلى نطاقٍ أوسع كثيراً من الدراسات حول أعمال وممارسات المترجمين - الشعراء فى العصور العثمانية، وهو الأمر الذى يوفر للباحثين أن يتبنّوا - إذا شاءوا - داخل إطار "التثاقف"، مثل تلك التراكيب النظرية

الما - بعد - استعمارية مثلما هو الحال مع "منطقة التماس" (١٩٩٢: ٦-٧) التي قالت بها ماري - لويز برات Mary louise Pratt أو "التهجين" الذي توصل إليه هومي بهابها" (1996: 59) Homi Bhabha (٢١) .

في ضوء الأسس المنهجية للإطار المفهومي الذي أحمله في رأسى، فإن همى عند هذه النقطة يتعلّق بالسؤال حول ما إذا كنا نستطيع أن نتصور الثقاف العثماني أيضاً كنسقٍ في حد ذاته، وهنا يوجّه "بايم" نقداً إلى "جديون تورى"، خلال اشتباكه مع إشارته أى "تورى" إلى "الثقافات" ("تورى" ١٩٩٥: ١٧٢) لعجزه عن تناول هذا المفهوم بصورة فعالة، ويذهب إلى أن إمعان النظر في المفهوم كان "ليشيع الاضطراب في أجزاء كثيرة في نظريته" (١٩٩٨: ١٨٠) ويلفت "بايم" الأنظار خلال مناقشته إلى نقطة على جانبٍ ما من الأهمية من منظورنا الخاص: (...) يجد "تورى" وهذا أمر طبيعي، "الثقافية" الضرورية "غير واردة على الإطلاق"، ويعلن "طالما لم يتبلور ثقاف" (افتراضى) على هيئة كيانٍ مستقل ذاتياً وشامل (مستهدف!) ... فهو بالضرورة جزء من نسقٍ قائم في الواقع (مستهدف!) (المرجع السابق). ومع ذلك فالقول الفعلى الذى أرسله "تورى" يحتوى نقطتين حاسمتين (أكدت عليهما أدناه)، وهما نقطتان حذفهما "بايم" من الاستشهاد، ولقد كتب "تورى" يقول:

يتلخّص ما هو غير وارد على الإطلاق في أن الترجمة قد تحلّق فيما بين الثقافات، إذا جاز التعبير، طالما لم يتبلور ثقاف" (افتراضى) على هيئة كيانٍ مستقل ذاتياً وشامل (مستهدف!) ... مثال، في عملياتٍ مشابهة للتهجين اللغوى المنخفض pidgini- zation والعالي creolization فهو بالضرورة جزء من نسقٍ قائم في الواقع (مستهدف!) (١٩٩٥: ٢٨).

ترى هل يمكننا أن نذهب إلى حد القول بأن الأدب والثقافة العثمانيين نجحاً في حقيقة الأمر في "التبلور على هيئة كيانٍ مستقل ذاتياً وشامل" خلال عملية شبيهة لتلك التى وصفها "ولتر أندروز"؟ وما هو "أندروز"، الذى يأخذ في هذه الحالة "مفتاحه" أو إشارته من "ريتشارد روتري" Richard Rotry :

(يرى أى "روتري" أن الاستعمالات الجديدة والمعاني الجديدة والكلمات الجديدة تظهر إلى الوجود مع التحول التدريجي الذي يدخل على المجاز (= خيالي) حتى يصبح ملموساً (= مادي)، وبناء عليه فالاستعمال الأدبي وخصوصاً الشعري، الذي تُساق خلاله باستمرار الكلمات إلى علاقات جديدة - ليست سوى مولدات أساسية للغة - إذ تجعل ظروفًا جديدة للمعرفة ممكنة... ويبدو ألا نكران في أن لغات أدبية جديدة تنهض في أزمنة التغير الكبير وتتشارك في خصائص بارزة معينة، وعلى سبيل المثال تُعد اللغة الجديدة تحولاً هائلاً من اللغة الأدبية القديمة (ومعنى ذلك أن مجرد التطور عن اللغة القديمة لا يكفي وحده لتفسير الأمر) فاللغة الجديدة عبارة عن "مزنق" مكتظ بالعناصر الأجنبية، وتكون في الغالب نتاجاً لصفوة متعددة اللسان multi-lingual ، وملوثة بالـ "ترجمة"، وغير نحوية (فملاحها ليست خاضعة للتثبيت خلال شرح رسمي) ولغة الشعر العثماني تنتمي - بكل تأكيد - لهذا النوع، ولكن على هذا النحو أيضاً كانت الفارسية الجديدة والعربية والعبرية ، وأسبانية الأندلس والبروفينسالية Provençal والإنجليزية الوسيطة...)

وإذا تبيننا موقفاً يقوم على أن اللغة الأدبية العثمانية تطورت (تشبه في تطورها ذلك الفارسية الجديدة إلى حد بعيد) كلفة مشتركة Lingua Franca لمجال معرفي ولغوي وإقليمي وثقافي جديد، إذن يكون بالتحديد من "طبيعتها" أن تصنع ما صنعتها، أن تكتب القصائد التي كتبتها، بالأوزان والكلمات التي استعملتها، والكلمات التي تشترك فيها مع الفارسية والعربية والأولى الكلمات الفارسيو - عربية Perso-Arabic (ودع عنك اللغتين اليونانية والإيطالية) كانت كلماتها هي وليست "مستوردة" من أي مكانٍ آخر. ("أندروز" ٢٠٠٢: ٢٧).

في ضوء الحجج التي يسوقها كلٌ من "توري" و"أندروز"، تكون الإجابة: نعم: نستطيع أن ننظر إلى المجال المعرفي - الأدبي العثماني كمجال بين - ثقافي / ثقافي تطور خلال عمليات التهجين التي جرت بحلول القرن السادس عشر.

هل يمكننا أن نفترض أيضاً، إلى ذلك الحد الذي يخص البين - ثقافة العثمانية - كنسق، أن الأدبين والثقافتين العربيين والفارسيين وفقاً كمصدرين للأدب والثقافة العثمانيين، بينما خدم الأدب والثقافة الفارسيان - العثمانيان بالدرجة الأولى في وظيفة "هدفين" للعربية والفارسية؟ إذا كان لنا أن نقبل الحجة التالية فلسوف يكون جوابنا بالإيجاب هذه المرة أيضاً.

يشمل ويضم نطاق "التركية - العثمانية و"الثقافة العثمانية" والثقافة الفارسية (وفي وقت لاحق الأردية) تماماً مثلما تشمل وتضم الثقافة الفارسية (والأردية) الثقافة العثمانية (و لعله من المهم أن نشير - دون تفصيل - إلى أن هذه التبادلية لا تمتد إلى الأدب العربي، الذي اندمج في عالم الخطاب الأردى - العثماني - الفارسي، لكنه لم يشمله أو يشارك فيه). ("أندروز" ٢٠٠٢: ٣٣) (٢٢)

وبناء عليه نجد في وسعنا أن نتصور البين - ثقافة العثمانية كنسق في حد ذاته، حيث تلقى في إطاره المترجمون العثمانيون وعالجوا المصادر العربية والفارسية. وفي ضوء الحجج التي ساقها "أندروز"، نستطيع أن نتخيل المترجمين - الشعراء العثمانيين وهم يؤدون عملهم فيما يسميه "توري" "ما بين - الثقافات" (أو ما يطلق "بها بها" عليه "ثقافة ما بين - بين) وينتجون أعمالاً، إبداعية أو استبدالية، تمثل لأعراف التهجين التي تجاوزوها في الفضاء البين - ثقافي الذي وجدوا - على ما نفترض - أنفسهم فيه. وانطلاقاً من هذا المنظور نستطيع مفهوم البين - ثقافة - العثمانية كنسق أن يساعدنا أيضاً بصفته سياقاً رائعاً لدراسة سير الشعراء العثمانيين، تلك السير الموسوعية والأدبية - النقدية، التي كتبها شعراء امتلكوا أشياء مهمة يستطيعون قولها عن الترجمة والمترجمين خلال تقييماتهم (قارن : توسكا" ٢٠٠٢: ٦٤-٦٥) (٢٣) وعكست آراؤهم استبصارات (= نظرات ثاقبة) متغيرة عن الممارسات الترجمية.

خلال الصفحات السابقة رسمت خطوطاً عريضة لإطار مفهومي، يستند إلى طبع الممارسات الترجيمية الأدبية في العصور العثمانية في ضوء مصطلحي "التركيبي" والـ "نازيري" بطابع إشكالي، في ظل سياقٍ بين - ثقافي شامل. وتهدف الحجج التي قادت إلى / وركزت على التناقفية، من وجهة نظرٍ بحثية عامة إلى الدعوة إلى نظرة نقدية أعرض تجاه الممارسات المتنوعة للمترجمين - الشعراء، من الأشكال الحرفية/الاستبدالية إلى الأشكال الإبداعية مثل تلك الأشعار التناظرية والموازية، تلك التي ضمنتها في هذه الورقة تحت مفهوم الـ "نازيري/المحاكاة"، ولكنني لم أحمل التفريق الذي رسمه "ولتر أندروز" بين الترجمة الاستبدالية وتلك الإبداعية على أنه تعارض ثنائي binary بين الـ "نازيري" والـ "تركيبي" بل باعتباره يشير إلى تشكيلة واسعة من الأنشطة الترجيمية الأدبية العثمانية. ويقترح هذا الإطار المفهومي أن يساعد في تعريف ميدان النقصى إلى حدٍ يساوى التشكك في النهج المستقرة إلى الترجمات العثمانية. وتدعو الحجج التي تؤيد طبع الـ "تركيبي" والـ "نازيري" بطابع إشكالي إلى توجيه انتباه خاص إلى تلك المفاهيم التي تسود الخطاب البحثي، سواء باللغة التركية أو الإنجليزية، وذلك لأن إدراك خصوصيتهما الثقافية ويعتثما كمصطلحين وظيفيين صالحين للاستعمال في الخطاب البحثي الحديث حول تاريخ الترجمة الأدبية، سوف يجلب وضوحاً ومصطلحياً ومفهوماً إلى ميدان البحث.

وينطوي فحص ممارسات الـ "تركيبي" والـ "نازيري"، بالضرورة على دراسة المترجمين - الشعراء واستراتيجياتهم المبنية على تفاعلهم الثقافي والأدبي واللغوي مع النصوص - المصادر الفارسية منها و/أو العربية (المفترضة أو الواضحة الهوية) ومؤلفيها، إلى جانب تفاعلهم مع أعمال المترجمين - الشعراء، العثمانيين سواء السابقين منهم أو معاصريهم، ومثل هذا التفاعل قد ينطوي على التنافس أو الانقياد. وفي هذا السياق يكتسب مفهوم البين - ثقافة العثمانية، بصفتها مطرحاً ثلاثياً الثقافات (التركية والفارسية والعربية) لنشاط المترجمين - الشعراء وأعمالهم أهمية كبرى، وبوسع مقدرة نقدية على رصد المعاني الضمنية لفكرة وجود بين - ثقافة

عثمانية مستمرة حتى أعماق القرن العشرين أن يكون فعّالاً في تفكيك مركزية المشق القومي النزعة والمستقر للبحث في تاريخ الأدب، كما يمكننا فحص التناسية والتهجين اللغوية بصورة أشد موضوعية في إطار بين - ثقافة عثمانية، تلك التي يجري تصوُّرها خلال إدراكها بصورة تدريجية لاستقلال ذاتي شامل، كما يستطيع هذا الإطار أيضاً أن يوفِّق ليس بين الشعراء الرسميين/المعتمدين واشتغالهم الترجمي على المصادر الفارسية والعربية، ولكن أيضاً الشعراء غير الرسميين/غير المعتمدين الذين قد يُفترض أنهم ترجموا من اللغة الفارسي - عثمانية إلى اللغة التركية الشعبية.

على أن البحث عن/و التوصل إلى أجوبة على أسئلة من نوع: ما هي الإستراتيجيات الأدبية واللغوية التي تبناها المترجمون - الشعراء؟ كيف جاء رد فعلهم على أعمال غيرهم من الشعراء سواء العثمانيين أو الفرس؟ كيف وصِّف وقيِّم وفسَّر كتاب السير أعمالهم؟ (قارن "توسكا" ٢٠٠٢: ٦٤-٦٥) سوف يسألطان أي البحث عن/و التوصل إلى ضوء - نون شك - على الكيفية التي مورست خلالها الترجمة بأشكالها المتعددة في أوقات محددة على امتداد قرون عديدة. وسوف يكشف التقصي والتوصيف عن قرب إلى حد يمكن للتفريق الأساسي بين الترجمة الإبداعية والاستبدالية أن يكون مفيداً في تفسير المظاهر الترجمية للأعمال، كل عمل على حدة، وفي رصد التغيرات التي دخلت على مفهوم الـ "تركيمي" (على سبيل المثال ما ألح إليه كاتبو السير) على امتداد الزمن. وسوف تقف اكتشافاتنا في هذا الصدد كي تذكرنا بأن ممارسة ومفهوم الـ "تركيمي" لا ينبغي بالمرّة أن ينظر إليهما أحد على أنهما ثابتان لا يعرفان التغير طوال مئات عديدة من السنين، بل ولا حتى طوال مائة واحدة ومع أن بعض التعميمات (مثال: اللغوية) بشأن الاختلافات بين - فنقل - الترجمات القديمة وتلك اللاحقة قد تكون أحياناً مفيدة، إلا أنها تُعمى أبصارنا عن التيارات التحتية للتغير الثقافي. وتُعد السمة الشاملة للبين - ثقافية العثمانية على جانب ملحوظ من الأهمية في تذكيرنا بذلك التغير. وسوف نتحقق من أن الـ "تركيمي" والـ "نازيري"، بعد درسهما في سياق بين - ثقافة تطوّرت إلى نسق ينطوي على علاقات بين طرفين: مركز - هامش، مما يستحيل أن يستمر ساكناً أو استاتيكيّاً لمدة طويلة، يجيبان على أسئلة أكثر مما استطعنا نحن الباحثين أن نصوغ في كلمات حتى الآن. (٢٤)

الهوامش

- (١) مترجم - شاعر هو الاسم الذي استعمله في هذه الورقة، ويكتب "لطيفي" Latifi (تُوفى ١٥٨٢) في قاموسه السيرى - الأدبي للشعراء: "تذكيري" tezkire حول مترجمين - شعراء متبسّطى التعبير كثيرين في (mütercime sade-gu sairler) القرن الخامس عشر (في "تولازا" 276: Tolasa 1983). ويذكر "لطيفي" أيضاً شعراء سلكوا طريق الترجمة (tariki-i-terceme) - وهو طريق - في حالة "أحمد باشا" (تُوفى ١٤٩٧) "كان البعض يحبذونه بون البعض الآخر. (المرجع السابق)
- (٢) انظر، على سبيل المثال رسائل دكتوراة كل من "أوزليم بيرك" (1999) Özlem Berk و"شيبينيم سوزام - سراييفا" (2002) Sebnem Susam-Sarajeva و"شهناز طاهر - جورتش - اغلار" - SehnaZ Ta-hir-Gurçaglar (2001)
- (٣) هناك بعض الطباعات النقدية الممتازة من أعمال الشعراء الأوائل الذين ترجموا أشعاراً قصصية فارسية لإمتاع وتعليم الأمراء الأتراك خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، في نفس الوقت التي واصلت اللغة الفارسية سيادتها كلفة الأدب. ولكن الدراسات الأكاديمية لم تركز، بصورة خاصة على مثل هذه الأعمال بصفتها ترجمات، غير أن تلك الفترة تحتفظ - بصفة عامة بأهمية خاصة - لأن أوائل المترجمين - الشعراء - خلالها - الذين كانوا - بعبارة "زهرة توسكا" - خالقى لغة الأدب التركى - وقفوا كنماذج يقتدى بها الشعراء اللاحقون (٢٢١: ٣)
- (٤) ينطوى بحث "نقى الدين كايا أوغلو" (1998) Taceddin Kayaoglu حول مؤسسات الترجمة من القرن السابع إلى منتصف القرن العشرين، على أهمية خاصة تتمثل في توفير المعطيات الحالية لأولئك الذين لا يتمكنون من التوصل إلى الأبجدية أو القلم script ، ولكنه يظل تاريخاً وثائقياً بون اكترات بالتحليل.
- (٥) جرى استبدال الأبجدية (القلم) العربية التي كُتبت بها التركية خلال العصور العثمانية بالحروف الرومانية، مع بعض التعديلات الضرورية - بصفة رسمية - عقب الإصلاح الأبجدي الذي أقدم عليه الجمهوريون في سنة ١٩٢٨ انظر "طاهر - جورتشاغلار" (من ص ٧٨ إلى ٩٢) في سبيل الاطلاع على نقاش جاد حول النتائج الثقافية التي أسفرت عن تغيير الأبجدية والإصلاح اللغوى اللاحق.
- (٦) يصف "ولتر أندروز" Walter Andrews على سبيل المثال الثقافة العثمانية بأنها "ثقافة البدائل" (١٩٩٧: ٨)
- (٧) تظهر كلمة "تركيمة" terceme المنحدرة من أصل عربى، كصيغة عتيقة في اللغة التركية المكتوبة أكثر من "تركومي" tecūme التي تُعد بمثابة بديلها الحديث في الكتابة. ويمكن استعمالهما في الخطاب التاريخى - الأدبى الحديث عن الأدب التركى بصورة متبادلة، ولكن "تركومي" تخلت عن مكانها بالتدريج لـ çeviri وهي كلمة تركية منحوتة تعنى (مثل tercūme) : مفهوم وعملية ومنتج الترجمة، وهي مشتقة من الفعل çevir-mek (متعدى)، وقد بدأت مثل هذه الكلمات المنحوتة تنتشر على الألسنة مع حركة إصلاح اللغة التركية باتجاه النقاء المعجمى فى الثلاثينات (= الثلاثينيات)، وقد حلت "تشفيرى" çerivi محل tercūme

في الخطاب الحديث عن الترجمة، ولكن *tercūme* لا تزال رهن الاستعمال أيضاً عند الإشارة إلى الترجمة التجارية، وعند الدلالة على نزعة تقليدية، وهو ما ينطوي أحياناً - وإن لم يكن دائماً - على بعض السخط الأيدولوجي على الإصلاحات الجمهورية، ويضفر ليفيند "Levend" في تاريخ الأدب (١٩٨٤: ٨٠-٩٠) الفصل الذي خصصه لترجمة الكلمات الثلاث العتيقة والحديثة والتقليدية: وهذا الفصل معنون بـ *Tercūme* ويناقش الترجمة في ضوء كل من "ال تركومي" و"تشفيري". انظر "طاهر - جورتشاغلار" (ص ١٥٤-١٦٧) في سبيل الاطلاع على أمثلة على فعل "تركومي" في بدايات الخطاب الجمهوري عن الترجمة.

(٨) الترجمات ووظائفها في استمرار الثقافة العثمانية: القرون من الرابع عشر حتى التاسع عشر وبدايات الترجمات العثمانية ووظائفها في تشكيل النماذج الأدبية العثمانية، وقد ترأس كلا المشروعين أعضاء من قسمي "الترجمة والترجمة الفورية بالإضافة إلى اللغة التركية والأدب بجامعة بوغازتشي" وتلقى المشروعان دعم "صندوق البحث بجامعة بوغازتشي" في سنتي ١٩٩٧-١٩٩٩ و ١٩٩٩-٢٠٠١ على التوالي، وقد ساهمت بالورقة التي بين يدي القارئ في كلا المشروعين.

(٩) "مسنيفي" *Mesnevi* (= مثنوي) مصطلح منحدر من اللغة العربية للشعر القصصي الذي يتفق فيه كل بيتين في قافية واحدة.

(١٠) للمشروع الأول فحصنا المصادر الثانوية مثل الفهارس المبنوية (= الكاتالوجات) وسير الشعراء العثمانيين والتواريخ الأدبية والطبعات النقدية كي نقف على ما إذا كانت هناك أعمال غير محددة الصفة معينة، مما يمكن اعتبارها ترجمات سواء من وجهة نظر التقاليد أو الدراسات الحديثة، وإذا كان في طوعنا أن نقتفي أثر المصادر أو التوصل إلى أصول بعض ما يُسمى بال- "اقتباسات" أو ما إذا كانت الروايات التي يُزعم بأنها تحمل صفة "الأصول"، تعتبر بأي طريقة كانت ترجمات أو تتصل اتصالاً أو آخر بالممارسة الترجمية.

(١١) كتب كل من "قطب" وسيف السرايى" بلهجات تركية تختلف عن التركية الأناضولية.

(١٢) انظر هامش رقم ٤

(١٣) للاطلاع على أعمال بين - نصوصية (= متناسفة) من ال "نازيري" في الشعر الغنائي انظر نماذج في اللغة الانجليزية عند "توسكا" (2002: 67-10) و"أندروز" (2002: 19-24) Andrews

(١٤) انظر هامش رقم ٤ حول التعايش بين القديم والجديد كـ "تركومي" و"تشفيري".

(١٥) يتضح هذا النهج الذي يحجب الترجمات بغزارة في الفصل الذي عنوانه "ليفيند" (١٩٨٤: ٤٤-٥١) باسم "الأدب المقارن" حيث ينصب تركيزه على "المحاكاة" و"التأثير" نون أي إشارة إلى ال- "تركيمي".

(١٦) تُعد دراسة "إميل تشلبى - أوغلو" (1999) *Amil çebebioglu* حول الروايات التي صيغت في النوع الشعري المعروف باسم ال- "مسنيفي" *mesnevi* ، أحدث مثال على الرؤية المقيّدة والنازعة للطابع الإشكالي عن ممارسة ال- "تركيمي".

(١٧) في أفادته حول الغرض من وراء عمله يعرف "هوكا مسعود" نفسه بشكل محدد كـ "تركيمان" *terce-* *man* أي "مترجم": "*sebeb-i nazm-i in-kitab*" (ديلتشين ١٩٩١: ٢١٢) ويعرف نشاطه بمصطلحات نستطيع ترجمتها (حرفياً) على هذا النحو: "إبداء تعليق" "*serh eyleyem Türkice*" (ديلتشين ١٩٩١: ٢١٨).

- (١٨) قارن ليفيند (١٩٨٤: ٧٠-٨٠) عن ممارسات الـ "نازيرى" (imitatio) أى: محاكاة وcevap أى: رد وتوسكا (٢٠٠٢: ٦٥-٦٦) وقد أشرت إليها أعلاه.
- (١٩) لا تزال مستمرة الترجمة البين-لغوية (أى داخل نفس اللغة ولكن من مرحلة إلى أخرى أو من مستوى لآخر intra-lingual المترجم) إلى التركية الحديثة للأجيال التي جاءت بعد الجمهورية حتى يكون في وسعهم أن يفهموا النصوص باللغة التركية العثمانية.
- (٢٠) تلفت رينا دروى Rina Drory الأنظار في مقال أكثر من شيق (عن عمل باللغة العبرية نمذج على نوع أدبي عربي في المناخ الثقافي الذي كان سائداً في أسبانيا المسيحية، كتبه "الهرىظى" Al-Harizi ، وهو كاتب يهودى من القرن الثانى عشر، إلى نقطة غالباً ما نفغل عنها: " نجد في الغالب الأعم أن الديناميات الثقافية أشد تركيباً وأكثر إتقاناً، نظراً لأن الاتصالات والعلاقات الأدبية غالباً ما تنهض بين أكثر من أدبين بشكل مترامن ويطرق أشد براعة وتشابكاً، مما نستطيع تعريفه كـ"تأثير" من أدب على آخر... وفي بعض الأحيان يلزم إعادة بناء سياق ثقافى كامل كي نفهم الظروف الفعلية التي جعلت الكتابة أو إنتاج نص معين عملاً ممكناً. (١٩٩٤: ٦٦)
- (٢١) فى الحقيقة - وفى ضوء المناقشات الحالية - أعتقد أن الدراسات التي تتناول الإستراتيجية الهجينة (على سبيل المثال: فى الـ "نازيرى" وتركيمة العثمانيين) أو الخطاب الذي يفتح فضاءً للتفاوض والتجاوز حيث علاقات القوة غير متعادلة ولكن التعبير عنها يكتنفه الغموض، سوف تكون على جانب بارز من الأهمية (بهاها 1996: 58).
- (٢٢) يسأط هذا التفسير ضوءاً ويعطى توضيحاً وتحديداً أكثر كثيراً على الرأى الذى أفصحت عنه زهرة توسكا" بالعبارة التالية: "مع أن كل أدب يعكس خصائص ثقافية ولغوية خاصة به، إلا أننا لا نبعد عن الصواب إذا قلنا أن الآداب التركية والفارسية والعربية تشكّل - فى إطار شبكة من العلاقات - نسقاً ثقافياً مشتركاً يتخذ من الإسلام أساساً له. (٢٠٠٢: ٧٢)
- (٢٣) يقرر "هارون تولازا" (1983: 322) Harun Tolasa فى دراسته لثلاثة من رواد كُتاب السير - النقاد العثمانيين من القرن السادس عشر، أنهم كانوا حريصين على الإشارة، ليس إلى اللغة (عربية أو فارسية أو تركية) التي وقع عليها اختيار الشاعر كي يكتب بها، ولكن أيضاً إلى ما إذا كانت كتاباته "أصلية" أم "مترجمة". ومع أن ملاحظاتهم كانت بصفة عامة مختصرة، إلا أن كُتاب السير أولئك أولوا عناية لا تخطئها عين لإبراز ذلك. ويعلق "تولازا" هنا بقوله إن كُتاب السير - النقاد الثلاثة، الذين تناولهم بالدرس لم يعترضوا بشكل أساسى على الترجمة - بل على العكس - أضافوا ملاحظات مفعمة بالاستحسان على التدخلات والإضافات إلى مضمون العمل، وعلى الملامح الأسلوبية الشخصية للمترجم. ومع ذلك فلقد فضحوا أو وجهوا نقداً لاذعاً لأولئك الذين ادعوا أو زعموا أن كتاباتهم أصلية أى من ابتكارهم، ثم ظهر أن أعمالهم عبارة عن ترجمات ومحاكاة ونماذج للسراقات (المرجع السابق)
- (٢٤) كافة الترجمات الواردة فى هذه الورقة بقلمى، ما لم أنكر خلاف ذلك فى حينه، وتشكراتى لـ زهرة توشكا وكيم دلتشين لمعاونتهما فى ترجمة بعض الاقتباسات التي لجأت إليها من "ترجسى" وهوكا مسعود.

الفصل التاسع السلطة والأيدولوجيا في البحث الترجمي في صين القرن العشرين

تحليل لثلاثة أعمال كبرى

بقلم مارثا بي. وای. تشونج Martha P.W.Cheung

خلاصة:

ينصب اهتمام هذا المقال/الورقة على تأكيدات الاختلاف والمقاومة ضد الأيدولوجية السائدة في البحث الترجمي. وتذهب إلى أن التركيز على التاريخ-*histori-cization* والتسييق *contextualization* ، الذي وسم وميز العمل في الآونة الأخيرة في التاريخ الترجمي يمكن تطبيقه كذلك على العلاقة بين الدراسات الترجمية والبنىات/الهياكل الأيدولوجية والاجتماعية - السياسية. وسوف أعرض لثلاثة مقالات (جمع مقال. المترجم) صينية ظهرت في القرن العشرين عن تاريخ الترجمة في الصين، المقال الأول بقلم "هو شى" *Hu Shi* وبعنوان "أدب البوذية المترجم" (الجزءان الأول والثاني) الذي نشره في سنة ١٩٢٨، وهو مقال ينتصر للترجمة إلى اللغة الشعبية الدراجة في وقت لم تكن الترجمات أو الأنواع الأدبية التي تكتب بهذه اللغة التي كانت تُعرف باسم "باي - هوا" *baihua* تشكّل جزءاً من الثقافة المعتمدة أو الرسمية، الثاني: بقلم "قيان زهونج - شو" *Qian Zhongshu* بعنوان "ترجمات لين - شو" *Lin Shu* في سنة ١٩٦٤، بتركيزه على طاقة الإبداع عند "لين - شو" كترجم، وهو الأمر الذي يشكّل طعناً في صحة الإصرار التوجيهي أو الموصوف *prescriptive* على الدقة، التي كانت أشبه بديانة قويمة الأركان في ذلك الوقت، والثالث: بقلم "لوو زينز - هانج" *Luo Xinzhang* وهو بعنوان "نسق في حد ذاته - نظريات بلادنا الترجمية" (١٩٨٣)

وهو يركّز على تفرد التقاليد الترجمية الصينية، وبهذه الصفة يُعد مرآنا على بناء الهوية، إلا أنها هوية مختلفة، بكل وضوح - عن تلك التي كانت تروّج لها الدولة في ذلك الوقت. في كل هذه الحالات لم يكن هناك في موطن الخطر سوى فاعلية الباحث الترجمي بصفته أحد الرعايا السياسيين للحكومة.

ذكرت لي إحدى صديقاتي في الآونة الأخيرة أن "الأيديولوجيا فكرة استبدادية" وكانت محقة في ذلك. والأيديولوجيا تمارس تسلطها علينا - سواء أردنا أو لم نرد، سواء كنا واعين لذلك أو لم نكن - طول الوقت - عن طريق الأعراف والقيود والقواعد والمحظورات والعقائد أو الارتوكسيات. وهدفها هنا لا يزيد ولا يقل عن فرض سلطانها على الفرد خلال صوغ إطارٍ ذهنيٍ خاص له. وما تسعى إليه يتلخّص في الإذعان - أو على الأقل - التوافق والقبول أو الامتثال. ⁽¹⁾ وبهذا المعنى تكون الأيديولوجيا إستبدادية. لكن المقاومة ممكنة. وتستطيع المقاومة أن تأخذ أشكالاً متعددة : الانشقاق، الاعتراض، التحطيم، الهدم، المعارضة والثورة وحتى الخنوع. وبهذا المعنى تكون الأيديولوجيا فكرة استبدادية. وحقيقة الأمر أننا لا نملك أن نحدد - بالضبط - كيفية عمل الأيديولوجيا على الفرد. ولكنني أجد عدم القدرة على التحديد هنا فكرة خلافة، وذلك لأنها تؤكد إمكانية الاختلاف وتعزز ما أذهب إليه من أن الفرد قادر على التفكير والنقد وبالتالي على الاختيار والتصرف. وفي هذه الورقة أعتزم فحص كيف يتحقق تأكيد الاختلاف ومقاومة الأيديولوجيا السائدة في منطقة محددة من الجهد الإنساني : البحث الترجمي.

استمر البحث الترجمي في حقيقة الأمر يمارس تأكيد الاختلاف ومقاومة الأيديولوجيا السائدة طوال العقود (العقد = عشر سنوات) القليلة الماضية، إلا أن أيديولوجيا الإذعان، التي ظلّت تخطئ لعقودٍ من الزمن في وضعها للترجمة داخل سجون أنساق disciplines من نوع اللغويات والأدب المقارن، وتخطئ مرة أخرى بدفع المترجمين إلى الاعتقاد بأن الأمانة مع النص - المصدر موجودة في طبيعة الأمور، وفطرية ولا تنطوي على أي إشكال، أصبحت عرضة لمطاعن عديدة من زوايا مختلفة .

وفى مقاله الميأل نحو الاعتماد على القواعد النحوية "اسم وطبيعة الدراسات الترجمية" الذى ظهر سنة ١٩٧٢ ينتصر "جيمس هولز" James Holmes بمنطقٍ ناصع لصالح الترجمة كنسقٍ أكاديميٍ بحد ذاته. وقد قوبلت مبادرته هذه بمساندة قوية من جانب دارسين يتتمون لمدرسة التعدد النسقى، التى وقُرُ البحث الذى خصصته للألوار التى لعبها الأدب المترجم فى الثقافة المستهدفة فى مختلف الفترات التاريخية دعماً واسعاً لمشروعية دعوة النسق إلى الاستقلال ("إيفين - زوهر ١٩٧٨). وقد ركّز باحثون من "مدرسة التحوير" Manipulation School ، وهى مدرسة تتمتع بنفوذٍ ملحوظٍ جهودها البحثية على الكشف عن كيف أن كل ترجمة، عوضاً عن أن تكون عبارة عن نسخة أمينة للنص الأصيل، فهى تتضمن درجة من التحوير للنص - المصدر لغرضٍ أو آخر" ("هولز" ١٩٨٥: ١١) وهو غرضٌ يتصل فى أغلب الأحيان بإعمال الأيدولوجيا والشُّمل بالرعاية واستلهاام فنيات الشعر ("لوفيفر ١٩٩٢) أما الآخرون، مثل "لورنس فينوتى" Laurence Venuti فلقد جادلوا بأن الترجمات التى تتم بأسلوبٍ فصيحٍ وشفافٍ تكون مريبة أيدولوجياً، وذلك راجعٌ إلى أن ما تنطوى عليه هذه العملية ليس سوى كبت الاختلاف. ("فينوتى ١٩٩٥، ١٩٩٨). كما أن تأكيد الاختلاف والمقاومة للأيدولوجيا السائدة يشكّلان الغرض وراء البحث الترجمي الذى ينظّر لكيفية دفع الترجمة فى فترات تاريخية مختلفة، وفى ثقافاتٍ مختلفةٍ إلى خدمة أيدولوجياتٍ مختلفةٍ مثل الإمبريالية (Cheyfitz 1991) والاستعمار (Niranjana 1992) واللامساواة الجنوسية -gender inqual (Simon 1996:Flotow 1997) ، وهناك "أجندة" (= جدول أعمال) كامنة وراء البحث الترجمي الذى يدرس الترجمات لقوتها فى عملية التوسط للتوفيق والهدم والمعارضة للأيدولوجيا السائدة (Tymoczko 1999) ، و(Bassnett and Trivedi 1999) .

ولما ينطوى على مغزى عميق أن ما من انتباه من هذا النوع قد وُجه للبحث الترجمي فى حد ذاته، مع أن "بيتر فوسيت" ارتاب فى الأيدولوجيا الخفية لأولئك الذين يكتبون حول الأيدولوجيا والترجمة (Fawcett 1998:106-7) ، ولكننى أمل أن أكشف فى هذه الورقة أن بوسع الدراسات الترجمية - كنسق - أن تغتنى بصورة جوهرية فى صلب دراستها. وعلاوة على ذلك فى طوع المنهجيات والنهوج الراهنة، وعلى وجه الخصوص

التأكيد على التتريخ والتسييق أن تنطبق بصورة مثمرة على فحص العلاقة بين أيديولوجيا الاختلاف والبحث الترجمي.

ومثل هذا الفحص يجوز أن يأخذ مجراه في البحث الترجمي الذي يجري في أي بلد وفي أي مرحلة تاريخية، وسوف أركز على ثلاثة أعمال نشرت في الصين في القرن العشرين.

● "Fojiao de Fanyi Wexue" "الأدب البوذي المترجم" (الجزءان الأول والثاني) بقلم "هو شي" (في "هو شي" ١٩٢٨)

● "Lin Shu de Fanyi" "ترجمات لين شو"، بقلم "قيان زهونج - شو" (١٩٦٤)

● "Woguo Zichengtixi de Fanyi Lilan" "نسق في حد ذاته: - نظريات بلادنا الترجمية" بقلم "لو زينز - هانج" (١٩٨٣)

وأسبابي هنا مزدوجة، أولاً: تعرّضت الصين خلال القرن العشرين لسلسلة من الانقلابات الأيديولوجية الهائلة، وبذلك توفّرت تربة خصبة لملاحظة الكيفية التي تُخاض بها المعارك - سواء في ميدان الترجمة أو في الممارسات المنطقية وسائر الأنشطة الإنسانية ثانياً: لما كنت أكاديمياً يعيش في جزيرة "هونج كونج" في حقبة era ما بعد - ١٩٩٧، فلقد صار لزاماً عليّ أن أعتنم استراتيجيات المقاومة وتأكيد الاختلاف، عوضاً عن الاعتماد على ضمان "أمة واحدة ونظامين" الذي وفرته الصين أو حكومة "بكين" فور عودة "الجزيرة" إلى سيادتها. (٢) وبناء عليه بهرتني الاستراتيجيات التي تبناها الباحثون الترجميون في الصين بمعنى خاص من اللياقة والتطابق مع مقتضى الحال، ومع هذين العاملين، فإنني أمل أن تحمل الدراسة التي تنطوي عليها هذه الورقة درجة من الصحة تمكنها من الامتداد إلى ما وراء السياق الصيني، وذلك لأن الورقة تهدف إلى تسليط الضوء على قضيتين تتعلقان بالدراسات الترجمية بصفة عامة - أيديولوجيا البحث الترجمي والترجمة (أي الحمل غير العمدي) للأيديولوجيا في البحث الترجمي. (٣)

١ - هو شى «أدب البوذية، المترجم (الجزءان الأول والثانى) (١٩٢٨)

كان "هو شى" باحثاً ومعلماً وكاتباً وناقداً ومترجماً ومنظراً ومفكراً،^(٤) ورجع إليه الفضل فى إطلاق الـ "Xnwenxue yudong" (= حركة الأدب الجديد)، وهى حركة هدفت إلى بعث ثورة أدبية فى الصين كجزء من مجهودٍ شامل يرمى إلى تحديث الأمة الصينية، وكان المقال الذى كتبه "هو" Wenxue Gailiang Chuyi أى "اقتراحات غير ملزمة للإصلاح الأدبى" (١٩١٧)^(٥) كانت بمثابة العامل المحفز لهذه الحركة بل وأقدم بيان أو "مانيفستو" لها، والعمل الذى أعتزم التركيز عليه "أدب البوذية المترجم" (الجزءان الأول والثانى) يظهر فى فصلين فى كتاب "هو" المنشور سنة ١٩٢٨ بعنوان "تاريخ الأدب الشعبى"، وهو كتاب يستند إلى سلسلة من المحاضرات كلّفت وزارة التعليم "هو" بإلقائها فى سنة ١٩٢١، وقد تمتعت هذه المحاضرات بتأثير واسع بعد أن أصبح "هو" إحدى الشخصيات الأدبية ذات النفوذ بعد سنة ١٩١٧، وقد استجاب عددٌ كبيرٌ من الكتّاب للدعوة التى طالب فيها بإصلاح الأدب عن طريق الكتابة باللغة الشعبية الدارجة على الألسن فى الحياة اليومية، ولم يكن "أدب البوذية المترجم" جزءاً من مجموعة المحاضرات الأصلية وكان "هو" قد كتبه "خصيصاً كي يضمّنه فى "تاريخ الأدب الشعبى" (= الدارج)^(٦) ويؤدنا الفصلان بتصويرٍ وافرٍ لكيفية استخدام البحث الترجمى كسلاحٍ فى المقاومة الأيدولوجية.

تستحق منا الخطوات التى خطاها "هو" فى "أدب البوذية المترجم" دراسة مدققة فلقد قدّم ترجمات الـ "سوترات" Sutras (جمع "سوترا" Sutra) (= الـ "سوترا" هى "شرح" الشعائر المقدسة للديانة البوذية، والكلمة تعنى - اشتقاقياً - "الخيطة" بالسنسكريتية. المترجم) كأعمالٍ أدبية وحلّها فى ضوء مصطلحات الشكل والأسلوب والملاحم النوعية والمجاز والبلاغة وسائر تكنيكات التأليف. وركّز على وجه الخصوص على الجاذبية الأدبية لهذه النصوص وتأثيرها على الفن والأدب فى الصين. وقد ضمّت هذه الترجمات بعض "أجمل الخرافات" (جمع "خرافة" Fable أى حذوتة "رمزية" تصور فى العادة حيوانات تسلك سلوك البشر، وأشهر ديوان لها هو ديوان "إيسوب"

الذي يرى باحثون أنه استلهم أو نقل حواديت "تحتوي" في مصر القديمة. المترجم) في الأدب العالمي ومارست تأثيراً كبيراً على الأدب الصيني ("هو" ١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٣٩). وكانت "السوترا" المعروفة باسم Vimalakirtinidesah عبارة عن "نصف رواية - نصف مسرحية" أو "مسرواية" (١٩٢٨/١٩٩٨) وتحكي قصة خلافة طالما بهرت أجيالاً من الكتاب والرسمامين الصينيين، الذين إما استغلوا نتفاً منها كموضوع للرسومات الجدارية في المعابد أو أرسلوا تلميحات إليها في أعمالهم الأدبية، وقد كان لكثير من النصوص البوذية التي تفتنى بعناصر وأوصاف فوق - طبيعية Supernatural بعد "لضمها" معاً على عجلة الخيال الطليقة "تأثيراً محرراً حقاً" على العقل الصيني. وظهر تأثيرها ملموساً في الأعمال الأدبية الشعبية مثل Xi You Ji (= رحلة إلى الغرب) و Feng Shen Zhuan (= خلق الآلهة) (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٥١) وكانت Buddhacarita (= أعمال "بوذا") وهي تتويج لمنجزات الشاعر البوذي "أسفاغوسا" Asvaghosa عبارة عن ترجمة للغة الصينية قام بها الراهب "دارماراكشا" Dharmaraksha في سنة ٤٢٠ م.ع.م. (= من العصر المؤلف CE أي ب.م) ويصل عدد حروفها إلى ٤٦ ألف حرف صيني، وهو الأمر الذي يجعل منها أول أطول قصيدة في الأدب الصيني حتى ذلك الوقت (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٤٦) ولقد أسهمت هذه الأشكال والأنواع الأدبية الجديدة التي استوردت إلى اللغة الصينية، في ارتقاء وتطوير الأدب في الصين. وكان تجوير النثر مع الشعر في نفس العمل خاصية أسلوبية في الأدب الشفوي الهندي والسوترات البوذية، عبارة عن تركة تتمتع بـ "نفوذ غير متوقع" (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٤١) وقد استخدم نفس الأسلوب في الـ "تانسي" Tanci - وهو عبارة عن نوع من العرض المسرحي، يجرى حكي الحكايات في إطاره (عادة بلهجات جنوبية متعددة) بمصاحبة الآلات الوترية.

لم يقدم "هو" ترجمات الأدب البوذي كأدب وفقط، بل وصاغها في تقاليد اللغة الشعبية الدارجة أو الـ "باي - هوا" من الكتابة الأدبية في الصين، وهي التقاليد التي كان يرتأى أنها تملك تاريخاً نستطيع أن نفتنى آثاره إلى الوراء حتى أقدم العصور. وبالنسبة لـ "هو شي" كانت القوة التي تنفرد بها ترجمات الـ "سترات" تكمن في روح

لغتها الشعبية الدارجة، وقربها من الطريقة التي يتكلم بها الأهالي. ويرى -
استشهاداً بالتعليقات التي أفصح عنها الرهبان البوذيون على امتداد القرون - أن هذه
الترجمات التي حازت الاستحسان وتستطيع مقاومة امتحان الزمن كانت تتسم
بالبساطة في الأسلوب والوضوح في اللغة، الأمر الذي يجعلها في متناول الصينيين
العاديين أو الأهالي. لكن هذه الترجمات لم تكن لتندرج في التيار الرئيسي للكتابة
الأدبية التي انجرفت في ذلك الوقت في شكلانية عالية الزخرفة وجامدة الروح. ولقد
احتلت هذه الترجمات - حتى بعدها وحده - مكانة مرموقة وسرعان ما أصبحت نوعاً
أدبياً جديداً ومستقلاً (١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٥٢). ورفع التوقير والتمجيد اللذان حازتهما
هذه النصوص الدينية من شأن هذا النوع من الأدب الناطق باللغة الشعبية الدارجة،
ومن الأدب الناطق بهذه اللغة ككل. ومع أن هذه الترجمات لم تترك تأثيراً مباشراً
على الأدب القومي (= الرسمي) بل ولا عندما بلغت الديانة البوذية ذروة انتشارها
بين الصينيين (٣٠٠-٥٠٠ م.ع.م.) إلا أن "هو" يرى أنها كانت أشبه بالبنور التي
أنبئت وترعرعت حتى بلغت مرحلة طرح الثمر خلال القرون اللاحقة (١٩٢٨/١٩٩٨:
٢٥٢) ولقد أشار "هو" - على سبيل تصوير حججه - إلى المعابد البوذية والأديرة
بصفتها "مساقط رأس" للشعر الشعبي الدارج والكتابات الشعبية بوجه عام
(١٩٢٨/١٩٩٨: ٢٥٢).

إذا ما تناولنا الأعمال المترجمة ليس بصفتها أعمالاً معزولة، بل باعتبارها جزءاً
مكوناً من الأدب القومي للمرء، وركّزنا على مناقشة الكيفية التي تتفاعل بها الترجمات
مع/ وتؤثر على التطورات الأدبية للأدب القومي للمرء - فهذا نهج يجبّده منظرو مدرسة
المنهج المتعدد. ومع ذلك ينبغي علينا أن نلاحظ أن "هو شى" قام ببحثه في عشرينيات
(عشرينيات) القرن العشرين وعلاوة على ذلك، فمع أن "هو" أجرى دراساته لدرجة
الدكتوراه في الفلسفة بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، إلا أنه لم يضع مناقشاته
لترجمات الـ "سوترات" البوذية في إطار خطابه في الفلسفة أو الدين، أو التاريخ
الثقافي، ولكن داخل خطاب التاريخ الأدبي - بل وطلباً للدقة - في تاريخ الأدب الناطق
باللغة الشعبية الدارجة.

ليس هناك شك كبير في أن "هو" انخرط في إعادة توصيف التقاليد الأدبية من ناحية والعمل المنهجي للهدم من ناحية أخرى، فلقد كان يواصل تمرداً أيديولوجياً خلال تأكيد الاختلاف. فالأدب الذي ظلت الشريحة المتعلمة - علماء وأدباء - تنظر إليه طوال قرون على اعتبار أن الأدب الرسمي المعتمد (أي الأدب الناطق باللغة الصينية الكلاسيكية الذي تحكمه شكلانية صارمة القواعد رفيعة المستوى) خُلع عن العرش وبالتالي حظى بالرعاية نوعاً مختلفاً من الأدب أقصد أدب الـ "باي - هوا". وفي العادة يُترجم هذا المصطلح كـ "شعبي دارج" ويُستعمل في الدلالة على اللغة الشعبية الدارجة. ولكن "هو" يورد في مقدمته لكتابه "تاريخ الأدب الشعبي الدارج" ثلاثة معاني للمصطلح (١) الحرف "باي" bai يعني عند اتصاله بالحرف "نيان" nian : أن تقرأ بصوت عالٍ في إشارة إلى الأجزاء المنطوقة في عملٍ أوبرالي صيني، ولما كان الحرف "هوا" hua يعني "لغة" فإن "باي - هوا" تعني "اللغة المنطوقة" أو الشعبية الدارجة. (٢) الحرف "باي" يحمل أحياناً معنى حرفٍ آخر ينتظم معه وهو "قنج" qing (= واضح) وبالتالي فإن مصطلح "باي-هوا" يعني لغة خالية من الزخارف أو المحسنات البديعية. (٣) ينتظم الحرف "باي" أيضاً مع الحرف "مينج" ming (= الضوء) وبالتالي يمكن لـ "باي - هوا" أن تعني ذلك اللغة التي يسهل فهمها. (١٩٩٨/١٩٢٨ : ١٤٧).

يرى "هو"، داخل نطاق هذا البناء العريض لمصطلح الـ "باي - هوا"، أن أدب الـ "باي - هوا" أدب حي بمعنى الأدب الذي يحوز حيوية وأكثر الآداب الخلاقة والمثلة لعصرها. (٧) وعلاوة على ذلك، كان في طوعه أن يشير إلى استعمال الـ "باي - هوا" في الكلاسيكيات القديمة التي تحتل مرتبة أدبية علياً مثل "شي جي" (= سجلات المؤرخين) و"زو زوان" Zuo Zhuan (= تعليقات "زو") وفي الأغاني الفلكلورية (= الشعبية) والـ "بالاد" (= شكل موسيقى وشعري يحكى حدوتة موجزة وقد تبلور في أواخر العصور الوسيطة وأقرب شكلٍ موازٍ له عندنا هو الموالم. المترجم). التي أُلّفت خلال عهد الأسرة "الهانية" (نسبة إلى "هان" Han) (٢٠٦ ق.ع.م. - ٢٢٠ م.ع.م.) وكذلك في الـ "جويجو" (٨) التي عُرفت خلال عهد أسرة "تانج" Tang (٦١٨-٩٠٧ م.ع.م.) (١٩٩٨/١٩٢٨ : ١٤٧) وبالإضافة إلى ذلك في وسعه أن يشير إلى استخدام

هذه الترجمات كجزء لا يتجزأ من تقاليد الـ "باي - هوا" من الكتابة الأدبية وبهذه الطريقة الجديدة في رسم خريطة التقاليد الأدبية مع هذا التركيز الذي جد على أدب حي، استطاع "هو" من صياغة مقولته الراديكالية بأن "تاريخ الأدب الشعبي الدارج الـ "باي - هوا" يقع في قلب تاريخ الأدب الصيني" (١٩٢٨/١٩٩٨: ١٤٦)

ومن الواضح أن "هو" كان منخرطاً في القيام بمناورة متقنة لإعادة ترتيب القوى في المجتمع الصيني. وكانت تلك المناورة شاملة لخطوات معقدة مثل دمج الترجمات الدينية في مجال أدب الـ "باي - هوا"، وتخليق معتمدية أدبية مضادة وإعادة تفسير التقاليد الأدبية وإعادة كتابة التاريخ الأدبي، فترى ماذا كانت "أجندة" (= جدول أعمال) "هو"؟

ألمحت قبل قليل إلى أن فضلاً كبيراً يعود إلى "هو" باعتباره أحد الذين يقفون وراء إنطلاق "حركة الأدب الجديد" في الصين. وكانت هذه الحركة مسلحة بالنظريات والبيانات، والشعارات التي دعت إلى استخدام الـ "باي - هوا" وكتابة الأعمال الأدبية بهذه اللغة سبقت ظهور أعمال بهذه اللغة بالفعل،^(٩) وحتى عندما كانت الحركة في ذروتها، كانت نوعية الأعمال الأدبية المكتوبة بالـ "باي - هوا" متواضعة عند المنتج النهائي.^(١٠) ولم تلق الحركة سنداً اللهم من الترجمات إلى حد كبير. ومع ذلك كانت هذه الترجمات عرضة للاتهام بالخضوع للمصادر الأصلية. ولقد كان الإصلاح الأدبي، كما تصوّره "هو شى" وآخرون جزءاً من برنامج أكبر وأكثر طموحاً لبعث الحيوية من جديد في شرايين الثقافة القومية. وإذا كان لحركة "الأدب الجديد" أن تستمر في الاعتماد على/ والخضوع لسيطرة الترجمات، فإنها ستعرض نفسها للاتهام بالجمود والطفيلية، فأى جدوى تعود عندئذٍ من الترجمات على الأدب؟ وألا تؤدي سيطرة الترجمات في نهاية المطاف إلى تآكل بل وحتى تدمير هوية الأدب القومي؟ وأى حق لأدب يعتمد اعتماداً بالغاً على الترجمات على هذا النحو في الحلول محل الأدب التقليدي - الذي ظل فخراً للبلاد لما يزيد على ألف سنة من حضارة مجيدة؟ وكيف يستطيع مثل هذا الأدب أن يساهم في بعث الحيوية مرة أخرى في الثقافة؟

ومن الواضح أن التحدى الذى واجهه "هو" لم يكن مجرد الترويج لاستعمال الـ "باى - هوا" فى الكتابة الأدبية عن طريق توسيع تعريف أدب الـ "باى - هوا" بحيث يظهر أنه كان يحوز تقاليد طويلة فى أعماق التاريخ. تلك كانت الإستراتيجية التى اعتمدها "هو" فى محاضراته فى سنة ١٩٢١، ولكن هذه الإستراتيجية وفُرت تبريراً للحركة فى مرحلتها الأولى وحدها، ولكن المسار الفعلى للتطور الذى أخذته هذه الحركة وعدم التناسب فى المخرج output بين الترجمات إلى الـ "بهاى - هوا" والأعمال الأدبية التى أبدعت بهذه اللغة (وخصوصاً فى الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٢٥) مكن المتشككين من الإفصاح عن شكوكهم تجاه استمرار تلك التقاليد الطويلة الأمد. ولكن إذا كان فى وسعنا أن نقيم الدليل على أن الترجمة كانت مكوناً مركزياً فى تلك التقاليد، فإن الصورة سوف تغدو مختلفة وهنا تكتسب الترجمة معنى فعل ثقافى يملك مشروعية أيولوجية فى التاريخ. وعلاوة على ذلك تكتسب اللغة الشعبية الدارجة التى استخدمها المترجمون فى ترجماتهم هى الأخرى مشروعية أيولوجية. وبالتالى ينهض الماضى بتسوية الحاضر. ولاتشكّل المواصلة المستمرة للترجمة تحديداً لأدب الأمة، وعضواً عن ذلك يبذر البنور للتطور الأدبى فى المستقبل. والأهم من ذلك يكون فى وسع هذا الرأى المنادى بالارتقاء بشأن أدب اللغة الشعبية الدارجة أن يدعم الهيكل الجديد للسلطة الناجم عن خلع الأدب التقليدى عن عرشه بنهوض حركة "الأدب الجديد". ولطالما أعلن "هو" أنه يسعى إلى ابتعاث "نهضة صينية" ^(١١) ومنذ وقت مبكر يعود إلى ١٩١٧ قام "هو" بشرح وجهة نظره بأن الترجمة استخدمت - خلال النهضة الأوروبية - كوسيلة لإعلاء شأن اللغات الشعبية الدارجة إلى نفس منزلة اللغة اللاتينية لغة السلطة، وشحذ أو تطويع اللغات الشعبية الدارجة لإنتاج أدب قومى (١٩١٧/١٩٩١: ١٢) إلا أن الوضع فى الصين فى مطلع عشرينيات (= عشرينيات) القرن العشرين كان مختلفاً إختلافاً شاسعاً عن الوضع فى أوروبا، ولم يكن فى طوع "هو" أن يتكهن ببساطة بأن الترجمة يمكن أن تساهم فى شحذ أو تطويع اللغة الشعبية الدارجة فى الصين لإنتاج أدب قومى، خصوصاً وأن الصينية الكلاسيكية "وينيان وين" wenyan wen استخدمت أيضاً فى الترجمة وكثير من هذه الترجمات حقق رواجاً واسعاً، وكان ليصير لزاماً على "هو" أن يقدم أساساً جدالياً لتكهنه.

كانت حاجة "هو" إلى إيجاد أساسٍ جدالي لتكهنه هو مفتاح فهم السبب الذي أخرج مقال "هو" المعنون "أدب البوذية المترجم" (الجزءان ١، ٢) من مجموعة ١٩٢١، كي يظهر فقط في الطبعة المنقحة التي نُشرت في سنة ١٩٢٨. وكان هذان الفصلان إضافة إستراتيجية. فلقد استخدم "هو" البحث الترجمي لغرض محدد: تخويل الترجمة سلطة أيولوجية. ويقراعه لآداء الأدب المترجم في النسق المتعدد للأدب الصيني، وخصوصاً للدور المركزي الذي لعبته ترجمات الـ "سترات" البوذية في تطوير أدب اللغة الشعبية الدارجة في الصين، كان "هو" يسعى إلى تقديم مسوغٍ لاقتناعٍ راسخٍ عنده بأن الترجمة سوف تستكمل إنجاز مهمتها سواء عاجلاً أو آجلاً: توسيع الآفاق الأدبية وحرارة العقل (= تخصيبه وثقيفه وتحريره) وفي نهاية المطاف إعادة الحيوية إلى الثقافة والتجديد الأدبي، وكانت محاولته تلك جيدة التصميم نحو كسب المشروعية خلال التريخ.

٢ - قيان زهونج - شو، ترجمات لين شو (١٩٦٤)

كان "قيان زهونج - شو" كاتباً وصاحب مقال ورجلاً على قدرٍ كبيرٍ من سعة الاطلاع وفي نفس الوقت أستاذاً يعترف الجميع بأستاذيته في ميدان الكلاسيكيات الصينية بالإضافة إلى كونه دارساً مكتمل الأدوات في الأدب الغربي. (١٢) ويزودنا مقال "ترجمات لين شو"، (١٣) وهو أحد أهم المقالات عن الترجمة التي نُشرت في صين القرن العشرين، بتصويرٍ آخرٍ لكيف يمكن للمقاومة الأيدولوجية أن تتم خلال توسيع دائرة البحث الترجمي.

ينبئنا العنوان الذي اختاره "قيان" لعمله إلى ضرورة النظر إلى البحث الترجمي من الزاوية الأيدولوجية. ولم يكن "لين شو" (١٨٥٢ - ١٩٢٤) يعرف أي لغة أجنبية، أي أحادي اللغة ولذلك كان مضطراً إلى الاعتماد - بكل ثقله - على معاونيه في عمله في ميدان الترجمة، ومع ذلك اتضح أنه مترجم غزير الإنتاج وبالغ التأثير للأعمال الأدبية الغربية إلى اللغة الصينية. وكانت ترجماته رائجة على نطاقٍ واسعٍ خلال عصره .

ومع ذلك فلقد تعرّض خلال العقدين الأخيرين من حياته لانتقادٍ عنيفٍ وُجّه لآرائه السياسية الرجعية (أى: ولأنه لأسرة "قنج" المالكة) ودفاعه المستميت عن اللغة الصينية الكلاسيكية في وجه حملة الترويج لاستعمال اللغة الشعبية الدارجة في الكتابة وترجماته التي عابتها كثرة الأخطاء. وبعد قيام الجمهورية الشعبية في الصين في سنة ١٩٤٩، أصبح الرأي الأرثوذكسى (=القومى) يرى أن "لين" ساهم بصورة جوهرية في تقديم الأعمال الأدبية الغربية إلى جموع الشعب الصينى، ولكنه كان متهاوناً في اختياره للنصوص التي تستحق الترجمة، وفي السنوات الأخيرة افتقر موقفه إلى الجدية وأصبحت ترجماته "مطلّقة". (١٤)

لماذا أجرى "قيان زهون - شو" بحثه - إنن - على ترجمات "لين شو" طالما كان مثل ذلك الإجماع قد استقر بالفعل؟ ويغدو هذا السؤال أشد إلحاحاً عندما نأخذ في اعتبارنا السياق السياسى. عرفت الصين خلال خمسينات أو خمسينيات القرن العشرين انقلاباً سياسياً هائلاً. كان تأثير الماركسية واللينينية عميقاً، وكانت آراء "ماو تسى تونج" حول ضرورة أن يقوم الفن والأدب بوظائف اجتماعية وسياسية بدلاً من الالتزام بمبدأ الفن للفن أو مبدأ التعبير عن الذات، تلك الآراء التي طرحها في "أحاديث في منتدى "ينان" حول الفن والأدب" (١٥) قد تحوّلت إلى عقيدة جامدة. وفي سنة ١٩٥٤، تعرّض أحد زملاء "قيان" بمعهد الأدب الصينى التابع لأكاديمية العلوم الاجتماعية، وهو "يو - بنج بو" Yu Ping bo للقدح علناً لعدم تطبيقه المبادئ الماركسية فى النقد الأدبى خلال تحليله لـ "حلم الغرفة الحمراء"، وهو عبارة عن عمل كلاسيكى مشهور، من جانب ولوقوعه فى أسر الفلسفة المثالية التي ترجع إلى الطبقة الرأسمالية ("ماو" ١٩٧٩: ٢٥) وبدأ النضال ضد القوى اليمينية (= هجوم مضاد ضد اليمينيين البورجوازيين فى سنة ١٩٥٧ ("كونج" ١٩٩٢: ١٦)، وخلال نفس السنة أى ١٩٥٧، وُصم والد "قيان" بأنه يمينى، وبعد مرور سنة واحدة واجه "قيان" نفسه انتقاداتٍ عنيفة بسبب عمل قام بإعداده - فقط - بعنوان "أغانى شى إكسوان زهو" (وهو عبارة عن مختاراتٍ مزيّلة بتعليقاتٍ وشروحٍ ضافية من شعر الأغانى) (١٩٥٨) ولكنه نجا من مصير والده بعد تدخل شخصياتٍ مؤثرة بالحكومة المركزية ("كونج" ١٩٩٢: ١٦٢).

وبعد وضع هذا السياق في حسابنا، دعنا الآن ننظر إلى المقال رهن الحديث: (ترجمات "لين شو"). يبدأ "قيان" بالانغماس في علم الاشتقاق، ويستشهد في ذلك بحجة في الموضوع، وهو "إكسو شين" Xu Shen الفقيه اللغوي الذي عاش تحت ظل أسرة "هان"، ويقرر أن الحرف "ي" yi الذي يعنى "ترجم" يرتبط اشتقاقياً ودلالياً بحروف أخرى مثل "يو" you الذي يعنى "أغرى وضلل وقاد"، وحرف "مي" mei الذي يعنى "توسط وأبرم زواجاً" والحرف "إي" e الذي يعنى "أخطاء وسوء تصورات" و"هوا" بمعنى "حول" (قيان ١٩٦٤: ١). وبعد ذلك يستعمل هذه الحروف في طرح آرائه حول وظائف الترجمة والشراك والأولى الأفخاخ الكامنة التي يصعب تجنبها والمكانة العليا التي تنشأ الترجمة الوصول إليها. وهنا يبدأ بحرف "هوا" (= حول بمعنى شامل) الذي يمثل بالنسبة له أعلى مستوى تستطيع الترجمة الأدبية أن تبلغه. (المرجع السابق). إذ يكون في طوعنا أن نقول إن عملاً أدبياً في لغة ما قد "حول" إلى عمل أدبي في لغة أخرى إذا اختلف كل أثر للتكلف والعسر اللذين ينجمان عن الاختلاف بين اللغتين، وإذا احتفظ العمل المترجم - بشكل كامل - بطعم وجو العمل الأصلي، ومثل هذه الترجمة يمكن أن يُقال عنها، عندئذٍ أنها بلغت الـ "هوا - جنج" huajing أى أعلى المراتب وأخصبها موهبة وأشدّها روعة: التحويل بالمعنى الكامل. مثل هذه الترجمة لن تُقرأ بصفتها ترجمة، وذلك لأن النص الأصلي لن يُقرأ كترجمة في المقام الأول، وأشار إلى أن "جورج سافيل" George Savile ، ماركيز "هاليفاكس" الأول كان قد طرح في أوروبا القرن السابع عشر، فكرة مشابهة بشأن الترجمة خلال الاستعارة المجازية "تناسخ الروح" (المرجع السابق) فلقد استبدل الشكل الخارجى للنص: والجسم قد يختلف، ولكن الروح أى السحر الداخلى يظل هو نفسه دون تغيير.

ومع ذلك يعترف "قيان" أن هذه المرتبة التحويل في الترجمة يصعب الوصول إليها (١٩٦٤: ٢) ففي رأيه أن "الأخطاء وسوء التصورات" (e) يستحيل تفاديها بحالٍ من الأحوال لكافة أنواع الأسباب. ومع ذلك فهناك أنواعٌ مختلفة من "الأخطاء". فبعض هذه الأخطاء قد تكون تصرفات بحرية وعن عمدٍ من جانب المترجم تجاه النص الأصلي. وفي حالة ترجمات "لين شو" يمكننا تقسيم "الأخطاء" إلى نوعين: تلك التي تعود إلى غفلة "لين" نفسه،

وتلك التي تعد - بعد تحليل دقيق - إضافات وتعويضات وتزويقات (١٩٦٤: ٦-٩) ولقد كانت "الأخطاء" من النوع الثاني بمثابة "الإسهامات" الخاصة التي أضافها "لين" إلى النص الذي يعكف على ترجمته، نظراً لأنها تضيف لوناً وحيوية وتوقداً للعواطف وروحاً فكاهية على الترجمة (١٩٦٤: ٨)، وهو الأمر الذي يرفع النص المترجم إلى مستوى النص الأصلي إن لم يتفوق عليه. وإذا شئنا الدقة، لا ينبغي لنا أن نشجع أحداً على مثل هذه التدخلات في أعمال الترجمة، إلا أنها غالباً ما تقوم كمنبع إلهام لأي شخص يكون مهتماً بالجوانب البلاغية وفن الإنشاء. وحتى "قيان" نفسه يقول إن المترجم الذي يشتغل أيضاً بفن الكتابة أو يتصور عن نفسه ذلك، يتعذر عليه مقاومة الدافع إلى "التصرف باعتباره" "الصديق الصدوق والناقد اللود" للمؤلف الأصلي، عندما يصادف فقرات تبدو في رأيه الخاص ضعيفة وتحتاج إلى الارتقاء بها. (١٩٦٤: ١٠) وبالإضافة إلى ذلك يرى أن تاريخ الترجمة (وخصوصاً في مراحلها الأولى) في أي بلد من بلدان العالم يكشف أن "لين شو" لم يكن منفرداً في الأمر. (١٦) وتاريخ الترجمة زاخراً بأمثلة لمترجمين كانت سيطرتهم على لغاتهم المستهدفة أكبر من سيطرة المؤلف على لغته المصدر (١٧)، مثلما كان "لين شو" عند مقارنته بكاتب مثل "رايدر هاجارد" (Rider Haggard (1964: 25).

يرى "قيان" أنه نظراً لأن "التحويل" الذي يجري خلال الأداء الترجمي لا يكون دائماً دقيقاً ولا مكتملاً - بل يمكن أن يأخذ أشكالاً كثيرة مختلفة - فإن جاذبية الترجمة يمكن أن تأخذ هي الأخرى أشكالاً مختلفة. وعندما تكون الترجمة مكتملة وشاملة، فإن القارئ سوف يجدها مغرية تماماً "يوو" you ، وهنا يقع في حب العمل الأصلي. وعندئذ تكون الترجمة قد أسفرت عن نشوء نوع من "الحب الأدبي" بين الشعوب وفي ضوء التغيير الثقافي سوف تقوم الترجمة عندئذ بدور عاقد القران mei ، أما عندما يكون "التحويل" غير مكتمل وجزئياً، فلسوف يتوصل بعض القراء إلى أن الترجمة مضللة you لسوف يقودهم you حب الاستطلاع في معرفة الصورة التي عليها الأصل في حقيقة الأمر، إلى تعلم اللغة الأجنبية حتى يتمكنوا من قراءة الأصل بأنفسهم (١٩٦٤: ٣).

يبدو واضحاً بما لا مزيد عليه، أن مقال "قيان" يدور حول ترجمات "لين شو" بنفس القدر الذي يدور به حول آراء "قيان" نفسه عن الترجمة. وفي واقع الأمر كان "قيان" يستخدم بحثه عن "لين" وعن تاريخ الترجمة في البلدان الغربية كي يوفر أمثلة تكفي لتصوير آرائه الخاصة عن الترجمة. وهي آراء واقعية أكثر من كونها توجيهية prescriptive، وذلك لأن "قيان" لا يكشف عن أى إصرار من جانبه على أن تكون الترجمة على ما ينبغى أن تكون عليه مثالياً (تحويلاً بالمعنى الشامل) بل يقبل الترجمة كما هي عليه في الواقع العملي: سوء تصور أو تشويه أو تأليف مقنن من طبيعة طفيلية أو أداء منمق. وهذه وجهة نظر ترى إمكانية أن تكون الترجمة عبوراً للحدود، وإعادة كتابة وخيانة - والاشارة هنا إلى المثل الإيطالي السائر: "المترجم خائن" (١٩٦٤: ٢) وهي وجهة نظر تتسع للترجمة بكافة تناقضاتها ومفارقاتها: الترجمة ترشد خطانا كما تضللها، وفي طوعها أن تكون أسوأ أو أحسن من الأصل، ولكنها نادراً ما تكون مثلما يتوقع منها كثيرون أن تكون (أى بنفس درجة الجودة التي يحوزها النص الأصلي): ولا ينبغى أن تُقرأ الترجمة على أنها في الحقيقة ترجمة. والمغزى الضمني الذي تنطوي عليه العبارة أن خضوع المترجم ومفهوم الأمانة المصاحب لهذا الخضوع ليسا مطلقين أو بديهيين. فبوسع المترجم أن يخون المصدر وأن يتفوق عليه وأن يحوره، بل وأن يلعب عليه ويضمّن بعض لمحاتٍ من إبداعه في النص المستهدف، وأن يبرز شخصيته بين سطوره ويستطيع أن يتلقى الثناء على ذلك. وخشية أن يتبادر إلى ذهن أحد أن حالة "لين" استثنائية، يأخذ "قيان" قفزة واسعة في تاريخ الترجمة ويستشهد بأمثلة من ترجمات أنتجت في الغرب وحازت الاستحسان لأنها أحسن من الأصل. وبينما ظل عند موقفه الانتقادي للأخطاء التي وقع "لين" فيها، إلا أنه أظهر تقييماً فريداً للمعالجة الأكثر إلهاماً للنص المصدر، ولم يخف غيرته عند الحديث عن "الاسترسال الجري" الذي اتبعه "لين شو" في ترجمته لـ "تشارلز ديكنز" (١٩٦٤: ١٠)

إذا ما عزلنا وجهة نظر "قيان" وقرأناها منفصلة فإنها قد تكون خلاصة نتيجة للاستعمال المبهر للكلمات الدالة في حمل الحجج التي يسوقها، والعرض الأسر لتبحره العلمي، وقد تكون وجهة نظر "قيان" خلاصة أيضاً لأنها تجسد أفكاراً جذرية ومستفزة:

الترجمة بصفقتها تجاوزاً وعبوراً للحدود على سبيل المثال. ولكن لما كان "قيان" يحبذ الـ **huajing** (التحويل بالمعنى الشامل) ويرفعه بصفته يمثّل أعلى مستوى يمكن أن تصل إليه الترجمة الأدبية، ونظراً لأنه يظل يُقيم توجُّهه إلى النص - المصدر في تقييمه لترجمات "لين شو" وفي موقفه التقييمي بشكلٍ عام، فإن الطاقة الراديكالية لهذه الآراء تتعرّض للاحتواء، ما لم نقل للتبديد، بل ويمكن النظر إلى هذه الآراء كأراء حاذقة أكثر من كونها راديكالية.

ومع ذلك إذا ما قاس المرء مقال ("ترجمات "لين شو") على الخطاب الذي كان سائداً عن الترجمة في ذلك العصر وإذا ما وضعنا في الحسبان السياق السياسي التاريخي، فإن "سيناريو" مختلفاً يظهر أمام أعيننا. ففي ستينات القرن العشرين كان الخطاب السائد حول الترجمة، تحت ظل "القيادة المباشرة للحزب" خاضعاً تماماً لفكرة الأمانة التي كان يحبذها "لو إكسون" Lu Xun ، وهو كاتب يساري واسع النفوذ، خصوصاً بعد أن انتصر علناً "ماوتسي تونج" لإستراتيجية "لو إكسون" في الترجمة الصارمة ودافع بصفة شخصية عن أهمية "الدقة" ("تشين" ١٩٩٣ : ٣٨٣). ومع ذلك فالملاحظات التي أبداها "قيان" بشأن الأخطاء في الترجمة، ومهما تميّزت بالحصافة والتروى، يمكن أن تُفسر على وجه الترجيح - باعتبارها مناهضة لـ "أرثوذكسية" الدقة. كما يمكن أن تُفسر وجهة نظر "قيان" تجاه الترجمة كخيانة، ومع أنه أفصح عنها بمصطلحات الرفض، على اعتبار وقوفها ضد الولاء الذي تأسس عليه مفهوم الأمانة كأهم مبدأ من مبادئ الترجمة. ومثل هذا الموقف ينطوي على الخطر، فالولاء أمر حاسم لاستمرار الدكتاتورية الديمقراطية للحزب الشيوعي.

وخلال خطاب الستينات (= الستينيات) بشأن الترجمة أسند للترجمة وظائف اجتماعية وسياسية، ولكن مقال "قيان" عن "لين شو" لم يعباً بذكر أي منها. وعضواً عن ذلك تحدث بطريقة مفعمة بالسعادة عن وظيفة الترجمة في أداء دور عاقد القران، مما يخلق نوعاً من "الحب الأدبي" بين الأمم ويُغري بتعلّم اللغات الأجنبية. وكان هذا بمثابة فكرٍ مارقٍ من شأنه أن يجعل صاحبه عرضة للهجوم.

ولا يمكن أن يكون "قيان" غافلاً عن المخاطر التي كان يُعرض نفسه لها. ونظراً لأن المجازفة كانت عالية، فلا بد أن محاولته في طرح وجهة نظر للترجمة "منحرفة" عن تلك السائدة بون السعى إلى لجمها، قد فسرت بأنها تأكيد عنيد، ما لم تكن أيضاً طائشة لموقفه أو مواقفيته *positionality* ، وعلى أي حال كان موقفه دعوى جريئة للقبول بالاختلافات، سواء أكانت سياسية أو أيولوجية أو مجرد أكاديمية وبالتالي كانت توجهات القوى السياسية في ذلك العصر محفورة بعمق شديد على بحث "قيان" الترجمة. وفي الواقع لن يظهر المغزى الكامل للبحث الترجمة الذي أجراه "قيان"، إلا عندما يفسر مقاله، ليس كمجرد دراسة مسهبة بسيطة خالية من الغرض ومستقلة بذاتها عن الترجمة، ولكن باعتبارها عملاً من أعمال الاشتباك السياسي. ومع أنه ربما بدا مسائراً للأوضاع على المستوى السطحي، إلا أن "قيان" كان - في حقيقة الأمر - يستغل البحث الترجمة في تدبير احتجاج هادئ على "الأرثوذكسية" (= أصولية ما قبل الأصولية. المترجم) والعقائدية (= الدوجماتيقية) *dogmatism* ، وكانت هذه المحاولة كثيفة التمويه ومتخفية بعناية وراء حجاب ومتوارية تحت ثنائية الضدين (= حالة الانجذاب إلى/ النفور من، في نفس الوقت تجاه شخص ما أو فعل أو اتجاه الخ. المترجم) وبالتالي عرضة للظنون، ولكنها شهادة قوية على الفرد كعامل مفكر. ولعلها تكشف كيف يتأني للمسايرة أن تكون شكلاً من أشكال المقاومة.

٣ - لوو إكسينج - هانج ، نسق في حد ذاته - نظريات الترجمة
في بلادنا ، (١٩٨٣)

يُعد "لوو إكسينج - هانج" (١٩٣٦-) مترجماً مرموقاً للأدب الفرنسي إلى اللغة الصينية ودارساً في ميدان الترجمة يتمتع بتوقيع عالٍ في الصين^(١٨) وقد نُشر لأول مرة مقال "لوو" المعنون "نسق في حد ذاته - نظريات الترجمة في بلادنا". وهذه ترجمة كلمية لـ ("Wonguo Zichengtixi de Fanyi Lilun") في سنة ١٩٨٢ في بورية تسمى "هوامش المترجمين" أو *Fanyi Tongxun*، التي صدرت في شهر فبراير/أمشير ١٩٨٠،

وكانت تلك هي المجلة الأولى في الصين الأم التي تتخصص في شؤون الترجمة ("وو" ١٩٨٠، "تشين" ١٩٩٢: ٤٦٤)، ومن هنا كانت بمثابة المنتدى القومى للمناقشات والمساجلات حول قضايا الترجمة، ويستحق اختيار "وو" الذي وقع على هذه المجلة - كمطرح للسلطة التعليمية - لنشر المقال بالتالى منا انتباهاً خاصاً. على أن استخدام "وو" نفس هذا العمل فى سنة ١٩٨٤ كمقال افتتاحى فى الـ Fanyi Lunji (= مختارات من المقالات الترجمية)، تلك المختارات التى حررها ونسّقها - ينطوى - هو الآخر على أهمية مساوية. ولما كانت تلك المقتطفات تُعدّ أشمل مجموعة من المقالات عن الترجمة فى ذلك العصر، والأولى من نوعها التى تضم عدة مقالاتٍ حول ترجمة النصوص البوذية، فلقد كان لتلك المقتطفات تأثير عميق عندما ظهرت لأول مرة وظلت بمثابة مجموعة/حجة أى محل ثقة حتى اليوم.

إلى جانب هاتين النقطتين اللتين تدوران حول السياق، نجد أن عنوان المقال ذاته يتفجّر - هو الآخر - بمغزى أيديولوجى. وفى الحقيقة يُعد هذا المقال بين الأعمال الثلاثة التى تناولتها بالدراسة فى هذه الورقة أكثرها صراحة فى ضوء الأيدولوجيا، حيثما يتعلّق الأمر بالعنوان: "نسق فى حد ذاته - نظريات الترجمة فى بلادنا". فهنا يتعيّن قراءة "بلادنا" على اعتبار أنها دعوة لجمع الشمل. و"نسق فى حد ذاته" عبارة عن تأكيد على التفرد وعلى التقاليد المتميّزة. ويتلخّص ما يصنعه "وو" خلال مقاله ذاك فى وضع معالم بارزة على مسيرة تطوّر نظرية الترجمة الصينية عن طريق مصطلحاتٍ مفهومية أساسية، وتقديم المناقشات الصينية حول الترجمة، المختارة من فتراتٍ تاريخية مختلفة، وذلك بطريقة تركّز على الوراثة الواعية والترابط الوثيق والتماسك والإتقان حتى يأتى هذا الكل كنسقٍ ملموس بحد ذاته.

ويقول "وو" أن هذا "النسق" يتكوّن من أربع ضفائر كبرى:

- تتبع المصدر "الـ أنبين" anben ، وهذا هو قولُ ماثور تركه لذريته الراهب البوذي "داو أن" Dao An (٢١٤ - ٢٨٥ م.ع.م.) وأعلى شأنه كثير من مترجمى الـ "سوترات" البوذية. ويقول "وو"، بينما كانت المناقشات حول صحة

هذا القول المأثور دائرة، ترسخت سلطة النص - المصدر بصورة صارمة خلال الموجة الكبرى الأولى من الأنشطة الترجمية في الصين، تلك التي دامت طوال القرون العشرة الأولى من الحقبة المسيحية. كما يمكننا أيضاً تتبع النظريات الصينية اللاحقة عن الترجمة، وخصوصاً تلك التي تشكّل الضفائر الكبرى الأخرى من النسق (التي سنناقشها أدناه)، خلال الأصداء الشفوية والترجيحات المفهومية، حتى هذه الفكرة أي الـ "أنبين". وبالتالي، تصبح هذه الفكرة، في إطار فهم "لوو" للأمور المصدر لكافة النظريات الصينية عن الترجمة. ("لوو" ١٩٨٣/١٩٨٤: ١٩).

● تشنّ على الأمانة "qiuxin" "قيواكسين" فـ "إكسين" (= الأمانة) كما أن "دا" (= المفهومية) و"يا" (= الرشاقة) وهي "الصعاب الكبرى الرئيسية" أمام المترجم، وقد ناقشها "يان فو" في مقدمته لترجمته لكتاب "تى إتش" هكسلي" المعنون "التطور والأخلاق" (١٨٩٨) ^(١٩) ويرى "لوو" أن هذه المبادئ الثلاثة ظلت تُشكّل طوال الشطر الأعظم من القرن العشرين في الصين الأم الشبكة الرئيسية للمفاهيم التنظيرية في ميدان الترجمة، ويمضى "لوو" كي يفسر كيف كسبت هذه المبادئ الثلاثة أهمية مشقية (= من مشق) نظراً لما تنطوى عليه من فائدة خاصة في تقييم الترجمات، كما صارت بمثابة معايير للتقييم تكمن في "قلب" نظرية الترجمة ذاتها (١٩٨٣/١٩٨٤: ٥). وطوال الخمسين سنة التي أعقبت ظهور مقدمة "يان" هذه ظلت كافة المناقشات التي تدور حول وضع معايير لنقد الترجمة تتأسس على هذا المشق. وكانت هناك محاولات نحو إعادة تعريف هذه المصطلحات للبحث في ترتيبها هرمياً حسب الأهمية، كما كانت هناك محاولات أخرى نحو الطعن في صحتها من الأصل، ولكن لم يتوفّر مشق آخر يصل من القوة حد الإطاحة به أي المشق من موقعه السامق (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٠) ويرى "لوو" أن "التفسير الوحيد" لوضع التفوق الذي تمتع به المشق (١٩٨٣/١٩٨٤: ٩) "كامنٌ في أن المبادئ الثلاثة: "إكسين" و"دا" و"يا" تستطيع - إلى حد ما - أن تلخّص - باقتضاب - الملامح الرئيسية

وأن تُبرز نمطاً منظماً يكمن وراء الترجمة" (المرجع السابق) ويلاحظ "لوو"، بسمة من الاعتزاز أنه "حتى في بلدانٍ أخرى، ليس من المحتمل في الغالب أن معياراً للترجمة وُضع في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، يستطيع - بعد مضي ثمانين سنة عليه - أن يظل محتفظاً بصحته، وأن يستمر جاهزاً للاستعمال، كمعيارٍ صالح للتقييم" (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٦) وبناءً عليه فنظرية "يان فو" "تستحق مكاناً" في التاريخ العالمي لنظرية الترجمة" (المرجع السابق) وفي العرض "البانورامي" للنظريات الصينية في الترجمة على امتداد قرون، تكتسب مفاهيم "يان فو" الثلاثة أهمية أيضاً لأنها تشكل رابطة مباشرة مع الأفكار عن الترجمة التي تركها وراءهم مترجمو "السوترات" البوذية. واستناداً إلى العمل التفسيري حول النصوص القديمة الذي أجراه "قيان زهونج - شو"، يشير "لوو" إلى الملاحظة التي أبداهما "قيان" بأن المبادئ الثلاثة تبرز بالفعل كمفاهيم للترجمة في الـ Fa Ju Jing Xu (= مقدمة إلى "الدارمابادا" Dharmapada " ٢٢٤ (م.ع.م.) التي يسود الاعتقاد بأنها أول عملٍ في الصين يتطرق لمشاكل الترجمة (١٩٨٣/١٩٨٤: ٢) وعلاوة على ذلك يستشهد "لوو" بحجية البحث الذي أجراه "لو كسون" عن "يان فو" كي يقرر أن "يان" كان قد درس ترجمات "السوترات" البوذية، في إطار الاستعدادات التي اتخذها لصوغ وجهة نظره تجاه الترجمة، وذلك بهدف الاستشهاد بها واستلهاً الأفكار منها (١٩٨٣/١٩٨٤: ٦) ولكن "يان" لم يستشهد في واقع الأمر بأي مقدمة من المقدمات التي كتبت خصيصاً للسوترات" في المقدمة التي كتبها لترجمته لكتاب "التطور والأخلاق". وبدلاً من ذلك استخدم اقتباساتٍ من "كونفوشيوس" (٥٥١-٤٧٩ ق.ع.م. فيلسوف صيني ومؤسس "الكونفوشية" التي تعد منظومة أخلاقية / روحية أكثر من كونها ديانة، وقد ظلت هذه المنظومة العمود الفقري للتعليم في الصين لألفي سنة، وهو الأمر الذي يجعل منه أحد أعظم من أثروا بالإيجاب في التاريخ الإنساني. المترجم) وخصوصاً كتابه "سفر التغيرات"، حتى يبين أن مبادئ الترجمة الثلاثة التي قال بها: "الأمانة"

والمفهومية" و"الرشاقة" ليست قيماً خاصة به وحده بل تملك وراءها تاريخاً طويلاً وعريقاً، بصفتها قيماً طالما ركزت عليها الكتابات الكلاسيكية. وبينما يعترف "لوو" بعدم وجود دليل مباشر على أن "يان" كان قد "ورث" تلك المفاهيم الثلاثة من مترجمي الـ "سوترات" البوذية إلا أنه يخلع عليها - مع ذلك - أهمية تاريخية وسلالية (= صلات قريبي) خلال تأصيل جنورها. وتراه يقدم مقال "يان" بصفته تلخيصاً لما توصلت إليه المناقشات النظرية الأسبق عهداً حول ترجمة الـ "سوترات" البوذية إلى جانب التحضير البرنامجي للتظيرات اللاحقة عن الترجمة (١٩٨٣/١٩٨٤: ٦). والنقطة التي تتمتع بصحة مساوية وتتمثل في أن "يان فو" ربما يكون قد استلهم القوانين العامة الثلاثة للترجمة التي اقترحها "ألكساندر فريزر تيتلر" (Alexander Frazer Tytler (1747-1814) لم يرد لها ذكر، مع أن "لوو" أدرج في مقتطفاته المقال الذي كتبه "وو ليفو" Wuu Lifu، الذي أكد هذا الاستلهام (١٩٨٣/١٩٨٤: ٤٦١). وعندما يشير "لوو" إلى "تيتلر" في المقال أو المقدمة التي كتبها، فلقد كان ذلك بهدف الإشارة إلى أن الدراسة التي كتبها "تيتلر" نُشرت في الصين في عشرينيات (= عشرينيات) القرن العشرين، ولكن قوانين "تيتلر" الثلاثة لم تصادف رواجاً، مع أنها تكاد أن تكون مماثلة لمبادئ "يان" الثلاثة: "الأمانة" و"المفهومية" و"الرشاقة" (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٥-١٦) (٢٠)

● "تشابه الروح" (Shesi) كان "فولي" Fu Lie (1908-66) هو الذي انتصر في سنة ١٩٥١ لصالح أهمية التوصل لـ "تشابه في الروح" (٢١) إذ يقول: "عند الحديث عن الأثر، ينبغي أن تكون الترجمة أشبه بنسخ لوحة مرسومة فلا يكون الهدف مجرد إنتاج تشابه في الشكل وحده بل وتشابه في "الروح" (استشهد "لوو" بهذا النص (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٠ الترجمة ترجمتي). ولقد كان الرسام "جو كايزي" Gu Kaizhi هو أول من طرح أهمية نقل الروح (chuan shen) في (٣٤٨-٤٠٩ بالتقريب) كمبدأ لاغنى عنه عند رسم الصور الشخصية "البورتريهات"، ونمت هذه الأهمية حتى أصبحت بمثابة مفهوم رئيسي

في الجماليات (= علم الجمال) التقليدي، وكان "فولي" هو الذي حوِّله إلى مبدأ في الترجمة (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٥) وبذلك يكون "فولي" قد رفع الترجمة إلى منزلة الفن ورسم لها هدفاً أسمى من مجرد نقل الأفكار (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٣). وكان "يان فو" قد وصف ترجمته لكتاب "هكسلي" (التطور والأخلاق) بـ *dazhi* أو "أفكار منقولة"، وفي إطار الـ "نسق" الذي رسم "لوو" خطوطه العريضة، فإن تشابه الروح يُعد علامة مهمة على الطريق ومؤشراً على "التقدم" الذي نجم عن نصف قرنٍ من التفكير النقدي في المفاهيم الثلاثة التي دعا إليها "يان فو" (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٣). ويرى "لوو" أن نمط مثل هذا التفكير يُعد آية على حسن التقدير والتعمُّق المتزايدين. وخلال الفترة الأولى قوبلت المفاهيم الثلاثة بترحيب واسع بصفتها القواعد الذهبية للترجمة، ثم حدث أن ثارت شكوك حول صحة الـ "يا" (= الرشاقة) كمبدأ للترجمة، وبعد ذلك خضعت العلاقة بين الـ "إكسين" (= الأمانة) وبين الـ "دا" (= المفهومية) لمبدأ الجدل، ثم حازت الـ "إكسين" مكانة أولى وهبطت كلُّ من الـ "دا" والـ "يا" إلى منزلة ثانوية، ونتج عن مزيدٍ من التعمُّق في مثل هذا التفكير الاستنتاج الذي يقول إن الأمانة المطلقة ليست أكثر من مثال منشود، ولكن في طوع الترجمة أن تبلغ - في أحسن الأحوال - "تشابهاً" مع الأصل (١٩٨٣/١٩٨٤: ٩) بمعنى "تشابهاً في الروح" إذا شئنا الدقة.

حالة التحويل الكامل *huajing* - كما سبق لنا أن ذكرنا في الفقرة السابقة - كان "قيان زهونج - شو" هو الذي طرح هذا المبدأ في سنة ١٩٦٤ بصفته أسمى مستوى يمكن بلوغه في الترجمة الأدبية. وفي رأي "لوو"، عند مقارنته مع الـ "تشابه في الروح" فإن "حالة التحويل الكامل" تُعد خطوة أخرى إلى الأمام وتصل "حتى إلى مستوى أعمق" في ضوء ما تتطلبه من المترجم ودرجة الصعوبة التي ينطوي عليها ذلك (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٤) ومع ذلك فالتحويل الكامل والتام ليس سوى مثال لا يمكن بلوغه، ولكن وضع مثل هذا المقياس أدى إلى الحث على نشدان الكمال في الترجمة الأدبية.

لعله من الواضح ان "لوو"، في رسمه لخريطة تقاليد التفكير التنظيري حول الترجمة في الصين، قد استخدم عدداً من الإستراتيجيات. وهذه تشمل تحديد موضع المصدر وكشف الستار عن العلاقة الوطيدة بين شعريات (كالمجاز والجناس والإيقاع إلخ) الترجمة وشعريات الكتابة والفن الكلاسيكيين، وتخليق صلات قربي (خلال تأصيل الجنور) ورسم مسار التطور لمجرى يتميز بالتقدم. وقد وُفّر تحديد موضع مصدر نظريات الترجمة الصينية، بتعبير "داو أن" Dao An ، عوضاً عن تعبير "زهي قيان" وهو راهب غير صيني علّق هو الآخر على أهمية "تتبع المصدر" لـ "لوو" أن يحافظ - كما كان عليه - على "نقاء" التقاليد الصينية. (٢٢) ولقد تمكّن - خلال تصويره للنظريات الصينية عن الترجمة كانبثاقاتٍ من الخطاب حول التأليف الأدبي والرسم ومختلف الأنشطة الثقافية الأخرى - من الإلحاح على وجهة نظره التي ترى أن التقاليد الصينية منفصلة ومستقلة عن كافة التقاليد الأخرى للنظرية الترجمية. كما وُفّر التركيز على وجود علاقات قربي باستمرار خلال تتبع صلة القربي - حتى ولو كانت تنتمي أكثر لتشابه مطنون وذكريات كامنة وأصداءٍ شفوية وترجيحاتٍ مفهومية عوضاً عن دليل تجريبي صلب - لـ "لوو" أن يسلّط الأضواء على الاستمرار والتماسك الداخلي لهذه التقاليد العريقة. ومكّن الرسم الدقيق لخريطة التقدم "لوو" من استنتاج "أنا" - نحن الصينيين - قد ورثنا تركة غنية من نظريات الترجمة وأن الطريق إلى الأمام يكمن "في أن نفسراً بدقة فائقة العلاقات المتبادلة بين هذه النظريات (١٩٨٣/١٩٨٤: ٥) أن ونبني "نسقاً" يتمتع بخصائص فريدة تخصّنا نون سوانا (١٩٨٣/١٩٨٤: ١٩) مثل هذه الملحوظة تُعد في نفس الوقت دعوة للعمل ومحاولة من جانب "لوو" في السعي وراء التصديق على مشروعية ما قدمه خلال بحثه في ميدان الترجمة.

يعتبر مقال "لوو" محاولة في سبيل بناء الهوية. وينبغي لنا أن نلاحظ - مع ذلك - أنها هوية مختلفة بشكلٍ متميزٍ عما كانت "تطحنه" الماكنة الدعائية للدولة (الصينية) في مطلع الثمانينات ، نظراً لأن المقال خالٍ بصورة لا تخطئها عين من بلاغة الحزب الحاكم ووطائنته، وتكشف نظرة أخرى إلى الخلفية الثقافية أن محاولة "لوو" نحو بناء الهوية وتطوير الإستراتيجيات التي استخدمها في رسم خريطة

لتقاليد الترجمة كانت حقاً جهداً يبذله مثقفٌ يستجيب للوضع في عصره، وهو وضعٌ يجد أحسن وصفٍ له في سطور "بيتس" (1865-1939) Yeats ، (أحد أعظم شعراء أيرلندا في العصر الحديث وكان بالإضافة إلى ذلك مسرحياً وسياسياً تملكت فؤاده القومية الأيرلندية، وقد حصل على جائزة نوبل في الأدب سنة ١٩٢٣ . المترجم) "تتداعى الأشياء، ليس بوسع القلب أن يستمر صامداً"، كان مطلع الثمانينات وقتاً عصيباً بالنسبة للمثقفين، ففي أعقاب "الثورة الثقافية" مباشرة ساد شعور بالخراب والإفلاس الروحي، ومع انتهاء سياسات "الانفتاح" والإصلاح الاقتصادي، حدث تدفقٌ مفاجئٌ لأفكارٍ جديدةٍ وقيمٍ جديدةٍ ومبادراتٍ جديدةٍ ومثيراتٍ جديدةٍ وإغراءاتٍ جديدةٍ وكذلك تهديداتٍ جديدةٍ، وقد حاول مقال "لور" أن يثير قوة تلاحمٍ جديدة. وحدد مطرح هذه القوة في التقاليد والتراث والثقافة، وكان يستخدم البحث الترجمي في الابتكار الأيدولوجي لنظامٍ روحيٍ جديد، ومن جاء هنا تركيزه على بناء "نسقٍ خاصٍ بنا" (نحن الصينيين) .

٤ - استنتاج

بوسع الباحثين الأفراد أن يستخدموا البحث الترجمي - على نحو ما يتضح لنا من هذا النقاش - لأغراضٍ أيدولوجيةٍ مختلفةٍ عن تلك التي تصدقُ عليها الأيدولوجيا السائدة، بل وكسبيلٍ للتدخل في سياسات السلطة و/أو السياسات الثقافية للعصر. ومع أن اليوم يشهد إعفاءً كبيراً من الأشخاص من الاضطرار إلى إجراء بحوثهم في ظل وضعٍ من ذلك النوع المتخشبٍ أيدولوجياً الذي عرضنا له للتو بالتحليل، فليس هناك سبب يدعو للرضى. ودخولنا إلى عصر المعلومات الفائقة السرعة، الذي زلزل الصعوبة التي كانت تشكّلها الحدود الجغرافية والثقافية أمام انتقال كلٍ من الأفكار والأيدولوجيات بنفس الدرجة وجعل من احتمال قيام سلطة شمولية للأيدولوجيا أقل احتمالاً والأولى أقل إرعاباً من أي وقتٍ مضى، ولكن هذا يعني أيضاً أن أفراداً أكثر وأكثر سوف يواجهون أيدولوجياتٍ متنافسةٍ وسوف يضطرون إلى الاعتراف بهذا الأمر

كحقيقة فى صميم وعيهم، وبالتالي فإن من المهم أهمية فائقة كيف يتأتى للإصرار على الاختلاف ومقاومة الثقافة السائدة أن يتحقق، ليس كغاية فى حد ذاته، بل كوسيلة لتمكين الذات من القوة، وضمان أننا نظل مواطنين مفكرين وقادرين على الاشتباك بصورة نقدية مع الأيدولوجيات الحاكمة.

ومع أنني لا أحبذ أن يكون البحث أيدولوجيا بصورة سافرة، ومع وعيى بأن الحالات التى تطرقت إليها بالدرس هذه الورقة محدودة للغاية أو من القلة فى العدد بحيث لا تكفى لدعم أى تعميمات، إلا أنني أجد فى الاكتشافات التى توصلت إليها ما يحمسنى للدعوة إلى عبور الحدود، وبالتحديد الحدود بين مستوى - الموضوع object-level وما وراء - المستوى meta-level للدراسات الترجمية. وعضاً عن الإبقاء على البحث الترجمى - بشكله المعتاد من الحديث عن الترجمة - داخل نطاق ماوراء - المستوى، يمكن للبحث الترجمى أن يؤخذ كموضوع مشروع للدرس. ومن شأن هذا الأمر أن يركّز الانتباه على ما رأى فيه "ثيو هيرمانز" منذ وقت قريب لا يبعد عن سنة ١٩٩٩ "مشكلة" تتعلق بالدراسات الترجمية الوصفية، مشير إلى أن المناقشات حول تعذر الدفاع عن وجهة نظر تتسم باللامبالاة وتخلو - من - القيمة " لم تكد تبدأ" ("هيرمانز" ١٩٩٩: ١٤٦) وسوف تبدأ المناقشات أو تغدو غير ضرورية، عندما ينشأ اشتباك جاد مع القضيتين اللتين حاولت هذه الورقة، على ماهى عليه من انغماس فى الأيدولوجيا، أن تسلط عليهما الضوء وهما: أيدولوجيا البحث الترجمى وحمل الترجمة للأيدولوجيا إلى البحث الترجمى.

الهوامش

(*) هذه نسخة موسعة ومنقحة من ورقة قدمتها لأول مرة في المؤتمر الدولي حول "نماذج البحث في الدراسات الترجمية" الذي انعقد في مدينة "مانشستر" بإنجلترا في أبريل/يرمودة سنة ٢٠٠٢، ولعل أشعر بالامتنان لجامعة "هونج كونج" المعمودية لتوفيرها منحة الكلية للبحث Faculty Research Grant (FRG/97 98/II-49)، كي أجرى بحثاً في الموضوع. كما أننى ممتنة كذلك للبروفيسور "جين لاي" Jane Lai ود. "ستوارت كريستي" Stuart Christie ود.تان زيكي Tan Zaixi للتعليقات والاقتراحات التي طرحوها.

(١) في سبيل الاطلاع على معالجة مضيئة للأيدولوجية بصفتها مفهوماً يتطلب التنظير له إطاراً متعدد النسق multidisciplinary ، يجمع بين استبصارات علم المعرفة وعلم الاجتماع وتحليل الخطاب، انظر Teun A. Van Dijk (1998).

(٢) أعادت بريطانيا جزيرة "هونج كونج"، إلى الصين الشيوعية في سنة ١٩٩٧، بعد ظلت مستعمرة بريطانية منذ سنة ١٨٤٢، ولتبيد مخاوف شعب الجزيرة أعطت الصين هونج كونج ضمناً بأن تستمر "هونج كونج" مجتمعاً رأسمالياً لمدة خمسين سنة ويستمر سكانها يتمتعون طوال هذه الفترة بالحريات وأسايب الحياة التي كانوا يالفونها تحت ظل الحكم البريطاني. ومن هنا جاء التعبير "أمة واحدة ونظامان".

(٣) استلهمت هذين التعبيرين من التعبيرات التي استخدمها كل من "باسل حاتم" Basil Hatim و"إيان ماسون" في مناقشتها للأيدولوجيا والخطاب - "أيدولوجيا التترجيم" وترجمة الأيدولوجيا ("حاتم" و"ماسون" ١٩٩٧: ١٤٥، ١٤٦).

(٤) نظراً لما تمتع به "هو" من تأثير واسع على مثقفي وكتاب عصره، أولاً في الصين ثم في "تايوان" بالإضافة إلى العالم الخارجي - كما نستطيع أن نستدل من شهادات الدكتوراه الفخرية الخمس والثلاثين التي حصل عليها وهو لا يزال على قيد الحياة ("ي" 1987: 104 - Yi) - ونظراً لموقفه المناهض للشيوعية، فإن قصة حياته تعد محل نزاع حاد بين كتاب السير الذين ينتمون إلى مذاهب سياسية وأيدولوجية مختلفة، وللإطلاع على سيرة شخصية موجزة لـ "هو" انظر "هو شي" (١٩٦٨). وفي سبيل الاطلاع على سيرة تجتهد - بدرجات متفاوتة من النجاح - من أجل رسم صورة لـ "هو" خالية نسبياً من تحيزات السياسات الشيوعية، انظر "ي" (1987). وتكشف الدراسة التي كتبها "جيروم بي. جريدر" Jerome b. Grieder بعنوان "هو شي وعصر النهضة الصيني: الليبرالية في الثورة الصينية ١٩١٧-١٩٣٧ (١٩٧٠) ميولاً أيدولوجية مختلفة. فالدراسة تنتمي لتصنيف السيرة المثقفة وهي تقدم "أفكار" هو" وجهوده نحو تشكيل الاستجابة الثقافية في الصين للعالم الحديث، وتنطوي ضمناً على موقف مناهض للشيوعية (IX) وهناك أيضاً سير ذاتية كتبها عن نفسه. انظر على سبيل المثال "سيشي زيشو" Sishi Zishu "سيرة ذاتية عند

الأربعين من العمر" (هو ١٩٣٩/١٩٩٣) انظر كذلك: "هو شى كوشو زيزهوان" Hu Shi Koushu Zizhuan (= نكريات د. "هو شى" الشخصية) (١٩٨٣) أو النص الأصلي المكتوب باللغة الإنجليزية المحفوظ على هيئة مخطوط بالالة الكاتبة في أرشيف "مشروع التاريخ الشفوي" بجامعة كولومبيا.

(٥) نُشر هذا المقال لأول مرة في النورية الصينية البارزة للآراء الراديكالية زين قينج - نيان "Xin Qingnian" أى "الشباب الجديد" في يناير/طوية ١٩١٧، انظر "هو" (١٩١٧/١٩٩١). وقد نُشرت أجزاء من هذا المقال في "دى بارى" (De Barry (1960: 820-4).

(٦) في "المقدمة" التي كتبها "هو" لكتابه "تاريخ الأدب الشعبي (148-141: 1928/1998) " Baihua، يروى القصة الغريبة لنشر الكتاب، فلقد دأب على مراجعة المحاضرات قبل إلقائها في كل مرة بعد سنة ١٩٢١، وكان قد عقد العزم على القيام بمراجعة أكثر تدقيقاً، ولكنه لم يجد الوقت لذلك، وفي سنة ١٩٢٧ - وخلال زيارته لليابان - أبلغته أسرته أن تلك المحاضرات جُمعت على هيئة كتاب، جرى نشره بمقدمة طويلة كتبها صديقه "لى شا - وكسى" Li Shaoxi. كما علم أيضاً أن دار النشر التي نشرت الكتاب التي يديرها طلاب "لى" لم يطبعوا أكثر من ألف نسخة من الكتاب، وقد هدفوا من وراء هذا النشر الضيق النطاق توفير مادة مرجعية للطلاب الذين يحضرون دروساً حول تاريخ الأدب الصينى. ولما شعر بالحرَج لأن بعض الآراء التي أفصح عنها في هذه المحاضرات لم تكن "ناضجة" (١٩٢٨/١٩٩٨: ١٤٤) ووجد تشجيعاً كبيراً باكتشاف وثائق تاريخية ومواد جديدة تدعم التفسير الذي قدّمه للتاريخ الأدبى في محاضراته، فلم يسمح لنفسه بالتأخر أكثر من ذلك في مراجعة محاضراته. كما أعد أيضاً "أدب البوذية المترجم" (الجزءان الأول والثانى) لضمهما لهذه الطبعة المنقحة، وتكشف مقارنة بين عنوان طبعة سنة ١٩٢٧ التي أعدها "لى" ونشرها باسم "تاريخ "جويو" Guoyu (لغة قومية) وبين عنوان الطبعة التي أعدها "هو" بنفسه في سنة ١٩٢٨ وهو "تاريخ أدب "باى - هوا" أى الشعبى أو الدارج" عن أن "هو" لم يكن في البداية يضع الترجمة في الحساب عند رسم خريطة تاريخ الأدب.

(٧) تجدر الإشارة إلى أن العنوان الذي وضعه "هو" للكتاب باللغة - الإنجليزية هو: History of the Living Chinese Literature أى "تاريخ الأدب الصينى الحى" (iii: 1983 "hu") ولا يحتاج منا المغزى الأيدولوجى لهذه الترجمة من جانب "هو" لعنوان كتابه إلى تأكيد مزيد.

(٨) "جويجو" Jueju هو اسم الشكل الشعري، وهو يدل على قصيدة من أربعة سطور، كل سطر منها يضم خمسة حروف أو سبعة، مع نمطٍ نغمي صارم ونسقٍ خاص للقافية.

(٩) علّق "وانج كسيا - أومنج" Wang Xiaoming، وهو ناقد يعيش في الصين الأم، خلال نقد قوى ومحرك للذهن لـ "حركة الأدب الجديد"، على "الفرق الجوهرى" بين نشأة الأدب الحديث في الصين ونشأته في أوروبا. في حالة الصين سبقت النظرية الممارسة (وانج ١٩٩٣: ١٧١)، وشكّلت النظرية الكتابة الأدبية. وعلى ذلك جاءت الأعمال الأدبية التي كتبها أصحابها كمنتجات لبرنامج عقلاى سابق الإعداد. هكذا استهواه القول" (١٩٩٣: ١٧٢)

(١٠) ينطبق ما قلناه على الأعمال الأدبية التي كتبها "هو" نفسه. فبينما كان قوياً في كتاباته الأكاديمية وصياغته للبيانات كان ضعيفاً في التأليف الأدبى وجاءت كتاباته الأدبية هزيلة، على نحو ما يعترف هو نفسه بون حرج ("يى" ١٩٨٧: ١٨٠، "جريدر" ١٩٧٠: ٨٦) ولقد علّق أيضاً كل من "لو كسون" Lu Xun

و"ماو دون" Mao Dun ، وهما من أبرز الشخصيات في "حركة الأدب الجديد" على "العزلة" التي يعاني منها الكتاب الذين يكتبون بالـ "باي - هوا"، وعلى وجه خاص خلال السنوات الخمس الأولى للحركة ("ماو" ١٩٢٥/١٩٨٠: ٤، "لو" ١٩٢٥/١٩٨٠: ٨). بل ومنذ ما يرجع إلى سنة ١٩٢٥، وجد "كسو زيمو" Xu Zhimu ، وهو شاعر مشهور كتب باللغة الشعبية الدارجة، ووجد في النجاح الذي حققته إعادة إصدار "جيا بين" Jia Yin ، (= النمر) وهي مجلة أسبوعية باللغة الصينية القديمة وناطقة باسم منتقدي "حركة الأدب الجديد"، ما حفّزه على أن يعلّق بأن "النمر" أوسع انتشاراً في ضوء أرقام التوزيع على الأقل من مجلات الـ "باي - هوا" الأخرى ذات التوجه المشابه في المضامين ("كسو" ١٩٢٥/١٩٨٠: ٢٣٠-١)

(١١) تُرجمت كلمة الـ "رينيسانس" (= نهضة) Renaissance في أول الأمر في الصين إلى "كسين شاؤو" Xin chao أي (= تيارات جديدة) أو "زين سيشارو" Xin sichao (= تيارات جديدة في الفكر). وما كان يعنيه بـ "نهضة صينية" أوضحه الرجل في مقاله المعنون بـ "معاني الـ زين سيشارو" Xinsishao de Yiyi ("هو" ١٩١٩/١٩٥٢). كما أعطى عدداً من المحاضرات، باللغة الإنجليزية حول الموضوع. انظر "هو" (١٩٢٦/١٩٩٥) و"هو" (١٩٣٤). والسبب الذي يقف - وهو سبب أيديولوجي إلى حد كبير - وراء تفضيل "هو" لوصف ما يريد أن يحدثه في الصين بمصطلح "نهضة صينية" بدلاً من أي وصف آخر من الأوصاف التي كانت جارية في ذلك الوقت مثل "زين وينهوا يوندونج" (أي) Xin wenhua yundong "الحركة الثورية الجديدة" أو "وينزوي جيمنج" wenxue geming (= "الثورة الأدبية") تجده مشروحاً في "زهونججو ويني دي فكسينج Zhongguo Wenyifuxing (= النهضة الصينية: أربعة أبعاد للمدلول") ("هو" ١٩٨٣: ١٧٥-١٧٦)

(١٢) ينبغي أن نشير هنا إلى أن النقاد ظلوا لسنوات طويلة لا يعترفون بالكتابات التي أنجزها "قيان" في ميدان الأدب القصصي في الصين الأم، إلى حد كبير نظراً لأن "قيان" لم يضع أدبه في خدمة القضايا السياسية والاجتماعية، والحقيقة أن البروفيسور "سي. في. هسيا"، وهو صيني الذي يعيش في الولايات المتحدة هو الذي "اكتشف" مواهب "قيان" ككاتب روائي، وقدّر أن رواية "قيان" المعنونة باسم "القلعة المحاصرة" weicheng التي نشرت أول مرة في سنة ١٩٤٦، "ربما" تُعد "أعظم رواية" في الصين الحديثة، وذلك في كتابه الحجّة "تاريخ الرواية الصينية الحديثة" ١٩١٧-١٩٥٧ (١٩٦١: ٤٤١) ولم يُنشر العمل الضخم الذي كتبه "قيان" يقع في أربعة مجلدات باسم "جوان زهوي بيان" Guan Zhui Bian (= آراء مقيدة: مقالات حول أفكار وخطابات) إلا في سنة ١٩٧٩، وهنا بدأ النقاد في الصين الأم يولون أعماله عناية جادة وأصبح "قيان" شخصية أدبية معتمدة، وفي سبيل الاطلاع على سرد سيرى مفصّل باللغة الصينية، انظر "كونج" (1992) Kong وللاطلاع على سرد ملخّص للسيرة باللغة الإنجليزية انظر مقدمة المترجمين لـ "القلعة المحاصرة" Fortress Besieged ("كيلي" و"ماو" ١٩٧٩)

(١٣) نُشر كتاب "ترجمات لين شو" لأول مرة في Wexue Yanjiu Jian (مختارات من الدراسات الأدبية) الجزء الأول في ١٩٦٤ وقد ترجم "جورج كاو" George Kao الجزء الأكبر من هذا المقال إلى الإنجليزية ونشره بعنوان "عودة إلى لين تشين - نان"، أو "قيان" Quinan - وفقاً للنسق الكتابي المعروف باسم "بينين" Pinyin المستعمل في هذا المقال - وهذا هو اللقب الفخري لـ "لين شو" ("قيان" ١٩٧٥) وأنا أعتد هنا على الطبعة التي صدرت في سنة ١٩٦٤ بدلاً من الطبعة اللاحقة (التي نُقّحها "قيان" بشكل طفيف) في مناقشتي هنا نظراً لأهمية قراءة النص في سياق عصره، الأيديولوجي والسياسي والتاريخي.

- (١٤) هذا هو التقييم الذي أعطاه "ماو دون" Mao Dun في التقرير الذي قدمه - بوصفه وزير الثقافة - في المؤتمر القومي حول الترجمة الأدبية الذي انعقد في سنة ١٩٥٤ ("ماو" ١٩٥٤/١٩٨٤: ٢).
- (١٥) هذا هو عنوان الترجمة إلى اللغة الإنجليزية لهذه الأحاديث التي نشرتها دار نشر اللغات الأجنبية في سنة ١٩٥٦ .
- (١٦) يذكر أيضاً "رباعيات عمر الخيام" التي ترجمها "إيوارد فيتزجيرالد" إلى الإنجليزية عن الفارسية وحظيت بشهرة واسعة في الصين في وقتٍ من الأوقات.
- (١٧) يسوق "قيان" هذه الأمثلة: تفضيل "ولتر هوراشيو باتر" للترجمة التي أبدعها "شارل بودليير" إلى الفرنسية لمجموعة القصص القصيرة التي كتبها "إدجار آلان بو" على الأصل الإنجليزي الذي كتبه "بو" نفسه بالإنجليزية والتفضيل " المنسوب لـ"يوهان وفانج فون جوتة" للترجمة التي قام بها "جيرارد دي نرفال" لمسرحيته أي مسرحية "جوتة" إلى الفرنسية على عمله هو نفسه، واعتراف "وولت ويتمان" بأن الترجمة التي جادت بها يدا "إف. فريليجراث" إلى الألمانية لمجموعته الشعرية "أوراق العشب" قد تكون في الحقيقة أحسن من الأصل الإنجليزي. (١٩٦٤: ٢٥)
- (١٨) لمزيدٍ من الاطلاع على معلوماتٍ سيرية biographical عن "لوو" انظر "لوو اكسينو - هانج" (١٩٨٨) و"وو" (١٩٩٧).
- (١٩) نشر "سى. وى. هسيو" ترجمة إلى اللغة الإنجليزية لهذه المقدمة بعنوان "ملاحظات عامة حول الترجمة" في سنة ١٩٧٣، انظر "يان" (١٩٧٣).
- (٢٠) يكشف "لوو" في مقال نشره بعنوان ("فن الترجمة عند "قيان زهونج - شو") في سنة ١٩٩٠ أن "قيان" أبلغه في رسالة أرسلها إليه أن مفاهيم "يان فو" الثلاثة "الأمانة" و"المفهومية" و"الرشاقة" مستمدة من بحثٍ لـ"تيتلر" نشره بعنوان "مقال حول مبادئ الترجمة" (١٧٩١) وأن "قيان" سلّمه مصدر هذه المعلومة (١٩٩٠/١٩٩٦: ١٤٧) ولكن "لوو" لم يذكر تاريخ هذه الرسالة بالضبط، واكتفى بالقول بأنه تلقاها بعد أربع سنوات من نشر "قيان" لكتابه المعنون بـ "آراء مقيّدة: مقالات حول أفكار وخطابات". وقد نُشرت الطبعة الأولى لهذا العمل في أربعة مجلدات في الفترة من أغسطس/أبيب حتى أكتوبر/يابه ١٩٧٩. أما مقال "نسق في حد ذاته - نظريات بلادنا الترجمة" فنشر لأول مرة في كتاب "ملاحظات المترجمين" في ١٥ يوليو/يؤونة ١٩٨٣ و١٥ أغسطس/أبيب ١٩٨٣. وقد ظهر هذا المقال نفسه كمقدمة لكتاب "مقتطفات لمقالات حول الترجمة" الذي نُشر في مايو/بشنس ١٩٨٤، وتشير هذه التواريخ إلى أن "قيان" ربما يكون قد أرسل رسالته إلى "لوو" بعد أن قرأ مقال "لوو" في ١٩٨٣، وينبغي أن نلاحظ هنا - بالتالي - أن "لوو" ظل يلزم الصمت تجاه هذه النقطة حتى سنة ١٩٩٠، عندما طرح موضوع نشأة مفاهيم "يان فو" للنقاش مرة أخرى في مقال ("فن الترجمة عند "قيان زهونج - شو") وحتى عندئذٍ اختار أن يقدم الموضوع على اعتبار أنه قضية لم تُحسم بعد في تاريخ الترجمة في الصين (١٩٩٠/١٩٩٦: ١٤٧) وينطوي مثل هذا التقديم على مغزى، نظراً لأن "لوو" أفصح في كتاباته عن توقيير بالغ لـ "قيان"، وناشراً - لو كان قد حدث - ما شكك في النتائج التي يتوصل إليها في أبحاثه. والحقيقة أن "لوو" اعتمد على حجبة شغل "قيان"، المرة تلو المرة في مقاله "نسق في حد ذاته - نظريات بلادنا الترجمة".

- (٢١) كان "فولي" Fu Lei مترجماً عريض الصيت للأدب الفرنسي إلى اللغة الصينية ومعلماً لـ "لوو اكسنج" - هانج" وكان قد بدأ يمعن النظر في "تشابه الروح" كالأثر الذي يتعين أن يصبوا إليه المترجمون في مقدمته لترجمته لرواية "الأب جوريو" Le Père Goriot لـ "أونوريه بوبلزك" Honoré de Bahzac (روائي فرنسي مشهور من أعماله الأساسية "الكوميديا الإنسانية" ١٧٩٩-١٨٥٠. المترجم)
- (٢٢) زهي قيان، مواطن من "ييشي" Yueshi عاش في القرن الثالث من العصر المأكوف أو الحقبة المسيحية، وكان قد تطرق بالنقاش لمزايا وعيوب فكرة "تتبع المصدر" باعتبارها المبدأ الأسمى في الترجمة في المقدمة التي كتبها لـ "دارمابادا" Dharmapada في سنة ٢٢٤ م.ع.م. أي قبل أن يعلّق "داو أن" على نفس الموضوع بما يزيد على مائة وخمسين سنة. (تشين 1992: 15) ولقد أدرج "لوو" مقدمة زهي قيان لـ "دارمابادا" أيضاً في "مقتطف لقايات عن الترجمة" (زهي ١٩٨٤/٢٢٤) وبالتالي فإن تفضيله لتعبير "داو أن" يكون عن قصد.

الفصل العاشر "تالوك" يزأر

أمريكا الأصلية والغرب والترجمة الأدبية

جوردون برذرستون Gordon Brotherston

خلاصة:

قبلت المواجهة مع تحديات النصوص الأمريكية الأصلية النماذج التي تصطنعها الدراسات الترجمية. والمترجمون الغربيون الذين يتصدون للنصوص الأصلية يواجهون مشاكل لا تتعلق وحسب بالأبنية اللغوية المختلفة بصورة جذرية عما ألفوه، ولكن أيضاً القحط في وجود تقاليد أدبية معروفة أو حتى الطمس المتعمد لمثل هذه التقاليد. وهذه بدورها قد تنطوي على عمليات نسخ اللغات الأمريكية الأصلية بحروف لاتينية، ليس من الأداءات الشفوية وحدها ولكن من الأنساق السابقة للغة المرئية التي كشفت الفلسفة الغربية عن عجز مفرج عن فهمها حق الفهم.

ويتمثل نسق الاختلاف أفضل ما يتمثل في تلك الكتب المزوجة الصَّفح المعروفة عن أمريكا الوسطى *mesoamerica* التي تستخدم نسقاً من العرض يسمى قلم الـ "تلاكويلولي" *tlacuilolli* بلغة "النهواتلي" *Nahuatl* وقد تسجل لغة الـ "تلاكويلولي"، وهي لغة تفتقر إلى الصوائت *vowels* المفاهيم الصوتية عندما نريد منها ذلك، وهي إلى جانب ذلك غاية في المرونة، إذ تتكيف بالتناوب مع سرد حكاية أو رسم أيقونة أو خريطة أو جدول رياضي. ولما كانت تدمج في كل واحد بين ما نرى فيه نحن مفاهيم منفصلة للحرف والصورة والرقم الحسابي، فهي تزدرى المفاهيم الغربية للكتابة والأدب. وتنطوي قراءة وترجمة هذه والنصوص الأمريكية المشابهة على إعادة - تفكير جذرية فيما كان

ليبدو، لولا إعادة التفكير هذه، أشد المقولات الغربية صلابة وأكثرها جدارة بالاعتماد عليها، ومغامرة فلسفية قد تكشف بدورها عن ثوابت جديدة وتقترح نماذج جديدة للدراسات الترجمية.

عشية الذكرى الخمسمائة، أى بعد مرور خمسة قرون على الفتح/اللقاء/ الغزو الذى بدأه "كولومبوس"، فكّرت "اليونسكو" (المنظمة العالمية للتعليم والعلوم والثقافة United Nation Educational, Scentific and Cultural organization) فى تعزيز فهم أكمل للسكان الأصليين للقارة عن طريق نشر بعض المعلومات الموثقة على هيئة مقال عن المكسيك فى دورية "كوريير" Courier ، وكان المقال - وهو بالإسبانية - بقلم الحجة البارز "ميجيل ليون - بورتيليا Miguel León-Portilla" ، ويدور حول فكرة وجود ثقافة مكسيكية أعمق، بتواريخ غنية وعريقة لشعوبها، وهى تواريخ معروفة بصفة جزئية، والفضل فى ذلك راجع إلى السجلات المحلية التى ترجع إلى الوراء إلى عدة آلاف من السنين. وبذلك يكون من الغريب حقاً أن نقول - بطريقة أو أخرى - أن تاريخ المكسيك بدأ فقط بعد وصول "كريستوفر كولومبوس" و"كورتيس" (الماركيز "هرماناندو كورتيس" ١٤٨٥-١٥٤٧ هو الفاتح الإيبانى الذى قاد قوات غزو المكسيك كى يطيح بإمبراطورية "الأزتيك" فى الفترة من ١٥١٩-١٥٢١ ويضمها إلى التاج الإيبانى. المترجم). ويجوار مقال "ليون - بورتيليا" ظهرت ترجمة إنجليزية مصاحبة، وفى هذه الترجمة تعدّلت بعض المصطلحات الرئيسية - كلمة memoria - على سبيل المثال - التى يمكن أن تعنى بالإسبانية إما "ذاكرة" أو "وثيقة أشبه بالسيرة الذاتية"، ولكن جوهر القضية ظل بصورة ملموسة، على ما هو عليه.

وبالتالى كم كان من المستغرب أن هذه المحاولة الحسنة - الطوية - فيما بدا واضحاً - من جانب منظمة "اليونسكو" نحو تعزيز فهم أعمق للسكان الأصليين للعالم الجديد، يمكن أن تصطدم بواحدٍ من أعظم المعلقين المعروفين على الترجمة اليوم، فلقد مضى "لورنس فينوتى" بالاعتماد على تحليل بارع سابق لـ "إيان ماسون" (1994) Ian Mason فى اتجاهٍ مستقلٍ بذاته، كى يكتشف أن الترجمة الإنجليزية للمقال الإيبانى -

المكسيكي تبعث على الرثاء ، وقد سلط الضوء عليها في الصفحات الافتتاحية لكتابه المعنون "فضائح الترجمة" (1998) *The Scandals of Translation* . والمجال هنا ليس مجال الخوض في تفاصيل الاعتراضات التي أفصح عنها "فينوتى" أو الدخول فى محاكمة حول فهمه للإسبانية - المكسيكية، وكل ما يهمنى هنا هو المقدمة اللغوية - الاجتماعية التي تركز عليها تعليقات "فينوتى". ف "فينوتى" يعنّف - بعد - تأسيس ثنائية واضحة بين الثقافتين الغازية والمستقرة فى المكسيك على أساس المكتوب والشفوى المترجم الناطق باللغة الإنجليزية لتحبيذه - بصورة خبيثة - الثقافة الأولى على حساب الثانية، ولتقليله من شأن المكسيكيين الأصليين، الذين كانوا يعيشون فى البلاد قبل وصول "كولومبوس"، والذين تُقدم ثقافتهم الشفوية بصفقتها أدنى، وخصوصاً كوسيلة لسرد أحداث الماضى" (١٩٩٨: ٣).

ولسوف يكون هذا النوع من قراءة الكيفية التي اقتحمت بها الإمبريالية الغربية غير - الشفوية الأمريكيتين مألوف تماماً. فهذه القراءة موجودة بالفعل فى "مقالات" "مونتاني" (1533-1592) *Montaigne* (أحد رجال البلاط الفرنسى خلال عهد "شارل" التاسع، ومؤلف *Essais* وهى المقالات التي عكست نزعة الشك وتعليماً كلاسيكياً باللغة اللاتينية وأسست لنوع أدبى جديد. المترجم) حيث أفصح عن تعاطفه مع السكان الأصليين لـ "عالم جديد لم يغادر مرحلة الطفولة بعد حتى يتمكن من تعلم أبجديته" ("برذرستون ١٩٩٢: ٤١). (١) وعبر "روسو" *Roussaeu* (٢٨ يونيو/بؤونة ١٧١٢ - ٢ يوليو/أبيب ١٧٧٨ فيلسوف ومنظر سياسى فرنسى ألهمت كتاباته ورواياته زعماء الثورة الفرنسية ورواد الحركة الرومانسية. أشهر كتبه هو "العقد الاجتماعى. المترجم) و"نوسوسير" *De Saussure* (٢٦ نوفمبر/بابة ١٨٥٧ - ٢٢ فبراير/أمشير ١٩١١، وهو أعظم علماء اللغويات فى النصف الأول من القرن العشرين، وقد أصدر تلاميذه أهم كتاب له وهو "محاضرات فى اللغويات العامة" فى "جنيف" فى سنة ١٩١٦ المترجم) جاءت - أى هذه القراءة - كى تدعم - بصورة عميقة - بنيوية "ليفى - اشتراوس"، بتركيزها المكثف والكلى على ما راج عنها اسم "أمريكا الشفوية"، وأشير هنا إلى المجلدات الإضافية الأربعة التي كتبها "ليفى - اشتراوس" بعنوان "أساطير" (1967-74) *Mythologies* .

وخلاصة القول مثل هذه القراءة تتبهننا - بحق - إلى الدور الذي لعبته الأبجدية نفسها كسلاحٍ فر التوسع التاريخي للإمبريالية.

ومع ذلك فما تتجاهله هذه القراءة يتمثل في تفكيك "دريدا" لكل ذلك، خلال برهنته الدقيقة على الكيفية التي يمكن للقلم script أن يُشفرُ بأكثر الأساليب والوسائل الإعلامية تعدداً، بما يشمل في نهاية المطاف الكلام نفسه، وهو الأمر الذي هراً كثيراً من الحدود الحاسمة - فيما يفترض - بين ما هو مكتوب وما هو شفوي، ويرى "دريدا" - وما - بعد - البنيويين معه - أن الاعتماد - بشكلٍ مطلقٍ إلى ذلك الحد - على تلك الثنائية بين المكتوب والشفوي يتعين أن يكون محل تشكك، إذ يشير إلى نوع من "المركزية -الصوتية" phonocentrism ، التي قد يتضح في الممارسة أنها ربما تكون من الناحية الأيدولوجية أكثر شؤماً من نشر أبجدية ما.

في نطاق مجالنا - أي الترجمة - وإذا أسسنا حكماً على التركيز المعن للأعمال التي ظهرت على امتداد العقود الأخيرة، فقد يتضح لنا أن مثل هذه "المركزية - الصوتية" تمثل العرف المعمول به تماماً. وحيثما أو عندما نقابل فحوصاتٍ عن قربٍ للمسألة الهائلة الغنى للقلم والترجمة - من تاريخ التدوين بين مختلف أنساق الكتابة إلى نوع من الاهتمام باللغة المرئية التي نمطها، فلنقل "أبولونير" Apollinaire في كتابه Calligrammes أو "الشعر الجسم" Concrete Poetry ("هيريك" 1975 Hereck "كامبوس" 1975 Campos). وعندما قررت - بجسارة واضحة - مؤتمرات الترجمة الأدبية افتتاح "ورشة للكتابة" Atelier d'écriture في سنة ١٩٩٦، اتضح أن الورشة مشدودة كلية إلى الاختلافات بين الفرنسية المنطوقة وتلك المكتوبة - دون أي اهتمام - حتى تاريخه بقضية اللغة المرئية بصفتها تلك (فولكوفيتش 1997 Volkovitch).

وعلى أي حال - في الحالة الراهنة من الثقافات المحلية للمكسيك - يجب أن يلوح النقد الذي ساقه "لورنس فينوتي" لترجمة "اليونسكو" في غير محله في أحسن الأحوال، فالعبارات نفسها التي توقف عندها باعتبارها "سوء ترجمة" إلى الإنجليزية تحمل في طياتها من اللغة الإسبانية سلسلة من الإشارات المباشرة إلى ثروة الماضي

المدون (= المكتوب) للمكسيك: جسمور النقوش والتواريخ المحلية والقومية للسكان الأصليين للبلاد، ومع ذلك فلقد عجز على نحوٍ أو آخر عن رصد ما تقوله الاقتباسات في الواقع الفعلي، في ظل استحواذ ثنائية المكتوب/الشفوي عليه.

وذلك لأن في تاريخ الكوكب الأرضي، تُعد المكسيك أو أمريكا الوسطى - دون منازع - إحدى بلدان الكتب الـ "أموكستلي" Amoxtli بلغة الـ "نهواتلي" و"أوه" uoh بلغة الـ "مايا"، أي النصوص المرقمة الصفحات المصنوعة من الجلود والورق/ والمعروفة على وجه العموم بالـ "مخطوطات" ("ماركوس" Marcus 1992 : "بون" Boone و"مانويلو" Magnolo 1994 ، و"برنرستون" ١٩٩٥) فقبل الغزو الأوروبي بوقت طويل كان وعى الفرد بما إذا كان أمياً أم لا جزءاً لا يتجزأ من التجربة المحلية. ويستمتع "ميجيل ليون - بورتيليا" من ترديد القصة التي تقول إن نيكارجوياً كان يعيش في شرق أمريكا الوسطى في القرن السادس عشر دخل على أحد الإسبان بينما كان يقرأ في كتاب بين يديه فقال له بدهشة وبهجة:

- أواه! ها أنتم أيضاً تعرفون الكتب.

وقد توسل كهنة "الأزتيك" في رفضهم لبعثة "الفرنسيسكان" التي توجهت إليهم كي تحوّلهم إلى الديانة المسيحية في سنة ١٥٢٤ بالحقيقة التي تقول إن الكتاب المقدس ليس بحد ذاته، بالضرورة - مبرراً للإنفراد بالسلطة طالما كانت لهم كتبهم المقدسة الخاصة بهم (ليون - بورتيليا" ١٩٨٦، ١٩٨٩) وقد اعتمد المؤرخ "تشيمالباهين" Chimalpahin على هذه التقاليد نفسها، عندما كتب - بعد ذلك بقرن من الزمن - باللغة المعروفة باسم "الناهواتلي"، في إطار محاولته للربط بين مطلع التقاليد المسيحية والتقويم الأزتيكي - على سبيل المثال تدمير "فيسباسيان" (٩-٧٩ م.ع.م. إمبراطور روماني حكم من ٦٩ حتى ٧٩ أسس أسرة "فلافْيوس" المالكة بعد الحرب الأهلية التي تفجرت عقب رحيل "بيرون" سنة ٦٨ م.ع.م. المترجم) لـ "أورشليم" في سنة ٧٠ م.ع.م. (برنرستون ٢٠٠٢: ٢٤٤) وقد اختار مؤلفو المخطوطات المكسيكية لحظة الإصلاح الذي أدخله جريجوري (قام البابا "جريجوري" الثالث عشر بتصحيح التقويم اليولياني الذي حسب طول السنة

الشمسية بـ ٣٦٥ يوماً وربع في حين أن هناك فارقاً بسيطاً يتحول إلى يوم كل قرن، فالسنة بالدقة تتكون من ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية. المترجم) في سنة ١٥٨٢ - الذي اجتهد بصورة متأخرة نوعاً ما في تحسين التقويم الروماني العاجز بصورة فادحة - كي يشرعوا في إجراء مقارنة شاملة بين النسق المستورد أي الأوروبي ونسقهم المحلي في مجال التأريخ، وفي نفس الوقت كانوا يقيّمون بشكل نقدي - دائماً داخل نطاق القلم الأيقوني المكسيكي - نموذج "العناصر" الأربعة التي قال بها "أرسطو" (٣٨٤-٣٢٢ ق.ع.م. فيلسوف يوناني يراه كثيرون قمة ما أبدعه العقل اليوناني القديم، من أشهر كتبه "عن فن الشعر" الذي حاول العرب ترجمته في العصور الوسيطة. المترجم) وعلى المستوى الكمي وحده - ليس في وسع مثل هذا العدد - إلا أن يرفع هذا السؤال: "تري في سنة ١٤٩٢ من الذي دخل تاريخ من؟"

يعود بي كل ذلك إلى نقطتي الرئيسية الأولى: في التاريخ العام لقصة العلاقات بين الغرب ومايسميه "إريك وولف" Eric Wolf بـ "شعب بلا تاريخ" (١٩٨٤) بين أوروبا والآخرين" من وجهة نظرها، ونوع النموذج الذي أصبح بارزاً للعيان من واقع الاهتمام بالتغلغل الفرنسي والبريطاني اللاحق في أفريقيا - أي الـ tiers monde الأصلي بالفرنسية أو الـ Third World كما يقول الإنجليز (= العالم الثالث) - قد لا يكون غير ملائم إلى ذلك الحد الذي يكون عنده مضملاً عند تطبيقه على الأمريكيين الأصليين. فأعراف "الكومونولث" (كيان سياسي يتأسس بموجب القانون لرعاية الصالح العام، وقد استعمل مفكرو القرن السابع عشر وخصوصاً "توماس هوبز" و"جون لوك" المصطلح في الدلالة على مفهوم الجماعة السياسية المنظمة، ولكن الاستعمال الحديث توسع في معناه. المترجم) يمكن أن يتضح - على سبيل المثال - اعتراضها طريق الاستبصار الذي انتهجه "جاك جودي" Jack Goody، عندما شرع في الحديث عن معرفة القراءة والكتابة في المجتمعات التقليدية مثل مجتمع الـ "مايا" ("ليس واضحاً على وجه التحديد من كان يعرف القراءة والكتابة في تلك اللغة"، ١٩٦٨: ٦) وعوداً على بدء - مع أن خط الرؤية تعرض للانعكاس - إلا أن كثيراً من نهج "جودي" استمر على قيد البقاء بصورة فعالة في كتاب "جوردون كوليبه" Gordon Collier المعنون "نحن/هم، الترجمة والنسخ

الصوتى (= كتابة اللغة بحروف أدق فى تمثيل الأصوات من الحروف الأبجدية المعروفة. المترجم) والهوية فى الثقافات الأدبية فيما - بعد - الاستعمار، "Us/Them. Translation, (1992) *Transcription and Identity in Post-Colonial Literary Cultures*" إلى ذلك الحد الذى يُشار فيه إلى "النسخ الصوتى"، فإن هذا النسخ الصوتى يبرهن فى الممارسة باستمرار أنه نسخٌ من مصادر منطوقة (الكاريبية أو لغة سكان جزر البحر الكاريبي والأمريكية الأصلية) إلى الأبجدية الرومانية أو اللاتينية المستوردة. هذا، بصرف النظر عن السؤال الذى لا يزال أكبر وأكثر إلحاحاً حول مالذى يمكن أن يعنيه على وجه التحديد مفهوم "الما - بعد - استعماري" فى عالم تسيطر عليه الإمبراطورية فى الحقيقة بصورة أشد إحكاماً من أى وقت مضى. وفى سياق أسسه كلٌ من "تياسوينى نيرانيانا" (1992) Tejaswini Niranjana ، و"ديلزلى" Delisle و"ودزورث" (1995) Woodsworth، و"باسنيت" Bassnett و"تريفيدى" (1999) Trivedi وآخرون، أخذت هذه النقطة حقها من النقاش، من جانب كلٍ من "إلزي فيرا" Else Vieira "سجلاتُ جديدة للترجمة فى أمريكا اللاتينية" - *New Registrers for Translation in Latin Ameri-* (1998) ca ، و"فرانسيس كارتونين" (1994) Frances Kartunen مع إشارة خاصة إلى الأمريكين الأصليين.

ويتعبير آخر نجد أن الترجمة فى أمريكا الأصلية فى واقع الأمر، يمكن وينبغى لها أن تسير فى "كلا الاتجاهين"، داخل نطاق مفهوم "بورديو" (1988) Bourdieu لـ "الميدان" الأدبى، فبينما أخذ الغرب - دون شك - ولا يزال يأخذ ما يقع عليه اختياره، خلال التجوال الطمّاع الولوع بالكسب للغازى/الفتاح القديم أو جامع المقتطفات الحديث، إلا أن هناك الجانب الآخر للموضوع، وهو الاستجابة المحلية المستمرة من جانب الأمريكين الأصليين. وتشمل الأمثلة البارزة فى هذا الصدد إعادة صياغة "فاوست"، حسب الأعراف والمنطق الداخلى لنسق التسجيل المعروف عند قبائل "الإنكا" Inca باسم الـ "كيبو" quipu ، كما جرى تكييف "سندريللا" للتقويم الشهرى المعروف عند الـ "مابوتشى" فى المخروط الجنوبى Southern Cone ، ولفلسفة "ناباخو" Navajo فى استئناس وتربية الديك الرومى، و"إيسوب الأزتيكى" Aztec Aesop و"كولدرين

الأزتيكى "Aztec Calderón" وروايات الـ"المايا" لـ "ألف ليلة وليلة" (برذرستون" ١٩٩٢: ٣١١-٤٠) وفي أمريكا الأصلية نظّر المنظرون للترجمة بل وأدرجوها في مفاهيم عامة، تماماً مثلما انتشرت على مستوى الممارسة، قبل مجئ "كولومبوس" بوقتٍ طويل، وعلى وجهٍ خاص في بلاطى كلٍ من مملكة "تنوشيتلان" Tenochtitlan و"كوزكو" Cuzco . وإذا عدنا إلى نقوش اللغة الـ"مايانية" الكلاسيكية، لوجدنا عباراتٍ موحية من نوع النصوص الموازية مكتوبة أو منقوشة بالهيروغليفية الـ"مايانية" والقلم الأيقونى المكسيكى، مما وجده المستكشفون في "كوبان" Copan (= مدينة قديمة مايانية كانت مركزاً مهماً للفنون وعلم الفلك وقد ازدهرت في الفترة الكلاسيكية من ٣٠٠ - ٩٠٠ م.ع.م. وهي تقع حالياً في غرب "هوندوراس" قرب الحدود مع "جواتيمالا" بأمريكا الوسطى. المترجم) التي ترجع إلى القرن الثامن م.ع.م.

أشار "جيمس كليفورد" James Clifford ، في إطار الجدل حول "الثقافة المدونة" (١٩٨٨) إلى مشكلة "التشويش" التي تدور حول كيف ما يُشار إليه بشكلٍ عام، بنصوصٍ إثنوجرافية سوف يتعرض للتشويه دائماً، على نحوٍ أو آخر خلال مقدمات و"أجندات" المراقب أو الجامع "الغريب". وفي هذه الأضواء تقوم النصوص المؤلفة باللغات المرئية وأقلام العالم الجديد - على النقيض من ذلك - مقام طاق (= شبّاك) مباشر. وتشكّل هذه النصوص الأمريكية مصدراً نفيساً ينطوى على أهمية نظرية كبرى لدارسى الترجمة، إذا نظرنا إليها في حد ذاتها وربطنا بينها كما ينبغي، وهو الأمر الذي ندر ما حدث معها في الممارسة العملية.

يمكننا ويجدر بنا أن يمضى بنا التفكير، طالما كانت "أمريكا الوسطى" تعتمد - كما كانت عليه في الواقع - على قلم نستطيع من الناحية الوظيفية أن نقارن بينه وبين قلم أوروبا الغازية - في ضوء أنساق متكافئة وأن نحترس باستمرار من الافتراض الغربى السهل بالتفوق الثقافى - ليس في الوقت الحاضر وحده - وهو أمرٌ سيئٌ بما فيه الكفاية، بل وعند إسقاطه أيضاً على الماضى، وهو أمرٌ غريب، ومع ذلك فهو لا يزال سائداً بصورة غالبية ، وفي القرن السادس عشر، وبينما كان الراهب الفرنسيسكانى

برناردينو دى ساهاجون Bernardino de Sahagún يصنّف كتابه الموسوعى "تاريخ المسميات فى إسبانيا الجديدة" *Historia de las cosas en Nueva España* نجده يستعير قطع النص الموازى: النص الـ "ناهواتلى" على الصفحة اليسرى وترجمته الإسبانية على الصفحة اليمنى المقابلة. وهنا لا يصعب علينا أن نرى إلى أى حد يقلص النص الإسباني فى الحقيقة ويحقر النص الـ "ناهواتلى"، ولكن ما هو جدير أكثر بالملاحظة كم كان من النادر أن يؤخذ مثل هذا التقليل على أنه تناظر ليس مع الإستراتيجية المرسومة بتحقيق السكان الأصليين بقدر المحدودية الثقافية التامة للنهضة الأوروبية - وبكل تأكيد - فى إسبانيا التى كانت تمر بالفترة المعروفة فى تاريخها بـ "مناهضة - الإصلاح" Counter-Reformation ، فى أمور أساسية كإنتاج المحاصيل (معظم أجود الأغذية جرى تخليقها جينياً قبل آلاف السنين فى المناطق الاستوائية والمدارية فى الأمريكيتين) والفاك (التقويم "الميايى" يتمتع بقدرة لا تُضارع فى توحيد الإيقاعات السماوية والأرضية) قصة نشأة النوع البشرى (وهى القصة التى يرويها "بوبول فوه" Popol Vuh قبل "دارون" بثلاثة قرون) عمر الصخور على سطح الأرض (قيست بملايين السنين فى المخطوطات) وهكذا.

ولكى نرى أى معنى يمكن أن ينطوى عليه هذا النهج، أستدير الآن إلى مثالين محددين، ورد كل منهما فى صفحة منفصلة من كتاب يرجع إلى ما قبل وصول الغازى/القاتح كورتيس، وذلك لكى نرى كيف تُرجمت كل صفحة وكيف يُمكن أن تُترجم كل منهما. وكل هذا يأتى - بطبيعة الحال - فى إطار السياق المقترح حتى الآن وبهدف رؤية ما حدث للأعراف والمقولات التى يأخذها معظمنا فى غالب الأحيان كأمر مسلم بها فى ميدان الترجمة، حتى فيما كان ليعتبر لولا ذلك، إعادة صياغة بشكل جذرى للنص. وهنا تكون بارزة، تلك "الإشارية" Deictics (= اعتماد الجملة والأدق المنطوق على السياق. المترجم) والوضوح الزمنى والمكانى وكل ما يتصل بأسماء الأعلام والشعوب والمواضع.

تستخدم كل صفحة من الصفحتين ذلك النوع من الكتابة أو القلم الأيقونى المعروف باسم "تلاكويلولى" باللغة الـ "ناهواتلى" التى تتصل اتصالاً وثيقاً بالأقلام الصوتية (ذلك النوع

من الكتابة الذي لا يُهمل أى صوت سواء أكان ساكناً consonant أو صائتاً vowel فى رسمه كاليونانية واللاتينية إلخ. المترجم) التى طوَّرها الناطقون بكلِّ من الـ "زابوتيكية" Zapotic والـ "مايانية" وغيرهما من اللغات منذ وقتٍ طويل فى أمريكا الوسطى ("نووتنى" 1961 Nowotny) وخلافاً لما يُقبل - عادة - كـ "تقدم" ضرورى نحو قلم صوتى، فإن الـ "تلاكويلولى" ليست مرتبطة بأصوات أى لغة محددة نون سواها من لغات أمريكا الوسطى، وذلك لأنها مفهومة فيها كلها نون استثناء. ومع ذلك ففى سياقاتٍ معينة تستطيع الـ "تلاكويلولى" أن تنشُد رسم الصوتيات. كما تستطيع أيضاً أن تستخدم اللون استخداماً دلاليّاً، وهذا بعدُ مفقود فى الصفحتين المقتبستين هنا، وهما صفحتان خُفِّض لونهما الأصلي إلى الأسود والأبيض وحدهما (فى سبيل الاطلاع على الألوان المستخدمة فى النسخ انظر "برذرستون" ١٩٩٢، اللوحتان رقم ٤ ، ١١٦).

كلتا الصفحتين مأخوذتان من الكتب المتعددة الطى screenfold المصنوعة من الجلود، وتُقرأ من اليمين إلى اليسار وتمثِّل النوعين الأدبيين اللذين تنتمى إليهما تلك الكتب (الشكلان ١، ٢ أبناه). الصفحة الأولى من الـ "فيندوبونينسيس" Vindobonensis . ص ٣٢/٢١ ترقيم مصحَّح للصفحات) تمثِّل النوع الأدبى المعروف باسم الحوليات الذى يعنى بالـ "ناهواتلى": "إكسوتلابواتالى" xiuhlapoualli . وفى هذا النوع يتحرَّك سياق القراءة باستمرار إلى الأمام خلال الزمن ويقوده فى ذلك تعاقب تواريخ السنين. أما الصفحة الأخرى فهى الصفحة الأخيرة فى الـ "لود" Laud (ص ٤٥ ترقيم مصحَّح للصفحات) وهو واحدٌ من الكتب القليلة التى ظلت على قيد البقاء من النوع المعروف باسم كتب "الطقوس" أو "الأحلام"، وهنا على النقيض مما سبق يتقدَّم داخل نطاق فصولٍ مستقل كلُّ منها بموضوع خاص ثم من فصلٍ للتالى.

والآن بعد أن استقر المقام بسجلات الـ "فيندوبونينسيس" فى "فيينا" (ومن هنا جاء اسمها) فإننا نجد على الوجه المقابل لكل صفحة، حولياتٍ تغطى أطول مدة زمنية لوجود هذا النوع، وهى تصل بصفة رسمية لعدة آلاف من السنين. وفى إطار عملية أوسع من النسخ الصوتى للمخطوطات حظيت الحوليات باهتمام أكبر من أى شىء

آخر، والفضل في ذلك راجعُ بصفة أساسية إلى الحقيقة التي تقول إن سياق قراءتها يتحرك إلى الأمام من تاريخ إلى تاريخ، وهو السياق الذي يتناظر بصورة وثيقة للغاية من حيث المبدأ، مع حوليات العالم القديم (قبل اكتشاف العالم الجديد) وعلى هذا النحو أصبحت النصوص المكتوبة بالقلم المحلى من كافة أرجاء المكسيك سوابق زمنية على جسيمٍ كاملٍ من التواريخ مكتوبة باللغات القومية إلى جانب الإسبانية واللاتينية.

يروى النص المحفوظ في "فيينا" تاريخاً طويلاً لمنطقة تقع في جنوب أواسط المكسيك تتمركز حول مدينة "تبييكسيك" Tepexic الصغيرة، التي تقع اليوم في إستانو دي بوبلا "Estado de Puebla"، ولقد أصبح النص موضوعاً لكثير من التعليقات ("يانسن" 1992 Jansen)، وهي تعليقات تنبئنا منذ البداية إلى الكم الهائل من المعلومات التي يحتوى عليها النص وإلى صعوبة نقلها إلى نثر سردى. ولكن الطبقات الأحدث عهداً لهذه التعليقات والحوليات التي تتصل بها اتصالاً وثيقاً، وهي الطبقات والحوليات التي قام بها الباحث الهولندي "مارتن يانسن" Martin Jansen تشمل رسماً بيانياً لكل صفحة بالإضافة إلى ترجمة إلى الـ "ميكستييك" Mixtec، وهي اللغة التي يفترض الباحثون أن المؤلفين الأصليين كانوا يتحدثونها، وعلى نحو ما تفعل سائر اللغات في أمريكا الوسطى الأخرى لا تزال "الميكستييك" لغة حية في الحديث اليومي حتى اليوم، وتتمتع بصورة مباشرة بقدرتها على نقل مصطلحات التقويم وسائر المصطلحات الفنية الأخرى، المستخدمة باستمرار في الأصل - إلينا الآن - تلك المصطلحات التي يصعب في الغالب إيجاد مقابل لها في اللغات الأوروبية المتداولة في الحديث اليوم. وعلى سبيل المثال العلامة السابعة عشرة من العلامات العشرين، الـ "أولين" Ollin في لغة الـ "ناهواتلى" (نستطيع رؤيتها إلى يسار يد "التلالوك" المدفوعة إلى الأمام في الشكل رقم ٢) وهي العلامة التي تعنى في نفس الوقت المطاط (الذي لم يكن معروفاً في أوروبا قبل "كولومبوس") والزلازل وحركة جرم سماوي في عرض السماء.

والحادث الرئيسي الذي ترويهِ خلال التصوير صفحة الـ "فيندوبونينسيس" عبارة عن احتفال شعائري بالنار الجديدة New Fire ceremony (انظر الشكل الأول) وبقراءة

النص المدون بالـ "بوسروفيدون" boustrophedon من جهة اليمين السفلية في الصفحة السابقة (ص ٣١) نجد الاستعدادات تجري على قدم وساق لـ "ترويض - النار"، تجريه شخصية تدعى "السحليات الخمس" تحت إشراف "الكلب المزدوج" Two Dog (في أواسط الهامش الأيمن). ويخرج الدخان واللهب من النار الجديدة على هيئة التفافات حلزونية، وما قد يعنى أيضاً "الحديث المنطوق". والتاريخ (المذكور إلى اليسار من ترويض - النار مباشرة) السنة الخامسة، عن طريق الرمز "بيت" اليوم الخامس عن طريق الرمز الثعبان (و هو التاريخ الذى يشير على وجه الاحتمال إلى مطلع القرن التاسع م.ع.م. بالتقريب) ويشار هنا إلى كلمة "السنة" بشعاع شمسي على شكل حرف A الإنجليزي (في منتصف الجانب الأيمن تحت سفح الجبل) والمكان هو "فلق - جبل الـ تيبكسيك" Tepexic والمدن الصغيرة (في منتصف السجل) مجمعة في ثلاثة أزواج من أسماء الأماكن التي تتميز بصور جانبية لجبل (تيبتل tepeti بلغة الـ "ناهواتلي"، وقد عُثر عليها بالفعل في نقوش ترجع إلى الألف الأول ق.ع.م. وخلال قراءتنا للنص من اليمين تتجمع الـ "تيبكسيك" نفسها في أزواج مع مكان يمثل رقعة "الداما" أو "الثلاثيتيكست" Tliltepexitic ، ثم يأتى بعد ذلك "هويهويتلان" Huehuetlan ، المدن المزدوجة من تلك "المدن القديمة" - الذكر والأنثى - وأخيراً تأتي أماكن القرع العسلى ونبات الـ "ماجى" maguey وتتعكس "موتيفات" الأول والأخير من الأزواج الثلاثة في سطر البيوت أو القصور المرسومة أعلاه، ومن جانبها فإن الشفرة ثلاثة ترمز لعدد أحجار الموقد والبيت.

ويصفته قراراً سياسياً على جانب عالٍ من الأهمية، يستلزم احتفال "النار الجديدة" الشعائري تسليم مكوس أو ضربية السلع - وتكشف الصفحة السابقة أن هذه السلع تشمل الكاكاو والكعك المصنوع من دقيق الذرة والمنسوجات الفاخرة - بالإضافة إلى الضريبة على الشغل، وهي محددة بالشغل في تشييد الأهرامات والمعابد (الجانب السفلى يساراً) وخصوصاً في المحاجر طلباً للمواد الخام أو الأحجار وإحضارها من أماكن أخرى (لاحظ القدمين البشريتين اللتين تحملان كتلة من حجر متعدد الألوان في الجانب السفلى يساراً. وفي نفس الوقت تدخل تعديلات على التقويم

لضمان قياسات دقيقة للسنة، على نحو ما هو الحال مع الحبل الذي يشد شخصين من خصريهما. (وسط الهامش السفلي)

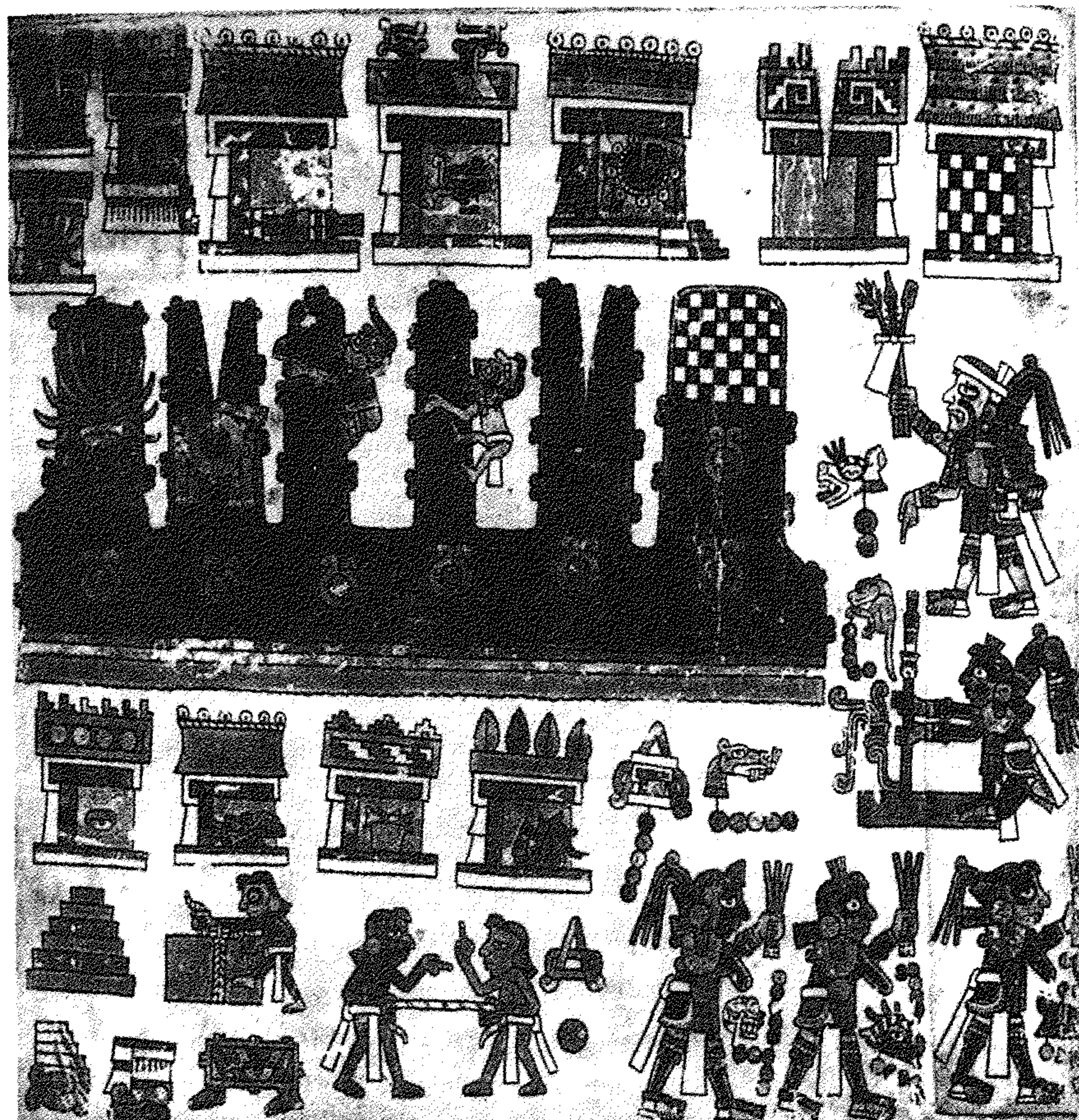
يعد هذا هو أشد التقارير صراحة عن الحدث، الذي يتجنب معظم التفاصيل المهمة فمثل هذه التفاصيل مشفرة في معالم مثل أسماء الأماكن. فالأقراص السبعة - على سبيل المثال - المقحمة داخل جبل الـ "تبييكسيك" يعيد إلى الأذهان تاريخاً معيناً، هو تاريخ الـ "تشيشيميكيين" Chichimecs ، الذين خرجوا من الكهوف السبعة Seven Caves (= الأقراص السبعة) في أعماق الشمال الغربي قبل ذلك بمائتي سنة كي يحوزوا تأثيراً محلياً عميقاً في منطقة الـ "تبييكسيك". وفي سبيل التعريف بالفتحات السبع للرأس، فالكهوف ملونة باللون الأحمر، كما لو كانت مغروزة في جلد أو أديم الجبل. وفي نفس الوقت في السجل الجيولوجي الذي حرصت المخطوطات أيضاً على إظهاره خلال الطبقات المتعددة الألوان للحجر المنتزع من الحجر/ فاللون الأحمر قد يعنى "تزانتي" tezantli ، وهو نوع من الصخور البركانية.

تحمل إشارات الأيدي والملابس والشارات - وقبل كل ذلك - الأسماء التقويمية calendrical للشخصيات المشاركة في الاحتفال محتوى دلاليًا مشابهًا. فأسماء مثل الـ "كلب" والـ "ريح" تنتمي إلى نفس مجموعة "العلامات العشرين"، مثل تلك التي تسمى السنة واليوم الذي جرى فيه الحدث أو الاحتفال ("البيت" و"الثعبان") وكل علامة منها تحمل مجموعة معقدة والأولى كُنية set من الارتباطات التي يمكن بعد ذلك إدخال مزيد من البلورة عليها في مجرى أي نص مفرد، وهي ارتباطات تصل من القوة بين بعضها البعض الآخر حدًا قد تستطيع معه وقف عمل/أو الهروب من الهواجس الديكارتية Cartesian 1596-1650 ، (يعد "رينيه ديكارت" مؤسس الفلسفة الحديثة نتيجة للانقطاع الذي أحدثه مع الفلسفة القديمة التي كانت تعتمد على كل من "أرسطو" و"توما الأكويني"، كي يؤسس فلسفته على هذا المبدأ: Cogito, ergo sum = "أنا أفكر، إذن أنا موجود". المترجم) حول الهوية الفردية التي لعبت ذلك الدور الضخم في الفهم الغربي للسرد. أما الـ "كلبان" The Two Dog اللذان نراهما هنا فيعودان للظهور على امتداد

مساحات واسعة من الزمن، ومع ذلك يرتديان زياً مختلفاً في كل مناسبة، وهذه اختلافاتٌ قد يشعر مترجم غربي معها على وجه الافتراض أنه مضطر إلى إسباغ مضمون عليها، أو على الأقل الربط بينها وبين موكب الناس الذين تصادف أن حملوا نفس أسماء العلم proper names .

ولما كانت كتب أمريكا الوسطى المزبوجة الطي، مرقمة الصفحات على غرار الكتب الأوروبية فلقد كان من الممكن، علاوة على ذلك - فتحها جزئياً أو على طولها الكامل، وهو الأمر الذي يوفر إمكانية إجراء المقارنات في نفس الوقت بين فقرتين أو أكثر من سرد ما، بطريقة تستحيل مع الكتب الأوروبية المشدودة الكعوب، وكان نص "تبييكسيك" مكتوباً بمرونة عقلية، فالشطر الأكبر من المعنى المراد مرسوم أو منقوش على هذه الصفحة أو تلك، اعتماداً على علاقته التكوينية وسائر علاقاته الأخرى مع الصفحات المشابهة الأخرى، وينطبق كل ما قلناه سابقاً - إلى حدٍ كبيرٍ - على منظر "النار الجديدة" خصوصاً وأنه الثاني في إطار عشرة من مثل هذه الاحتفالات الشعائرية التي جرى سردها ككل، والأول من خمسة احتفالات من هذا النوع (داخل نطاق العشرة) الذي يعطيه الكاتب/الراسم مطرحاً جغرافياً محدداً. وليس في وسعنا أن نقيم - حق التقييم - خصوصية هذا الاحتفال، إلا عن طريق إمعان النظر في نفس الوقت في الاحتفالات الأخرى لترويض - النار، وخصوصاً الأربعة الأخرى التي يُحدد، هي الأخرى - مطرحها بأسماء أماكن.

والمطرح الجغرافية الخمسة الظاهرة في الاحتفالات الشعائرية لترويض "النار الجديدة" (انظر شكل ١) أي الثاني (هذا مطرح رهن الحديث) والرابع والسادس والتاسع والعاشر مسجلة كما هو الحال هنا مصحوبة بأسماء الأماكن، عن طريق علامات - مكانية خاصة ترتفع من منظر جبلي مشترك، وكلها قابلة من حيث المبدأ لتحديد أماكنها على الخرائط المعاصرة ويُشار إلى الاتجاهية directionality سواء نحو الشرق أو الجنوب أو الشمال أو الغرب خلال تفصيلا من العلامات - المكانية (مثال: شمس تُشرق في الأفق الشرقي) ومقدار علو الصفحة التي تحتلها هذه العلامات، إذ تنخفض



شكل رقم ١ : النار الجديدة في تيبكسيك مخطوطات فيينا ص ٣٢ (٢١) برز بستون ١٩٩٥ : ١٨

في الجنوب (وكذلك العالم السفلي "ميكتلان" Mictlan) وتعلو في الشمال (وكذلك مسكن رب المطر "تالوك"). وعلى هذا النحو يلتزم السياق بمشق الخارطة الرباعية الطي لأنحاء القرابين الأربعة، تلك التي كانت قد وجدت تعريفها بالفعل في الثقافة الأولمكية Olmec التي ظهرت على هذا النحو في كتب الأحلام وكانت إلى جانب احتفال "النار الجديدة"، موضوعاً لفصلٍ متكرر، ويظهر اسم المكان الأول المصاحب أي الـ"تبييكسيك" بين الأسماء الخمسة - في قلب العاصمة - سابقاً ومسيطرأ على الأسماء الأربعة التالية خلال حقيقة انفراده بالاستناد إلى قاعدة مرتفعة أما باقى الأربعة فتستقر على الحافة السفلى للصفحة. وفي سبيل الوصول إلى درجة ما من الوفاء بالحاجة يلزم أي ترجمة سردية نثرية لهذه الحوليات إلى هذا الحد أو ذاك وسيلة ما للإشارة إلى هذه الأسبقية منذ البداية - طالما يبدو على الصفحة - أن التفوق المحلى أحد الهموم ، إن لم نقل الهم الأكبر لمؤلفى هذه الحوليات التي تتركز حول الـ"تبييكسيك".

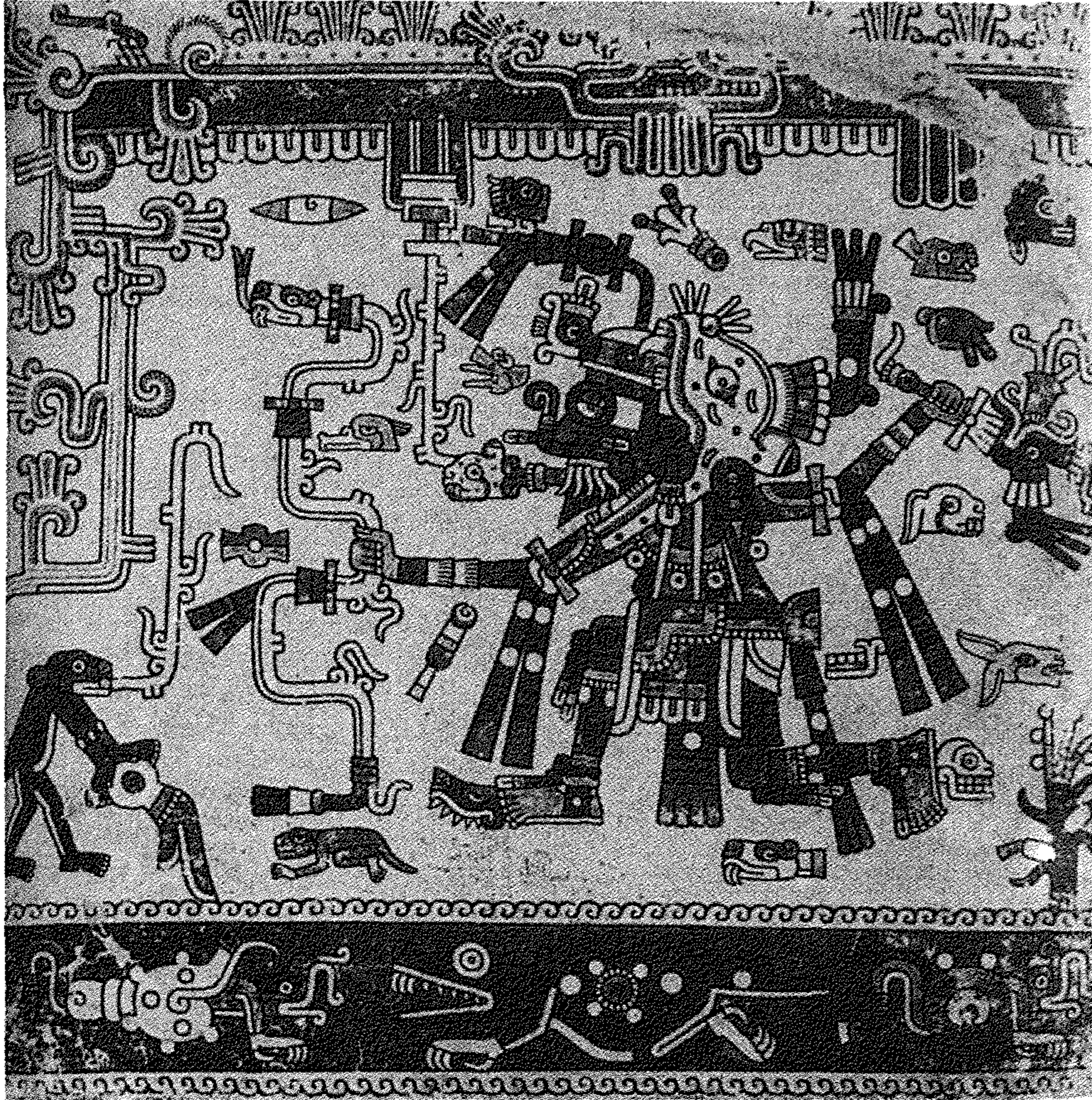
على غرار الحوليات الأخرى المزبوجة الطي، ينصب اهتمام نص الـ"تبييكسيك" بصفة كاملة على مرور الوقت والتاريخ المادى لمكانٍ محدد. ومع ذلك فالعناصر ذاتها التي تُرى خلالها هذه القصة في حد ذاتها تسمح باستنتاج منطق خاص بها. وهذا يصدُق على المعجم المعقد المستخدم للزى والإشارة وأسماء الأماكن وفوق كل شيء آخر: التقويم. وعلى سبيل المثال اللورة التي تنتمى إليها علامة البيت أي السنة الخامسة لـ "النار الجديدة" تتكون من اثنتين وخمسين سنة، وهذا هو أيضاً العدد الإجمالى لعدد الصفحات في هذا النص المزبوج الطي، وعلى نفس المنوال، نجد أن العلامة داخل كُتية العلامات العشرين، التي تعين شخصية "الكلب المزبوج"، هي العلامة العاشرة، وهذا هو عدد المرات التي تظهر فيها شخصية تحمل ذلك الاسم التقويمي (calendric) على امتداد النص ككل، وبعبارة أخرى بينما يستمر هذا التاريخ تاريخاً كما هو عليه، إلا أن مثل هذا التاريخ يتطلب فهماً شعرياً و"شعائرياً" ويستوجب انتباهاً خاصاً في حد ذاته.

عادت إلى الظهور من جديد كثير من المفاهيم التي تتصل بحدود النسخ الصوتى والترجمة كلما أمعنا النظر في صفحة الـ"تبييكسيك"، ولكن أكثر حدة في صفحة "لوود" Laud

(انظر شكل رقم ٢). وهذه صفحة من كتاب معروف باسم "لوود"، على اسم الأسقف التابع لـ "تسالز" الأول، وهو أحد الكتب المكسيكية الخمسة، التي انضمت أول الأمر إلى مكتبة "بودليان" التابعة لجامعة "أكسفورد" (كتاب آخر منها وبالتحديد الحوايات الميكسيكية Mixtec مثل الـ "فيندوبونينسيس" تحمل في الواقع اسم "توماس بودلي" Thomas Bodley. ويصفته نصاً "شعائرياً" أو نص "أحلام" فهو رفيع المستوى إلى درجة عالية سواء في تنسيق الفصول أو الطريقة التي يُنظَّم بها حججه، وبصفة عامة نجد أن النوع الأدبي في كل صفحة وفي كل فصل يستمر من الناحية الدلالية على نحوٍ أشد كثافة ويستجيب لمبدأ القراءة المتعددة أو استنباط معاني متعددة.

وتعد الصفحة المقتبسة الأولى من صفحتين مخصصتين لقوى المطر والشمس، تختمان النص عند نهاية الجانب المقابل للمزجج الطي (ص ٤٥، ٤٦). وهما لا تشيران، من الناحية التاريخية إلى دورات الطقس السنوية، ولكن عند زمن أعمق كثيراً، إلى زوجٍ من الكوارث: الفيضان والكسوف، اللذين يؤكدان قصة الخلق وأعمار العالم عند الأمريكيين الأصليين. ويسعى إله المطر "تالوك" خلال الركوع بين المياه العليا والمياه السفلى (الشريطان الأفقيان عند القاع والقمة) إلى الجمع بينهما، تحت نفوذه وإلى البهجة البرمائية، فالسحب تصب إلى أسفل وسطح الماء يفور إلى أعلى، وهو يمسك بصولجانٍ متعرجٍ في يده اليمنى وفي اليسرى بلطةً مشتعلة باللُّهب حيث تتداخل ومضات النحاس الأحمر مع الصلب الذي لم يكن معروفاً وقت ذاك إلا من النيازك المتساقطة من أجواز الفضاء. ويمكننا أن نقرأ حد البلطة بلفاتها الطزونية قراءة أخرى كلسانٍ في الرأس التي أقحم فيها. ولون "تالوك" الرمزي هو الأزرق، الذي يلقي التبجيل خلال ظلالٍ لونية متميِّزة بصورة بارعة، فالأزرق "الأخضراوي" للتمساح الأمريكي إلى الناحية السفلى تؤكدُه علامة الزمردة المدورة المغروزة في جسمه.

تجد قوى الـ "تالوك" في هذا الدور تعبيرها في العلامات العشرين المنسقة حول جسمه ("برنرستون" ١٩٧٩: ١٠٢-٣) وأولى هذه العلامات هي "التمساح الأمريكي" (العلامة رقم ١ في الرسم) الذي يمثَّل - بصفة تقليدية - باعتباره فقارياً بالغ القدم،



شکل رقم ۲ : تلاكوك .. مخطوطات "لورد" صد ۴۵ برزستون ۱۹۹۵ " ۱۳۵

الأرض: هنا لا نجده قائماً تحت قدم "تلاوك" بل معلقاً بجوارها (يبدو وكأنه يمتد من قدم "تلاوك" الممدودة إلى الأمام) كما لو كان طافياً مثل التمساح الأمريكى فى الماء إلى الجهة السفلى. والعلامة الثانية وهى "الريح" (العلامة رقم ٢) فتظهر كفكين مفتوحين لقناع تلبسه شخصيات مثل "إيكاتل" Eecatl و"كيتزالكوتل" Quetzalcoatl ، وهنا نراه واقعاً فى فخ أمام أنف "تلاوك"، كما هو الحال فى المقدمة الحارة الرطبة أو الحر - طبة التى تسبق هبوب عاصفة. والعلامة الثالثة عبارة عن "بيت" (العلامة رقم ٣) وتبدو من المنظور الجانبى وهى موضوعة فوق السحب (أعلى الشريط يسار الوسط) حيث نجد "تلاوك". وهكذا. وفى أيقونات مشابهة لأرباب أخرى، نجد على سبيل المثال، أن الإله "تيزكاتليبوكا" Tezcatlipoca المولع بالحرب (مخطوطات "بورخيا" Borgia co-dex ص ١٧) فإننا نجد نفس العلامات العشرين منسقة بصورة مختلفة حتى تنتج تعريفات جديدة. هناك نجد "التمساح الأمريكى" يرتعش مباشرة تحت قدم "تيزكاتليبوكا"، و"الريح" تشير إلى سرعة انتقال الفكر والقوة التى تتدفق وراءه، وجسمه يقوم مقام درع يحمى بيت أو قصر المجتمع. وبوسعنا أن نجد مفاتيح إلى المعانى التى تبنيها كوادى (جمع كدية) العلامات تلك، فيما يتعلّق بهوية هذه الأرباب وسواها من الآلهة فى مخطوطة بالـ "نهواتلى" معروفة باسم "الترانيم المقدسة العشرين" Twenty Sacred Hymns، التى تشمل الأغانى التى كانت تُغنى ذات يوم لتبجيلها، ولقد تركها - خشية قوتها الشيطانية - الراهب الفرنسيسكانى "سهاجون" الذى قام بجمعها ونسخها صوتياً، بلغتها الـ "نهواتلى" دون ترجمة فى ملحقٍ للسفر الثانى من موسوعته "تاريخ" Historia .

ونجد ثلاث علامات من العلامات العشرين تتزى بنفس زى "تلاوك" ومرسومة بشكلٍ منسقٍ حوله وقد تكررت بصورةٍ أضخمٍ كثيراً "الثعبان" (العلامة رقم ٥ تحت ركبتة السفلى) كما تقف على رأس الصولجان المعوج الذى يمسكه بيده اليمنى، وفى هذا الوضع يمثّل البرق الذى يقذف به من السماء، ويعود "الجاجوار" أو "الفهد الأمريكى" للظهور (العلامة رقم ١٤) وقد تحددت صفته الآن كمطلقٍ لصوت الرعد الذى يخرج من فمه على هيئة نواتين حلزونيتين ويأتى ظهوره هذه المرة على هيئة غطاء رأسه.

وكذلك الأمر مع المطر (العلامة رقم ١٩ إلى يمين البيت في قلب السحب) الذي يبدو هو الآخر كقناع لـ "تالوك" - جاحظ العينين وطويل الأنياب - وهو قناعه الحرفي أى نسخة طبق الأصل منه. ولقد عرّف الكتبة باللغة الـ "تبيبولكو" Tepapulco الذين اشتغلوا مع الراهب "سهاجون" فى الطبعة الأولى لموسوعته "تالوك" خلال هذه المفاهيم الثلاثة وحسب : quiaui, tlatlat- zinia, tlautequi (= يطر ويرعد ويصعق بالبرق) ("سهاجون" ١٩٩٧ : ١٢١).

تغدو النقطة الخاصة بنسخ العلامات المناظرة الثلاث بصفة أساسية هنا، فى مجموعة "لوود" أشد وضوحاً عندما نرجع إلى مخطوطة الترانيم المقدسة العشرين، حيث يُشار إلى "تالوك"، خالق المطر (quiauhtli) بصفة إضافية هى ocelo-coati التى تعنى حرفياً بالـ "نهواتلى" "الفهد - الثعبان"، وبعبارة أخرى يأتى إعلان ظاهرة المطر خلال البرق (الثعبان = البرق) والرعد أو "زئير الجاجوار أو الفهد الأمريكى". وأخيراً - ونظراً لأن كل علامة من العلامات العشرين تحمل قيمة عددية داخلية - فإن تعريف "تالوك" بالصورة (مجموعة "لوود") والكلمة (الترنيمية المقدسة) لا ينطوى على مجرد معان ظواهراتية بل وأيضاً حسابية. وذلك لأنه، وفقاً لمنطقٍ أشبه بمنطق "كابالا" Kabbala لكـ tlacuilolli فإن المطر يمكن بالمثل أن يكون نتيجة حسابية أى حاصل جمع الرعد (الجاجوار أو الفهد الأمريكى، العلامة رقم ١٤) والبرق (الثعبان، العلامة رقم ٥).

تبرز صفحاتٌ مثل هذه الدرجة التى تتركب عندها "الأرباب" فى المخطوطات عن قصد من "كُدَى" محددة ومحدودة من العناصر والعوامل. ويُعد "تالوك" الذى يظهر هنا كصانع للمطر ومقروناً بالشمس (فى الصفحة التالية مباشرة) واحداً من الأبطال الثلاثة عشرة الذين ينظّمون الزراعة ضمن ما يقومون به من أنشطة. وفى سياقاتٍ أخرى نجده مصبوباً فى قالب "السيد" Lord التاسع من "أسياد" الليل التسعة (Youallitecutin) الذين يُشرفون على الحمل والولادة عند البشر: العنصر المائى لا يزال موجوداً هناك (فى المياه التى تنزل مع الجنين عند الوضع) ومع ذلك فالوظيفة وإلى هذا الحد الهوية، ليست واحدة. وفى سياقاتٍ أخرى إلى جانب ذلك نجد أن "تيلالوك" قد يغير فى الواقع جنسه (من ذكرٍ إلى أنثى مثلاً).

ومن هنا، ففي جسمور كتب الأحلام، نكون بعيدين كثيراً بالمفاهيم الأوروبية الكلاسيكية عن وجود "بانثيون" أو مجمع للآلهة، لكل منها أنطولوجيته (وجوده الميتافيزيقي) واستقلاله الذاتي، ونكون أكثر بعداً عن التفريق بين الخير والشر. فالأمر هنا أقرب إلى التحالفات والتعارضات التي تتغير حسب الموقف والغرض. ونبات الذرة الذي يظهر مع "تيلالوك" (الجانب السفلي إلى اليمين) قد يعتمد على ما يصدر عنه من رعد ومطر، ولكنه يمكن أيضاً أن يهلك بسهولة بالمزيد منهما، عن طريق ضعف يطرأ على الشمس أو الرياح، والفصل المتكرر في كتب الأحلام، والمخصص لزراعة الذرة يُظهر مثل هذا النبات وهو يغرق في فيضان "تيلالوك"، مع أذرع مرفوعة إلى أعلى كما لو كانت تتضرع كما يتضرع البشر سواء بسواء.

قد يطرح هذا الموقف من وجهة نظر المترجم - ولأول نظرة - مشاكل ضخمة في التنسيق والترتيب، وأحياناً طرقاً جديدة تماماً في التفكير. ومع ذلك فمتى أدخل المرء النسق وآلياته إلى حد ما في الأمر، فعندئذٍ قد تصبح عملية الترجمة في الواقع العملي أكثر قابلية للتحقق، حتى إلى اللغات الأوروبية - بالتحديد في ضوء المقاومة الفطرية التي تبديها للمفاهيم الغرائبية quiddity والغوص وراء كنه الأشياء.

قوبل القلم الـ "تلاكويلولي" في الغالب الأعم - في التاريخ العام للأقلام - بالتجاهل أو النبذ باعتباره مجرد "كتابة صورية" (أي بالصورة). وحتى هذه النظرة الموجزة إلى الصفحات المكتوبة بها يجب أن تكفي للدلالة على كم، هو حجم المعلومات والمناقشات في الحقيقة التي تتجسد في صورٍ معزولة أو كدَى من الصور. فمع أنها قد تكون "صورة"، إلا أنها صورة تستجيب داخلياً لآلياتٍ أساسية للصورة ومجاميع الشخصيات والمنطق الرمزي والعددي.

وبهذا المعنى ربما نكون هنا قد افتدينا مصطلح "كتابة صورة" من التهمة الضمنية بأنها غير راقية وأقل تطوراً، وذلك حتى يفهم أن عبقرية القلم الـ "تلاكويلولي" كامنة، بالتحديد في البراعة التي يعرف وينسق بها صوراً غير - صوتية على الصفحة. وفي السفر السادس من موسوعته "تاريخ" يكشف "سهاجون" كيف يمكن لهذه الإجراءات

أن تكون متقنة وواعية عن طريق تسجيل أمثلة من لغة "ملغزة" تعكس معاني متعددة خلال صور الـ "تلاكويلولي"، وتتمثل إحدى مثل هذه الصور فيما سبق أن رأيناه أعلاه في حد البلطة الذي يعنى أيضاً لسان.

على طول الخط الذي يمتد من الشرق الأوسط حتى اليونان وروما، تعرّض القلم script بصورة متزايدة للتحديد والتشبيء. وفي "الميدان" المناظر للأدب (إذا ما لجأنا للمصطلح الذي استخدمه "بورديو") لم يثر نسق القوة الأساسية الكامن الـ "تلاكويلولي"، ربما لهذا السبب إلا أقل قدرٍ من الاهتمام النظرى وغفل عنه - بكل تأكيد - نطاق السيميوطيقا واللغويات "السوسيرية" (نسبة إلى العالم السويسرى المشهور "فردناند دى سوسير") معاً، فيما يتعلّق بالصورة والكلمة، وأقرب لازمة متاحة سوف تأتى على نحوٍ عاجلٍ فى عمل بعض النقاد - الشعراء الذين واجهوا تلك التقارير "العلمية" الفضولية للغة التى تصر على الفصل بين المجاز والعرف السائد. ولقد تصوّر "عزرا باوند" (٢٠ أكتوبر/بابة - ١٨٨٥ نوفمبر/هاتور ١٩٧٢ شاعر وناقد أمريكى المولد بارز. يعد أحد أكبر شعراء القرن العشرين الذين أثروا على الشعر الحديث. أيد الفاشية الإيطالية. المترجم) بما تمتع به من مقدرة هائلة على الاستبصار كيف يستطيع الخطاب الغربى أن يتجدد وتدب فيه حياة جديدة خلال مرجعية منطق الأقلام غير-الصوتية كالقلم الصينى ("باوند" ١٩٦٩، "أوسيكى - دبريه" 1999 Oseki-Dépré) ولقد سار "هورالدو دى كامبوس" Horaldo de Campos ، البرازيلى الجنسية وفق خطوطٍ مشابهة فى تخليق ومناقشة ما يُسمى بـ "الشعر المجسّد" (١٩٧٥).

وفى حالة الصفحات المقتبسة هنا من كتب أمريكا الوسطى، يمكن للترجمة إلى الإنجليزية أن ترتقى إلى مرتبة الشعر، وبذلك تكسب أكثر مما تخسر على مستوى الدقة ذاتها. وقد توحى صفحة الـ "تبييكسيك" بعبارات مثل:

● حواضر "تبييكسيك" الإقليمية تقف بارزة برفعها أمام حليتها المعمارية الرباعية الفصوص.

● تنطق كتلة - الترويض: "النار الجديدة" الخاصة بالمجمرة وبالببيت.

● تقيس السنة طولها بحبلٍ مشدود.

إلى جانب اللعب بزئير الفهد الأمريكى (= الجاجوار) وبرق الثعبان، تشفرُ الصفحة المأخوذة من مجموعة "لوود" مثل هذه القراءات الممكنة مثل:

● التموُّج على هيئة بخار والمطر الناعم يتدفق من السحب.

● ينطق لسان البلطة النيزكية بعلم الأرصاد الجوية.

● يستحم التمساح الأمريكى نو اللون الأزرق الأخضرأوى فى ماء أزرق سماوى.

ارتأينا - بعد أن أخذنا مفتاحنا من المقال الذى كتبه "ليون - بورتليا" عن التاريخ المتراكم لأمريكا - أن التجربة المسجلة للقارة تلاقى الطمس غالباً من جانب افتراضٍ سهلٍ بالتفوق الثقافى للغرب، وهذا الافتراض يضرب بجذوره بصفة جزئية فى ثنائية المكتوب/الشفوى المنتشرة فى كل مكان - وهى ثنائية يمكن للمرء أن يفككها - أكثر مما يبدو أن حدث من تفكيك معها، فى الميدان الخاص للدراسات الترجمية. ويمكن لإمعان النظر فى تقاليد الكتب الأصلية فى المكسيك أو أمريكا الوسطى أن يقودنا إلى مزيدٍ من الاستبصارات فى نسقٍ نظرىٍ إلى جانب كونه ثقافى، فى ضوء خصائص القلم الـ "تلاكويلولى" الذى كتبت به هذه الكتب، وهذه تشمل بناء الهوية: أسماء الأعلام سواء بالنسبة للأشخاص أو الأماكن - خلال العناصر المكونة القابلة للترجمة - وتعريف المعنى خلال عناصر مثل اللون والتنسيق على وجه الصفحة واللعب على التوقع المخلوق.

على أن المفاهيم الكامنة فى المخطوطات التى لم أتطرق إليها لا تقل أهمية لسبب واضح يتعلق بالحيِّز المتاح. وذلك لأن هناك المسألة الكاملة التى تدور حول تصميم الصفحة والتفاعل الدقيق بين التصميمات التى تأخذ شكلاً جانبياً (مثلما هو الحال فى هذه الصفحات) وتلك التى فى الخريطة (مثل الخارطة الرباعية الطى على سبيل المثال) والميل المنعكس بصورة قوية لقلم الـ "تلاكويلولى"، الذى يصورُ عملية الكتابة نفسها، على صفحة من جلد الغزال مرسومة على رقعة من جلد الغزال فى الكتاب الفعلى.

ولقد تعدلُ بصفة مستمرة هذا القلم الذي يضرب بجنوره في النقوش التي ترجع إلى أعماق الألف الأول ق.ع.م. مع الظروف التاريخية التي تجد - بما في ذلك الغزو الأوروي. ومن وجهة نظر الترجمة - نجد أن جسمور النصوص التي كُتبت بعد وصول "كورتيس" بالقلم الـ "تلاكويلولي" يستدعي الانتباه للطريقة التي تحتوى بها الأعراف المحلية وتتكيف معها، بعد سنة ١٥١٩، غدت الطرق التي انطبعت عليها حدوات الخيول، بعد أن كانت لا تعرف في الماضي سوى أقدام البشر، والعملات المسكوكة من النحاس الأحمر كي تُسعر بعد دخولها إلى الاقتصاد في سنة ١٥٣٦، وفقاً لمعدلات أسعار الصرف الراهنة بالملايس وبالكاكاو وبصلب الأسلحة الغازية أصبح يمثل في القلم المحلى ذاك باللون الأزرق المعدنى الثقيل، ذلك اللون الذى كان فى الماضى مخصصاً للبلطة النيزكية أو المصنوعة من نيزك سقط من عرض السماء، التى يمسك بها "تلاوك". وهكذا وحتى الصوتيات الغربية لأسماء الأعلام اقتنصها القلم على نحو ما احتاجت من علامات: "جاليجوس" Gallegos يصبح "بيت" (كالى) Calli والبول (إى - تل) e-tl أما "كورتيس" (الغازى) فلا يستحق سوى أن يكون "ثعباناً". وفى حوليات "تلاتيلوكو" Tlatelolco نجد أن "بيرو" تُترجم ببراءة عن طريق نقش هجين يتكوّن من كلب وهو يعنى بالإسبانية "بيرو" perro وكرة من المطاط بالـ "ناهواتلى" أى "أولين" Ollin .

فى نفس الوقت نجد أن هذه النصوص التى ترجع إلى أمريكا الوسطى - فى ضوء الجغرافيا الثقافية - تقف كمرجع أساسى للكثير من المعلومات عن القارة. ويمتد النوع الأدبى المعروف باسم "الحوليات" التى مثلناها هنا بالصفحة التى ترجع إلى الـ "تبييكسيك" بعيداً فى أعماق الشمال، وهو يعدلُ بالتعاقب وفقاً للسنة وحسابات الشتاء لـ "بيما" Pima، الذين يضمون الـ "كيوا" Kiowa والـ "سيوكس" Sioux . وتكرر الخارطة الرباعية الطى، تلك التى يستند عليها نظام القرابين فى "تبييكسيك"، حرفاً بحرف، على هذا الحد أو ذاك بتقاليد الرسم الجاف المعروف باسم الـ "أناسازى" Ana-sazi . وإذا ما التفتنا إلى الاتجاه الآخر، فإننا نجد أن الدمج الوثيق للكتابة بالأرقام يمكن أن يوجد بالمثل فى القلم الـ "كيو" الذى يعرفه أبناء قبيلة الـ "إنكا"، بينما نجد أن الصور المجازية لأمريكا الإستوائية والمدارية ككل، لا تكف عن الظهور ومعاودة الظهور على صفحة المخطوط، على الأقل خلال الرعد أى زئير "الجاجوار" أو الفهد الأمريكى.

الهوامش

(١) يستكشف هذا المصدر فى فصله الثانى باستفاضة ملحوظة مسألة الشفوية وأمريكا (= الأمريكيتين) مثلما هو الحال مع تفاصيل النصوص الأمريكية الأصلية، التى ما كانت لتصادف لولا ذلك وصفاً وتحديداً أدناه. والورقة الحالية مديونة بالكثير للنهوج التى توصل إليها قسم الأدب بجامعة إكسس، فى سلسلة المحاضرات التى يوفرها تمهيداً للحصول على درجة الماجستير، بعنوان "الترجمة الأدبية نظرياً وعملياً" (١٩٦٥-)، وبين أقطاب هذا القسم الأكثر نفوذاً نعدُّ "أندريه لوفيفر" André Lefevre . كما أود أن أشكر أيضاً "إيان ماسون" و"ثيو هيرمانز" للعون الذى قدماه لى.

الفصل الحادى عشر الثقافة كترجمة وما بعد النماذج الإثنوجرافية للتصوير فى الدراسات الترجمة

ميخائىلا وولف Michaela Wolf

خلاصة:

لا يبدو الآخر الثقافى لا فى الإثنوجرافيات (= دراسة وصفية لمجتمع بشرى معين أو لعملية القيام بهذه الدراسة. المترجم) ولا فى الترجمة بالمعنى التقليدى للكلمة فى عبارات مباشرة بل بصورة غير مباشرة، وقد فلترها *filter* ونظّمها وعى الإثنوجرافى أو المترجم. والاعتراف بالصلة التى تحمل طابعاً إشكالياً بين إدراج الثقافة فى نصوص وإدراجها فى سياقات قد أثار أزمة خاصة بالتصوير فى الدراسات الأدبية والتاريخوجرافيا (= تدوين الوقائع التاريخية) والإثنوجرافيا، ولقد حاولت النهوج الإثنوجرافية الأخيرة أن تتجاوز التعارضات الثنائية *binary* مثل تلك التى تقوم بين الملاحظ (بكسر الحاء) والملاحظ (بفتحها) وتركز عوضاً عن ذلك على منظور للثقافة يتميز بالتعددية، وأرى إمكانية أن يُحرز التصوير الثقافى خلال الترجمة نوافع مهمة من وراء الدراسات الثقافية. وتناقش الورقة بعض هذه النهوج إلى الترجمة وتتوصل إلى علاقاتها مع غيرها من النهوج التى تتناول التصوير الثقافى إلى جانب الدراسات الترجمة الحالية، وتستكشف قابلية التطبيق لمثل هذه النماذج فى دراسة الترجمة. كما تكشف الدراسة أن هذا النموذج الترجمة الموجه نحو التعليم الذى يمدنا بنظرة ثاقبة (= استبصار) فى علاقات القوة بين الثقافات المتضمنة وتساعد فى التعرف على العلاقات المتبادلة بين مستويات ثقافية متعددة.

مقدمة:

بوسعنا النظر إلى مفاهيم الغيرية (= نسبة للغير أو الآخر. المترجم) كما جرى تصويرها في الأصل في الدراسات الثقافية كمكون في الدراسات الترجمية طالما رأينا في الترجمة كممارسة ثقافية ولغوية تنتج في الواقع "الآخر"، ولو أن مفهوم "الآخر" الثقافي، الذي يتضمن قضية قابلية الثقافات للترجمة، لم يحظ - إلا في الآونة الأخيرة - بالمعالجة بصورة موسّعة في الدراسات الترجمية، وسوف يكون من المفيد أن نتذكّر هذا الأمر - مع ذلك - طالما صار قبول الاختلاف في المجتمعات الغربية مطلباً أخلاقياً على درجة قصوى من الأهمية ("أسمان" 1999: 99). ويتميز عبر-التقييم للقيم وهو ما يرتبط على وجه العموم بما - بعد - الحداثة بتأصيل *fundamentalization* أو إضفاء طابع أصولي على التعددية (المرجع السابق) وبناء عليه تواجه قيمة "الآخر" بصفاتها إحدى أهم القيم المركزية في ثقافة ما بعد - الحداثة بخطر التخفي على هيئة أصولية أخرى كما قد تُلصق عليها بطاقة تقول إنها أداة تنطوي على "نزعة فرض التماثل" *uniformitarianism* ("بديك" 1996: 2) وربما يكون هذا أحد الأسباب التي جعلت المفهوم عرضة للتشكك في أنساقٍ أخرى مثل الإثنوجرافيا أو الدراسات الأدبية، قبل النظر إلى درسه بصفته مؤدياً إلى نهج قيم في الترجمة. ومنذ نهوض التفكير التفكيكي أصبح أي نوع من أنواع النقد النصوصي المستند إلى تعارضات ثنائية يواجه بالاتهام بالانحياز الأيدولوجي. أضف إلى ذلك أن إيجاد حدود ثابتة بين "الذات" و"الآخر" ينطوي على إضفاء طابع جوهري على/ والأولى "تجوهر" *essentialization* الخلاف الثقافي. وتجسّد نهجٌ مثل نهج "كريستيفا" *Kristeva* "غرباء على أنفسنا" *Etrangers à nous memes* ("كريستيفا" 1988) هذه الأزمة وتساعد في تجاوز تلك الثنائية بالتركيز على ظاهرة "الاغتراب" كمقولة نفسية - تحليلية يجرى خلالها استكشاف سمات "الآخر" داخل "الذات". ويتضمّن هذا الاستكشاف أن "الذات" ليست كلاً مخلوقاً مستقلاً بذاته، بل هي نتاجٌ لتأملاتٍ واستيعاباتٍ وتحولاتٍ. ويوسع مفهوم *intertextuality* ، وهو مفهوم أصيل ضمن هذا النهج وفي سياق الترجمة يُمكن أن يُفسّر باعتباره نتيجة لصفة بين الثقافات التي تتميز بالفعل بالتعددية.

إزاء هذه الخلفية ينهض سؤال حول ما هي المنهجية التي تستطيع التعامل مع مشكل الثنائيات في سياق "الذات" و"الأخر". ومتى اعترفنا باستحالة التفاوض كلية عن التعارضات الثنائية (خذ مثلاً ثنائية ذكر/أنثى) فإن أحد الاختيارات أمامنا يمكن أن يكون تركيزاً أدق على الآليات الوظيفية للصور المتباينة. ولقد شهدت الإثنوجرافيا خلال السنوات القليلة الأخيرة مناقشة حية حول هذه القضية. ففي الإثنوجرافيات - على نحو ما هو الحال في الترجمة بالمعنى التقليدي للكلمة - نجد أن "الأخر" الثقافي لا يظهر في عبارات مباشرة بل بصورة غير مباشرة، وقد فلترها filter ونظّمها وعى الإثنوجرافى أو المترجم. وكانت الصلة بين إدراج الثقافة في نصوص وإدراجها في سياقات وقد فلترها filter ونظّمها وعى الإثنوجرافى أو المترجم قد ظلت لمدة طويلة تؤخذ كبديهية ويُنظر إليها بصفقتها خالية من الإشكالات. وأثار هذا الأمر ما يُسمى بـ "أزمة التصوير" في أنساق مثل الدراسات الأدبية والتاريخوجرافيا والإثنوجرافيا. وقد حاولت مساجلة "ثقافة الكتابة/التدوين" ("كليفورد" و"ماركوس" 1986 Clifford&Marcus) التي أعقبت نهوض مفهوم "الثقافة كنص" كما نشأت وتطورت في الإنثروبولوجيا التفسيرية، أن تنظر إلى التصوير الإثنوجرافى، ليس بصفته تفكيكاً لحقيقة واقعية ما، بل باعتباره مركباً أدبياً، ومثل هذه النظرة للتمثيل الثقافى يساعد على التركيز على سمات عملية الترجمة وإنتاجها. (١)

بوسع التصوير الثقافى أن يكسب - خلال الترجمة - نوافع مهمة من الاستبصارات الإثنوجرافية و لسوف أناقش خلال الصفحات التالية نهجاً متعددة إلى الترجمة وأسس علاقاتها بالنهوج الأخرى التي تتناول التصوير الثقافى بالإضافة إلى الدراسات الترجمية الجارية حالياً. ولسوف تكشف المناقشة أن هذا النموذج الترجمى الموجه نحو أغراض التعليم الذاتى يوفر استبصاراً فى علاقات القوة بين الثقافات المختلفة وتساعد فى التعرف على العلاقات المتبادلة بين مستويات متنوعة فى السياق الثقافى المتبادل. ويقوم هذا النهج مقام منظورٍ يحاول تجاوز تحليل بنود ثقافية محددة (مثال: المستوى المعجمى) وتعزز - بدلاً عن ذلك - تحليلاً يشتغل على مستوى الخطاب والسياق الاجتماعى.

٢ - نهجٌ إثنوجرافية في الدراسات الترجمية

إذا كان الترجيم بين الثقافات يعنى في ميدان الإثنوجرافيا - مثلما هو الحال في الترجمة - التفاعل بين الثقافات، فيكون مهماً أهمية قصوى أن نتعرف على الفاعليات النشطة خلف هذا التفاعل سواء في السياقات التاريخية أو المعاصرة على حدٍ سواء، وإذا ما عدنا إلى الوراء إلى خمسينات القرن العشرين لوجدنا "جودفري لينهارت" Godfrey Lienhardt مهمة الإثنوجرافيا كمهمة الترجمة سواء بسواء:

عندئذ بدأت مشكلة وصف كيف يفكر أبناء قبيلة نائية، للآخرين تظهر إلى حدٍ كبير وكأنها مشكلة ترجمة، مشكلة جعل التماسك الذي يحوزه الفكر البدائي في اللغة التي يتنفس خلالها، واضحاً قدر الامكان في لغتنا نحن. ("لينهارت" ١٩٥٤: ٩٧، العبارة مقتبسة من "أسد" ١٩٨٦: ١٤٢)

"لينهارت" في استخدامه لمصطلح "ترجمة" هنا لا يشير إلى مجرد مسألة اللغة، بل بصفة أولية إلى "أنماط الفكر" في سياقٍ ترجمي وعبر علاقات قوة. وفي قائمة أصحاب التقارير الأنثروبولوجية التي أوردها "طلال أسد" عن الترجمة نجد باحثاً جديراً بالذكر هو "إدموند ليخ" Edmund Leach الذي ذهب في سبعينات القرن العشرين إلى أن "ترجمة مرضية بشكلٍ مقبول تكون ممكنة بصفة دائمة للأغراض العملية"، وأن "الأنثروبولوجيين الاجتماعيين مشغولون في بناء منهجية لترجمة اللغة الثقافية" ("ليخ" العبارة مقتبسة من "أسد" ١٩٨٦: ١٤٢). والاشتباك مع مسألة الترجمة، التي مضت بالفعل إلى أبعد من مجرد رؤية مجازية للنقل بين الثقافات واضحٌ بدرجة كافية هنا، مع أن متطلباتها المنهجية تبدو متفائلة أكثر من اللازم إلى حد ما. ومع ذلك يجب أن يكون واضحاً بنفس الدرجة أن مفهوم الترجمة كما استخدمه أنثروبولوجيون من أمثال "لينهارت" و"ليخ" وآخرون (أنظر "أسد" ١٩٨٦: ١٤٢ ff) يصل إلى حد "الرغبة في بناء العالم البدائي و"تصويره" والتحدث نيابة عنه" ("تياسويني نيرانيانا" ١٩٩٢: ٧٠ والتأكيد عن طريق الخط المائل من عندها) وتبرز "نيرانيانا" في أحد الهوامش في كتابها توازياتٍ مع كتاب "إيوارد سعيد" المعنون بـ "الاستشراق" (المرجع السابق)

خلال الإشارة إلى نقص الوعي عند أولئك الأنثروبولوجيين فيما يتعلق بعلاقات القوة غير المتوازنة بين الثقافات المشاركة في الأمر.

يوحى المجاز الذي ينطوى عليه تعبير "ترجمة الثقافة" إلى أن ترجمة الثقافات في الواقع العملي ومن حيث المبدأ ممكنة، وهذا القول إشكالي، ليس مجرد أنه يفترض مسبقاً وجود وحدات ثقافية ثابتة يمكن نقلها من ثقافة "أصلية" إلى ثقافة "مستهدفة"، ولكن أيضاً لأن مثل هذه الترجمة كان يتضح في التحليل الأخير أنها عملية مركزية - عرقية ethnocentric ، وليس في طوع الإثنوجرافيين (أي المترجمين) أن يقاوموا استخدام مقولات لغاتهم الأم وثقافتهم القومية في "تصوير" ما يلاحظونه (أي ما يترجمونه من نص أجنبي) ولما كانت هذه مشكلة لا يمكن الوصول إلى حل كامل لها، فلقد ذكر "كليفورد جيرتز" Clifford Geertz أننا لا نستطيع مساواة الإثنوجرافيا بـ "ترجمة الثقافات"، طالما أن ذلك يعنى نقل ثقافة أجنبية إلى مفاهيم مناظرة. وهذا بدوره يسير في اتجاه مضاد لسعى الأنثروبولوجيا في سبيل فهم وتوصيف الثقافات الأجنبية من منظور أبنائها أنفسهم (جيرتز 1997: 290). ترى هل نجد أنفسنا هنا في طريق مسدود cul-de-sac ؟

يبدو جديراً بالذكر - إلى الحد الذي يتعلق بالتداخل بين الإثنوجرافيا والترجمة - أنه يتعين على أول قراء للثقافات الأخرى، وهم المترجمون والإثنوجرافيون أن "يصوروا" الآخر في عملية أولية ("فاليرو جارسيس" 1995: 556 Valero-Garcés) وكل من هؤلاء وأولئك يمكن أن نطلق عليهم مفسرين لـ "الثقافة" رهن الحديث، إلا أن الإثنوجرافيين يفسرون تجارب وإشارات وملاحظات بينما يفسر المترجمون نصاً سابق الإعداد. وفي سبيل ترجماتهم، يجد كلاً من هؤلاء وأولئك نطاقاً واسعاً من الأجوبة والحلول لتفسيراتهم - كل منهم فيما يخصه - في لغته الأم. وينخرط الإثنوجرافى في "ملاحظة مشتركة" واتصال مباشر، وبذلك يجد نفسه مواجهاً بتوقعات ثقافية ، وهنا تكون عملية الترجمة مزبوجة. ففي خطوة أولى يجد الإثنوجرافى نفسه مضطراً إلى تفسير الخطاب الاجتماعى لمخبريها من أبناء البلاد الأصليين. وفي خطوة ثانية يجرى

تنظيم وإدراج هذا التفسير في سياق واضح لصالح جمهور المتلقين المستهدف في "العالم الأول" وتوقعاتهم، ولكي "يُصور" ملاحظاته في اللغة والثقافة المستهدفتين، يصير لزاماً على الإثنوجرافى أن يساير إستراتيجيات الخطاب الأكاديمى (الغربى) لجمهور المتلقين المقصود، وينتج الإثنوجرافى - بذلك - نصاً جديداً بهدف الاندماج فى الذخيرة للثقافة الغربية المستهدفة (الغربية). ("ولف" 1997 Wolf).

أما المترجم فيواجه نمطياً - من جانبٍ آخر - نصاً سابق الوجود، يكون عليه أن ينقله عبر عملية معقدة إلى جمهوره المستهدف، والسؤال الذى يدور حول ما إذا كان المترجم يخلق - هو الآخر - نصاً جديداً خلال الترجمة طالما نوقش على نطاقٍ واسع فى إطار نهجٍ بعد - حدثية (انظر على سبيل المثال "ولف" 1997 ب)، وهو، أى ذلك السؤال مرتبط بالضرورة بذلك السؤال الذى يعرض لإنتاج المعنى. وينبغى لنا أن نركّز فى هذا السياق على أن الإثنوجرافيا تتخذ موقعها بالضرورة، كما تفعل الترجمة سواء بسواء بين أنساق المعنى التى تتميز بعلاقات قوى. وبناء عليه فـ"الترجمة بين الثقافات" تعنى أن معانى "الآخر" يجرى نقلها إلى ممارسات ثقافية، تكون هى ذاتها مطمورة فى المؤسسات والتقاليد مثال: التاريخ، وخاضعة لتشكيلها أى تلك المؤسسات والتقاليد. وترى "نيرانيانا" أن الدراسات الترجمية العامة فشلت حتى الآن فى تقديم مساهمة بناءة إلى تاريخ الترجمة البعد - حدثية لسبب محدد يتمثل فى انشغالها العميق بفكرة "المعنى الخالص" ("نيرانيانا 1992: 55). وعلى نحو ما ذكرتنا "كيت ستيرج" Kate Sturge تقول البحوث التى أجرتها "نيرانيانا" بـ"التدقيق فى النظر إلى العلاقة (غير المتكافئة) بين الثقافة - المصدر والثقافة - المستهدفة والطرق التى تعزز خلالها "ممارسات التصوير، هذه العلاقات أو تقوُّضها" ("ستيرج" 1997: 23-24). وعندما نتحقق - بالإضافة إلى ذلك - من أن الترجمة - كالكتابة الإثنوجرافية سواء بسواء - تعنى أن صوت "الآخر" تجرى "فلترته" باستمرار خلال وعى المترجم أو الإثنوجرافى، فليس من الصعب أن نرى أن التصوير الترجمى والإثنوجرافى لـ"الآخر" مقرر له أن يرى كـتصويرٍ إشكالى بدرجة عالية. والرأى التقليدى الذى يقول إن الترجمة والإثنوجرافيا ليستا سوى محاولتين لجعل "الآخر" مكماً للذات بطريقة موضوعية لم يعد فى طوع

أحد أن يدافع عنه، فحقيقة الأمر أن بوسعنا أن نرى في كل "تصوير" عملاً من أعمال الاضطهاد السياسي ("تايلر" ١٩٩٣: ٢٨٨). (٢)

من بين المحاولات الأولى لمعالجة "أزمة التصوير" هذه كانت ما يُسمى بمجادلة "ثقافة الكتابة/التدوين" التي بدأها في ١٩٨٦ كل من "جيمس كليفورد" و"جورج إي. ماركوس" اللذين اقترحا أن ننظر إلى "التصورات الثقافية" بصفها تراكيب أدبية. وفي نهاية سبعينيات القرن العشرين كشف عدد من الإثنوبولوجيين المرموقين، بينهم كلود ليفي - شتراوس "Claude Lévi-Straus" و"ماري بوجلاس" Mary Douglas و"كليفورد جيرتز" Clifford Geertz عن اهتمام بالغ بكل من النظرية والممارسة الأدبية. كما كشف "المنعطف الأدبي" في الإثنوجرافيا، الذي شاع أيضاً في التاريخوجرافيا ("هوايت" White 1978) أن الصيغ الأدبية مثل المجاز والاستعارة والسرد تؤثر على الطرق التي يجرى خلالها تسجيل الظواهر الثقافية. ونتيجة لذلك، فليس بوسع الشغل الإثنوجرافي أن يتجنب "الليجوريات" والمجازات والصور: "السلطة والتاريخ يعملان خلال (النصوص الإثنوجرافية) بطرق لا يستطيع مؤلفوها أن يحكموها كل الأحكام" (كليفورد ١٩٨٦: ٧) وبالتالي فإن نظرتنا إلى الإثنوجرافيات بصفها روايات أدبية توحى بانحياز الحقائق التاريخية والثقافية. (٣)

كما أنها تتجاوز أيضاً صورة - الذات عند الإثنوجرافي الذي يطرح نفسه ليس كمجرد مترجم بل أيضاً كوقائعي وناطق باسم الثقافة رهن الملاحظة أو الخاضعة للملاحظة (انظر "مالينوفيسكي" 1979: 25 Malinowski وفي مواضع أخرى من النص).

تضرب أزمة "التصوير"، كما يراها باحثون من أمثال "كليفورد" و"ماركوس" (١٩٨٦) أو "إيوارد سعيد" (١٩٨٩) في أعماق مشكلة إضفاء النصوص لطابع موضوعي على "الآخر"، كما لا يزال يخوضها بعض الإثنوجرافيين وفي نهاية الأمر أيضاً المترجمون بالمعنى التقليدي للكلمة. وقد تصلح هنا الملاحظة التي تقول بأن: "الحديث عن الآخرين يعنى الحديث عن النفس" ("بيرج" Berg و"فخس" Fuchs 1993: 11) الترجمة هنا ترجمتي "م.و.) في تذكيرنا بأن بناء "الآخر" ينطوي في نفس الوقت

على بناء الذات، وهو الأمر الذي يركّز على الطابع العلاقتي لكل من الذات والآخر. غير أن هذه العلاقات لامتوازنة بحكم طبيعتها ذاتها، وعلى نحو ما يرى "مايكل فيرنر" Michael Werner فإن نشوء علاقات متوازنة بين المجتمعات والثقافات هو أمر مستحيل، لأن ذلك يفترض وجود "تطورات" متجانسة للثقافات. وتواجه المقارنة باستمرار بين الثقافات والمجتمعات عناقيد من اللاتوازن التي "تروغ من أدوات التوصيف الموحدة" ("فيرنر" ١٩٩٧: ٨٩، الترجمة هنا ترجمتى. م. و.)

وفى ظل الطابع اللامتوازن للعلاقات بين الثقافات، فإن الاستيلاء والأولى الاستلاب الثقافي لـ "الآخر" يقع فى تبعيات اقتصادية وسياسية تعترف بها، بصفة رئيسية الحقائق البعد - استعمارية اليوم، وتنطق الشكوك التى يبديها "إدوارد سعيد" تجاه بعض المصطلحات التى تتصل بالموقف البعد - استعماري مثل "التصوير" و"الإنثروبولوجيا" بلغة واضحة فيما يتعلق بأن هذه المصطلحات متأثرة بالقيود والضغوط التى تنبع من كونها "متجذرة فى أوضاع لا يستطيع أى قدر من العنف الأيدولوجى أن يهزها" ("سعيد" ١٩٨٩: ٢١٢) وتعتمد "التصويرات" الإنثروبولوجية على عالم "المصور" بنفس الدرجة التى تعتمد بها على من أو ماذا يُصور. وبالتالي فالمصطلحات تتذبذب بين إمكانيات متعددة للدلالة حسب المنظر الذى تُدرس وفقاً له، فتستطيع أن تحمل معانى أساسية أو ثابتة. ونتيجة لذلك، يلاحظ "سعيد" أن "هناك أيضاً مخاوف (مبررة) من أن يكون الإنثروبولوجيون اليوم، قد فقدوا القدرة على طرق الميدان البعد - استعماري بنفس السهولة ذاتها مثلما كانوا يفعلون فى الأوقات السابقة" (المرجع السابق: ٢٠٩) ونفس الأمر ينطبق بنفس القوة على المترجمين فى السياق البعد - استعماري، حيث تكون الحساسية تجاه المضامين الأيدولوجية أو السياسية مطلوبة بإلحاح شديد.

لم تعد عملية الكتابة ذاتها أى الإنتاج الفعلى للنص، نشاطاً هامشياً، كما كان يفترض فى الماضى، بل نشاطاً، على حد تعبير "كليفورد" مركزياً لما يقوم به الإثنوجرافى سواء فى الميدان أو فيما بعد ذلك (١٩٨٦: ٢) والحقيقة التى تقول إن

النص لم يجد من يُصوّره أو يناقشه مناقشة جادة إلا في الآونة الأخيرة، يعكس في رأي "كليفورد"، الإصرار على أيديولوجية تدعى شفافية "التصوير" و"طزوجة التجربة" (المرجع السابق) إلا أن هذه الأيديولوجيا تداعت في ميدان الإثنوجرافيا مثلما تداعت في ميدان الدراسات الترجمية، ولم يعد أحد ينظر إلى المعاني بصفتها متماثلة إلى هذا الحد أو ذلك عبر الثقافات المختلفة، ولكن باعتبارها أشياء تحتاج إلى "تصوير" في شفرات ورموز ترتبط بذاتية المترجم والإثنوجرافي وخلفيتهما. ولقد سلّطت هذه النظرة المعدلة ضوءاً جديداً في ميدان الدراسات الترجمية على قضية "تحفي" المترجم (في ثنايا عمله) وأثارت السؤال تلو السؤال حول مدى سلطة المترجم ("ستيرج" ١٩٩٧: ٣٤) فلم تعد الترجمة تُفهم على وجه الحصر في ضوء النقل من "ذات" ثقافية إلى "آخر" ثقافي، ولكن أيضاً - وحتى بالدرجة الأولى في ضوء التأثير المنسّق، مثلما هو الحال على سبيل المثال مع انتشار الترجمة في سياق السيطرة الاستعمارية.

٣ - المعاني الضمنية للنهوج الثقافية في الدراسات الترجمية

نستطيع أن ننظر، في إطار الدراسات الترجمية - إلى أصداء المناقشات التي دارت حول "ثقافة الكتابة/ التدوين" *writing culture*، واستكشفتها بصورة أساسية "نوريس باخمان - ميديك" Doris Bachmann-Medek (انظر على سبيل المثال "باخمان - ميديك" ١٩٩٧) باعتبارها تشكّل جزءاً لا يتجزأ من "كدية" التطورات التي تندرج تحت "المنعطف الثقافي" ("باسنيت" و"لوفيفر" ١٩٩٠، ١٩٩٨) حتى ولو لم يحدث، في نطاق علمي - أن وردت بصورة صريحة تحت هذا العنوان أو هذه البطاقة. ولقد بدأت الدراسات الترجمية قرب نهاية ثمانينات القرن الماضي تأخذ قضايا السياق والتاريخ والعرف في الحسبان، وتحول التركيز في التفكير الترجمي من مسائل اللغة واللغويات إلى مسائل الثقافة. وبطبيعة الحال كانت دراسة الترجمة قد حازت الاهتمام مراراً في الدراسة الترجمية، منذ وقت مبكر يرجع إلى شغل "يوجين نيدا" Eugene Nida على ترجمات الكتاب المقدس (حيث بدأ "نيدا" شغله في سنة ١٩٤٥) ولكن معظم

تلك النهوج كانت لا تزال تشي بنوع من الإنثروبولوجيا المنحازة على أساس المركزية - العرقية. وفي أعقاب انفتاح النسق على السياقات الثقافية الأوسع للترجمة، مهد مفهوم التعددية الثقافية، كما تُفهم على وجهٍ خاص في الدراسات الترجيمية المعتمدة على الجنوسة gender ، وتلك الدراسات البعد - استعمارية (انظر على سبيل المثال "سيمون" 1996 Simon) الطريق في نهاية المطاف إلى مفهوم دينامي توجّهه العملية الترجيمية ذاتها ويلهم التفكير في ميدان الترجمة.

وقد كشف لنا "المنعطف الثقافي" - بين ما كشف - أن أحسن تصوّر للثقافة، لا يكون باعتبارها كتلة ثابتة، بل بصفاتها عملية دينامية تنطوي باستمرار على الاختلاف والنقص (بون التماثل والكمال) وبصفتنا مترجمين وباحثين في ميدان الترجمة أخذنا نكتسب وعياً متزايداً بأن الترجمة ليست مسألة مجرد نقل بين الثقافات بل هي مطرح تمتزج فيه الثقافات كي تخلق فضاءات جديدة. وفي سياق التفاعل بين الثقافات اللامتوازنة، لا تعزز الترجمة الحدود ولا تعمق الانقسام الثنائي بين "مركز" ضد "طرف"، وبدلاً من ذلك تعين "المراكز - المتعددة" حيث يجري في إطارها - بصفة دائمة - تجاوز الخلافات الثقافية. وفي ضوء هذه النظرة، لا تلوح الثقافة ك"عولم - حياتية أصلية" ولكن كترجمات بمعنى أنها نتائج بالفعل لأنشطة ترجمية ("باخمان" - ميديك" 1997: 14). وعلى هذا النحو فإن مفهوم "الثقافة كترجمة" يبرز الثقافة كمطرح التفاعل بين مكونات العمليات الترجيمية وكفضاء نستطيع فيه تصوّر الترجمة كتفسير متبادل بين الذات والآخر. ومع تبني هذا المنظور يصبح واضحاً أن المجتمعات البعد - استعمارية مثل "الثقافات المختلطة" والمجتمعات التوفيقية في أمريكا اللاتينية تعتمد على الترجمة، ليس في ضوء النصوص وحدها بل أيضاً في ضوء التقاليد البين - ثقافية والأعراف والممارسات الثقافية.

كيف نستطيع هذه الاعتبارات أن تقيّد استبصارنا في العلاقات المتبادلة بين الثقافات المنخرطة في ميدان الترجمة؟ وما هو تأثيرها على نماذج البحث الترجيمي؟ ومن هو الفاعل وما هي الفاعلية وراء "تصوير" الثقافي الذي يجري خلال الترجمة؟

سوف أعرض لهذه الأسئلة بالنقاش في الفقرات التالية على أساس الفرضية التي تقول بأن مفهوم "المراكز المتعددة" تمثل منعطفاً مشقياً في مناقشة قابلية الثقافات للترجمة.

٤ - ال - بين - بين

تُعد وظيفة الترجمة باللغة الأهمية في سياق منظور لـ "المراكز الثقافية"، يسعى إلى تفكيك فكرة وجود ثقافات ثابتة يساعد وسطاء ثقافيون كالمترجمين أو الإثنوجرافيين على عبور ما بينها من فجوة أو فجوات. وكان التحول عن الأنماط المركزية - العرقية للتفسير الثقافي في ضوء أنماط الإدراك والسلوك السائدين في الثقافة التي ينتمى إليها المترجم أو الإثنوجرافي، والتوجه نحو ثقافة تركّز على الإفصاح الرمزي للخطابات^(٤) الاجتماعية، ينطويان بالضرورة على ممارسة كتابية أو تدوينية تضع إنتاج المعرفة عند الآخر موضع التساؤل. وتسلب بعض نماذج "التصوير" التي تؤكد ما يُسمى بـ (الفضاء الـ بين - بين) على هذا التغيير في المشق. ولقد انتصرت بالفعل "مارجريت ميد" Margaret Mead، قبل خمسين سنة، لصالح "تصوير" أنثروبولوجي سوف ينبثق من فضاء يقع في مكان ما بين ملاحظاتها والعبارة اللاحقة منها أي من هذه الملاحظات وبين نظرة القارئ:

أود لو أستطيع التدخل بين عبارتي وبين نظرة القارئ لهذه العبارة للحظة، ليس لكي أتحقق مما إذا كنت أملك الحق الحاسم في قول ما قلت، ولكن بدلاً من ذلك كي أرى كيف وصلت إلى ما هي عليه العملية الأنثروبولوجية. ("ميد" ١٩٧٤: ٥٣ ف)

تري "ميد" أن اللقاء بين الثقافة بصفتها موضوعاً للملاحظة تمهيداً لتصويرها خلال إلباسها ثوب النص على أيدي الإثنوجرافي من ناحية وبين الاستقبال (الأكاديمي) لذلك "التصوير" الذي ارتدى ثوب النص من ناحية أخرى، ما هو إلا وسيلة لإمعان النظر في عملية "التصوير" الثقافي عند اللحظة بالذات التي يتحد فيها منظورا الملاحظ (بكسر الحاء) والموضوع الملاحظ (بفتح الحاء) وعلى هذا النحو يتحقق تجاوز الانقسام بين العاملين الفاعلين في العملية (انظر أيضاً "ولف" ٢٠٠٠: ١٣٦).

وتمضى "أنورادا دينجوانى" Anuradha Dingwaney خطواتٍ عديدةٍ أبعد، فى مقدمتها إلى مجموعة المقالات المعنونة "بين اللغات والثقافات" *Between Languages and Cultures* (1995)، وتعرّف لفظ "بين" فى سياق الترجمة البعد - استعمارية بأنه "ذاك الفضاء الذى يخطئ المستعمر (بفتح الميم) الحسن الطوية عن عمدٍ فى ترجمة نص المستعمر (بكسر الميم) وهو الخطأ الذى يقصى ويقوِّض سلطته - أى سلطة هذا النص - منطلقاً من الوعي بفاعلية "الآخر" وأشكال ذاتيته، التى تُعيد "الآخر" إلى تاريخ كان قد انتزع منه بالقوة" ("دينجوانى" ١٩٩٥: ٩) وخلال رؤية الفضاء الـ"بين - بين" كأرضٍ خصبة وفى نفس الوقت مثيرة للقلق حيث يحدث التفاعل الدينامى بين ثقافتين اثنتين على الأقل، فإن نهج "دينجوانى" لا يُعد مجرد مساهمة أخرى مهمة لمفهوم "المراكز - الثقافية - المتعددة"، الذى ورد ذكره عالياً، بل ويكشف أيضاً ملمحاً آخر يخص "الترجمة بين الثقافات"، ويزيح الستار عن علاقات القوة الكامنة فى أى عملية ترجمة.

أصبح إمعان النظر فى المعانى الضمنية لعلاقات القوة فى العملية الترجمية جزءاً أساسياً من معظم نهوج "المنعطف الثقافى". وهذه العلاقات اللامتوازنة بين الثقافات الوثيقة الصلة بتلك القوة تعمل بصفة دائمة فى أى عملية نقل بين الثقافات، سواء أكانت هذه العملية على مستوى اجتماعى أو اقتصادى. وإذا كان لنا أن نرى القوة / السلطة بصورة تتمشى مع "ميشيل فوكو" Michel Foucault أى بصفتها وسيلة للسيطرة والإخضاع والقمع، وهى الوسيلة التى أصبحت تظهر فى المجتمعات الحديثة كشبكة من الممارسات التى "يجوئها" *internalize* (من ظرف المكان "جوانى") البشر كجزءٍ لا يتجزأ من عملية التحول إلى أعضاء فى مجتمعاتٍ، وهى العملية التى تصبح حيوية على نحوٍ خاص فى التفاعل مع غيرهم من أناسٍ آخرين. ("فوكو" ١٩٧٥: ٤٣) وعندئذٍ تغدو كافة الأنواع المتعددة لعلاقات القوة / السلطة التى تعمل فى عملية الترجمة غاية فى الوضوح وواقع الأمر أن القوة تعمل على مستوياتٍ مختلفة، فى الأداء الترجمى أى فى كافة الفاعليات المسئولة عن الإنتاج الترجمى، مثلما هو الحال فى وظيفة الترجمة فى الثقافات المنخرطة فى الأمر.

ما يلزمنا هنا علاوة على ذلك هو مساهمتها أى الترجمة المعرفية (= الإبستمولوجية) فى النقاش. فى السياق الاستعماري تكون علاقات القوة واضحة على وجه خاص. فنقاشات المؤسسات الغربية - على سبيل المثال - تستمر فى مجتمعات "العالم الثالث" وبالتالي تخد الهيكل الاستعماري (أنظر "نيرانيانا" ١٩٩٢: ٣). وإلى نفس الدرجة لا يكاد أحد يستطيع نكران أن العولة اليوم على المستوى الاتصلاى communicational والاقتصادى تؤدى إلى استبدال والأولى الحلول محل "الأخر" من ناحية وتسوية levelling out الخلافات الثقافية، وفى مواقف مثل هذه يكون دور الترجمة حاسماً. إذ يمكننا أن نفسر الترجمة بصفتها إستراتيجية لتدعيم "الأخر" الثقافى، وعملية لا تنطوى على مجرد تثبيت الأيدولوجيات السائدة أو تثبيت الفلاتر (= جمع فلتر) الثقافية، ولكن أيضاً على عرقلة أى ديناميات مستقلة استقلالاً ذاتياً للتصوير الثقافى. ويوسعنا أن نلاحظ هذه الظاهرة - على سبيل المثال على مستويات متعددة من إنتاج الترجمات - من اختيار النصوص المرشحة للترجمة إلى أساليب التوزيع، وكل ذلك خاضع لعلاقات القوى بما فى ذلك الإستراتيجيات المتبناة.

يحملنا هذا إلى نقطة أخرى تبدو مركزية فى النقاش الدائر: دور الفاعلين المنخرطين فى عملية الترجمة أى الأفراد و/أو المؤسسات الواقعة فى سياقات ثقافية مختلفة. ولعل علاقات القوة الكامنة فى إنتاج واستقبال الترجمة، وهى العلاقات التى تنعكس بصورة بارزة فى أنشطة الفاعلين تحتل أهمية خاصة، وفى سياق مثل هذا تثار أسئلة عديدة، من هو المسئول عن اختيار النصوص للترجمة؟ من هو المسئول عن نشرها؟ من الذى يختار المترجم؟ ما هى العلاقات بين هذه العوامل والعوامل المناظرة فيما يسمى بالثقافة المصدر؟ ما هى المعايير اللازمة لـ "توسيم" marking النص المترجم، على سبيل المثال إدراج الكتاب فى سلسلة معينة أو إضافة نص مواز للترجمة؟

يبدو أن هذه الاعتبارات الموجزة لبعض المظاهر الاجتماعية قد حرفتنا عن مجرى نقاشنا الأول للنهوج الإثنوجرافية فى الدراسات الترجمة. ومع ذلك إذا ما ألقينا نظرة عن قرب على العمليات التى تناولناها فى أطرها العامة أعلاه، فإننا نتحقق من أن

علاقات القوى الكامنة في اللقاء بين الثقافات لا تميّز مجرد السيطرة على أساليب "التصوير"، ولكن أيضاً تؤثر على التفاعل بين الفاعلين المختلفين، وبعبارة أخرى عن طريق التركيز على الفاعليات المختلفة المنخرطة في العملية الترجمية، نكون قد تحركنا بالفعل في محاولتنا تجاوز نموذج النقل الأحادي - الاتجاه بين ثقافة - مصدر وأخرى مستهدفة. وفي الخطوة التالية سوف نحاول أن نتحرك فيما وراء هذا بتسليط الضوء على إمكانيات الفضاء القائم بين الفاعليات المختلفة.

٥ - تدخّل من جانب فضاء ثالث

يغدو الفضاء الـ"بين - بين" بصفته مطرحاً للقاء بين الثقافات المختلفة لازماً بصفة خاصة في سياق النزعة البعد - استعمارية والنزوح من بلدٍ لآخر، ويرى "هومي بهابها" أن الثقافات يستحيل أن تكون متوحّدة في حد ذاتها ولا ثنائية ببساطة، كما هو الحال في العلاقة بين "الذات" و"الآخر". وعضواً عن ذلك هناك "فضاء ثالث" لا يمكننا إرجاعه، لا إلى "الذات" ولا إلى "الآخر"، لا إلى "الأصل" ولا إلى "النص المستهدف". وفي ضوء هذا المنظور المهجن للثقافة، لا تُعد الترجمة نشاطاً حاسماً ولكن، كما يقول "بهابها" "الفضاء الثالث" وهو الموقع المفعم بالإمكانيات ونقطة - البدء للإستراتيجيات الترجمية في العصر البعد - استعماري:

قل هو "الفضاء الثالث" الذي يشكّل - مع عدم قابليته لـ"التصوير" في حد ذاته - الشروط المتغيرة للتصريح الذي يضمن عدم حيازة معاني أو رموز الثقافة لأي توحّد أو ثباتٍ أزيليين، وأن نفس العلامات، حتى نفس العلامات يمكن استلابها وترجمتها وإعادة تتريقها بمعنى إدراجها في تواريخ وقراءتها من جديد. ("بهابها" ١٩٩٤: ٣٧)

وعندما نستكشف هذا "الفضاء الثالث"، فإن بوسعنا أن نتجنّب الاستقطاب، ويمكن للذات أن يمر كالآخر ("بهابها" ١٩٩٤: ٣٩) وعلى هذا النحو نبرز أشكال الاتصال كالترجمة ونركز على طابعها متعدد المركز pluricentric . ونتيجة لذلك يكون

الحوار negotiation مطلوباً لمناقشة الاختلاف في الثقافة والهوية. وهذا الحوار الذي يُعد الوسيلة الوحيدة لاحتضان مفهوم قابلية الثقافات للترجمة ("زيجلر" Ziegler 18: 1999)، يُفسر على اعتبار أنه مرادف للترجمة، إلى ذلك الحد الذي يحتاج معه مجهود الترجيم لتجاوز التناقضات الثقافية وأخطاء الفهم (انظر "باخمان - ميديك" ١٩٩٧: ١٥ ff) وبطبيعة الحال لا ينبغي لـ "الفضاء الثالث" وهو الموضوع حيث يحدث فيه التجاوز، وهو الاسم المستعار للترجميم، أن يرى فيه أحد فضاءً حيث نستطيع أن نشهد فيه لقاءً منسجماً بين الثقافات المرشحة للترجمة أو إنتاجية غير محدودة ووفرة في منابع الإلهام الخلاق ("باخمان - ميديك" ١٩٩: ٥٢٥) ومع ذلك يجعل المفهوم من الممكن أن ننظر إلى النشاط الترجيمي، باعتباره عملية تفاعل وساحة لقاء حيث تجرى تصفية الصراعات وتُستكشف هوامش التعاون. كما يمكننا في إطار سياقٍ ترجميٍ أوثق أن نرى الحوار في "الفضاء الثالث" كالمطرح الذي يناقش فيه المترجمون بصفتهم وسطاء ثقافيين وسائر الفاعلين المنخرطين في العملية الترجيمية، ويُعدون الترجمة لمستقبلها بما في ذلك كل الوسائل المتخيّلة مثل العروض في الدوريات والمقالات النقدية أو المقتطفات.

ولسوف يعتمد نموذج البحث الذي يضع في حسابه المظاهر التي نوقشت حتى الآن في هذه الورقة على الافتراض الذي يقول بأن الثقافة لا ينبغي النظر إليها على أنها مجرد عملية دينامية تشير إلى الاختلاف والنقص، ولكن أيضاً وبالدرجة الأولى كنقطة تلاقي حيث تعتبر الترجمة تفسيراً لكل من "الذات" و"الأخر". وفي ضوء هذه النظرة للثقافة باعتبارها مطرحاً للترجمة، يمكننا أن نتصور أي نوعٍ من أنواع النقل الثقافي، بما في ذلك العمليات الاثنوجرافية كترجمة بين الثقافات. وبذلك فأي عملية ترجمية تكون مقوماً من مقومات النقل الثقافي. وأستطيع هنا أن أسوق على سبيل الحجة لصالح هذا الافتراض تلك الحقيقة التي تقول بأن الترجمة ليست بحالٍ من الأحوال نقلاً أحاديً - الاتجاه - كالأستيراد على سبيل المثال ولكن عملية متعددة الطبقات من الشغل والاتصال تحدث داخل شبكات اجتماعية وثقافية معقدة.

تحت ظل مثل هذه الظروف، يمكننا أن نأخذ عوامل عديدة في الحسبان داخل نطاق مفهوم النقل الثقافي منظوراً إليه كترجمة بين ثقافات مهجنة بالفعل. وكل عامل من هذه العوامل مطمور في عمليات يُنظر إليها باعتبارها عمليات ترجمة، أولاً: يتعين درس معايير اختيار النصوص للترجمة: أي درجة من المشروعية نستطيع إسباغها على المنتج الثقافي أي الترجمة وما هي النتائج المترتبة على العمليات التي تخص الموافقات (لنقل الأبيية)؟ على أن الدافع لقبول سلع ثقافية كالترجمات يرتبط بشكل وثيق بالاختيار، وبوسعنا أن نتصوره كرد فعل للاستبصار أو النظرة الثاقبة التي ترى أن هناك فجوات بنيوية، تستطيع الترجمة أن تنهض عندئذ كي تملأها (انظر أيضاً "تورى" ١٩٩٥: ٧٠ ff ومواقع أخرى في النص) هناك عامل آخر مهم يتمثل في الأعراف التي يمكن أن تكون مؤثرة في كل مرحلة على حدة من عملية الترجمة. فالأعراف تحدد الاختيار وكذلك شخصية المترجم، فهي تفرض عملية سبغ طابع مؤسسي، ومن هنا تحدد الآليات اللازمة لقبول المنتجات الثقافية، كما تحدد المعايير التي تحكم عملية تشكيل الهوية خلال الترجمة إلى جانب طبيعة العلاقات بين الثقافات المنخرطة في الأمر. (٥) وبناء عليه تؤثر الأعراف على كل أنواع عمليات اتخاذ القرار في الوقت الذي يتجاوز فيه الفاعلون كافة هذه العوامل المتعددة، ومع ذلك فمما ينطوي على أهمية كبرى أن كل هؤلاء الفاعلين، سواء أكانوا أفراداً أو مؤسسات يمكن أن ننظر إليهم بصفاتهم يشتغلون عند الحدود الثقافية الفاصلة ويعملون بصورة رمزية - وكما سبق لنا القول أعلاه - في "فضاء ثالث"، حيث جرى تجاوز الصراعات الناشئة عن الاختلاف الثقافي والخطابات الثقافية المختلفة المنخرطة في هذه الصراعات. وفي حالة النظر إلى هذا "الفضاء" كشكل مفعم بالإمكانات للتفاعل الاجتماعي والبين - ثقافي، فإن هذا الفضاء يغدو وسيلة للتعليم الذاتي بهدف تصور وتوقع عمليات النقل والتغيرات السياقية التي تصاحبها، بالإضافة إلى الشروط العلاقاتية relational التي تنطوي عليها عمليات النقل هذه.

وعلى هذا النحو يسفر تبني "الفضاء الثالث" الذي يعتمد على مفهوم "الثقافة كترجمة" عن استبصارات في تطوير عملية الترجمة. وعندما تدعو "سوزان باسنيت" Susan Bassnet إلى "تمحيص أعمق لعملية التثقاف التي تحدث بين الثقافات"

وإلى "تمحيص أكبر لما سماه "فينوتى" Venuti في وقت سابق بـ"عنف المركزية العرقية ethnocentric لعملية الترجيم" ("باسنيت" ١٩٩٨: ١٣٨) فإننا نكون بذلك قد خطونا خطوة هائلة في النقاش الأنطولوجي حول الكيفية التي يمكننا أن نتناول بها "الترجمة بين الثقافات، وإذا كانت الترجمة شيء أكبر من نقل بين أنساق لغوية، ونظرنا لها عوضاً عن ذلك بصفتها "تصويراً للتصورات" ("باخمان - ميديك" ١٩٩٧: ٧) باعتبار أن تصوير الثقافات بحد ذاته يعتمد على الترجمة والديناميات التي ينطوي عليها هذا المفهوم للترجمة تفسح الطريق أمام نموذج لـ"الترجمة الثقافية" التي تحاول الإفلات من الانحياز "الجوهري النزعة" essentialist . وهذا النهج لن يعود بمجرد استبصار أو نظرة ثاقبة على علاقات القوى بين الثقافات المنخرطة في الأمر وفاعلها الخصوصيين، لكنها يوسعُ حدقة العين ويشحذ البصر على التعددية الثقافية، ليس أقلها خلال إدخال نقاشات متعددة النسق .. وأخيراً فهي تلبي الاحتياجات اللازمة للمجتمعات المتعددة المركزية الناشئة والهويات المهجنة، حيث يُدعى المترجمون لأن يكونوا على وعي بموقفهم الذي يكتنفه الغموض بين العمليات السياسية التي تتبنى التماثل - انظر إلى "العولة" والحاجة الماسة إلى المرونة العبر - ثقافية أو المتجاوزة للثقافات. ونتيجة لذلك تواجه الترجمة تحدياً يتمثل في المساهمة في مصالحة (نقدية) وفي نفس الوقت اعترافاً بالاختلاف الثقافي في العالم حيث أصبح فعل الترجيم في حد ذاته ملمحاً مكوناً.

الهوامش

- (١) يمكننا تتبع المفهوم أيضاً في النقد التتريخي الجديد، حيث يتبدى التركيز على تتريخية النصوص وتنصيصية التاريخ كليهما، انظر "مونتروز" (١٩٨٦).
- (٢) يمضى "تايلر" حتى إلى أبعد من ذلك: "نظراً لأن النص لا يستطيع أن يستأصل لا الغموض ولا الذاتية سواء ما يخص منهما المؤلفين أو القراء، يكون من المحتم أن تُساء قراءته، إلى ذلك الحد الذي يجعلنا نخلص إلى أن معنى أى نص هو حاصل إساءة قراءته" ("تايلر" ١٩٨٦: ١٣٥) وقد تعرض أيضاً "هانز بيتر دوير" Hans Peter Duerr الذي يرى في الترجمة عملية تسلب الثقافة المستهدفة خلالها "الأخر" وتدعى امتلاكه وبالتالي يتم تحييده، بالنقد لمجاز الترجمة ("دوير" ١٩٨٥: ١٥٢)
- (٣) ليس بالمرّة - دون سبب - إذ "يصور" "فينسنت كرابانزانو" Vincent Crapanzano الإثنوجرافيين بصفتهم "محتالين" (١٩٨٦: ٥٢ ff).
- (٤) يجب أن نفهم الخطاب الاجتماعي هنا بصفته "أى شيء يصلح أو يمكن أن يصلح لأن يقال أو يكتب أو يُعرض في مجتمع معين في لحظة معينة، مما يمكن أن يُسرد أو يُناقش، طبقاً لـ "كثية" متغيرة من الأعراف" ("روبنز" 1992: 214).
- (٥) داخل نطاق هذا الإطار العمومي نوعاً ما لنموذج البحث، لا نستطيع التطرق لمفهوم الأعراف بتفصيل ولزيد من القراءات في هذا الصدد انظر على وجه الخصوص "تورى" (١٩٩٨) و"هيرمانز" (١٩٩٩: ٧٢-٩٠).

الفصل الثاني عشر الدراسات الترجمية "العالمية" و"المتعددة اللغات"

شيبينيم سوزام - سراييفا Sebnem Susam-Sarajeva

خلاصة:

تُخضع هذه الورقة للبحث عدداً من علاقات الاستيراد/التصدير بين المركز والطرف من ناحية والدراسات الترجمية من ناحية أخرى. وتركز على التوقع المشترك من نور الباحثين الذي يتمركز في الطرف كموردين لـ "المواد الخام" في شكل نصوص مترجمة ونصوص موازية وسلوكٍ ترجمي وتواريخ للترجمة. وترتأى هذه الورقة أنه إذا استمر اعتبار النظرية شيئاً ينتجه المركز كى يستهلكه الطرف، إذن لن يكون بوسع أحد أن يطرح تحدياً حقيقياً للنظريات التي يوفرها المركز، بمجرد اختبار صحتها بتطبيقها على معطيات يوفرها الطرف. وتتساءل الورقة عما إذا كان ينبغي لنا أن نقبل الوهم بأننا جميعاً ننتج مساهماتٍ متكافئة للوصول إلى هدفٍ مشتركٍ يتمثل في تقديم الدراسات الترجمية كنسقٍ أكاديمي. وألا نستفيد من إمعان النظر بشكلٍ أكثر جراءة على النقد، في مناهجنا التي نُعملها في بحوثنا وفي علاقتنا بالنظريات والنماذج والأدوات والمواد التي نستعملها ونسعى لتطويرها؟

بدأت هذه الورقة والأولى هذا المقال حياته كورقة قدمت إلى مؤتمر "نماذج البحث في الدراسات الترجمية" الذي انعقد في مدينة "مانشستر" بإنجلترا في أبريل/برمودة ٢٠٠٠، وكان أحد الأهداف والمقاصد التي وضعها ذلك المؤتمر نصب عينيه يتمثل في رؤية "مصير النماذج الغربية عندما تواجه أنماطاً غير - غربية من الفكر والتعبير" وطبقاً لذلك كان من بين الموضوعات المقترحة لأوراق المؤتمر موضوع "نماذج البحث والثقافات غير - الغربية"، وينطوي "التجوير" juxtaposition أو لنقل المواجهة في هذا

المؤتمر على تقرير والاولى امتداح يعيد أيضاً إلى الأذهان نمطاً سائداً هو نمط استيراد/تصدير، وهو النمط الذي نجده في كثير من المناهج المعاصرة، بما ذلك الدراسات الترجمية، بالإضافة إلى بعض علاقات القوى التي تؤخذ عادة كبداهيات ومن هنا يسكت عنها الجميع.

ولعله من الصعب نوعاً ما أن نشتغل بمصطلحي "غربي" و"غير - غربي"، فأى نعت أو محمول يصف موضوعه في حالة النفي على هذا النحو "غير - س" مشتق من نقطة استشراف هذا النعت أو المحمول أي "س". وفي ظل مصطلح "غير - غربي" نجد أن الأغلبية الساحقة من العالم تُعرّف هنا باعتبارها كلاً "غير - س"، مع أن هذه الأغلبية الساحقة لا تُعرّف نفسها بالتعارض - بصورة ضرورية، أو بصورة مطلقة - مع "الغرب". ولقد أصبح في ظل هذا الوضع وصف أو نعت "غير - غربي"، فيما هو واضح، هو الاسم المشترك والوحيد الذي يقف وراء ما كان يمكن أن يكون - لولاه - لغات وثقافات بالغة التعدد، تمتد من اليابان إلى الهند ومن الشرق الأوسط إلى الصين ومن روسيا إلى أفريقيا، ويقول "بيرى أندرسون" Perry Anderson (في كتابه "شجرة أنساب الدولة المطلقة" Lineages of the Absolutist State : "في ظلام جهلنا - ليس إلا - تأخذ كل الأشكال المغايرة لما ألفناه نفس اللون"، وهذه العبارة مقتبسة في (جياتري سبيفاك" 89: 1999 Gayatri Spivak). ومن جانب آخر، نجد أن نفس هذه الثنائية تطرح "الغرب" أكثر تجانساً مما هو عليه في واقع الأمر ("كرونين" 89: 1999 Cronin). وهي لا تضع في حسابها المواضيع المختلفة للثقافات واللغات الأيرلندية والهولندية والسلافية أو الفنلندية، على سبيل المثال لا الحصر - أضف إلى ذلك أن هذين المصطلحين لا يقدمان أي عون للباحث الذي يشتغل على معطيات معاصرة، حيث نجد الحدود قد تآكلت إلى حد كبير واقتفاء "التأثيرات" أمر بعيد - في الغالب - عن متناول اليد.

ومع ذلك يجب على المرء أن يكون قادراً على الحديث عن التفاضلات الأسيّة والاولى تفاضلات القوة Power differentials داخل النسق، وإذا كان هذان المصطلحان مضللين إلى هذا الحد أو ذاك، فإننا نستطيع اقتراح مصطلحات أخرى. وفي هذه

الورقة سوف أستخدم تلك الثنائية الأكثر تجريداً إلى حدٍ ما وهي: "المركز" و"الطرف"، اللهم فيما عدا مناسباتٍ محدودة، ولا ينبغي لصيغة المفرد هنا أن تضلل القارئ. فليس هناك "مركز" واحد في الدراسات الترجمية، وليس هناك كذلك "طرف" واحد. وفي سائر الأحوال ليس هناك طريقة لقياس "المركزية" أو "الطرفية". ومع ذلك ففي سبيل امتلاك القدرة على مناقشة بعض المواضيع، يحتاج المرء أن يبدأ ببعض المصطلحات، مع كل ما يكتنف هذه المصطلحات من دواعي القلق والاضطراب. وعلى نحو ما سنرى أدناه يحوز مصطلحا "المركز" و"الطرف" ميزة خاصة تتمثل في تجنبنا التراكم الشمولية الضخمة، مثل تلك التي توحى بها ثنائية (غرب/غير - غرب)، طالما يسمحان ببناء تركيب معارض من "مركز - طرف" أيضاً داخل نطاق كلٍ من الطرف والمركز.

١ - علاقات مركز - طرف داخل نطاق الدراسات الترجمية

لا يتناظر كلٌ من المركز والطرف في الدراسات الترجمية على وجه التحديد بمقابلهما في الوضع الجغرافي في العالم اليوم. ونتيجة لطبيعة الموضوع الخاصة بالنسق، فإنهما أكثر ارتباطاً باللغة، فامتلاك كفاءة عالية في لغة أو أكثر من اللغات السائدة (الإنجليزية والفرنسية والألمانية والآن ومن وقتٍ لآخر، الإسبانية) واختيار مواد البحث من هذه اللغات و/أو نشر البحث بإحداها تُعد عوامل أساسية في الغالب في وصول صوت المرء إلى الأذان. أما الشغل في، و/أو الكتابة بإحدى اللغات "الغريبة"، من جانبٍ آخر فيبدو أنه يشير إلى موضعٍ طرفي "نوعاً ما، وأولئك الذين يلجأون إلى هذا العمل يجدون أنفسهم مضطرين إلى خوض صراعٍ طويل في سبيل شق طريقهم نحو الفوز باعترافٍ عالمي، وفي الغالب تأتي القوة الاقتصادية - الاجتماعية لبلد المنشأ أو الإقامة في المرتبة الثانية بالنسبة لقوة اللغة التي يكتب بها ويشغل فيها.

قد يكون هناك شخصياتٌ "مركزية" داخل "الأطراف" وشخصياتٌ "طرفية" داخل مواقع "مركزية". ولا يزال بوسع بعض الباحثين الذين يشتغلون على بحوثهم في بلدانٍ أقل شهرة نوعاً ما أن يُنظر إليهم كشخصياتٍ "مركزية" بفضل لغاتهم الأم أو اللغات

السائدة التي يكتبون بها (مثال: الروائية الكشميرية "نينا سيبال" Nina Sibal التي كتبت باللغة الإنجليزية. المترجم). ومع ذلك فطالما بدأ الباحث الذي يعيش في بلدٍ قويٍ من الناحية الاقتصادية - الاجتماعية يشتغل على معطياتٍ حصل عليها من لغاتٍ أقلٍ شيوعاً، فسرعان ما قد يشعر بأنه أصبح "طرفياً" إلى حدٍ ما. ومع ذلك يظل الموقع المادي الفعلي للباحث عاملاً حاسماً. وتلعب المظاهر المؤسسية والرعاية عاملاً بارزاً في نشر المعرفة بين أعضاء أى مجتمعٍ علمي. فالموضع الذي ينشر فيه المرء بحثه وما إذا كان نورياتٍ أو كتباً (محلية/عالمية، محلية ولكن معروفة جيداً ويسهل الوصول إليها إلخ) وعند أى نور نشر، يُعد عاملاً حاسماً، تماماً مثل قرب المرء من مؤسسات البحث المركزية.

إذا بدت النقط التي أثرتها حتى الآن مجرد "بديهيات" أو "معلوماتٍ عامة"، فإنها لا تزال تستحق - في رأبي - أن نذكرُ بها، وخصوصاً وأن المرء يسمع كثيراً من يزعم أن المركز يمكن أن يقوم في أى مكانٍ ينتج فرضياتٍ ونماذجٍ ونظرياتٍ مهمة ومفيدة، فمثل هذا النهج يقلل من وطأة المعتمدية canonization كعملية تسير جنباً إلى جنب مع الإمبريالية الاقتصادية والثقافية واللغوية.

٢ - العمومية

تتمثل إحدى الخصائص الرئيسية للمركز في إرادته الفعلية في السلوك بصفته المركز (وليس مجرد "مركز" من مراكز). المترجم) وفي غالب الأحيان يدعى العمومية أو الشمولية الكلية. ومنذ مرحلة نشوء الدراسات الترجمية في سبعينات وثمانينات القرن العشرين جرى تصورُها كنظامٍ شامل. ولقد طرح "جيمس هولز" (١٩٧٢) في مقاله الذي يستشهد به كثيرٌ من الباحثين "اسم وطبيعة الدراسات الترجمية" أن الهدف النهائي للمنظر الترجمي، يتمثل في "بناء نظرية كاملة شاملة تجمع كثيراً من العناصر التي تستطيع العمل على تفسير/و التنبؤ بكافة الظواهر الداخلة في نطاق ميدان الترجمة والترجميم، مع استبعاد كل الظواهر الواقعة خارجها" (١٩٨٨: ٧٣).

أما "النظريات الترجمية الجزئية" فلقد استقر النظر إليها وقت ذاك بصفتها أكبر قليلاً وحسب من مقدمة إلى مثل تلك النظرية الترجمية العامة" (المرجع السابق) ويقود هذا - لحدٍ شامل - إلى الجهود المتزايدة في الوقت الراهن نحو تعريف القواعد والقوانين التي ترى في الظواهر الترجمية تنوعاً على قدر ما نستطيع. وتتردد على نطاق واسع دعوات إلى بذل جهودٍ مشتركة في سبيل وضع مجموعة والأولى "كُدية" متماسكة من المفاهيم والنماذج التي تصلح للتطبيق دون تردد على كافة أنواع النصوص الممكنة المكتوبة في كل اللغات الممكنة في أي لحظة في تاريخ الإنسان.

مع أن هذه المشاريع قد تبدو جديرة بالإعجاب، إلا أنها محفوفة بعيوبٍ معينة فالنماذج والأدوات، وكما قيل مراراً - تلك التي تنبع من "المركز" وتتخلق في البداية اعتماداً على معطياتٍ "مركزية" لا تثبت كفاءتها بالضرورة عندما تنتزع من سياقاتها وتُجبر على الشغل على معطياتٍ "طرفية" (انظر على سبيل المثال "داروودكر" - Dharwad- 1999: 125-30 ، ker 1999: 125-30 ، و"كرونين" 1998: 147 Cronin) وليس من الصعب العثور على أمثلة في هذا الصدد. ولقد أشار كثيرٌ من الباحثين إلى أن التفكير "المركزي" في الترجمة يركز على منظورٍ أحادي اللغة، وبالتالي لا يستطيع أن يُفسر مواقف تتعدد فيها اللغات مثلما هو الحال في الهند ("ديفي" 1999: 185 Devy، "فيسواناثا" Viswanatha و"سيمون" 1999: 164 Simon) وتدين كثيرٌ للغاية من الدراسات الترجمية "المركزية" للدراسات التي جرت على "الكتاب المقدس"، وكثيرٌ من الافتراضات المسبقة لهذه الدراسات لا تروق وبالتالي لا تفلح في التطبيق في الثقافات غير - المسيحية، نظراً لأن الديانات والفلسفات الميتافيزيقية المختلفة تُحدث تأثيرات مختلفة على إنتاج واستقبال الترجمة (في سبيل الاطلاع على مقارنة موجزة بين الميتافيزيقيات الهندية وتلك الغربية وتأثيرها على فهم الترجمة انظر "ديفي" 1999). أما عن شغل الباحثين الأفراد الذين ينتمون إلى "المركز"، فأراء "لورنس فينوتى" عن العلاقة بين الطلاقة والإمبريالية - على سبيل المثال - طالما واجهت الانتقاد لعدم قابليتها للتطبيق خارج نطاق السياق الأنجلو - أمريكي (مثال: "تيموكسيكو" 2000: 29) وغيرها من المراجع التي تذكرها في كتاباتها، "بالوبوسكى" Paloposki و"أويتنين" Oittinen 2000).

موجز القول أنه يمكن أن يكون هناك خيطٌ نحيلٌ بين فائدة النظريات والأدوات والنماذج المستوردة وبين محدوديتها أو طابعها غير الملائم للمواد التي في متناول أيدينا.

٣ - الاختبار

يعد هذا العيب على وجه التحديد السبب في أن كثيراً من النماذج والنظريات المعروفة على نطاقٍ واسعٍ اليوم، تتطلب - عن حقٍ وبروحٍ علميةٍ خالصةٍ تماماً - الاختبار على موادٍ مستقاةٍ من لغاتٍ وثقافاتٍ مختلفةٍ حتى يتمكن الباحثون من تقييم لزوجيتها وفعاليتها. والحقيقة أن أحد الدوافع الكامنة وراء الرغبة في التوصل إلى الشمولية أو الكلية التي ورد ذكرها أعلاه كان هماً مشابهاً لتأسيس منهجٍ علمي. ولقد قيل أن النظريات والتعميمات ينبغي في سبيل استحقاقها لاسمها، أن تكون قابلة للتطبيق على أي حالة جزافية، وإذا كانت هناك نظرية "لا تستطيع مواجهة مثل ذلك الاختبار، صار لزاماً عليها أن تخضع للتعديل وإعادة الصياغة" ("تيموكسيكو ١٩٩٩ب: ٣٢). وطبقاً لذلك فالنظريات التي لا تقوم ولا يجرى تطبيقها إلا على عدد محدود من النصوص والأنواع الأدبية والفترات الزمنية واللغات أو الأنساق، مما يمثل - على نحو ما كان عليه الحال في الماضي - ثقافاتٍ عاليةٍ و/مكتوبةٍ غربيةٍ معاصرةٍ في الغالب الأعم، لن تكون، بكل بساطة - سليمة ولا سارية المفعول (المرجع السابق) وعندما تفشل نظرية ما في أن تُعمم بشكلٍ كاملٍ على مثل هذا النحو، فلقد "لزم تحديد مجالها بشكلٍ واضح..." ("تيموكسيكو ١٩٩٩ب: ٣٣")

وبالتالي صار لزاماً أن نزيد تنوع المواد المتاحة للتمحيص، ولقد كانت الأنساق الطرفية هي المصادر الواضحة. ولفت الباحثون النظر إلى الظواهر الترجمية في اللغات والثقافات "الأقل شيوعاً" (انظر على سبيل المثال "باسنيت" ١٩٩٣، "كرونين" ١٩٩٨، "لفيفر" ١٩٩٨). ومن جانب آخر بدأ الباحثون من الأطراف يستخدمون بالفعل النماذج والنظريات المركزية في بحوثهم على المعطيات المحلية، مثل النصوص المترجمة والنصوص الموازية والأداء الترجمي والتاريخ الترجمي وهو الأمر الذي حسن - بالتالي -

فرص نشرهم لدراساتٍ ترجميةٍ باللغات السائدة. ونتيجة لذلك أخذنا نسمع أنباء طيبة اليوم عن توسيع المنهج لأفاقه، ومع ذلك فهذا التوسع يحتفظ بتشابهه مخيف مع "المنهج المستعيد - للمعلومات" الذي اتسم بالحماس نحو أدب "العالم الثالث" ...، ذاك الذي يتحدث عنه "سبيفاك" (١٩٩٩: ١١٤، ١١٨) وهناك آلية سائدة اليوم التي يُنتظر من النماذج والنظريات المركزية خلالها أن تتغذى على الثقافات الطرفية والمعطيات التي توفرها هذه الثقافات.

أولئك الذين يستطيعون أن ينهضوا بهذا الاختبار هم بطبيعة الحال أولئك الذين يملكون الكفاءة في اللغات الطرفية وهم الذين يختارون أن يشتغلوا عليها - ومن هنا، ووفقاً للتعريف الذي سقناه عاليه، فهم الباحثون الطرفيون. ومسار العمل المنتظر بصفة عامة من هؤلاء الباحثين أن يطبقوا النظريات التي وقرها المركز لـ "المواد الخام" التي وردّها الطرف، مع الهدفين التوأم اللذين يتمثلان في شرح الممارسات الترجمية المحلية واختبار متانة وشمولية النظريات المستوردة. وفي الغالب يبدأ الجيل الجديد من الباحثين الذين ينتمون إلى الطرف مسيرتهم المهنية باستيعاب كل ما كتبه المركز عن الترجمة. وإذا كان هناك مساهمة أصيلة متوقعة منهم، فليس بوسعها أن تزيد عن "السير في أعقاب" عملية "التعوليم" Internationalization للنظريات الترجمية التي أنتجها المركز بصفته المورد المتصور والمشروع الوحيد للنماذج في الدراسات الترجمية المعاصرة. وبالتالي فإن أي نقل للأمشاق السائدة لا تستطيع أن يأتى إلا من الداخل، أى من التطبيق "بتاع" النماذج الخاصة "على" التقاليد الطرفية، وهكذا تتحول الأدوات والنماذج والنظريات التي كان المراد منها أن تكون في خدمة هؤلاء الباحثين إلى وضع النظار المستبدين.

وهذا نمطٌ واسع الانتشار بطبيعة الحال وليس مقصوراً على الدراسات الترجمية وحدها. فهو يؤخذ في العادة كجزء، ليس إلا "من عملية التلقين المبدئى والتخريط الأولى في مجتمع socialization أكاديمي"، وهي عملية يتعارف عليها الجميع، ولا غرابة بالتالى فى أن يكون "الاختبار" هو موضوع البحث الذى يحظى بأقوى تحييدٍ للحصول

على الدرجات العلمية عقب التخرج مباشرة (انظر على سبيل المثال "فيليب" Philip و"بوف" Pugh 1995: 49) فهذا النوع من البحث يحاول "التوصل إلى حدود التعميمات التي سبق اقتراحها" وبالتالي فهو يطرح "إطاراً مستقراً" وبيئة توفر "درجة من الحماية من جانب الطابع المستقر لكثير من الأفكار والحجج ... إلخ" ("فيليب" و"بوف" 1995: 51) وفي كتابهما الموجز المشترك الواسع الانتشار عن البحث للخريجين الجدد، وهو الكتاب الذي صدرت له طبعتان منقحتان فضلاً عن إحدى عشرة طبعة أخرى في أقل من عشر سنوات، يحذر فيه كل من "فيليب" و"بوف" القادمين الجدد على هذا النحو:

بطبيعة الحال سوف يتعين عليكم أن تقدموا مساهماتكم الأصيلة ومجرد تكرار ما سبق للآخرين أن عملوه ليس كافياً. وبالتالي، وعلى سبيل المثال، ستضطرون إلى تطبيق منهجية ما على موضوع جديد لم يسبق لأحد أن طبق عليه أي منهجية من قبل، وبالتالي تكشفون عن قوتها في إنتاج معرفة جديدة واستبصاراتٍ نظرية جديدة. أو أنكم سوف تلجأون إلى تطبيق نظريتين متضاربتين على موقف جديد حتى تروا أيهما أقوى، أو تصممون تجربة حاسمة لإنتاج أدلة كي تختاروا من بينها. ونتيجة لهذا قد تنتجون نسخة جديدة من المنهجية أو النظرية ... والاختبار هو مهمة الاحتراف الأساسية الجارية حالياً في البحث الأكاديمي، والشغل على رسالة الدكتوراة الذي يجري خصيصاً في هذا الإطار يُعد أكثر احتمالاً، بصورة كبيرة لأن يكون مفيداً وبالتالي قابلاً للنشر وقابلاً للاقتباس. ("فيليب" و"بوف" 1995: 51)

العبارتان الرئيسيتان هنا - هما بكل وضوح - "قابلاً للنشر" و"قابلاً للاقتباس" ولكن هناك أمراً آخر يجدر بنا ألا نهمل الإشارة إليه: "يقدم الاختيار" بصفته "مهمة الاحتراف الأساسية الجارية حالياً في البحث الأكاديمي" في كافة البحوث وليس مجرد نوع واحد: بحث الخريجين الجدد، وعندئذٍ تصبح المساهمة المتوقعة من الباحث أن يدعم وينقد و/أو يعيد تشكيل النظريات والأنوات والنماذج الموجودة والمشهورة، طالما كانت هي دون سواها التي ستوفر "الإطار المستقر" و"الحماية" الضروريين للبحث الناجح. وخلال الدليل الذي يقود من نظرية الخلفية عبر "مسح الأدب" إلى "الحالة

الراهنة للفن" التي يتعين على كل باحث أن يكون على معرفة وثيقة بها إلى حدٍ مثالي، فإن آلية النسق الذاتية - التوالد والذاتية - الديمومة تكون قد وضعت موضع التشغيل.

٤ - وماذا، إذن، عن المعارف الأخرى؟

يصير لزاماً على الأنساق الأضعف أن تقلد وتعيد إنتاج النماذج التي تنتمي للأنساق السائدة، إذا رغبت تلك الأنساق في أن تصبح جزءاً من المجتمع الدولي وفقاً لما ذكره "طلال أسد" (١٩٨٦: ١٥٨). وفي الغالب الأعم تغدو معرفة هذه الأنساق شرطاً مسبقاً لإنتاج معرفة أزيد" (المرجع السابق). وفي الحالات التي يكون فيها تدفق المعارف أحادي الاتجاه بصورة غالبية، يصبح احتمال نهوض منبر للنقاش أو النقد المتبادل أو تداول الآراء والحوار ضئيلاً، إذ يغدو الأمر من ينتج "المعرفة المرغوبة" (المرجع السابق) ومن هو "صاحب وحارس" هذه المعرفة المرغوبة ("أروخو" 1999: 143) ومن الذي يستفيد منها. (١) وعند هذه النقطة لا يصبح المهم هو النوعية الداخلية - كالتزامية والفاعلية والنفعية - للنماذج والأدوات أو النظريات التي يصدرها المركز، ولكن السلطة والسطوة اللتين ترافقان هذه العملية. فحالة "الاستعمار - الذاتي"، كما تحدها مصطلحياً "ليديا. إتش. ليو" (١٩٩٥: ٢٣٦) هي الحالة التي يجد الجزء الأكبر من العالم نفسه فيها اليوم. وتكون النتيجة هي ذلك الجهد المبذول على نطاق واسع والطوعي في معظمه نحو تقليد القوى السائدة ونحو صوغ كافة أنواع الخطاب المحلي أو القومي في نموذج المعرفة المستوردة، وذلك بهدف نهائي يتمثل في الاندماج في العالم "الحديث" ("فيليبسون" ١٩٩٣: ٦٥)

إذا كان "المركز" هو الذي يورد باستمرار المدرسين وتعريف ما هو جدير بالتدريس (من أناجيل المسيحية إلى "أناجيل" التكنولوجيا والعلم، والطرف هو الذي ينتج دائماً المتعلمين، إذن هناك نمط للإمبريالية ... نمط من "كذا" فريق علمي يتوجهون من المركز إلى بلدان الطرف كي يجمعوا المعطيات (المواد الخام) في شكل رواسب وكدي"

النباتات والحيوانات والمكتشفات الأركيولوجية (= الأثرية) والمواقف والآراء وأنماط السلوك وهكذا، وذلك في سبيل معالجة هذه المعطيات وتحليلها وتكوين النظريات (مثلما يحدث في المعالجة الصناعية بصفة عامة). ويجرى ذلك في جامعات المركز (المصانع) كى ترسل المنتج النهائى، سواء أكان دورية أو كتاباً (السلع المصنعة) مرة أخرى للاستهلاك في مركز الطرف، بعد أن تكون قد خلقت أولاً طلباً عليها خلال مفعول التطبيق والتدريب في البلد المركز ودرجة ما من مشاركة على مستوى منخفض في فريق جمع - المعطيات. ومثل هذا التوازي ليس مجرد مزاح، بل بنية ("يوهان جلتونج" Johan Galtung "العوالم الحقيقية: منظور عابر للقوميات" The True Worlds: A Transnational Persepective ، والنص مقفيس عند "فيليبسون" ١٩٩٢: ٥٧)

يكاد أن يكون من المستحيل على المرء أن يجرى اليوم بحثاً ما نون استخدام نظريات ونماذج "مركزية"، ولقد اكتسبت هذه النظريات والنماذج هالة "العمومية"، طالما غادرت خلال التجريد والتعميم، ما هو محلي وخاص وراعاها واجتهدت في سبيل أن تصبح خالية - القيمة خالية - الثقافة وخالية - السياق ومحادية، ونجد حالة جيدة ينطبق عليها ما قلناه في الرياضيات، ومع ذلك فبوسعنا أن نرى - كم هو حجم الرياضيات، كما نعرفها اليوم - التي أسسها أناس من ثقافات معينة نون ثقافات أخرى، وكم هي البدائل الأخرى التي قُمت ودخلت بالتدريج غياهب النسيان، في شغل الدارسين الذين يتصب اهتمامهم على ما يسمونه "الرياضيات - العرقية" ethno-mathematics ، ويشير "ألان جى. بيشوب" Allan J. Bishop إلى دراسات حول أنساق حسابية مختلفة في العالم - نحو ٦٠٠ نسق في "غينيا الجديدة - بابوا" وحدها، حيث يتكلم الأهالى أكثر من ٧٠٠ لغة - وتراهم يستعملون وسائل أخرى مختلفة عن النسق العشرى بل وحتى عن الأرقام. (١٩٩٧: ٧٢). وهناك أيضاً مفاهيم متعددة للهندسة يستغنى بعضها عن الأفكار "التذيرية" atomistic والموجهة - شيئياً object-oriented ، عن النقطة والخط والسطح والفراغ (المرجع السابق)، وهى الأفكار المأخوذة كيديهيات فى الرياضيات الغربية ويجرى تدريسها فى العالم أجمع. ويلاحظ "بيشوب" أن "الرياضيات - العرقية" تبرهن اليوم كيف ساهمت الرياضيات الغربية فى العملية الاستعمارية تحت قناع "العمومية".

إذن ماذا حدث للمعارف السابقة أو البديلة - وهي عبارة عن شكل متعدد، لا يحوز - بالمناسبة - أي قبول في اللغة الإنجليزية - جرى إنتاجه عن الترجمة في/و على أيدي "الطرف"؟ ويمرور الوقت اكتسب الباحثون الذين ينتمون إلى أصولٍ طرفيةٍ نضجاً في تدريباتهم وبدأوا ينظرون إلى المفاهيم التقليدية (العتيقة) عن/و التفكير التقليدي في الترجمة والتترجيم الموجود في ثقافتهم بصفتها "أدنى" و"عقيمة" وتبسيطية" و"مفتقرة إلى أي لزومية"، ونحوها جانباً لصالح نظرية الترجمة بمعناها "الحديث" و"الغربي". وتراهم ينظرون - عادة - إلى التنظير في لغاتهم وثقافتهم باعتباره أقل قليلاً من أن يقدم ينابيع تستطيع أن تقوم مقام روافد تغذي شغلهم الراهن بل كدراسات حالة تاريخية، لا تصلح إلا للوضع تحت تمحيص النماذج السائدة. هؤلاء الباحثون فصلهم تعليمهم *educated away* عن ثقافتهم ومجتمعهم. وحتى لو كانت نقطة انطلاقهم وهدفهم الذي رصدوه لأنفسهم أول الأمر هما أن يستوعبوا وأن يفسروا الظواهر الترجمية - ولربما بالتالي، الاجتماعية والثقافية - في الأنساق التي يرجع إليها أصلهم، فكما اشتغلوا بالنماذج والأدوات المركزية، كما صار عليهم أن يعملوا من أجلها. ويبدو أن ذلك أمر محتوم لا مناص منه، نظراً - وكما سبق لي أن أشرت أعلاه - لأنه يجري عميقاً في شرايين عملية الاعتماد والتأهيل، وأي عملٍ "نافع" و"قابل للنشر" و"قابل للاقتباس"، بما في ذلك هذا العمل الذي بين يدي القارئ الآن، ينبغي أن يرجع إلى الأطر المستقرة والمقروءة مركزياً".

٥ - عواقب

أود الآن أن أركز بإيجاز على بعض العواقب الناجمة عن هذه العلاقات اللامتوازنة بين المركز والطرف، كما انعكست في بحثنا هذا عن الترجمة، ولكنني أحتاج قبل أن أقوم بذلك أن أعود باختصار إلى كتاب "ماريا تيموكسيكو" المعنون بالـ "الترجمة في سياقٍ بعد - استعماري" (١٩٩٩ب) فد "تيموكسيكو" تؤكد أن الترجمة التي يُنظر إليها تقليدياً بصفتها واقفة في علاقة مجازية مع نصٍ مصدر، تحوز أيضاً

سماتٍ متونيمية (metonymy = استخدام اسم للدلالة على اسم آخر يرتبط به بعض الارتباط، مثال: الصولجان/الحكم. المترجم.) مهمة: بالنسبة لجمهور المتلقين تبنى الترجمة "ميتونيمياً" نصاً مصدر وتقاليد أدبية وثقافة بل وشعباً، وذلك عن طريق التقاط أجزاء وملامح وصفاتٍ كي تُمثل كليات (١٩٩٩ب: ٥٧). وترى "تيموكسيكو" أن هذه السمات "الميتونيمية"، إذا ما انضفرت مع مفهوم "أندريه لوفيفر" للترجمة كـ "إعادة كتابة"، فإنها تخلق مشكلة ضخمة في ترجمة الآداب غير المعتمدة أو المهمشة (١٩٩٩: ٤٧). وبينما نجد أن النص في ثقافة مهمشة يشكل للمتلقين الأصليين إعادة حكي أو إعادة كتابة لمواد سابقة الوجود، إلا أن هذا النص عندما يُترجم فإنه لا يكون هنا لا إعادة حكي ولا إعادة كتابة بالنسبة لجمهور المتلقين. وعندئذٍ يجد المترجم نفسه في موقف ينطوي على مفارقة أن يحكي قصة جديدة للمتلقين... وكلما كانت الثقافة والآداب - المصدران بعيدين، كلما كانت القصة الجديدة أكثر جذرية بالنسبة لجمهور المتلقين" (المرجع السابق).

يُعد الباحثون الذين يكتبون بحوثهم باللغات السائدة ولجمهور "عالمي" في عداد "المترجمين" بلا استثناء، فهم يترجمون موادهم - ومعظمها من ثقافتهم الأصلية الخاصة - إلى الأمشاق وأنواع الخطاب السائدة للدراسات الترجمية. وفي سبيل تسويق النتائج التي يتوصلون إليها تراهم يحتاجون إلى "تسييق (= إدراج في سياق) الترجمات التي يتحدثون عنها، وكلما كان هذا السياق غير معروفٍ بالنسبة لجمهور المتلقين "العالمي"، كلما كانت القصص التي يحكونها "أجده". وليس في طوع الباحثين الذين ينتمون إلى أصل - طرفي أن يتحملوا إيراد أي معلومة سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو تاريخية معينة في صورة ضمنية في شغلهم، نظراً لأنهم لا يستطيعون افتراض مثل ذلك الاطلاع الواسع من جانب جمهورهم - مع أن اطلاعاً واسعاً من نفس ذلك النوع على ممارسات وتقاليد الترجمة المركزية يكون - في الغالب - متوقعاً من جانبهم. وبناءً عليه فالبحث في الأنساق الطرفية يكون - في الغالب - مملوءاً حتى الزرار بمعلوماتٍ عن الخلفية الثقافية، وهو الأمر الذي لا يكون ضرورياً بأي حال، إلى ذلك الحد مع البحث في الأنساق المركزية، ولقد أشارت "تيموكسيكو"، في مقالٍ سابق

إلى ظاهرة مشابهة في الكتابات البعد - استعمارية باعتبارها "تحميلاً جبهويًا" front-loading (١٩٩٩ أ : ٢٩) وفي الكتابة الأكاديمية - أيضاً - أود أن أقول، إن معظم وقت وطاقة الباحثين الذين ينتمون إلى الطرف يذهب إلى مثل هذا "التحميل الجبهوي".

وبالمفارقة - بطريقة مشابهة لترجمة الأدبية البين - لغوية والكتابة البعد - استعمارية - نجد أن باحثي "الطرف" مضطرون إلى تبسيط موادهم. وتلاحظ "تيموكسيكو" أن المسافة كلما اتسعت بين الثقافة - المصدر للمؤلف أو المترجم وبين الثقافة المستقبلية التي يستهدفها العمل رهن الحديث، كلما كان الدافع إلى التبسيط أكبر. وذلك لأن المؤلف/المترجم الذي ينتمي إلى الطرف، سوف يشعر في محاولته عبور الفجوة الثقافية، بالحاجة إلى أن يكون انتقائياً إلى حدٍ عالٍ لا يلتقط إلا بعض السمات "كى ينقل ويؤكد، وخصوصاً إذا كان الجمهور المقصود يضم كمكُون ملحوظ الحجم قراء عالميين أو ممن ينتمون إلى الثقافة السائدة" (١٩٩٩ أ : ٢٣-٤)

وبناء عليه فالباحثون الذين ينتمون لـ "الطرف" يترجمون باستمرار ويعملون على جعل موادهم أقرب منالاً لـ "القراء الدوليين أو قراء الثقافة - السائدة" داخل الدراسات الترجمية. والحقيقة أنهم مضطرون لترجمة "موادهم الخام" إلى اللغات السائدة التي يكتبون بها، مثلما هو الحال مع ترجمة الاقتباسات والمفاهيم والجدالات والأمثلة وعناوين الكتب إلخ. والباحثون من الطرف لا يكتبون بلغتهم الأم، وأحياناً حتى وهم يُجرون بحوثهم في بلدانهم الأصلية. فالمعايير، سواء في مؤسسات الطرف أو مؤسسات المركز لقبول الانضمام إلى العالم "الحديث" للدراسات الترجمية بل ودنيا الأكاديميين بأسرها متشابهة إلى حدٍ كبير. وفي غالب الأحيان نجد أن الباحثين بحاجة ماسة لتحقيق اعترافٍ بولى أول الأمر حتى في سبيل التوظيف عقب عودتهم إلى بلدانهم الأم. ومعنى ذلك في الواقع العملي أنهم مضطرون إلى الكتابة باللغات السائدة.

تُعد مواد البحث في الدراسات الترجمية متعددة اللغات بالضرورة، ولكن المعرفة عن هذه المواد تنتج أكثر فأكثر وتُخزَّن فقط باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية (قارن "أحمد" Ahmad1992: 245-252) ونجد على وجه الخصوص أن الوضع الراهن

اللغة الإنجليزية بصفتها "اللغة المشتركة" *Lingua Franca* المسيطرة في العالم الأكاديمي يخلق توقعاتٍ عند القارئِ بنظرية "عالمية" أو "عمومية"، وأولئك الذين يقومون ببحوثهم في لغاتٍ "أقل شيوعاً" لا يستفيدون في الغالب من وسائل الاتصال التي يركّز عليها النسق ذاته: نصوص البحوث الترجمية ليس بين أولويات المترجمين الذين يكوّنون في البحث عن وسيلة لكسب قوتهم، ولا يكاد الباحثون في ميدان الترجمة أنفسهم أن يحفلوا بترجمة بحوث بعضهم البعض الآخر. وهذا يقود - في الغالب - إلى عزلة التنظير "الطرفي"، كما هو الأمر مع حالة، على سبيل المثال - نظريات أوروبا الشرقية وروسيا (انظر على سبيل المثال "يانيس" Jönis 2000 ، "زلاتيفا" Zlateva 2000 انظر أيضاً "منظورات" 1 : 5 Perspectives ، ١٩٩٧) (٢)

٦ - غير - غربي = طرفي = بعد - استعماري؟

يعدد "أندرو تشيسترمان" Andrew Chesterman أهداف البحث التجريبي على النحو التالي: (٣)

(أ) أن يوفر مواد جديدة (حقائق/جسمورات/دراسات حالة أي معطيات، نستطيع أن نختبر عن طريقها فرضيات قائمة.

(ب) أن يطبق ويختبر صحة فرضيات موجودة في سبيل بناء تسوينجٍ مزيدٍ أو نقد جديد لها.

(ج) أن يقترح فكرة جديدة أو أداة مفاهيمية جديدة أو فرضية جديدة، من أجل توفير طريقة أحسن لتوصيف أو تفسير معطيات موجودة.

(د) أن يقترح منهجية بحثية جديدة أو أداة جديدة أي طريقة لاختبار (أو توليد) فرضية.

(هـ) أن يقترح نظرية جديدة أو صياغة أحسن لنظرية موجودة ("تشيسترمان" ٢٠٠٠ : ١١).

وبوسعى أن أحتج بأن الباحث "الطرفى"، فى ظل القيود التى نوقشت أعلاه والوضع الراهن فى الدراسات الترجمية، يُتوقع منه - عادة - ألا يحفل إلا بالهدفين الأولين من أهداف البحث التجريبي. أما الأهداف الثلاثة الأخيرة فبوسع الباحثين "الطرفيين" ألا يحفلوا بها إلا بصورة أقل تواتراً، طالما يشتغلون داخل الأمشاق السائدة للدراسات الترجمية.

ولكن هذا لا يعنى بالمرّة أن "الطرف" لا يقترح نظرياتٍ أو منهجياتٍ أو أدواتٍ مفاهيمية جديدة. على العكس، فهناك فى الوقت الحاضر شغل هائل يجرى حالياً فى "الطرف" فيما يتعلّق بالتنظير الترجمى. ومع ذلك فعندما تتمتع هذه الأعمال بالنشر تحت رعاية المؤسسات الدولية، فإن ميلاً يلاحقها فى سبيل رؤيتها وقد انتمت إلى إطار "بعد - استعماري"، أن تصنّف تحت عنوان "الدراسات الترجمية بعد - الاستعمارية"، التى لا تزال تحتل حتى الآن موقعاً هامشياً داخل النسق ككل. ^(٤) وفى بعض الحالات يرجع ذلك بصفة جزئية إلى الاهتمامات البحثية للباحثين أنفسهم. وفضلاً عن ذلك فإنهم عندما يكتبون عن الترجمة، فإن أعمالهم تظل خاضعة للعلاقات اللامتوازنة بين لغاتهم وثقافتهم وبين تلك التى تحوزها لغات وثقافات "المركز". ومع ذلك فهذا التصنيف قد يكون راجعاً إلى توقعٍ معينٍ بأن التجديد أو الهدم فى الدراسات الترجمية اليوم لا يملك أن يأتى إلا من النزعة البعد-استعمارية لسببٍ محددٍ يتمثل فى أن وضعها لا يزال هامشياً نوعاً ما داخل النسق، بالمقارنة مع "مركزيتها" أو وضعها "المركزي" - الذى قد يكون بالفعل متردياً - فى ميادين بحثية أخرى مثل النظرية الأدبية.

ما هى بالتحديد تلك الصفة أو الصفات التى تجعل نهجاً ما أو جزءاً من بحث فى الدراسات الترجمية يندرج فى "البعد - استعماري"؟ ترى هل يكمن المعيار الأكثر بروزاً فى الالتزام السياسى أم التوجّه السياسى؟ ما هى المرجعيات المستخدمة فى ذلك؟ هل كلمات رئيسية أو كلمات/مفاتيح معينة؟ أم أن العوامل الحاسمة كامنة فى هوية الباحث مثل بلده الأصيل أو بلد التبنى (بالهجرة مثلاً) أو اللغة الأم أو اللغة الأولى (و ليس اللغة التى أجرى بها البحث) و/أو أصل المواد التى خضعت للدرس؟

حقيقة الأمر أن نقاد الثقافة والأدب وجدوا من الصعب عليهم إلى أعلى درجة تعريف "ما يشكّل منهجية النظرية البعد - استعمارية و"هدف الدرس" الذي تضعه نُصب عينها ("مونجيا" 2: 1996) وفي الدراسات الترجمة أيضاً سرعان ما تُدرج (بفتح الراء) النهوج والممارسات المتعددة التي تُنتج عن "الطرف" تحت مصطلح "البعد - استعماري". وعلى نفس النول أو المنوال ما الذي يشكّل نهجاً "غير - غربي" في الترجمة؟ هل هو، عوداً على بدء - هوية الباحث حتى ولو كان هذا الباحث يستخدم بصفة أساسية نماذج "مركزية" للتطبيق على معطيات "طرفية"؟ أم أن هذا العنوان الشامل يلزم لصقه على أي موضوع يتصل بصورة أو أخرى بالثقافات واللغات "الطرفية"؟

ينبغي للمرء أن يلزم جانب التدقيق في وضع هذه التفريقات والأهم من ذلك بما لا يُقاس ينبغي ألا يغيب عن باله بالمرّة أن أولئك الباحثين "الطرفيين" الذين يستطيعون - فضلاً عن ذلك - إسماع آرائهم - إلى حدٍ ما على الأقل - هم الذين يكتبون باللغات السائدة والأفضل، أولئك الذين يتمكنون من نشر أعمالهم خلال نور نشر ذائعة الصيت، كما هي الحال مع الكاتب(ة) الحالي(ة) بالنسبة لهذه الورقة على وجه الخصوص في هذا الكتاب بشكلٍ خاص. أما الباحثون الآخرون الذين يكتبون بصفة رئيسية بلغاتهم الأصلية وداخل بلدانهم الأصلية فمصيرهم ألا يستطيعون إسماع أصواتهم إلا لجمهورهم المحلي ليس إلا، بصرف النظر عما يمكن أن يكون عليه عملهم من النفع والأهمية بالنسبة لبقية العالم. وهذه نقطة تستحق إعادة التأكيد طالما - وكما لاحظت "جاياترى سبيفاك" - أن "نصف - الأجنبي - الشتيت" يقف (في الغالب) ممثلاً للمخبر المحلي أو القومي" (1999: 169)⁽⁵⁾

بدأت الأعمال في الترجمات الإنجليزية غير المهمة في الغالب أو الأعمال المكتوبة باللغة الإنجليزية أو اللغات الأوروبية في المناطق التي خرجت في الآونة الأخيرة من دائرة الدول المستعمرة (بفتح الميم) على نطاق العالم أو يكتبها أناسٌ ممن يسمون "من نوى أصول عرقية" في فضاء العالم الأول، تشكّل ما يطلق عليه "أدب العالم الثالث".

وداخل هذه المنطقة من التعليم الثلاثى فى الأدب، يمكن للهامش السابق الذى يتحرك صاعداً إلى أعلى - فى سعيه المشروع للفوز بالاعتماد - أن يساعد فى تسليح com-modify الهامشية. ("سيفاك" ١٩٩٩ : ١٧٠)^(٦)

وفى أسلوب مفعم بالفوضى على نفس النحو، نجد أن مصطلح "البعد - استعماري يجرى استخدامه بصورة أكثر فوضوية قليلاً فى الدراسات الترجمية اليوم، وكما أشارت بصدق "ماريا" تيموكسيكو" هناك سوء فهم للبعد - استعمارية بصفتها مقولة أونطولوجية ontological (نسبة لعلم الأونطولوجيا الذى يدرس الوجود من حيث الخصائص الأساسية للوجود الواقعي ، ويُعد هذا العلم مرادفاً للميتافزيقيا، أو الفلسفة الأولى كما حددها "أرسطو"، لكنه لا يشمل مثلها درس نشأة الكون أو السيكلولوجيا (المترجم) أكثر من كونها كدية مركبة من الظروف التى تستجيب لشروط تاريخية محددة ترتبط بالعصر الأوروبى من الاكتشاف والتوسع والإمبريالية" (٢٠٠٠ : ٣٢). ولما كانت النظرية البعد - استعمارية تُعد فى الوقت الحاضر واحدة من النهج النظرية القليلة القابلة للتطبيق التى تستطيع بصورة مباشرة معالجة المشاكل والتغيرات الجيو-سياسية للسلطة التى سيطرت على القرن العشرين"، كما تُعد أيضاً واحدة من الخطابات القليلة التى تنتمى للسلطة التى دُعمت نفسها منذ خرجت الماركسية من دائرة التعاطف ولاقت الإهمال على نطاقٍ واسعٍ فى الدوائر الأكاديمية" (المرجع السابق) فإنها تبدو وكأنها الاختيار الوحيد الذى بقى فى أيدينا إذا ما رغب المرء فى مناقشة مسائل السلطة، ومع ذلك ترى "تيموكسيكو":

أننا نقدمُ لميدان الدراسات الترجمية ... أفضل خدمة بوضع قضايا السلطة فى سياقاتها المكانية - الزمنية الخاصة، مع الالتفات إلى الاختلافات إلى جانب التشابهات... وبناء عليه يكون من المهم أن نُميز بين الصراعات التى تنتمى للسلطة الملازمة لأولئك الذين خضعوا للاستعمار بحد ذاته per se وبين الصراعات التى تتصل بأولئك الذين يعانون من الاضطهاد لأسبابٍ أخرى، تماماً مثلما هو من الأهمية إلى أبعد حدٍ فى الدراسات البعد - استعمارية أن نفرق بين التجليات الخاصة للاستعمار

الذي جربته الشعوب العديدة التي خضعت للاستعمار. وفي سبيل أن نخطو هذه الخطوة، سوف يكون مما يقدم يد العون لنا - مع ذلك - أن نتوصل إلى تنظير تفصيلي للسلطة في اتصالها بالترجمة. (٢٠٠: ٣٢-٣٣)

وبوسع مثل هذا "التنظير التفصيلي للسلطة" - بكل تأكيد - أن يكون فعلاً عندما يأتي الأمر إلى فحص علاقات السلطة الموجودة في النسق نفسه.

٧ - ختام

أرى أنه في الوقت الذي يستطيع فيه المرء بل ويجب عليه أن ينظر إلى اتساع نطاق الدراسات الترجمية كي يشمل المواد غير - المعتمدة وغير - الأوروبية كخطوة كبرى إلى الأمام، فلفت النظر إلى مثل هذه المواد ليس كافياً لتأسيس دراساتٍ ترجميةٍ "متعددة اللغات" و"عالمية" حقيقية، فالأهم من ذلك هو نلم بالـ "تفكير" في "الطرف" عن الممارسات الترجمية، وليس لمجرد مقارنتها بالنظريات السائدة كي نتوصل إلى أنها ناقصة، بل وليس كافياً هو الآخر أن نقدّم تجارب الأنساق "الطرفية" بصفتها مصادر قيمة للحلول التي تتطلبها المشاكل التي تتفجر داخل الأنساق "السائدة"، ومن هنا تكتسب جدارة الانتباه إليها. (٧)

وهذا لا يعنى بالضرورة أنه ينبغي علينا أن نكافح في سبيل توزيع "ديمقراطي" أكبر للنماذج والتأثيرات البحثية، فالدراسات الترجمية تعد أحد الأنساق التي تتمتع على الأقل بطاقة كامنة لمزيدٍ من التفاعل والقبول المتبادل بين الثقافات والآراء الأقل "مركزية - عرقية" والروح العلمية الأكثر انفتاحاً، وعلاوة على ذلك، فلما كانت لا تزال نسقاً فتياً بصورة نسبية فلربما لا يزال يتمتع بتلك المرونة التي تسبق التكلس في مصطلحات المصادر التي تمده بالأبوات والنظريات والمعطيات، وإذا ارتأينا ضرورة التحرك خارج الهيكل الذي وصفه "يوهان جلتونج" أعلاه، لكان من المتعين على الباحثين أن ينقطعوا لبعض الوقت عن جمع - المعطيات ويركزوا على ما يجرى وما جرى من

بحوث في اللغات والثقافات "الطرفية" في ضوء النظرية الترجمية. وإذا واصلنا النظر إلى النظرية بصفتها نسقاً يورده "المركز" بصورة دائمة كي يستهلكه "الطرف"، فلن يكون بوسع النظريات الترجمية أن تواجه تحدياً جدياً بمجرد اختبار صحتها بتطبيقها على معطيات يوقرُها "الطرف".

مثل هذا التحول في المواقف سوف يحتاج إلى أن يعيد كل منا النظر بدوره فيما يعنيه مصطلح "نظرية"، ومم تتكوّن، إذ بوسع التنظير - إن لم نقل النظرية - أن يوجد في العديد من الأشكال والسياقات. ويطوع المرء أن ينظر نون الحاجة إلى "الأشكال الغربية للمنطق المجرد"، وذلك خلال تجنب "العبارات القاطعة" والعزوف حتى عن محاولة إنتاج نظرية ضخمة و"شاملة" (كريستيان 1996 Christian). فالنظرية لا تزيد عن كونها فهمٌ وتفسيرٌ وليست مجرد "شئ قائم هناك وراسخ" ("جيلهام" 2000: 12). والتنظير للترجمة ليس شيئاً "جديداً" على "الطرف"، حيث ظل التترجيم جارياً على قدمٍ وساق طوال قرون، نون أن يخلو الأمر من أن يصاحبه تعليقاتٌ ونصوص - بعدية metatexts أخرى، ولو أن مثل هذا التنظير لا يدعى تفسير الترجمة في عموميتها - بطبيعة الحال - فمهمة من هذا النوع لا تقع ضمن اهتماماته، بل ولا يدعى بالضرورة تماسكاً أو قابلية عامة للتطبيق، وهو الأمر الذي كان ليُجعل منه مرشحاً مقبولاً للإدراج في مقررات الجامعة في سائر أرجاء العالم - على سبيل المثال - ومع ذلك فليس معنى هذا القول أن مثل هذا التنظير يمكن أن يكون خالياً من استبصارات (= نظرات ثاقبة) فما أهدف إليه ليس "نظرية جامعة - كلية"، بل ربما يكون فهماً مختلفاً لـ "نظرية"، أو طريقة أخرى مختلفة للتفكير لن يكون من السهل عليها اتخاذ موقع الهيمنة.

ولأختم حديثي هنا بالعودة إلى قضية جمهور المتلقين. فلقد أصبح اليوم اتخاذ المرء لنفسه وضعاً خاصاً ومسألة جمهور المتلقين الذين يقصدهم بعمله يُطرحان - في الغالب - كقضيتين من القضايا الكبرى التي تدخل في ميادين مختلفة للبحث، فلقد أخذ نقاد الأدب يتساعلون عن أولئك الذي يكتبون لهم نقدهم، ومن الذي يقصده الكاتب البعد - استعماري بكتاباته؟ هل للمستعمر (بكسر الميم) أو للمستعمر

(بفتح الميم) أو لجمهور عالمي من المتلقين؟ ولن يترجم المترجم؟ ولن نتوجه نحن كباحثين في ميدان الترجمة ببحوثنا؟ هل ينبغي لنا أن نمد الوهم المستديم بأننا في مسعانا وراء "الحكمة والمعرفة الخالصتين" نقدم جميعاً مساهماتٍ متساويةٍ في سبيل هدفٍ مشترك، وهو تقدم الدراسات الترجمية كنسقٍ بحثيٍ أو علميٍ؟ أو أننا سوف نستفيد من التفكير بصورةٍ أعمقٍ نقداً في مناهجنا التي نشغل وفقاً لها ذاتها وعلاقتنا نفسها بالنظريات والنماذج والأدوات والمواد التي نستخدمها ونطورها؟

الهوامش

- (١) لا تتطوى علاقة الاستيراد/التصدير الأحادية الاتجاه إلى حدٍ كبيرٍ هذه، بالضرورة على سلبية من جانب الطرف. فالنظرية الترجمية، على سبيل المثال لا يمكن ولا تستطيع الإفلات من الحظوظ المشتركة التي تصادف مثيلاتها من النظريات المرتبطة "travelling theories" (انظر على سبيل المثال "سعيد" Said 1983، "ميللر" Miller 1996). وعلى نحو ما يحدث في معظم عمليات النقل والارتحال الأخرى، فإن النظريات والنماذج المستوردة تتعرض للتغير والتبدل عند وخلال وصولها إلى وجهاتها. وبالتالي يغدو من المهم أن نتجنب النزعة الاختزالية عن طريق الاعتراف بأن ما يحدث في "الطرف" ليس محكوماً على صورة لا نقض فيها ولا إبرام بـ"المركز" ("فيليبسون" Philipson 1993: 63).
- (٢) مع أن هولمز كان قد أشار بالفعل في كتابه "مستقبل نظرية الترجمة: حفنة من الرسائل العلمية" (١٩٧٨) إلى ضرورة بدء الشغل على نظرية الترجمة في الاتحاد السوفييتي (١٩٨٨: ١٠٢) فإن العقدين من الزمن اللذين مضيا لم يشهدا سوى تقدم بطيء في هذا الصدد.
- (٣) مع أن البحث التجريبي ليس بكل تأكيد النوع الوحيد للبحث الذي ينهض به الباحثون الترجميون، إلا أنه أحد البحوث الذي تؤكد عليه هنا نتيجة الجهود المنهجية الرامية لإثبات منزلته بين الدراسات العلمية.
- (٤) يعد المقال الذي كتبه "فييناى داروودكر" (١٩٩٨) عن نظرية "إيه. كى. راما نويمان" A.K.Ramanujan وأدائه في ميدان الترجمة حالة ينطبق عليها ما قلناه.
- (٥) يتمثل هدف "سبيفاك" في كتابها أن تقتفى أثر شخصية المخبر المحلي "native informant" (شخص يستأجره الباحث الأجنبي من المواطنين المحليين كى يؤدي له أعمالاً ثانوية تتصل ببحثه كترجمة وتفسير وجمع كوامن وشوارد وشواذ المواد التي يشتغل عليها. المترجم) خلال الفلسفة والأدب والتاريخ والثقافة (١٩٩٩: ix). ومع ذلك فهذا الاقتفاء يكشف أول الأمر عن مواطن من المستعمرين (بفتح الميم) يفصل نفسه عن "المخبر المحلي أو القومى" ثم عن مواطن معين من بين هؤلاء المواطنين أنفسهم ولكنه ينتمى للمرحلة البعد - استعمارية... وهو الأمر الذي يعيد تشفير المواطن الاستعماري ويختلس وضع المخبر المحلي (المرجع السابق) وتلاحظ "سبيفاك" أن "المخبر المحلي" هو شخصية، في الإثنوجرافيا لا يستطيع سوى توفير معطيات كى يترجمها المواطن الواسع الاطلاع للقراءة" (١٩٩٩: ٤٩) وفي سبيل الأهداف التي تتوخاها مجادلاتى فإننى بطبيعة الحال أتبنى مفهوم "سبيفاك" لـ "المخبر المحلي"، وعلى نحو ما أشارت - بصدق - فإن أولئك الذين اتاهم حظٌ كافٍ كى يكتبوا ويشتغلوا على بحوثهم وينشروا، إلخ ينتمون إلى "المركز" فى بلدانهم الأصلية وبالتالي ليسوا "مخبرين محليين" بالمعنى الدقيق للعبارة، ومع ذلك فأنا أجد التناظر جديراً بالتتبع.

(٦) تلاحظ "سبيفاك" بنبرة تهكمية: يُضفي الراييكالى المسيطر على المقيم المحظوظ فى فضاء بعد - استعماري فى الغالب وضع - المواطن بصفته آخر جيو - سياسى. (وهذا ما يصطدم به المرء الصدمة الأكبر عندما يخطط لـ أو يشارك فى مؤتمرات دولية) (١٩٩٩ك ٣٣٩)

(٧) على سبيل المثال يلاحظ "مايكل كرونين": من المهم أن نركز على الدينامية العلاقاتية للغات الأقليات ولو لم يكن ذلك إلا مجرد إبراز أهمية لغات الأقليات تلك للنظرية والممارسة الترجمية، وهذه الأهمية تتصل بثلاثة عوامل، الأول: اللغات والظروف السياسية تتغير، ووضع الأغلبية بالنسبة لى لغة مرهون بقوى ثقافية واقتصادية وسياسية، وهى قوى نادراً ما تقف جامدة أو إستاتيكية وبالتالي فإن كل اللغات لغات أقليات على وجه الاحتمال، وينتج عن ذلك أن التجربة التاريخية للغة أقلية تستطيع أن توفر استبصارات فى المصير الذى ستؤول إليه الترجمة إذا ما تغيرت السياقات (١٩٩٥: ٨٧-٨٨) وفى موضع آخر يقول: قضية الترجمة ولغات الأقليات ليست اهتماماً مقصوراً على "الطرف" لهواة محاصرين من شعوب غريبة تقمغم بالأسنة غير مفهومة، ولكنها القضية الفرد التى تحوز أقصى درجة من الأهمية فى الدراسات الترجمية اليوم. ولا تعنى هيمنة اللغة الإنجليزية فى أسرع المناطق نمواً فى مجال التطور التكنولوجى، (التلى - إتصالات أو الاتصالات البعيدة telecommunications) فى هذا السياق، سوى أن كل اللغات الأخرى أصبحت لغات أقليات... ولكن هناك الكثير مما تستطيع اللغات الكبرى أن تتعلمه من لغات الأقليات. ولما كانت اللغة الإنجليزية تضع ضغوطاً على مستوى المفردات والنحويات syntax والذاكرة الثقافية، فإن اللغات السائدة تشرب الآن من نفس الكأس الذى ظلت لغات الأقليات تشرب منه لقرون عديدة، وسوف يكون من المفيد للغات السائدة أن تدرس استجابات لغات الأقليات للنزعة التدميجية assimilationist للضغوط فى ميدان الترجمة، وهذا بدوره يضع عبئاً على الدارسين الترجمين فى لغات الأقليات كى تصبح أى هذه اللغات أكثر بروزاً فى المساجلات الدائرة فى الدراسات الترجمية (١٩٩٨: ١٥١).

معجم خاص Glossary

Field	ميدان
Domain	مجال
Type	نوع
Approach (es)	نهج (نهوج)
Model (-lled)	نموذج (نمدج)
Paradigm	مشق
Habitus	بيئة
crosscultural	عبر - ثقافى
Non-essentialist	لا - ماهوية
Metalanguages	ما - بعد - اللغات
Trajectory	سيرورة
subtext	شبه - نص
deployment	تخديم
Corpus Linguistics	لغويات جسمورى (علم)
Historiography	تاريخو - جرافيا
Checklist	قائمة تمحيص
Policitization	تسييس

Intracultural	ثقافى - داخلى
Humanities	إنسانيات
Sub-atomic	تحت - ذرى
Syntax	نحويات
Grammar	نحو
Idiom	كا - تعبير
Gender	جنوسة
Accessibility	مدروكية
epistemological skepticism	شكية إبستمولوجية (= معرفية)
Sophistication	مصقولة
Translability	ترجومية
Poststructuralism	نزعة ما - بعد - بنيوية
Prescription	توجيه
Corpus (Corpora)	جسمور (جسمورات)
Homophobia	رهاب الجنسية المثلية
Trans-individual	عابر - للفرد
Bowdlerization	تبدالير
Euphemism	تلطيف
Poeticizing	تشعير
Archaizing	تعتيق
Readability	مقروئية
Peritext	نص هامشى

Epitext	نص فوقى
Paratext	نص موازى
Pseudotranslation	ترجمة زائفة
Polysystem	تعدد - نسقى
Determinist	حتموى
Dualistic	ثنائى
intelligibility	مفهومية
Arbitrary	جزافى
Ultra-conservative	فائق - المحافظة
juxtaposing	تجوير
canonicity	معتمدية
intersubjectivel	بين - ذاتى
attitudinal ephithets	نعوت مواقفية
ideational	أفكارية
interpersonal	بين - شخصية
Structuralist Constructivism	تركيبية بنوية
Translation Studies	دراسات ترجمية
Translating	تترجيم
Periodization	تمرحيل
Historicized subjectivity	ذاتية متترخة
Subjectified historicity	تتريخية متذبة
Permeability	مسامية (مجازاً)

Contrastive analysis	تحليل تبايني
Exhaussement	إعلاء
Continuity	إتصال
Discontinuity	إنقطاع
Aggregate	مجمول
Mathematical scheme	منظومة رياضية
normal science	علم معيارى
Moral élite	صفوة أخلاقية
Standardization	تقييس
Miniaturize	نمنم
Semiology	علم العلامات
Semiotics	مبحث العلامات
scatological	دنسى
Hierarchy	هرمية
Culture-specific	مفهوم ثقافى - الخصوصية
Assumption	افتراض
Hypothesis	فرضية
Pidginization	تهجين - لغوى - منخفض
Creolization	تهجين - لغوى - على
Interdisciplinary	بين - منهجى
Contextualization	تسييق
Dogmatism	عقائدية

Positionality	مواقفية
Phonocentrism	مركزية - صوتية
Directionality	اتجاهية
Assessment	تقييم
Calendar	تقويم
Fundamentalization	تأصيل
Ethnocentric	مركزية - عرقية
Internalize	جون (يجون)
Pluricentric	متعدد المركز
Essentialization	تجوهر
Relational	علاقاتي
Uniformitarianism	تماثل
Fundamentalization	تأصيل
Atomistic	تذري
commodify	سلع

قائمة المراجع

الفصل الأول

References

- Drake, Stillman (1980) *Galileo*, Oxford: Oxford University Press.
- Encyclopedia Britannica* (1974) 15th ed, Chicago: Helen Hemingway Benton.
- Gorlée, Dinda (1994) *Semiotics and the Problem of Translation, with Special Reference to the Semiotics of Charles S. Peirce*, Amsterdam: Rodopi.
- Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Manchester: St. Jerome.
- Kuhn, Thomas (1962) *The Structure of Scientific Revolutions*, Chicago: University of Chicago Press.

Tymoczko: Connecting the Two Infinite Orders

- in Two Worlds', in Susan Bassnett and André Lefevere (eds) *Translation, History and Culture*, London: Pinter, 56-63.
- (1995) 'Translation as Manipulation: The Power of Images and Images of Power', in Anuradha Dingwaney and Carol Maier (eds) *Between Languages and Cultures: Translation and Cross-cultural Texts*, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 159-74.
- Toury, Gideon (1980) *In Search of a Theory of Translation*, Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics.
- (1982) 'A Rationale for Descriptive Translation Studies', *Dispositio* 7 (special issue *The Art and Science of Translation*, ed. André Lefevere and Kenneth David Jackson), 22-39.
- Tymoczko, Maria (1999) *Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English Translation*. Manchester: St. Jerome.

الفصل الثاني

- Baker, Mona (1993) 'Corpus Linguistics and Translation studies. Implications and Applications', in Mona Baker, Gill Francis and Elena Tognini Bonelli (eds) *Text and Technology: In Honour of John Sinclair*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 233-50.
- (1996) 'Corpus-based Translation Studies: the Challenges that Lie Ahead', in Harold Somers (ed) *Terminology, LSP and Translation*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 175-86.
- (1998) 'Translation Studies' in Mona Baker (ed) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*, London & New York: Routledge, 277-80.
- Bassnett, Susan (1991) *Translation Studies*, London & New York: Routledge.
- Cameron, Deborah (1995) *Verbal Hygiene*, London & New York: Routledge.
- Crisafulli, Edoardo (1996) 'Dante's Puns in English and the Question of Compensation', *The Translator* 2(2): 259-76.
- (1997) 'Taboo Language in Translation', *Perspectives* 5(2): 237-56.
- (1999) 'The Translator as Textual Critic and the Potential of Transparent Discourse', *The Translator* 5(1): 83-107.
- (2000) 'The Divine Comedy', in Olive Classe (ed) *Encyclopedia of Literary Translation into English*, London: Fitzroy Dearborn, 339-44.
- Delabastita, Dirk (1991) 'A False Opposition in Translation Studies: Theoretical versus/ and Historical Approaches', *Target* 3(2): 137-52.
- (1994) 'Focus on the Pun: Wordplay as a Special Problem in Translation Studies', *Target* 6(2): 223-43.
- Gentzler, Edwin (1993) *Contemporary Translation Studies*, London & New York: Routledge
- Haack, Susan (1993) *Evidence and Inquiry*, Oxford: Blackwell.
- Harvey, Keith (1995) 'A Descriptive Framework for Compensation', *The Translator* 1(1): 65-86.
- Hermans, Theo (1985) 'Introduction. Translation Studies and a New Paradigm', in Theo Hermans (ed) *The Manipulation of Literature. Studies in Literary Translation*, London & Sydney: Croom Helm, 7-15.
- (1995) 'Toury's Empiricism Version One', *The Translator* 1(2): 215-23.
- (1999) *Translation in Systems*, Manchester: St. Jerome.
- Holmes, James (1988) *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies*, Amsterdam: Rodopi.
- Lambert, José (1991) 'Shifts, Oppositions and Goals in Translation Studies: Towards a Genealogy of Concepts', in Kitty M. van Leuven-Zwart and Ton Naaijken (eds)

- Translation Studies: The State of the Art*, Amsterdam & Atlanta: Rodopi, 25-37.
Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame*, London & New York: Routledge.
Milroy, J. (1992) *Language, Variation and Change*, Oxford: Blackwell.

Crisafulli: The Quest for an Eclectic Methodology

- Pym, Anthony (1998) *Method in Translation History*, Manchester: St. Jerome.
Taylor, Talbot J. (1990) 'Which is to be Master? The Institutionalization of Authority in the Science of Language', in John E. Joseph and Talbot J. Taylor (eds) *Ideologies of Language*, London & New York: Routledge, 9-26.
Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.
Venuti, Lawrence (1995) *The Translator's Invisibility*, London & New York: Routledge.
---- (1998) *The Scandals of Translation*, London & New York: Routledge.

الفصل الثالث

- Benjamin, Walter (1968) 'The Task of the Translator' [1923], in *Illuminations*, trans. Harry Zohn, London: Jonathan Cape, 69-82.
Boguç Demirel, Emine and Hülya Yılmaz (1998) 'Tercüme Dergisinde Çeviri Eleştirisi' (Translation Criticism at the Tercüme Journal), *Çeviribilim ve Uygulamaları* (Translation Studies and Its Applications), December 1998, Ankara: Hacettepe Üniversitesi, 93-106.
Conan Doyle, Arthur (1981) 'His Last Bow', in *The Penguin Complete Sherlock Holmes*, London: Penguin Books.
Denizaltının Planı (1944) Istanbul: Güven Yayınevi.
Genette, Gerard (1997) *Paratexts: Thresholds of Interpretation*, trans. Jane E. Lewin, Cambridge: Cambridge University Press.
Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems*, Manchester: St. Jerome.
İnönü, İsmet (1941) Preface to translations by the Translation Bureau.
Kovala, Urpo (1996) 'Translations, Paratextual Mediation and Ideological Closure', *Target* 8(1): 119-47.
Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame*, London & New York: Routledge.
Mann, Thomas (1945) *Tonio Kröger*, trans. Mehmet Karasan, Ankara: Milli Eğitim Basımevi.

- Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation: History, Post-Structuralism and the Colonial Context*, Berkeley: University of California Press.
- Pym, Anthony (1998) *Method in Translation History*, Manchester: St. Jerome.
- Roberts, Thomas J. (1990) *Aesthetics of Junk Fiction*, Athens: University of Georgia Press.
- Stevenson, R.L. (1944) *Dr. Jekyll ile Mr. Hyde*, trans. Zarife Laçiner, Ankara: Milli Eğitim Basımevi.
- Stoker, Bram (1940). *Drakyola, Kan İçen Adam*, trans. Selami Münir Yurdatap, İstanbul: Güven Basımevi.
- Swift, Jonathan (1946) *Gulliver'in Seyahatleri I-II*, trans. İrfan Şahinbaş, Ankara: Milli Eğitim Basımevi.
- Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam: John Benjamins.
- Yücel, Hasan Âli (1940) 'Önsöz' (Preface), *Tercüme*, No. 1, May 1940, 1-2.
- (1941) First Preface to translations by the Translation Bureau.
- (1944) Second Preface to translations by the Translation Bureau.
- Yurdatap, Selami Münir (1943) *Baytekin ile Tarzan*, İstanbul: Güven Basımevi.

helping his monolingual and chauvinistic countrymen to realize that there were indeed civilized, perhaps even 'fitter', cultures and literatures in other parts of the world. Lawrence Venuti has suggested that the two translators were also guardians of the emperor but unexpectedly eroded the authority of imperial culture (1998: 189). He ought to have pointed out as well that these patriotic translators, especially Yan, had wished for a constitutional monarchy and other institutional reforms to reinvigorate China; they did not consider the time was ripe to overthrow the Qing Dynasty and replace it with a Republican government.

But history played tricks on the translators' political agendas. Their reformist translations unexpectedly contributed to the revolutionary ferment, a result they could not have envisaged in their wildest dreams. Lin and especially Yan's acculturating translations attracted a much wider audience than expected; ironically, they were most influential among the not so cultured younger generation whom Yan had scorned. Yan's appeal lay mainly in the imported innovative ideas and in his determined effort to relate them to local conditions. His translations affected the common intellectuals far more significantly than those in power. His work was among the factors leading to the overthrow of the monarchy in 1911 and helped to ignite the May Fourth national protest of 1919 which finally broke with the old institutions, literature and culture.

الفصل الرابع

- Chang, Nam Fung (1998) 'Yi "zhongshi" wei mubiao de yingyong fanyixue – Zhongguo yilun chuantong chutan [An Applied Discipline Obsessed with 'Loyalty' – On the Chinese Tradition of Translation Studies]', *Journal of Translation Studies* 2: 29-41.
- (ed) (2000) *Translation Quarterly* 15, Special Issue on Translation Studies in China: Past and Future.
- Chau, Simon S. C. (1986) 'Fanyide zhunze yu mubiao [Standards and Goals of Translation]', *Zhongguo fanyi [Chinese Translators Journal]* 3: 46-50.
- Chen, Fukang (1992) *Zhongguo yixue lilun shigao [A History of Chinese Translation Theory]*, Shanghai: Waiyu jiaoyu chubenshe.
- Chu, Chi Yu (2000) 'Lun "xin da ya" shuo zai Zhongguo chuantong fanyi lilun zhongde weizhi [The Place of 'xin-da-ya' in Chinese Translation History]', *Translation Quarterly* 15: 1-18.
- Even-Zohar, Itamar (1990) *Polysystem Studies [Poetics Today* 11, 1], Durham: Duke University Press.
- (1997) 'Factors and Dependencies in Culture: A Revised Draft for Polysystem Culture Research', *Canadian Review of Comparative Literature* 24(1): 15-34.
- Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Manchester: St. Jerome.
- Hu Shi (1979), 'Wushi nianlai Zhongguozhi wenxue [Chinese Literature over the Past Fifty Years]', in *Hu Shi Wencun [Essays by Hu Shi]*, 4 vols., Taipei: Yuandong tushu gongsi, II, 180-261, first published 1922.
- Lambert, José (1997) 'Itamar Even-Zohar's Polysystem Studies: An Interdisciplinary Perspective on Culture Research', *Canadian Review of Comparative Literature* 24(1): 7-14.
- Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame*, London: Routledge.
- (1999) 'Composing the Other', in Susan Bassnett and Harish Trivedi (eds) *Post-Colonial Translation*, London: Routledge, 75-94.
- Liang, Qichao (1988) *Zhongguo fojiao yanjiu shi [History of Chinese Buddhist Studies]*, Shanghai: Sanlian shudian, first published 1920-4.
- (1990) 'Jieshao xinzhu "Yuanku" [Introducing the New Translation of "Origin of Wealth"]', in Niu and Sun (eds), 266-8, first published 1902.
- (1998) *Qingdai xueshu gailun [Introduction to Qing Scholarship]*, Shanghai: Guji chubenshe, first published 1921.
- Liu, Ching-chih (1981) *Fanyi lunji [Essays on Translation]*, Hong Kong: Sanlian shudian.
- Luo, Xinzhang (1984) *Fanyi lunji [An Anthology of Translation Theory]*, Beijing:

- Shangwu yingshu guan.
- Ma, Zuyi (1984) *Zhongguo fanyi jianshi – wusi yiqian bufan* [A Concise History of Translation in China: Before the May Fourth Movement], Beijing: Duiwai fanyi chubenshe.
- Niu, Yangshang, and Sun, Hongni (eds) (1990) *Yan Fu yanjiu ziliao* [Research Materials on Yan Fu], Fuzhou: Haixia wenyi chubenshe.
- Qian Zhongshu (1979) 'Lin Shude fanyi [Lin Shu's Translations]', in *Jiuwen Sibian* [Four Old Essays], Shanghai: Guji chubenshe, 62-95.
- Schwartz, Benjamin (1964) *In Search of Wealth and Power: Yen Fu and the West*, Cambridge, Mass: Belknap Press.
- Shen, Suru (1998) *Lun "xin da ya" – Yan Fu fanyi liluan yanjiu* [On Xin, Da, Ya: Study on Yan Fu's Translation Theories], Beijing: Shangwu yingshu guan.
- Shuttleworth, Mark and Moira Cowie (1997) *Dictionary of Translation Studies*, Manchester: St. Jerome.
- Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam: John Benjamins.
- Venuti, Lawrence (1998) *The Scandals of Translation: Towards a Ethics of Difference*, London: Routledge.
- Wang, Dongfeng (1999) 'Zhongguo yixue yanjiu: shiji mode sikao [Chinese Translation Studies: Century-end Contemplation]', *Zhongguo fanyi* [Chinese Translators Journal] 1: 7-11, 2: 21-23.
- Wang, Zuoliang (1982) 'Yan Fude Yongxin [Yan Fu's Intentions]', in *Yan Fu yu Yanyi mingzhu* [On Yan Fu and His Famous Translations] (eds. Shangwu yingshu guan bianji bu [Commercial Press Editors], Beijing: Shangwu yingshu guan, 22-27.
- Wong, Wang Chi (1997) 'Chongshi "xin da ya" – lun Yan Fu de fanyi lilun' ['Xin, Da, Ya': On Yan Fu's Translation Theories], *Journal of Translation Studies* 1: 36-62.
- Yan, Fu (1973) 'General Remarks on Translation' [in *Tianyanlun*, 1898], trans. C. Y. Hsu, *Renditions* 1: 4-6.
- (1990) 'Yu Liang Rengong lun suoyi "Yuanku" shu [Reply to Liang Qichao's Critique on the translation of "Origin of Wealth"]', in Niu and Sun (eds), 123-5; first published 1902.
- (1998) *Tianyanlun* [On Evolution], Zhengzhou: Zhongzhou guji; first woodblock print 1898.

الفصل الخامس

- Baker, Mona (1992) *In Other Words: A Coursebook on Translation*, London & New York: Routledge.
- (1995) 'Corpora in Translation Studies: An Overview and Suggestions for Future Research', *Target* 7(2): 223-43.
- Blum-Kulka, Shoshana (1986) 'Shifts of Cohesion and Coherence in Translation', in J. House and S. Blum-Kulka (eds) *Interlingual and Intercultural Communication*, Tübingen: Gunter Narr, 17-35.
- Brown, M. (1994) *The Reception of Spanish American Fiction in West Germany 1981-91*, Tübingen: Niemeyer.
- García Márquez, Gabriel (2000a) 'Náufrago en tierra firme', *El País* 19.3.2000: 6-7.
- (2000b) 'Torn in the USA', *The Guardian Review* 25.3.2000: 1-2.
- (2000c) 'Shipwrecked on dry land', *The New York Times* 29.3.2000: Op. Ed.
- (2000d) 'Shipwreck on dry land', *Granma International Digital Edition*, 21.3.2000.
- Halliday, M.A.K. (1978) *Language as Social Semiotic*, London & New York: Edward Arnold.
- (1985, 2nd edition 1994) *An Introduction to Functional Grammar*, London: Edward Arnold.
- Hatim, Basil and Ian Mason (1990) *Discourse and the Translator*, London & New York: Longman.
- (1997) *The Translator as Communicator*, London & New York: Routledge.
- Hermans, Theo (1995) 'Toury's Empiricism Version One', *The Translator* 1(2): 215-23.
- Holmes, J.S. (1988) *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies*, Amsterdam: Rodopi.
- House, Juliane (1977) *A Model for Translation Quality Assessment*, Tübingen: Gunter Narr.
- (1997) *Translation Quality Assessment: A Model Revisited*, Tübingen: Gunter Narr.
- Jones, S. (1991) *Text and Context: Document Processing and Storage*, London: Springer.
- Lambert, José and Hendrik van Gorp (1985) 'On Describing Translations', in T. Hermans (ed) *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation*, London & Sydney: Croom Helm, 42-53.
- Leuven-Zwart, Kitty van (1989) 'Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, I', *Target* 1(2): 151-181.
- (1990) 'Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, II', *Target* 2(1): 69-95.
- Munday, Jeremy (1997) *Systems in Translation*. Unpublished PhD thesis. University of Bradford.
- Nord, Christiane (1991) *Text Analysis in Translation*, trans. C. Nord and P. Sparrow, Amsterdam: Rodopi, originally published 1988
- Scott, M. (1999) *Wordsmith* (software), 3rd edition, Oxford: Oxford University Press.

- Simpson, P. (1993) *Language, Ideology and Point of View*, London & New York: Routledge.
- Sinclair, J.M. (1991) *Corpus, Concordance, Collocation*, Oxford: Oxford University Press.
- Taylor, C. (1990) *Aspects of Language and Translation: Approaches for Italian-English Translation*, Udine: Camponette.
- Toury, Gideon (1980) *In Search of a Theory of Translation*, Tel Aviv: Porter Institute.
- (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.
- Vinay, J-P. and J. Darbelnet (1958/1977) *Stylistique comparée du français et de l'anglais. Méthode de traduction*, Paris: Didier.

الفصل السادس

- Berman, Antoine (1986) 'L'essence platonicienne de la traduction', *Revue d'esthétique*, Nouvelle série 12: 63-73.
- Bourdieu, Pierre (1983) 'The Field of Cultural Production, or: The Economic World Reversed', trans. Richard Nice, *Poetics* 12: 311-56.
- (1989) 'Social Space and Symbolic Power', trans. Loïc J. D. Wacquant, *Sociological Theory* VII(1): 14-25.
- (1990) *The Logic of Practice*, trans. Richard Nice, Cambridge: Polity Press.
- (2000) *Pascalian Meditations*, trans. Richard Nice, Cambridge: Polity Press.
- Chapdelaine, Annick (1994) 'Transparence et retraduction des sociolectes dans *The Hamlet de Faulkner*', *TTR/Études sur le texte et ses transformations* VII(2): 11-33.
- Coindreau, Maurice-Edgar (1974) *Mémoires d'un traducteur. Entretiens avec Christian Giudicelli*, Paris: Gallimard.
- Duhamel, Marcel (1972) *Raconte pas ta vie*, Paris: Mercure de France.
- Gouanvic, Jean-Marc (1999) *Sociologie de la traduction: La science-fiction américaine dans l'espace culturel français des années 1950*. Arras: Artois Presses Université.
- (2000) 'Polemos et la traduction: la traduction de *The Grapes of Wrath* de John Steinbeck', *Athanos*, new series, X(2): 268-79.
- Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems*, Manchester: St. Jerome.
- Holmes, James S (1988) 'The Name and Nature of Translation Studies' [1972], in his, *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies* (ed. R. van den Broeck), Amsterdam: Rodopi, 67-80.
- Lefevere, André (1998) 'Translation Practice(s) and the Circulation of Cultural Capital. Some Aeneids in English', in S. Bassnett and A. Lefevere (eds) *Constructing Cultures. Essays on Literary Translation*, Clevedon: Multilingual Matters, 25-40.
- Siméoni, Daniel (1998) 'The Pivotal Status of the Translator's Habitus', *Target* 10(1): 1-39.
- Venuti, Lawrence (1995) *The Translator's Invisibility. A History of Translation*, London & New York: Routledge.

الفصل السابع

- Bobbio, N. (1998) 'Croce maestro di vita morale. Conversazione con Norberto Bobbio', in P. Bonetti (ed.) *Per conoscere Croce*, Napoli: Edizioni Scientifiche Italiane, 35-43.
- Boothman, Derek (1999) 'Ipotesi linguistiche sui *Quaderni del Carcere*', in R. Medici (ed.) *Gramsci e i linguaggi della politica*, Bologna: CLUEB, 39-62.
- (2000) 'L'Uomo' (editorial title), supplement to *Rinascita della Sinistra*, II (12): xvii.
- Butterfield, Herbert (1949) *The Origins of Modern Science 1300-1800*, London: Bell.
- Caponigri, A. Robert (1955) *History and Liberty, the Historical Writings of Benedetto Croce*, London: Routledge & Kegan Paul.
- Carr, H. Wildon (1917) *The Philosophy of Benedetto Croce*, London: Macmillan.
- Cospito, G. (1990) *Struttura-sovrastuttura nel pensiero di Gramsci. Variazioni sul 'problema fondamentale' della filosofia della praxis*, unpublished degree dissertation (supervisor Eduardo Sanguineti), University of Genova.
- Croce, Benedetto (1917) *Materialismo Storico ed Economia Marxistica* (3rd edition), Bari: Laterza. English version (1966 reprint) *Historical Materialism and the Economics of Karl Marx*, trans. C.M. Meredith, London: Cass.
- (1920) *Nuovi Saggi di Estetica*, Bari: Laterza. English version *The Essence of Aesthetics* (1921), trans. D. Ainslie, London: Heinemann.
- (1926) *Cultura e Vita Morale* (2nd edition), Bari: Laterza.
- (1946) 'Economico-Political History and Ethico-Political History' and 'The Unending Struggle between State and Church', in *Politics and Morals*, trans. S.J. Castiglione, London: Allen and Unwin, 67-77 and 125-30.
- (1950, 4th ed.) 'Reminiscenze ed interpretazioni', in *Conversazioni Critiche*, Second Series, Bari: Laterza, 291-302.
- Engels, Friedrich (1967) *Preface to Vol. III of Marx's Capital*, New York: International Publishers.
- Francioni, G. (1984) *L'Officina Gramsciana*, Napoli: Bibliopolis.
- Gensini, Stefano (1991) 'Modernità e linguaggio in Gramsci'. in V. Calzolaio (ed.) *Gramsci e la modernità*, Napoli: Cuen, 71-81.
- Goldmann, Lucien (1977) *Lukács and Heidegger*, trans. W.C. Boelhower, London: Routledge & Kegan Paul.
- Gramsci, Antonio (1957) 'Translation of Scientific and Philosophic Idioms', in *The Open Marxism of Antonio Gramsci*, trans. C. Marzani, New York: Cameron Associates, 59-64.
- (1971) *Selections from the Prison Notebooks*, eds. and trans. Q. Hoare and G. Nowell Smith, London: Lawrence & Wishart, and New York: International Publishers.
- (1975) *Quaderni del carcere*, ed. V. Gerratana, Torino: Einaudi.
- (1984) 'Notes on Language: Translatability of scientific and philosophical language

- (*linguaggi*)', trans. Steven R. Mansfield, in *Telos* 59, 136-40.
- (1985) *Selections from Cultural Writings*, eds. David Forgacs and G. Nowell Smith, trans. Boelhower, W.Q, London: Lawrence & Wishart.
- (1995) *Further Selections from the Prison Notebooks*, ed. and trans. Derek Boothman, London: Lawrence & Wishart, and Minneapolis: Minnesota University Press.
- Halliday, M.A.K. and J.R. Martin (1993) 'Some Grammatical Problems in Scientific English' in *Writing Science: Literary and Discursive Power*, London & Washington D.C.: The Falmer Press, 69-85.
- Jakobson, Roman (1971) 'On linguistic aspects of translation', *Selected Writings Vol. II*, The Hague & Paris: Mouton, 261-66.
- Kuhn, Thomas (1970), *The Structure of Scientific Revolutions*, Chicago: Chicago University Press (2nd ed.).
- (1974), 'Logic of discovery or psychology of research?' and 'Reflections on my Critics', in A. Musgrave and I. Lakatos (eds.) *Criticism and the Growth of Knowledge*, London & New York: Cambridge University Press (corrected edition), 1-23 and 231-78.
- Laclau, E. and C. Mouffe (1985) *Hegemony and Socialist Strategy*, London: Verso.
- Marx, Karl (1970) '1859 Preface' to *A Contribution to the Critique of Political Economy*, trans. S.W. Ryazanskaya, London: Lawrence & Wishart, 19-23.
- Mure, G.R.G. (1967) 'The Economic and the Moral in the Philosophy of Benedetto Croce', occasional paper, Centre for the Advanced Study of Italian Society, University of Reading.
- Orsini, Gian N.G. (1961) *Benedetto Croce, Philosopher of Art and Literary Critic*, Carbondale: Southern Illinois University Press.
- Passerini, Luisa (2000) 'Discontinuity of history and diaspora of languages', *New Left Review (II)* 1: 137-144.
- Ponzio, A. (1976) 'Introduzione' to V.N. Vološinov, *Il marxismo e la filosofia del linguaggio*, trans. N. Cuscito and R. Bruzzese, Bari: Dedalo.
- Putnam, Hilary (1975) 'Is Semantics Possible?', in *Mind, Language and Reality (Philosophical Papers Vol. II)*, Cambridge: Cambridge University Press, 139-52.
- Ravà, Adolfo (1909) *Introduzione allo studio della filosofia di Fichte*, Modena: Formiggini.
- Roberts, D.D. (1987) *Benedetto Croce and the Uses of Historicism*, Berkeley & Los Angeles: California University Press.
- Roll, E. (1949) *A History of Economic Thought*, London: Faber & Faber.
- Romagnuolo, M.R. (1987-8) 'Questioni di nomenclatura: Materialismo storico e filosofia della prassi nei Quaderni del Carcere', *Studi filosofici X-XI*, Napoli: Bibliopolis.

- Rossi-Landi, F. (1983) *Language as Work and Trade*, trans. M. Galli Adams *et al.*, South Hadley (Mass.): Bergin & Garvey.
- Vološinov, V. N. (1973), *Marxism and the Philosophy of Language*, ed. and trans. L. Matejka and I.R. Titunik, New York: Seminar Press, (first published Leningrad, 1929 and 1930).
- West, C. (1997) *La filosofia americana*, trans. F.R. Recchia Luciani, Roma: Editori Riuniti; originally *The American Evasion of Philosophy. A Genealogy of Pragmatism* (1989).

الفصل الثامن

- Andrews, Walter G. (1985) *Poetry's Voice, Society's Song, Ottoman Lyric Poetry*, Seattle & London: University of Washington Press.
- (1997) 'Ottoman Lyrics: Introductory Essay', in Walter G. Andrews, Najaat Black, Mehmet Kalpakli (ed. & trans.) *Ottoman Lyric Poetry. An Anthology*, Austin: University of Texas Press, 3-23.
- (2002) 'Starting Over Again: Some Suggestions for Rethinking Ottoman Divan Poetry in the Context of Translation and Transmission', in Paker (2002:15-40).
- Apak, Fundagül (1999) *Gülistan'ın "Gemideki Köle" Hikayesi: Tercümelerdeki Bağlaçlar* (The tale of "The slave on the boat" in *Gülistan*: conjunctions in the translations), unpublished M.A. thesis, Boğaziçi University, Istanbul.
- Berk, Özlem (1999) *Translation and Westernisation in Turkey (from the 1840s to the 1980s)*, unpublished Ph.D. thesis, Centre for British and Comparative Cultural Studies, University of Warwick.
- Bhabha, Homi K. (1996) 'Culture, In-Between', in Stuart Hall and Paul Du Gay (eds) *Questions of Cultural Identity*, Sage Publications, 53-60.
- Bloom, Harold (1983) *Kabbalah and Criticism*, New York: Continuum.
- Çelebioğlu, Amil (1999) *Türk Edebiyatında Mesnevi – XV. yüzyıla kadar* (The *Mesnevi* in Turkish Literature – to the fifteenth century), İstanbul: Kitabevi.
- Dilçin, Cem (1991) *Mes'ud bin Ahmed, Süheyl ü Nev-bahar, İnceleme-Metin-Sözlük*, (Critical edition of Mes'ud bin Ahmed's *Süheyl ü Nev-bahar*) Ankara: Atatürk Kültür Merkezi Yayınları.
- (1993) 'Mantku't-Tayr'ın Manzum Çevirileri Üzerine Bir Karşılaştırma' (A comparison of the verse translations of *Mantku't-Tayr*), *Fakülte Dergisi Sayı 369*, Ankara: Ankara Üniversitesi, Dil ve Tarih-Coğrafya Fakültesi.
- Diriker, Ebru (1997) 'Mehmed Fuad Köprülü: Tarih Boyunca Çeviri ve Çeviri Eserlere bir Bakış' (Mehmed Fuad Köprülü's views on translation and translated literature), in Hasan Anamur (ed) *Hommage a Hasan Ali Yücel / Anma Kitabı*, İstanbul: Yıldız Teknik Üniversitesi, 89-98.

- Drory, Rina (1994) 'Al-Harizi's *Maqamat*: A Tricultural Literary Product?' in Roger Ellis and Ruth Evans (eds) *The Medieval Translator 4*, Exeter: University of Exeter Press, 66-85.
- Hermans, Theo (1995) 'Toury's Empiricism Version One', *The Translator* 1(2): 215-23.
- Holbrook, Victoria R. (1994), *The Unreadable Shores of Love, Turkish Modernity and Mystic Romance*, Austin: University of Texas Press.
- (2002) 'Concealed Facts, Translation and the Turkish Literary Past', in Paker (2002:77-107).
- Kafadar, Cemal (1995) *Between Two Worlds, The Construction of the Ottoman State*, Berkeley & Los Angeles & London: University of California Press.
- Kayaoglu, Taceddin (1998) *Türkiye'de Tercüme Müesseseleri* (Translation Institutions in Turkey), İstanbul: Kitabevi.
- Köprülü, Mehmed Fuad (1966) *Edebiyat Araştırmaları* (Studies in Literature) Vols. I-II, İstanbul: Ötüken.
- (1993) *Türk Edebiyatında İlk Mutasavvıflar* (The first mystics in Turkish literature) Ankara: Diyanet İşleri Başkanlığı. (first published 1934).
- Lefevere, André (1990) 'Translation: Its Genealogy in the West', in Susan Bassnett and Andre Lefevere (eds) *Translation, History and Culture*, London & New York: Cassell, 14-28.
- Levend, Agah Sirri (1984) *Türk Edebiyatı Tarihi* (History of Turkish literature) Vol.I (Introduction), Ankara: Türk Tarih Kurumu (first published 1971).
- Özkan, Mustafa (1993) *Mahmud b. Kadi-i Manyas, Gülistan Tercümesi* (Critical edition of Mahmud b. Kadi-i Manyas' translation of *Gülistan*) Ankara: Türk Dil Kurumu Yayınları.
- Paker, Saliha (2002) (ed) *Translations: (re)shaping of literature and culture*, İstanbul: Boğaziçi University Press.
- and Zehra Toska (1997) 'A Call for descriptive Translation Studies on the Turkish Tradition of Rewrites', in Mary Snell-Hornby, Zuzana Jettmarova and Klaus Kaindl (eds) *Translation as Intercultural Communication*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, 79-88.
- Pratt, Mary Louise (1992) *Imperial Eyes: Travel Writing and Transculturation*, London & New York: Routledge.
- Pym, Anthony (1998) *Method in Translation History*, Manchester: St. Jerome.
- (2000) *Negotiating the Frontier. Translators and Intercultures in Hispanic History*, Manchester: St. Jerome.
- Rorty, Richard (1989) *Contingency, Irony and Solidarity*, Cambridge, Cambridge University Press.

- Susam-Sarajeva, Şebnem (2002) *Translation and Travelling Theory. The Role of Translation in the Migration of Literary Theories Across Culture and Power Differentials*, Doctoral thesis in Comparative Literature, University College London.
- Tahir-Gürçağlar, Şehnaz (2001) *The Politics and Poetics of Translation in Turkey: 1923-1960*, Doctoral thesis in Translation Studies, Boğaziçi University, Istanbul.
- Timurtaş, Faruk K. (1980) *Şeyhi ve Hüsrev ü Şirin, İnceleme – Metin* (Critical edition of Şeyhi's *Hüsrev ü Şirin*), İstanbul: İstanbul Üniversitesi Yayınları No.2670.
- Tolasa, Harun (1983) *Sehi, Latifi, Aşık Çelebi Tezkirelerine göre 16.yy'da Edebiyat Araştırma ve Eleştirisi I*, (Literary enquiry and criticism in the 16th century according to the critical biographies of Sehi, Latifi and Aşık Çelebi), İzmir: Ege Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Yayınları No.4.
- Toska, Zehra (2002) 'Evaluative Approaches to Translated Ottoman Turkish Literature in Future Research', in Paker (2002:58-76).
- and Kuran-Burçoğlu, Nedret (1996) 'Ferideddin-i Attar'ın *Mantıku't-Tayr*'ının 14., 16., 17., 20. Yüzyıllarda Yapılmış Türkçe Yeniden Yazımları' (14th, 16th, 17th and 20th century rewrites, of Ferideddin-i Attar's *Mantıku't Tayr*), *Journal of Turkish Studies= Türklük Bilgisi Araştırmaları: Abdülbaki Gölpınarlı Hatıra Sayısı* 20(2), 251-65.
- Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and beyond*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins.

الفصل التاسع

- (1968) 'Hu Shi', in Howard L. Boorman (ed) *Biographical Dictionary of Republican China*, New York: Columbia University Press, Vol. II, 167-74.
- (1988) 'Luo Xinzhang', in Lin Hui (ed) *Zhongguo Fanyijia Cidian* [Dictionary of Chinese Translators], Beijing: China Translation and Publishing Corporation, 420-1.
- Baker, Mona (ed) (1998) *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*, London & New York: Routledge.
- Bassnett, Susan and Harish Trivedi (eds) (1999) *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*, London & New York: Routledge.
- Chen, Fukang (1992) *Zhongguo Yixue Lilun Shigao* [Draft History of Chinese Translation Theory], Shanghai: Shanghai Foreign Language Education Press.
- Cheyfitz, Eric (1991) *The Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from The Tempest to Tarzan*, New York: Oxford University Press.
- de Barry, William Theodore (ed) (1960) *Sources of Chinese Tradition*, New York: Columbia University Press.
- Even-Zohar, Itamar (1978) 'The position of translated literature within the literary polysystem', in his *Papers in Historical Poetics*, Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics.

- Fawcett, Peter (1998) 'Ideology and Translation', in Baker (ed), 106-7.
- Flotow, Luise von (1997) *Translation and Gender: Translation in the 'Era of Feminism'*, Manchester: St. Jerome.
- Griener, Jerome B. (1970) *Hu Shih and the Chinese Renaissance: Liberalism in the Chinese Revolution, 1917-1937*, Cambridge: Harvard University Press.
- Hatim, Basil and Ian Mason (1997) *The Translator as Communicator*, London & New York: Routledge.
- Hermans, Theo (1985) 'Introduction. Translation Studies and a New Paradigm', in T. Hermans (ed) *The Manipulation of Literature, Studies in Literary Translation*, London & Sydney: Croom Helm, 7-15.
- (1999) *Translation in Systems. Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Manchester: St Jerome.
- Holmes, James S. (1988) 'The Name and Nature of Translation Studies' [1972], in *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies* (ed. R. van den Broeck), Amsterdam: Rodopi, 67-80.
- Hsia, C. T. (1961) *A History of Modern Chinese Fiction 1917-1957*, New Haven & London: Yale University Press.
- Hu, Shi (1917/1991) 'Wenxue Gailiang Chuyi' [Tentative suggestions for literary reform], in Yang Li (ed) *Hu Shi Wencui* [A Selection of Hu Shi's Writings], Beijing: Zuoji Chubanshe, 3-13.
- (1919/1953) 'Xinsichao de Yiyi' [The meanings of *xin sichao*], in *Hu Shi Wencun* [Collected Essays of Hu Shi], Vol.1, Taipei: Yuandong Tushu Gongsi, 727-36.
- (1926/1995) 'The Renaissance in China', in Zhou Zhiping (ed) *A Collection of Hu Shih's English Writings*, Taipei: Yuanliu Chuban, 197-217.
- (1927/1998) *Guoyu Wenxue Shi* [A History of *Guoyu* [national language] Literature], in Ou-yang Zhesheng (ed), Vol. 8, 3-137.
- (1928/1998) *Baihua Wenxue Shi* [A History of *Baihua* [vernacular] Literature], in Ou-yang Zhesheng (ed), Vol. 8, 139-390.
- (1934) *The Chinese Renaissance: the Haskell Lectures*, Chicago: The University of Chicago Press.
- (1939/1993) *Sishi Zishu* [A Self-account at Forty], Beijing: Zhongguo Wenlian Chubanshe.
- (1983) *Hu Shi Koushu Zizhuan* [Dr. Hu Shi's Personal Reminiscences] (Interviews, compiled, edited and translated, with a translator's preface, by Tang Degang), Taipei: Zhuanji Wenxue Chubanshe.
- Kelly, Jeanne and Nathan K. Mao (1979) 'Translators' preface', in Qian Zhongshu *Fortress Besieged*, trans. Jeanne Kelly and Nathan K. Mao, Bloomington/London: Indiana University Press, xi.

- Kong, Qingmao (1992) *Qian Zhongshu Zhuan* [Biography of Qian Zhongshu], Nanjing: Jiangsu Wenyi.
- Lefevere, André (1992) *Translation, Rewriting and the Manipulation of Literary Fame*, London & New York: Routledge.
- Lu, Xun (1935/1980) 'Introduction', in Zhao Jiabi (ed), Vol. 4, 1-17.
- Luo, Xinzhang (1983/1984) 'Woguo Zichengtixi de Fanyi Lilun' [A system of its own – our country's translation theories], in Luo Xinzhang (ed), 1-19.
- (ed) (1984) *Fanyi Lunji* [An Anthology of Essays on Translation], Beijing: Commercial Press.
- (1990/1996) 'Qian Zhongshu de Yiyitan' [Qian Zhongshu's art of translation], in Fan Xulun and Li Hongyan (eds) *Ch'ien Chung-shu Survey 1996*, Beijing: Social Sciences Documents Publishing House, 144-68.
- Mao, Dun (1935/1980) 'Introduction', in Zhao Jiabi (ed), Vol. 3, 1-32.
- (1954/1984) 'Wei Fazhan Wenxue Fanyi Shiye he Tigao Fanyi Zhiliang er Fendou' [Let us work hard for the development of literary translation and for the improvement of quality and increase in output], in *Translators' Notes*, Editorial Department (ed), 1-16.
- Mao, Nathan K. (1979) 'Introduction', in Qian Zhongshu *Fortress Besieged*, trans. Jeanne Kelly and Nathan K. Mao, Bloomington/London: Indiana University Press, xiii-xxix.
- Mao, Zedong (1956) *Talks at the Yenan Forum on Art and Literature*, trans. Editorial Department of Foreign Languages Press, Beijing: Foreign Languages Press.
- Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation. History, Post-Structuralism and the Colonial Context*, Berkeley: University of California Press.
- Ou-yang, Zhesheng (ed) (1998) *Hu Shi Wenji* [Collected Works of Hu Shi], Beijing: Peking University Press.
- Qian, Zhongshu (1964) 'Lin Shu de Fanyi' [The Translations of Lin Shu], in *Wenxue Yanjiu Jikan* [Anthology of Literary Studies], Vol. 1, Renmin Wenxue Chubanshe, 267-295.
- (1975) 'Lin Ch'in-nan Revisited', trans. George Kao, *Renditions* 5 (Autumn 1975): 8-21.
- Simon, Sherry (1996) *Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission*, London & New York: Routledge.
- Translators' Notes*, Editorial Department (ed) *Fanyi Yanjiu Lunwenji: 1949-1983* [Selected Papers in Translation Studies: 1949-1983], Beijing: Foreign Language Teaching and Research Press.
- Tymoczko, Maria (1999) *Translation in a Postcolonial Context. Early Irish Literature in English Translation*, Manchester: St Jerome.
- van Dijk, Teun A. (1998) *Ideology: A Multidisciplinary Approach*, London: Sage Publications Ltd.
- Venuti, Lawrence (1995) *The Translator's Invisibility. A History of Translation*, Lon-

- don & New York: Routledge.
- (1998) *The Scandals of Translation: Towards an ethics of difference*, London & New York: Routledge.
- Wang, Xiaoming (1993) 'Yifen Zazhi he Yige "Shetuan" – Lun "Wusi" Wenxue chuantong' [A magazine and an 'organization' – on the 'May Fourth' literary tradition], in Chen Guoqiu (ed) *Zhongguo Wenxueshi de Xingsi* [Reflections on Chinese Literary History], Hong Kong: Joint Publishing, 149-85.
- Wu, Lianghuan (1980) 'Letter to the Editors', *Fanyi Tongxun* [Translators' Notes] 1980(2): 25.
- Wu, Ming (1997) 'Luo Xinzhang', in Lin Huangtian (ed) *Zhongguo Fanyi Cidian* [A Companion for Chinese Translators], Wuhan: Hubei Jiaoyu Chubanshe, 452.
- Xu, Zhimo (1935/1980) 'Shoujiu yu "Wan" Jiu' [Abiding by tradition and flirting with tradition], in Zhao Jiabi (ed), Vol. 2, 227-33.
- Yan, Fu (1973) 'General Remarks on Translation', trans. C. Y. Hsu, *Renditions* 1 (Autumn 1973): 4-6.
- Yi, Zhuxian (1987) *Hu Shi Zhuan* [Biography of Hu Shi], Hubei: Renmin Chubanshe.
- Zhao, Jiabi (ed) *Zhongguo Xinwenxue Daxi* [Anthology of Modern Chinese Literature], 10 Vols., Shanghai: Liangyou Tushu Gongsu.
- Zhi, Qian (224/1984) 'Fa Ju Jing Xu' [Preface to the *Dharmapada*], in Luo Xinzhang (ed), 22.

الفصل العاشر

- Bassnett, Susan and Harish Trivedi (eds) (1999) *Post-colonial Translation: Theory and Practice*, London & New York: Routledge.
- Boone, E. and W. Mignolo (1994) *Writing without Words: Alternative Literacies in Mesoamerica and the Andes*, Durham: Duke University Press.
- Bourdieu, Pierre (1996) *The Rules of Art: Genesis and Structure of the Literary Field* Cambridge: Polity.
- Brotherston, Gordon (1979) *Image of the New World: The American Continent Portrayed in Native Texts*, London: Thames & Hudson.
- (1992) *Book of the Fourth World: Reading the Native Americas through their Literature*, Cambridge: Cambridge University Press.
- (1995) *Painted Books from Mexico*, London: British Museum Press.
- (2000) 'Indigenous Intelligence in Spain's American Colony', *Forum for Modern Language Studies* xxxvi: 241-253
- Campos, Haroldo de (1975) *A arte no horizonte do provável*, São Paulo: Perspectiva 3rd ed.
- Clifford, James (1988) *The Predicament of Culture: 20th-Century Ethnography, Lit*

- erature and Art*, Cambridge (MA): Harvard University Press.
- Collier, Gordon (1992) *Us/Them: Translation, Transcription and Identity in Post-Colonial Literary Culture*, Amsterdam: Rodopi.
- Delisle, Jean and Judith Woodsworth (eds) (1995) *Translators Through History*, Amsterdam: John Benjamins.
- Derrida, Jacques (1967) *De la Grammatologie*, Paris: Minuit.
- Goody, Jack (1968) *Literacy in Traditional Societies*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Herrick, E. M. (1975) 'A Taxonomy of Alphabets and Scripts', *Visible Language* 8: 5-32.
- Jansen, Martin (1992) *Origen e historia de los reyes mixtecos* [Vienna Codex], Mexico: FCE.
- Karttunen, Frances (1994) *Between Worlds: Interpreters, Guides and Survivors*, New Brunswick: Rutgers University Press.
- León-Portilla, Miguel (1986) *Coloquios y Doctrina Cristiana*, Mexico: UNAM.
- (1989) 'Have we really Translated the Mesoamerican "Ancient Word"?', in Swann (ed), 313-338.
- Lévi-Strauss, Claude (1967-74) *Mythologiques*, 4 vols. Paris: Plon.
- Marcus, J. (1992) *Mesoamerican Writing Systems: Propaganda, History and Myth in Four Ancient Civilizations*, Princeton: Princeton University Press.
- Mason, Ian (1994) 'Discourse, Ideology and Translation', in R. de Beaugrande, A. Shunag and M. H. Heliel (eds) *Language, Discourse and Translation in the West and Middle East*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 23-34.
- Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation: History, Post-Structuralism and the Colonial Context*, Berkeley: University of California Press.
- Nowotny, K. A. (1961) *Tlacuilolli: Die mexikanischen Bilderhandschriften, Stil und Inhalt*, Berlin: Gebr. Mann.
- Oseki-Dépré, I. (1999) *Théories et pratiques de la traduction littéraire*, Paris: Colin.
- Pound, Ezra (ed) (1969) *Fenollosa. The Chinese Written Character as a Medium for Poetry* [1936], San Francisco: City Lights.
- Sahagún, Bernardino de (1997) *Primeros memoriales*, ed. by T. Sullivan, H.B. Nicholson, A.J.O. Anderson, C.E. Dibble, E. Quiñones K., W. Ruwet, Norman: University of Oklahoma Press.
- Swann, B. (ed) (1992) *On the Translation of Native American Literatures*, Washington: Smithsonian Institution.
- Venuti, Lawrence (1998) *The Scandals of Translation. Towards an Ethics of Difference*, London: Routledge.
- Vieira, Else (1998) 'New Registers for Translation in Latin America', in P. Bush and K. Malmkjaer (eds) *Rimbaud's Rainbow. Literary Translation in Higher Education*.

- Amsterdam: John Benjamins, 171-95.
- Volkovitch, M. (1997) 'Atelier d'écriture', *Assises de la traduction littéraire XIV*.
- Wolf, E. (1984) *Europe and the People without History*, Berkeley & Los Angeles: University of California Press.

الفصل الحادي عشر

- Asad, Talal (1986) 'The Concept of Cultural Translation in British Social Anthropology', in Clifford and Marcus (eds), 141-64.
- Assmann, Aleida (1996) 'The Curse and Blessing of Babel; or, Looking Back on Universalisms', in Budick and Iser (eds), 85-100.
- Bachmann-Medick, Doris (1999) '1 + 1 = 3? Interkulturelle Beziehungen als "dritter Raum"', *Weimarer Beiträge* 45(4): 518-31.
- (ed) (1997) *Übersetzung als Repräsentation fremder Kulturen*, Berlin: Schmidt.
- Bassnett, Susan (1998) 'The Translation Turn in Cultural Studies', in Bassnett and Lefevere (eds), 123-40.
- and A. Lefevere (eds) (1990) *Translation, History and Culture*, London & New York: Pinter.
- and A. Lefevere (eds) (1998) *Constructing Cultures: Essays on Literary Translation*, Clevedon etc.: Multilingual Matters.
- Berg, Eberhard and M. Fuchs (1993) 'Phänomenologie der Differenz. Reflexionsstufen ethnographischer Repräsentation', in Berg and Fuchs (eds), 11-108.
- (eds) (1993) *Kultur, soziale Praxis, Text: Die Krise der ethnographischen Repräsentation*, Frankfurt/M.: Suhrkamp.
- Bhabha, Homi K. (1994) *The Location of Culture*, London & New York: Routledge.
- Budick, Sanford (1996) 'Crises of Alterity: Cultural Untranslatability and the Experience of Secondary Otherness', in Budick and Iser (eds), 1-22.
- and W. Iser (eds) (1996) *The Translatability of Cultures: Figurations of the Space Between*, Stanford: Stanford University Press.
- Clifford, James (1986) 'Introduction: Partial Truths', in Clifford and Marcus (eds), 1-26.
- and G. E. Marcus (eds) (1986) *Writing Culture. The Poetics and Politics of Ethnography*, Berkeley etc.: University of California Press.
- Crapanzano, Vincent (1986) 'Hermes' Dilemma: The Masking of Subversion in Ethnographic Description', in Clifford and Marcus (eds), 51-76.
- Dingwaney, Anuradha (1995) 'Introduction: Translating ,Third World ,Cultures', in A. Dingwaney and C. Maier (eds) *Between Languages and Cultures. Translation and Cross-Cultural Texts*, Pittsburgh and London: University of Pittsburgh Press, 3-15.
- Duerr, Hans Peter (1985) *Traumzeit. Über die Grenze zwischen Wildnis und Zivilisation*, Frankfurt/M.: Suhrkamp.
- Foucault, Michel (1975) *Surveiller et punir. La naissance de la prison*, Paris: Gallimard.

- Geertz, Clifford (1997) 'Aus der Perspektive des Eingeborenen'. Zum Problem des ethnologischen Verstehens', in Geertz, Clifford: *Dichte Beschreibung. Beiträge zum Verstehen kultureller Systeme*, übersetzt von Brigitte Luchesi und Rolf Bindemann, Frankfurt/M.: Suhrkamp, 289-309.
- Hermans, Theo (1999) *Translation in Systems. Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Manchester: St. Jerome.
- Kristeva, Julia (1988) *Etrangers à nous-mêmes*, Paris: Fayard. *Strangers to Ourselves*, translated by Leon Roudiez, New York: Columbia University Press, 1991.
- Malinowski, Bronislaw (1979) *Argonauten des westlichen Pazifik. Ein Bericht über Unternehmungen und Abenteuer der Eingeborenen in den Inselwelten von Melanesisch-Neuguinea*, hg. von Fritz Kramer, Schriften, Bd.1, Frankfurt/M.: Syndikat.
- Mead, Margaret (1974) *Male and Female. A Study of the Sexes in a Changing World*, Harmondsworth: Penguin Books. [first publ. 1950].
- Montrose, Louis (1986) 'Renaissance literary studies and the subject of history', *English Literary Renaissance* 11(1): 5-12.
- Nida, Eugene (1945) 'Linguistics and ethnology in translation problems', *Word* 1: 194-208.
- Niranjana, Tejaswini (1992) *Siting Translation: History, Post-structuralism, and the Colonial Context*, Berkeley etc.: University of California Press.
- Robyns, Clem (1992) 'Towards a Sociosemiotics of Translation', *Romanistische Zeitschrift für Literaturgeschichte. Cahiers d'Histoire des Littératures Romanes* 16: 211-226.
- Said, Edward W. (1989) 'Representing the Colonized: Anthropology's Interlocutors', *Critical Inquiry* 15: 205-25.
- Simon, Sherry (1996) *Gender in Translation. Cultural Identity and the Politics of Transmission*, London & New York: Routledge.
- Sturge, Kate (1997) 'Translation Strategies in Ethnography', *The Translator* 3(1): 21-38.
- Toury, Gideon (1995) *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Amsterdam & Philadelphia: Benjamins.
- (1998) 'A Handful of Paragraphs on "Translation" and "Norms"', in C. Schäffner (ed) *Translation and Norms*, Clevedon etc.: Multilingual Matters, 9-31.
- Tyler, Stephen (1986) 'Post-Modern Ethnography: From Document of the Occult to Occult Document', in Clifford and Marcus (eds), 122-40.
- (1993) 'Zum, "Be-/Abschreiben" als "Sprechen für". Ein Kommentar', übersetzt von Ulrike Bischoff, in Berg and Fuchs (eds), 288-296.
- Valero-Garcés, Carmen (1995) 'Modes of Translating Culture: Ethnography and Translation', *Meta* XL: 556-63.
- Werner, Michael (1997) 'Dissymmetrien und symmetrische Modellbildungen in der Forschung zum Kulturtransfer', in H.-J. Lüsebrink and R. Reichardt (eds)

- Kulturtransfer im Epochenumbruch. Frankreich-Deutschland 1770-1815*, Leipzig: Leipziger Universitätsverlag, 87-101.
- White, Hayden (1978) *Tropics of Discourse*, Baltimore: Johns Hopkins University Press.
- Wolf, Michaela (1997a) 'Translation as a Process of Power: Aspects of Cultural Anthropology in Translation', in M. Snell-Hornby, Z. Jettmarová and K. Kaindl (eds) *Translation as intercultural communication: selected papers from the EST Congress, Prague 1995*, Amsterdam & Philadelphia: Benjamins, 123-33.
- (ed) (1997b) *Übersetzungswissenschaft in Brasilien. Beiträge zum Status von ,Original' und ,Übersetzung'*, Tübingen: Stauffenburg.
- (2000) 'The Third Space in Postcolonial Representation', in S. Simon and P. St-Pierre (eds) *Changing the Terms: Translating in the Postcolonial Era*, Ottawa: University of Ottawa Press, 127-45.
- Ziegler, Heide (1999) 'Introduction. The Translatability of Cultures', in Stuttgart Seminar in Cultural Studies: *The Translatability of Cultures. Proceedings of the Fifth Stuttgart Seminar in Cultural Studies 03.08.-14.08.1998*, Stuttgart & Weimar: Metzler, 7-19.

الفصل الثاني عشر

- Ahmad, Aijaz (1992) *In Theory: Classes, Nations, Literatures*, Bombay: Oxford University Press.
- Arrojo, Rosemary (1999) 'Interpretation as Possessive Love: Hélène Cixous, Clarice Lispector and the Ambivalence of Fidelity', in Bassnett and Trivedi (eds), 141-61.
- Asad, Talal (1986) 'The Concept of Cultural Translation in British Social Anthropology', in James Clifford and George E. Marcus (eds) *Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography*, Berkeley/London: University of California Press, 141-64.
- Bassnett, Susan (1993) *Comparative Literature: A Critical Introduction*, Oxford & Cambridge Mass.: Blackwell.
- and Harish Trivedi (eds) (1999) *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*. London & New York. Routledge.
- Bishop, Alan J. (1990) 'Western Mathematics: The Secret Weapon of Cultural Imperialism', *Race and Class* 32:2. ; reprinted in Bill Ashcroft, Gareth Griffiths and Helen Tiffin (eds.) (1997) *The Post-Colonial Studies Reader*, London & New York: Routledge, 71-6.
- Chesterman, Andrew (2000) 'Empirical Research Methods in Translation Studies', *Erikoiskielet ja käännteoria (VAKKI-symposiumi XX)* 27, 9-22.
- Christian, Barbara (1987) 'The Race for Theory', *Cultural Critique* 6; reprinted in Padmini Mongia (ed) (1996) *Contemporary Postcolonial Theory. A Reader*, London & New York: Arnold, 148-57.
- Cronin, Michael (1995) 'Altered States: Translation and Minority Languages', *TTR* 8(1): 85-103.

- (1998) 'The Cracked Looking Glass of Servants: Translation and Minority Languages in a Global Age', *The Translator* 4(2): 145-62.
- Devy, Ganesh (1999) 'Translation and Literary History – an Indian View', in Bassnett and Trivedi (eds), 182-8.
- Dharwadkar, Vinay (1999) 'A.K. Ramanujan's Theory and Practice of Translation', in Bassnett and Trivedi (eds), 114-40.
- Gillham, Bill (2000) *Case Study Research Methods*, London & New York: Continuum.
- Holmes, James S. (1988) *Translated! Papers on Literary Translation and Translation Studies*, Amsterdam: Rodopi.
- Jänis, Marja (2000) Review of Vilén N. Komissarov's Теоретические основы методики обучения переводу у (1997), *Across Languages and Cultures* 1(1): 133-6.
- Lefevere, André (1998) 'Chinese and Western Thinking on Translation', in Susan Bassnett and André Lefevere (eds) *Constructing Cultures: Essays on Literary Translation*, Clevedon: Multilingual Matters, 12-24.
- Liu, Lydia H. (1995) *Translingual Practice. Literature, National Culture, and Translated Modernity – China 1900-1937*, Stanford: Stanford University Press.
- Miller, Hillis J. (1996) 'Border Crossings, Translating Theory: Ruth', in Sanford Budick and Wolfgang Iser (eds) *The Translatability of Cultures: Figurations of the Space Between*. Stanford: Stanford University Press, 207-23.
- Mongia, Padmini. (1996) 'Introduction', in Padmini Mongia (ed) *Contemporary Postcolonial Theory. A Reader*, London & New York: Arnold, 1-18.
- Paloposki, Outi and Riitta Oittinen (2000) 'The Domesticated Foreign', in Andrew Chesterman, Natividad Gallardo San Salvador and Yves Gambier (eds) *Translation in Context: Selected Papers from the EST Congress, Granada 1998*, Amsterdam & Philadelphia: John Benjamins, 373-90.
- Perspectives: Studies in Translatology* 5(1) (1997) Russian Translation Studies special issue.
- Phillips, Estelle M. and D. S. Pugh (1995) *How to Get a PhD: A Handbook for Students and Their Supervisors*, Buckingham & Philadelphia: Open University Press.
- Phillipson, Robert (1993) *Linguistic Imperialism*, Oxford: Oxford University Press.
- Said, Edward (1983) 'Travelling Theory', in *The World, the Text and the Critic*, Cambridge (Mass.): Harvard University Press, 226-47.
- Spivak, Gayatri Chakravorty (1999) *A Critique of Postcolonial Reason: Toward a History of the Vanishing Present*, Cambridge (Mass.) & London: Harvard University Press.
- Tymoczko, Maria (1999a) 'Post-Colonial Writing and Literary Translation', in Bassnett and Trivedi (eds), 19-40.
- (1999b) *Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English*

Translation, Manchester: St. Jerome.

----- (2000) 'Translation and Political Engagement. Activism, Social Change and the Role of Translation in Geopolitical Shifts', *The Translator* 6(1): 23-47.

Viswanatha, Vanamala and Sherry Simon (1999) 'Shifting Grounds of Exchange: B.M. Srikantaiah and Kannada Translation', in Bassnett and Trivedi (eds), 162-81.

Zlateva, Palma (2000) 'A Wheel We Have Been Reinventing' [review of Anton Popovič's Проблемы ху ожественного перево о], *The Translator* 6(1): 109-15.

Acknowledgements: This paper, although it started off as an individual self-interrogation, is in its present form the end-result of a collective discussion. I would like to thank Kaisa Koskinen, Alexandra Lianeri, Theo Hermans, Elsie Chan, Morphia Malli, Outi Paloposki, Andrew Chesterman and Kristiina Taivalkoski, who all read the drafts and offered invaluable feedback and insights. The arguments presented here have also benefited from comments provided by the delegates of the 'Research Models in Translation Studies' conference (Manchester, April 2000), including Michael Cronin, José Lambert, Saliha Paker, Gideon Toury and Maria Tymoczko, and by the participants of the Graduate Seminar held at Boğaziçi University, Istanbul, 18 May 2000, including Işin Bengi, Cemal Demircioğlu, Ebru Diriker, Arzu Eker and Şehnaz Tahir.

المشاركون فى سطور

ديريك بووتمان :

يعيش فى "فورلى" بإيطاليا، ويعمل فى المعهد العالى للغات الحديثة والترجمة الشفوية والتحريرية التابع لجامعة بولونيا، ويكتب وينشر أبحاثه باللغتين الإيطالية والإنجليزية. ويدور بحثه المنشور فى هذا الكتاب حول كتابات "أنطونيو جرامشى" فى سياق نظرية ثقافية وسياسية.

جوردون برذرستون:

أستاذ البحث فى قسم الأدب بجامعة "إسكس" كما يعمل أستاذاً فى القسم الإسباني والبرتغالى بجامعة "إنديانا" ويحمل درجة الزمالة العليا فى مركز الإنسانويات بجامعة "استانفورد"، وقد مال اهتمامه البحثى لمدة طويلة إلى التركيز على الثقافات الأصلية/المحلية للأمريكيتين، تلك الثقافات التى نشر عنها دراسات عديدة مكثفة، وهو مؤلف عددٍ كبيرٍ من الكتب، بينها "الشعر الأمريكى اللاتينى: الأصول والواقع الحاضر" (1975) *Latin American Poetry: Origins and Presence* و"صورة العالم الجديد" *Im- age of the New World* (1979) و"سفر العالم الرابع" *Book of the Fourth World* و"كتب مرسومة من المكسيك" (1995) *Painted Books from Mexico* .

إيلزى تشان:

تعمل بتدريس الترجمة بجامعة "هونج كونج" المدينة، وتقوم حالياً بتحضير رسالة الدكتوراة بجامعة "وورويك". كما عملت أيضاً كمترجم رسمي في دوائر حكومية. وتدور اهتماماتها البحثية حول عقد المقارنات بين النظريات الترجمية الغربية وتلك الصينية وقد نشرت عدداً من المقالات حول الدراسات الترجمية في "هونج كونج" والصين وحول الكتب البوذية المقدسة في ترجماتها الصينية.

مارتا تشونج:

أستاذة الترجمة والمدير المشارك لمركز الترجمة بالجامعة المعمودية في "هونج كونج". وتشمل ترجماتها إلى اللغة الإنجليزية أدباً قصصياً من تأليف "هان شاوجونج" Han Shaogong و"ليو سولا" Liu Sola و"زهو تيانكسين" Zhu Tianxin و"لاي شينج - تشوان" Lai Shêng-ch'uan وأعمال شعراء "هونج كونج": "بي.كي ، لونج" P.K.Leung و"تسيا ييم بوي" Tsia Yim Pui ، و"شوا كا بنج" Choi Ka Ping ، وكانت قد عملت كمحرر لـ "كلية هونج كونج: قصص وكتابات معاصرة" (١٩٩٨) وشاركت "جين سي. سي. لاي" Jane C.C.Lai في إصدار "مقطعات أكسفورد من الدراما الصينية المعاصرة" (١٩٩٧). وتجرى حالياً بحثاً في الوقت الحاضر عن تاريخ الترجمة في "هونج كونج" كما تجمع وتصنف مقتطفات بترجمة إنجليزية لنظريات الترجمة الصينية منذ أقدم العصور حتى سنة ١٩١١ .

إدواردو كريسافوللي:

يعمل ملحقاً ثقافياً بوزارة الخارجية الإيطالية في روما. وبعد أن درس في "أوربينو" Urbino و"برمنجهام" وكلية جامعة دبلن "University College" كما اشتغل

محاضراً في اللغة الإيطالية بـ "دبلن" وبعد ذلك بجامعة الملك بن عبد العزيز في "جدة" ثم جامعة "مانشستر" قبل أن يشغل وظيفته الحالية. وكانت رسالته للدكتوراه عن الترجمات الإنجليزية لـ "الكوميديا الإلهية" لـ "دانتي"، وهو الموضوع الذي كتب ونشر عنه كثيراً في العديد من الدوريات.

جان - مارك جوانفيتش:

يعمل كأستاذ في قسم الدراسات الفرنسية بجامعة "كونكورديا" Concordia في "مونتريال" بكندا حيث يحاضر عن نظرية الترجمة ومنهجية الدراسات الترجمة. وفي سنة ١٩٨٧ أسس مجلة *TTR/Etudes sur le texte et ses transformations* ، التي استمر يحررها حتى سنة ١٩٩٧ . وهو مؤلف كتاب "سوسيولوجيا الترجمة" Sociologie de la traduction (1999) . ويعتمد في بحثه الحالي على النظريات الثقافية لـ "بيير بورديو" ويولي اهتماماً خاصاً بالترجمات الفرنسية للكاتب الأمريكيين المعاصرين الذين ظهروا في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة.

ثيو هيرمانز:

أستاذ اللغة الهولندية والأدب المقارن بكلية جامعة لندن. في سنة ١٩٨٥ حرر مجموعات "تحويل الأدب واليد الثانية، ويُعد " الترجمة في أنساق" أحدث كتاب أصدره (١٩٩٩). وتنصب بحوثه في الغالب الأعم على تاريخ ونظرية الترجمة.

جيريمي مونداي:

درس في جامعة "برادفورد" بإنجلترا، ويعمل محاضراً الآن في الدراسات الإسبانية بجامعة "سري" Surrey وقد نشر في الأونة الأخيرة "مقدمة إلى الدراسات

الترجمية: نظريات وتطبيقات" Ap- **Introducing Translation Studies: Theories and Applications** (2001) ، ونجد بين ترجماته "سفر بيكادور من القصص القصيرة في أمريكا اللاتينية" **The Picador Book of Latin American Short Stories** (1998) وتشمل اهتماماته في بحوثه نظرية الترجمة واللغويات الوظيفية الشاملة واللغويات الجسمورية والدراسات الأدبية.

صالحة بيكر:

حصلت على شهادتها الماجستير والدكتوراه في اللغة الإنجليزية والكلاسيكيات من جامعة "إستانبول". وعملت بالتدريس والبحث العلمي في جهات متعددة، بينها معهد الدراسات الأفريقية والشرقية التابع لجامعة لندن، وتحمل درجة الزمالة الشرفية في البحوث بمركز الدراسات اليونانية الحديثة والعثمانية والبيزنطية بجامعة "بيرمنجهام" منذ سنة ١٩٩٢ ، وقد عيّنت كأستاذ للدراسات الترجمية في قسم الترجمة والترجمة الشفوية بجامعة "بوغارتشي" في مدينة "إستانبول" في سنة ١٩٩٥، واستمرت تدرس هناك، وأحدث ترجمة صدرت لها (بالاشتراك مع "ميل كيني" Mel Kanne) هي رواية "عزيزى أيها الموت الوقح" **Dear Shameless Death** (2001) للراوى التركى "لطيفى تيكين".

شيبينيم سوزام - سراييفا:

عملت في وظيفة مترجم للنصوص الأدبية والفنية، ومساعد باحث بجامعة "بوغارتشي"، في "إستانبول" وجامعة "هيلسنكى" وكمحاضر لطلبة الماجستير بجامعة "ميدلسيكس" Middlesex في لندن، وتكتب حالياً رسالتها لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن بكلية جامعة لندن كما أنها مشتركة أيضاً في برنامج الاتصالات المتعددة اللغات MonAKO التابع لجامعة "هيلسنكى".

شهناز طاهر - جورتشاغلر:

تقوم حالياً بتدريس الترجمة والترجمة الفورية في جامعة "بوغازنتشى" بـ "إساتنبول" حيث تكتب أيضاً رسالتها لنيل درجة الدكتوراه. وتشمل اهتماماتها البحثية الترجمة وتفسير التاريخ والعلاقة بين الثقافة الشعبية والأيدولوجيا والترجمة، كما تعمل أيضاً كمترجم حر و مترجم فوري في المؤتمرات.

ماريا تيموكسكو:

أستاذ الأدب المقارن بجامعة "ماساشوسيتس": أمهرست. وقد نشرت العديد من البحوث حول الأدب في العصور الوسيطة إلى جانب الكتابات الأيرلندية باللغة الإنجليزية بما في ذلك أعمال "جيمس جويس"، وقد ظهرت ترجماتها للأدب الأيرلندي القديم في "قصتان عن الموت من دائرة أولستر" (1981) *Two Death Tales from the Ulster Cycle* وأحدث دراسة نقدية موسّعة لها هي "الترجمة في سياق ما - بعد - الاستعمار: الأدب الأيرلندي القديم في الترجمة إلى اللغة الإنجليزية" *Translation in a Post-Colonial Context: Early Irish Literature in English Translation* (1999) وتركز في أعمالها حالياً على أيدولوجيا الترجمة.

ميخائيل وولف:

كتبت رسالتها للماجستير عن الدراسات الترجمانية والدكتوراه عن الأدب الرومانسي، وتعمل حالياً كأستاذ مساعد في قسم الترجمة بجامعة "جراز" Graz. وقد قامت بتحرير مجموعة (1997) *Übersetzungswissenschaft in Brasilien*. كما قامت بالاشتراك مع "ناديا جبرك" Nadia Grbic بتحرير *Text-Kultur-Kommunikation* (1997) *Translation als Forschungsangabe*، تركز في بحوثها على تاريخ الترجمة ومظاهر الترجمة في الفترة البعد - استعمارية والترجمة النسوية.

المترجم فى سطور :

بيومى قنديل

* ليسانس آداب، قسم اللغة الإنجليزية و آدابها. جامعة القاهرة ١٩٦٤

* عضو نقابة الصحفيين

* عضو اتحاد الكتاب

* عضو جمعية القاهرة للغويين

* عضو جمعية الآثار القبطية

أهم الأعمال المؤلفة :

* "ضم القمح ليلاً" مجموعة قصص قصيرة. هيئة الكتاب.

* "أمونة تخاوى الجان". مجموعة قصص قصيرة. دار نشر خاصة.

* "عصفور الجنة". مسرحية للأطفال. المسرح القومى للأطفال.

* "شمس الشموسة" نشر خاص

* "ديوان الطيور" ديوان شعر للأطفال (تحت الطبع)

* "خميس دايم - الحسن" مجموعة قصص قصيرة للأطفال (تحت الطبع)

* عصفير الصدف. رواية قصيرة.(تحت الطبع)

- * "ضل الجراد". " " . (تحت الطبع)
- * "زعانف الرغبة" " " (تحت الطبع)
- * "كل شى ن كان". ديوان شعر. نشر خاص (الطبعة الثانية تحت الطبع)
- * "ريحة منوف" ديوان شعر (تحت الطبع)
- * "الترجمة فن". دراسة. نشر خاص
- * "حاضر الثقافة فى مصر" الطبعة الثالثة دار الكلمة "لوجوس" ٢٠٠٣

أهم الأعمال المترجمة:

- * "المائم و البانتومايم". تأليف: توماس ليهارت. هيئة الكتاب. سلسلة هيئة الألف كتاب الثانى ١٩٩٤
- * "أخناتون، ذلك الفرعون المارق". تأليف: دونالد ريدفورد. (الطبعة الثانية تحت الطبع)
- * قصة خروج بنى إسرائيل من مصر فى الميزان. ست أوراق قدمها ست علماء فى الحفريات و المصريات إلى مؤتمر (تحت الطبع)
- * مصر و كنعان و إسرائيل فى العصور القديمة. تأليف: دونالد ريدفورد. المجلس الأعلى الثقافة ٢٠٠٤
- بالإضافة إلى عشرات القصص و المقالات و عروض الكتب المنشورة و المذاعة داخل مصر و خارجها.

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالمين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقى جلال	جورج جيمس	التراث المسروق	٣-
أحمد الحضرى	انجا كاريتتيكوفنا	كيف تتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفيش	اتجاهات البحث اللسانى	٦-
يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودى	التغيرات البيئية	٩-
محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	چيرار چينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هناء عبد الفتاح	فيسوفا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	ديانة الساميين	١٣-
حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيقى	إدوارد لوسى سميث	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
ياشرف: أحمد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	١٨-
نعيم عطية	چورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة	١٩-
يمنى طريف الخولى وبدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العناتى	صمد بهرنجى	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	٢١-
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رحالة عن المصريين	٢٢-
سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل	٢٣-
بكر عباس	باتريك بارندر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم الدسوقى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى	٢٥-
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام	٢٦-
ياشرف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشرى الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة فى التسامح	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	٣١-
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	الانقراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	٣٣-
حصة إبراهيم المنيف	روجر آلن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	بول ب. ديكسون	الأسطورة والحداثه	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديثه	٣٦-

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	۳۷- واحة سيوة وموسيقاها
أنور مغيث	ألن تورين	۳۸- نقد الحداثة
منيرة كروان	بيتر والكوت	۳۹- الحسد والإغريق
محمد عيد إبراهيم	أن سكستون	۴۰- قصائد حب
عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد	بيتر جران	۴۱- ما بعد المركزية الأوروبية
أحمد محمود	بنجامين باربر	۴۲- عالم ماك
المهدى أخريف	أوكتايفيو پاث	۴۳- اللهب المزوج
مارلين تانرس	ألدوس هكسلى	۴۴- بعد عدة أصياف
أحمد محمود	روبرت ديننا وجون فاين	۴۵- التراث المغنور
محمود السيد على	بابلو نيرودا	۴۶- عشرون قصيدة حب
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	۴۷- تاريخ النقد الألبى الحديث (ج ۱)
ماهر جويجاتى	فرانسوا دوما	۴۸- حضارة مصر الفرعونية
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	۴۹- الإسلام فى البلقان
محمد برادة وعثمانى الملوذ ويوسف الأتلكى	جمال الدين بن الشيخ	۵۰- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بينياليستى	۵۱- مسار الرواية الإسبانو أمريكية
لطفى فطيم وعادل دمرداش	ب . نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	۵۲- العلاج النفسى التدعى
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجتون	۵۳- الدراما والتعليم
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	۵۴- المفهوم الإغريقى للمسرح
على يوسف على	جون بولكنجهوم	۵۵- ما وراء العلم
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	۵۶- الأعمال الشعرية الكاملة (ج ۱)
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	۵۷- الأعمال الشعرية الكاملة (ج ۲)
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	۵۸- مسرحيتان
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيهيت	۵۹- المحبرة (مسرحية)
صبرى محمد عبد القنى	جوهانز إيتين	۶۰- التصميم والشكل
بإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميت	۶۱- موسوعة علم الإنسان
محمد خير البقاعى	رولان بارت	۶۲- لذة النص
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	۶۳- تاريخ النقد الألبى الحديث (ج ۲)
رمسيس عوض	ألان وود	۶۴- برتراند راسل (سيرة حياة)
رمسيس عوض	برتراند راسل	۶۵- فى مدح الكسل ومقالات أخرى
عبد اللطيف عبد الطيم	أنطونيو جالا	۶۶- خمس مسرحيات أندلسية
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	۶۷- مختارات شعرية
أشرف الصباغ	فالنتين راسبوتين	۶۸- نتاشا العجوز وقصص أخرى
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	۶۹- العلم الإسلامى فى أولئ القرن العشرين
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشمانج رودريجت	۷۰- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
حسين محمود	داريو فو	۷۱- السيدة لا تصلح إلا للرمى
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	۷۲- السياسى العجوز
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . تومبكنز	۷۳- نقد استجابة القارئ
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	۷۴- صلاح الدين والماليك فى مصر

أحمد درويش	أندريه موروا	فن التراجم والسير الذاتية	٧٥-
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	٧٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٣)	٧٧-
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	٧٨-
سعيد الغانمى وناصر حلاوى	يوريس أوسبنسكى	شعرية التأليف	٧٩-
مكارم الغمرى	ألكسندر بوشكين	بوشكين عند «ناقورة الدموع»	٨٠-
محمد طارق الشرقاوى	بندكت أندرسن	الجماعات المتخيلة	٨١-
محمود السيد على	ميجيل دى أونامونو	مسرح ميجيل	٨٢-
خالد المعالى	غوتفريد بن	مختارات شعرية	٨٣-
عبد الحميد شيحة	مجموعة من المؤلفين	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	٨٤-
عبد الرازق بركات	صلاح زكى أقطاى	منصور الحلاج (مسرحية)	٨٥-
أحمد فتحى يوسف شتا	جمال مير صادقى	طول الليل (رواية)	٨٦-
ماجدة العنانى	جلال آل أحمد	نون والقلم (رواية)	٨٧-
إبراهيم الدسوقى شتا	جلال آل أحمد	الابتلاء بالتقرب	٨٨-
أحمد زايد ومحمد محبى الدين	أنتونى جيدينز	الطريق الثالث	٨٩-
محمد إبراهيم مبروك	يورخيس وآخرون	وسم السيف وقصص أخرى	٩٠-
محمد هناء عبد الفتاح	باريرا لاسوتسكا - بشونياك	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	٩١-
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	لساليب ومضامين للمسرح الإسباني المعاصر	٩٢-
عبد الوهاب علوب	مايك فيذرستون وسكوت لاش	محدثات العولمة	٩٣-
فوزية العشماوى	صمويل بيكيت	مسرحيتا الحب الأول والصحة	٩٤-
سرى محمد عبد اللطيف	أنطونيو بوينو بايخو	مختارات من المسرح الإسباني	٩٥-
إنوار الخراط	نخبة	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	٩٦-
بشير السباعى	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج١)	٩٧-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	٩٨-
إبراهيم قنديل	ديفيد روبنسون	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	٩٩-
إبراهيم فتحى	بول هيرست وجراهام تومبسون	مساطة العولمة	١٠٠-
رشيد بنحو	بيرنار فاليط	النص الروائى: تقنيات ومناهج	١٠١-
عز الدين الكتانى الإدريسى	عبد الكبير الخطيبى	السياسة والتسامح	١٠٢-
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤذب	قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)	١٠٣-
عبد الفقار مكاوى	برتولت بريشت	أويرا ماهوجنى (مسرحية)	١٠٤-
عبد العزيز شبيل	چيرارچينيت	مدخل إلى النص الجامع	١٠٥-
أشرف على دعور	ماريا خيسوس روبييرامتى	الأدب الأندلسى	١٠٦-
محمد عبد الله الجعيدى	نخبة من الشعراء	صورة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	١٠٧-
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	١٠٨-
هاشم أحمد محمد	چون بولوك وعادل درويش	حروب المياه	١٠٩-
منى قطان	حسنة بيجوم	النساء فى العالم النامى	١١٠-
ريهام حسين إبراهيم	فرانسس هيدسون	المرأة والجريمة	١١١-
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	الاحتجاج الهادئ	١١٢-

أحمد حسان	سادى پلانٹ	رأية التمرد	١١٣-
نسيم مجلى	وول شوينكا	مصرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنق	١١٤-
سمية رمضان	فرچينيا وولف	غرفة تخص المرء وحده	١١٥-
نهاد أحمد سالم	سينثيا نلسون	امرأة مختلفة (درية شفيق)	١١٦-
منى إبراهيم وهالة كمال	ليلى أحمد	المرأة والجنوسة فى الإسلام	١١٧-
لميس النقاش	بث بارون	النهضة النسائية فى مصر	١١٨-
ياشرف: روف عباس	أميرة الأزهرى سنبل	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	١١٩-
مجموعة من المترجمين	ليلى أبو لغد	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	١٢٠-
محمد الجندى وإيزابييل كمال	فاطمة موسى	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	١٢١-
منيرة كروان	جوزيف فوجت	نظام العربية القديم والنموذج المثالى للإيمان	١٢٢-
أنور محمد إبراهيم	أنيتل ألكسندرو فنالدولينا	الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية	١٢٣-
أحمد فؤاد بليغ	جون جراى	الفجر الكانب: أوهام الرأسمالية العالمية	١٢٤-
سمحة الخولى	سيدرك ثورپ بيقى	التحليل الموسيقى	١٢٥-
عبد الوهاب علوب	ثولفانج إيسر	فعل القراءة	١٢٦-
بشير السباعى	صفاء فتحي	إرهاب (مسرحية)	١٢٧-
أميرة حسن نويرة	سوزان باسنيت	الأدب المقارن	١٢٨-
محمد أبو العطا وآخرون	ماريا دولورس أسيس جاروته	الرواية الإسبانية المعاصرة	١٢٩-
شوقى جلال	أندريه جوندر فرانك	الشرق يصعد ثانية	١٣٠-
لويس بقطر	مجموعة من المؤلفين	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	١٣١-
عبد الوهاب علوب	مايك فينرستون	ثقافة العولة	١٣٢-
طلعت الشايب	طارق على	الخوف من المرايا (رواية)	١٣٣-
أحمد محمود	بارى ج. كيمب	تشريح حضارة	١٣٤-
ماهر شفيق فريد	ت. س. إليوت	المختار من نقد ت. س. إليوت	١٣٥-
سحر توفيق	كينيث كونو	فلاحو الباشا	١٣٦-
كاميليا صبحى	جوزيف مارى مواريه	منكرات ضابط فى الحلة الفرنسية على مصر	١٣٧-
وجيه سمعان عبد المسيح	أندريه جلوكسمان	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	١٣٨-
مصطفى ماهر	ريتشارد فاچنر	پارسيغال (مسرحية)	١٣٩-
أمل الجبورى	هربرت ميسن	حيث تلتقى الأنهار	١٤٠-
نعيم عطية	مجموعة من المؤلفين	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	١٤١-
حسن بيومى	أ. م. فورستر	الإسكندرية : تاريخ ودليل	١٤٢-
عدلى السمرى	ديرك لايدر	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	١٤٣-
سلامة محمد سليمان	كارلو جولونونى	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	١٤٤-
أحمد حسان	كارلوس فوينتس	موت أرتيميو كروث (رواية)	١٤٥-
على عبدالرؤف البعبى	ميجيل دى ليبس	الورقة الحمراء (رواية)	١٤٦-
عبدالغفار مكاوى	تانكريد نورست	مسرحيتان	١٤٧-
على إبراهيم منوفى	إنريكى أندرسون إمبرت	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	١٤٨-
أسامة إسبير	عاطف فضول	النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس	١٤٩-
منيرة كروان	روبرت ج. ليتمان	التجربة الإغريقية	١٥٠-

بشير السباعي	فرنان برودل	١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)
محمد محمد الخطابي	مجموعة من المؤلفين	١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى
فاطمة عبدالله محمود	فيولين فانويك	١٥٣- غرام الفراعنة
خليل كلفت	فيل سليتر	١٥٤- مدرسة فرانكفورت
أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر
مى التلمساني	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
عبدالعزیز بقوش	النظامى الكنجوى	١٥٧- خسرو وشيرين
بشير السباعي	فرنان برودل	١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)
إبراهيم فتحى	ديفيد هوكس	١٥٩- الأيديولوجية
حسين بيومى	بول إيرليش	١٦٠- آلة الطبيعة
زيدان عبدالطيم زيدان	أليخاندر كاسونا وأنطونيو جالا	١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسباني
صلاح عبدالعزیز محجوب	يوحنا الآسيوى	١٦٢- تاريخ الكنيسة
باشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (ج ١)
نبيل سعد	جان لاكوتير	١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)
سهير المصانفة	أ. ن. أفاناسيفا	١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)
محمد محمود أبوغدير	يشعياهو ليتمان	١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمايين في إسرائيل
شكرى محمد عياد	رابندرناط طاغور	١٦٧- في عالم طاغور
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	١٦٩- إبداعات أدبية
بسام ياسين رشيد	ميجيل دليبيس	١٧٠- الطريق (رواية)
هدى حسين	فرانك بيجو	١٧١- وضع حد (رواية)
محمد محمد الخطابي	نخبة	١٧٢- حجر الشمس (شعر)
إمام عبد الفتاح إمام	ولتر ت. ستيس	١٧٣- معنى الجمال
أحمد محمود	إيليس كاشمور	١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية
جلال البنا	توم تيتبرج	١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
حصه إبراهيم المنيف	هنرى تروايا	١٧٧- أنطون تشيخوف
محمد حمدي إبراهيم	نخبة من الشعراء	١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	١٨٠- قصة جاويد (رواية)
محمد يحيى	فنسنت ب. ليتش	١٨١- التقى الأمريكى من الثلاثينات إلى الثمانينات
ياسين طه حافظ	وب. بيتس	١٨٢- العنف والنبوة (شعر)
فتحى العشرى	رينيه جيلسون	١٨٣- جان كوكو على شاشة السينما
دسوقي سعيد	هانز إبندورفر	١٨٤- القاهرة: حالة لا تنام
عبد الوهاب علوب	توماس تومسن	١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ
إمام عبد الفتاح إمام	ميخائيل إنوود	١٨٦- معجم مصطلحات هيجل
محمد علاء الدين منصور	بُزرج علوى	١٨٧- الأرضة (رواية)
بدر الديب	ألفين كرنان	١٨٨- موت الأدب

سعيد الغانمي	بول دي مان	١٨٩- العى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر
محسن سيد فرجاني	كونفوشيوس	١٩٠- محاورات كونفوشيوس
مصطفى حجازى السيد	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى
محمود علاوى	زين العابدين الراغى	١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)
محمد عبد الواحد محمد	بيتر أبراهامز	١٩٣- عامل المنجم (رواية)
ماهر شفيق فريد	مجموعة من النقاد	١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)
أشرف الصباغ	فالتين راسبوتين	١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)
جلال السعيد الحفناوى	شمس العلماء شبلى النعمانى	١٩٧- سيرة الفاروق
إبراهيم سلامة إبراهيم	إيوون إمري وآخرون	١٩٨- الاتصال الجماهيرى
جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد	يعقوب لاندوا	١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية
فخرى لبيب	جيرمى سيبروك	٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٤)
جلال السعيد الحفناوى	أطاف حسين حالى	٢٠٣- الشعر والشاعرية
أحمد هويدى	زالمان شانزار	٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم
أحمد مستجير	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات
على يوسف على	جيمس جلايك	٢٠٦- الهيوالية تصنع علماً جديداً
محمد أبو العطا	رامون خوتاسنديز	٢٠٧- ليل أفريقي (رواية)
محمد أحمد صالح	دان أوربان	٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢٠٩- السرد والمسرح
يوسف عبد الفتاح فرج	سنائى الغزنوى	٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)
محمود حمدى عبد الغنى	جوناثان كلر	٢١١- فردينان دوسوسير
يوسف عبدالفتاح فرج	مرزيان بن رستم بن شروين	٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان
سيد أحمد على الناصرى	ريمون فلاور	٢١٣- مصر منذ قديم نابليون حتى رحيل عبدالناصر
محمد محيى الدين	أنتونى جيندز	٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع
محمود علاوى	زين العابدين الراغى	٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم
نادية البنهاوى	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	٢١٧- مسرحيتان طبيعيتان
على إبراهيم منوقى	خوليو كورتاتان	٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)
طلعت الشايب	كازو إيشجورد	٢١٩- بقايا اليوم (رواية)
على يوسف على	بارى باركر	٢٢٠- الهيوالية فى الكون
رفعت سلام	جريجورى جوزدانيس	٢٢١- شعرية كفافى
تسيم مجلى	رونالد جراى	٢٢٢- فرانز كافكا
السيد محمد نقادى	باول فيرابند	٢٢٣- العلم فى مجتمع حر
منى عبدالظاهر إبراهيم	برانكا ماجاس	٢٢٤- دمار يوغسلافيا
السيد عبدالظاهر السيد	جابريل جارتيا ماركيث	٢٢٥- حكاية غريق (رواية)
طاهر محمد على البريرى	ديفيد هريت لورانس	٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه ماريا ديث بوركي	المرح الإيباني في القرن السابع عشر	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	جانيت وولف	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيغان	مأزق البطل الوحيد	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز جاكوب	عن الذباب والفئران والبشر	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	الذرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	ما بعد المعلومات	٢٣٢-
طلعت الشايب	آرثر هيرمان	فكرة الاضمحلال في التاريخ القوي	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	ج. سبنسر تريمنجهام	الإسلام في السودان	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبريزي (ج١)	٢٣٥-
أحمد الطيب	ميشيل شويكفيتش	الولاية	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	روين فيدين	مصر أرض الوادي	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعيسى مديولى أحمد	تقرير لمنظمة الأنكاد	العولة والتحرير	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جيلا راماز - رايوخ	العربي في الألب الإسرائيلي	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	كاي حافظ	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	٢٤٠-
ابتسام عبدالله	ج. م. كوتزي	في انتظار البرابرة (رواية)	٢٤١-
صبري محمد حسن	وليام إمبسون	سبعة أنماط من القموض	٢٤٢-
ياشراف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكييل	الظيان (رواية)	٢٤٤-
توفيق على منصور	إليزابيتا أديس وآخرون	نساء مقاتلات	٢٤٥-
على إبراهيم منوفى	جابريل جارثيا ماركيت	مختارات قصصية	٢٤٦-
محمد طارق الشرقاوى	والتر أرمبرست	الثقافة الجماهيرية والحدثة في مصر	٢٤٧-
عبداللطيف عبدالحليم	أنطونيو جالا	حقول عن الخضراء (مسرحية)	٢٤٨-
رفعت سلام	دراجو شتامبوك	لغة التمزق (شعر)	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	دومنيك فينك	علم اجتماع العلوم	٢٥٠-
ياشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٥١-
على بدران	مارجو بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	٢٥٢-
حسن بيومي	ل. أ. سيمينوفا	تاريخ مصر الفاطمية	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودي جروفز	أقدم لك: الفلسفة	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودي جروفز	أقدم لك: أفلاطون	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وكريس جارات	أقدم لك: ديكارت	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	وليم كلى رايت	تاريخ الفلسفة الحديثة	٢٥٧-
عبادة كحيلة	سير أنجوس فريزر	الفجر	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	نخبة	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	٢٥٩-
ياشراف: محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	زكى نجيب محمود	رحلة في فكر زكى نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	إواريو مندوتا	مدينة المعجزات (رواية)	٢٦٢-
على يوسف على	چون جرين	الكشف عن حافة الزمن	٢٦٣-
لويس عوض	هوراس وشلى	إبداعات شعرية مترجمة	٢٦٤-

لويس عوض	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	روايات مترجمة	٢٦٥-
عادل عبدالمنعم على	جلال آل أحمد	مدير المدرسة (رواية)	٢٦٦-
بدر الدين عروذكى	ميلان كونديرا	فن الرواية	٢٦٧-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	ديوان شمس تبريزى (ج٢)	٢٦٨-
صبرى محمد حسن	وليم چيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	٢٦٩-
صبرى محمد حسن	وليم چيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	٢٧٠-
شوقى جلال	توماس سى. باترسون	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	٢٧١-
إبراهيم سلامة إبراهيم	سى. سى. والترز	الأديرة الأثرية فى مصر	٢٧٢-
عنان الشهاوى	جوان كول	الاصول الاجتماعية والثقافية لمرحلة ما قبل فى مصر	٢٧٣-
محمود على مكى	روموالو جاييجوس	السيدة باربارا (رواية)	٢٧٤-
ماهر شفيق فريد	مجموعة من النقاد	د. س. إليوت شاعراً وناقداً وكتاباً مسرحياً	٢٧٥-
عبدالقادر التمسانى	مجموعة من المؤلفين	فنون السينما	٢٧٦-
أحمد فوزى	براين فورد	الحيئات والصراع من أجل الحياة	٢٧٧-
ظريف عبدالله	إسحاق عظيموف	البيديات	٢٧٨-
طلعت الشايب	ف. س. سوندرز	الحرب الباردة الثقافية	٢٧٩-
سمير عبدالحميد إبراهيم	بريم شند وآخرون	الأم والنصيب وقصص أخرى	٢٨٠-
جلال الحقاوى	عبد الحليم شرر	الفردوس الأعلى (رواية)	٢٨١-
سمير حنا صادق	لويس وولبرت	طبيعة العلم غير الطبيعية	٢٨٢-
على عبد الرؤوف البعبي	خوان رولفو	السهل يحترق وقصص أخرى	٢٨٣-
أحمد عثمان	يوريبديس	هرقل مجنوناً (مسرحية)	٢٨٤-
سمير عبد الحميد إبراهيم	حسن نظامى الدهلوى	رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى	٢٨٥-
محمود علاوى	زين العابدين المراغى	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	٢٨٦-
محمد يحيى وآخرون	أنتونى كنج	الثقافة والعولة والنظام العالمى	٢٨٧-
ماهر البطوطى	بيفيد لودج	الفن الروائى	٢٨٨-
محمد نور الدين عبدالمنعم	أبو نجم أحمد بن قوص	ديوان منوچهرى الدامغانى	٢٨٩-
أحمد زكريا إبراهيم	جورج موانان	علم اللغة والترجمة	٢٩٠-
السيد عبد الظاهر	فرانشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإسباني فى القرن العشرين (ج١)	٢٩١-
السيد عبد الظاهر	فرانشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإسباني فى القرن العشرين (ج٢)	٢٩٢-
مجدى توفيق وآخرون	روجر ألن	مقدمة للأدب العربى	٢٩٣-
رجاء ياقوت	بوالو	فن الشعر	٢٩٤-
بدر الديب	جوزيف كامبل وبيل موريز	سلطان الأسطورة	٢٩٥-
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	مكبث (مسرحية)	٢٩٦-
ماجدة محمد أنور	ليونيسوس ثراكس ويوسف الأهوازى	فن النحو بين اليونانية والسريانية	٢٩٧-
مصطفى حجازى السيد	نخبة	مأساة العبيد وقصص أخرى	٢٩٨-
هاشم أحمد محمد	جين ماركس	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	٢٩٩-
جمال الجزيرى وبهاء جامين وإيزابيل كمال	لويس عوض	أسطورة برونشيس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج١)	٣٠٠-
جمال الجزيرى و محمد الجندى	لويس عوض	أسطورة برونشيس فى الأدب الإنجليزى والفرنسى (ج٢)	٣٠١-
إمام عبد الفتاح إمام	جون هيتون وجودى جروفز	أقدم لك: فنجنشتين	٣٠٢-

إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب ويورن فان لون	٢٠٣- أقدام لك: بوذا
إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	٢٠٤- أقدام لك: ماركس
صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	٢٠٥- الجلد (رواية)
نبيل سعد	جان فرانسوا ليوتار	٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ
محمود مكي	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	٢٠٧- أقدام لك: الشعور
ممدوح عبد المنعم	ستيف جونز ويورين فان لو	٢٠٨- أقدام لك: علم الوراثة
جمال الجزيري	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	٢٠٩- أقدام لك: الذهن والمخ
محيى الدين مزيد	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	٢١٠- أقدام لك: يونج
فاطمة إسماعيل	ر.ج كولنجوود	٢١١- مقال فى المنهج الفلسفى
أسعد حليم	وليم بيبويس	٢١٢- روح الشعب الأسود
محمد عبدالله الجعيدى	خاير بيان	٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)
هويدا السباعى	جانيس مينيك	٢١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم
كاميليا صبحى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	٢١٥- جرامشى فى العالم العربى
نسيم مجلى	أى. ف. ستون	٢١٦- محاكمة سقراط
أشرف الصباغ	س. شير لايموفا- س. زنيكين	٢١٧- بلاغ
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢١٨- الألب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة
حسام نايل	جايترى اسيفاك وكريستوفر نوريس	٢١٩- صور دريدا
محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٢٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج
بإشراف: صلاح فضل	ليفى برو فنسال	٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)
خالد مقلح حمزة	دبليو يوجين كلينبار	٢٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى
هانم محمد فوزى	تراث يونانى قديم	٢٢٣- فن الساتورا
محمود علاوى	أشرف أسدى	٢٢٤- اللعب بالنار (رواية)
كريستين يوسف	فيليب بوسان	٢٢٥- عالم الآثار (رواية)
حسن صقر	يورجين هابرماس	٢٢٦- المعرفة والمصلحة
توفيق على منصور	نخبة	٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج ١)
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)
محمد عيد إبراهيم	تد هيوز	٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)
سامى صلاح	مارفن شبرد	٢٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت
سامية دياب	ستيفن جراى	٢٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى
على إبراهيم منوفى	نخبة	٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى
بكر عباس	نبيل مطر	٢٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥
مصطفى إبراهيم فهمى	آرثر كلارك	٢٣٤- لقطات من المستقبل
فتحى العشرى	ناتالى ساروت	٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية
حسن صابر	نصوص مصرية قديمة	٢٣٦- متون الأهرام
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٢٣٧- فلسفة الولاء
جلال الحفناوى	نخبة	٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى
محمد علاء الدين منصور	إتوارد براون	٢٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (ج ٢)
فخرى لبيب	بيرش بيربروجلو	٢٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط

حسن حلمي	راينر ماريا رلكه	قصائد من رلكه (شعر)	٢٤١-
عبد العزيز يقوش	نور الدين عبدالرحمن الجامي	سلامان وأبسال (شعر)	٢٤٢-
سمير عبد ربه	نادين جورديمر	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	٢٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيو	الموت في الشمس (رواية)	٢٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	بونه ندائي	الركض خلف الزمان (شعر)	٢٤٥-
جمال الجزيري	رشاد رشدي	سحر مصر	٢٤٦-
بكر الطو	جان كوكتو	الصبية الطائشون (رواية)	٢٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١)	٢٤٨-
أحمد عمر شاهين	أرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٢٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٢٥٠-
أحمد الانصاري	جوزايا رويس	مبادئ المنطق	٢٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٢٥٢-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	٢٥٣-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	٢٥٤-
محمود علاوي	حجت مرتجي	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	٢٥٥-
بدر الرفاعي	بول سالم	الميراث المر	٢٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثي فريك وبيتر غاندي	متون هرمس	٢٥٧-
مصطفى حجازي السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامية	٢٥٨-
حبيب الشاروني	أفلاطون	محاورة بارمنيدس	٢٥٩-
ليلى الشرييني	أندريه جاكوب ونويلا باركان	أنثروبولوجيا اللغة	٢٦٠-
عاطف معتمد وآمال شاور	ألان جرينجر	التصحیح: التهديد والمجابهة	٢٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شيبورل	تلميذ بابنبرج (رواية)	٢٦٢-
صبري محمد حسن	ريتشارد جيبسون	حركات التحرير الأفريقية	٢٦٣-
نجلاء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حدائق شكسبير	٢٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بودليير	سام باريس (شعر)	٢٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع الذئب	٢٦٦-
البراق عبدالهادي رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجريء	٢٦٧-
عابد خزندار	جيرالد برنس	المصطلح السردي: معجم مصطلحات	٢٦٨-
فوزية العشاوي	فوزية العشاوي	المرأة في أدب نجيب محفوظ	٢٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كلير لا لويت	الفن والحياة في مصر الفرعونية	٢٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	٢٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ مينغ	عاش الشباب (رواية)	٢٧٢-
علي إبراهيم منوفي	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة دكتوراه	٢٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	اليوم السادس (رواية)	٢٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٢٧٥-
إيوار الخراط	جان أنوي وآخرون	الفضب وأحلام السنين (مسرحيات)	٢٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إيوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	٢٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٢٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا ابراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادي	بهاء الدين محمد إسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد ابراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٢٨٥- مشتري العشق (رواية)
ريهام حسين ابراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	چون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازي	٢٨٨- مواعظ سعدى الشيرازي (شعر)
سمير عبدالحميد ابراهيم	نخبة	٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. روبرتس	٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى الترويبي	مايف بينشي	٢٩١- الحافلة الليلية (رواية)
عبداللطيف عبدالطيم	فرناندو دي لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣- في قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول نيفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية في الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتي شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفنتش وألن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياون ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيغوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تولور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة ابراهيم	أندرية جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعمرون الإسبان في القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بقلم كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوبر	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينيقر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
ياشراق: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوفنا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأداب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينغما	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر

مجاهد عبدالمنعم مجاهد	رينيه ويليك	٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٥)
عبد الرحمن الشيخ	جين هاثواي	٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر الثمانية
نسيم مجلى	جون مارلو	٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية
الطيب بن رجب	فولتير	٤٢٠- مكرو ميغاس (قصة فلسفية)
أشرف كيلانى	روى متحدة	٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامى الأول
عبدالله عبدالرازق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)
وحيد النقاش	نخبة	٤٢٣- إسراعات الرجل الطيف
محمد علاء الدين منصور	نور الدين عبدالرحمن الجامى	٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)
محمود علاوى	محمود طلوعى	٤٢٥- من طاووس إلى فرح
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب	نخبة	٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى
ثريا شلبى	باى إنكلان	٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية)
محمد أمان صافى	محمد هوتك بن داود خان	٤٢٨- الخزانة الخفية
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندزجى كروز	٤٢٩- أقدم لك: هيجل
إمام عبدالفتاح إمام	كرستوفر وانت وأندزجى كليومفسكى	٤٣٠- أقدم لك: كانط
إمام عبدالفتاح إمام	كريس هوروكس وزوران جفتيك	٤٣١- أقدم لك: فوكو
إمام عبدالفتاح إمام	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	٤٣٢- أقدم لك: ماكياقللى
حمدي الجابرى	ديفيد نوريس وكارل فلنت	٤٣٣- أقدم لك: جويس
عصام حجازى	دونكان هيث وچودى بورهام	٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية
ناجى رشوان	نيكولاس زيريج	٤٣٥- توجهات ما بعد الحدائة
إمام عبدالفتاح إمام	فرديك كويلستون	٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١)
جلال الحفناوى	شبلى النعمانى	٤٣٧- رحالة هندي في بلاد الشرق العربى
عايدة سيف الدولة	إيمان ضياء الدين بييرس	٤٣٨- بطلات وضحايا
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب	صدر الدين عيني	٤٣٩- موت المرابى (رواية)
محمد طارق الشرقاوى	كرستن بروستاد	٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة
فخرى لبيب	أرونداتى روى	٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية)
ماهر جويجاتى	فوزية أسعد	٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية
محمد طارق الشرقاوى	كيس فرستينغ	٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها
صالح علمانى	لاوريت سيجورنه	٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة
محمد محمد يونس	پرويز ناتل خانلرى	٤٤٥- حول وزن الشعر
أحمد محمود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	٤٤٦- التحالف الأسود
ممدوح عبدالمنعم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	٤٤٧- أقدم لك: نظرية الكم
ممدوح عبدالمنعم	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	٤٤٨- أقدم لك: علم نفس التطور
جمال الجزيرى	نخبة	٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية
جمال الجزيرى	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية
إمام عبد الفتاح إمام	ريتشارد أوزبورن وبورن شان لون	٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية
محيى الدين مزيد	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية
حليم طوسون وفؤاد الدهان	جان لوك أرنو	٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة
سوزان خليل	رينيه بريدال	٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية

محمود سيد أحمد	فردريك كويلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تنسى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء في الفكر السياسي الغربي
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرينال	٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتتبرج	٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وليتزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودى جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكان
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوريين
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- الدولة المارقة
حصه إبراهيم المنيف	مايكل بارتنى	٤٦٤- ديمقراطية للقتل
جمال الرفاعى	لويس جنزيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	فيولين فانويك	٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفين ديلى	٤٦٧- التفكير السياسي والنظرة السياسية
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حبشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد الننة	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية
عبد الله عبد الرزق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميجيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)
سهام عبدالسلام	بام موريس	٤٧٤- الأدب والنسوية
عادل هلال عنانى	فرجينيا دانيلسون	٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم
سحر توفيق	ماريلين بوث	٤٧٦- أرض الحباب بعيدة: بيرم التونسي
أشرف كيلانى	هيلدا هوخام	٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين
عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج ولى شى تونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
عبد العزيز حمدى	لاوشه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدى	كو موروا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
رضوان السيد	روى متحدة	٤٨١- بردة النبي
فاطمة عبد الله	روبير جاك تيبو	٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية
أحمد الشامى	سارة جامبل	٤٨٢- النسوية وما بعد النسوية
رشيد بنحو	هانسن روبيورت ياوس	٤٨٤- جمالية التلقى
سمير عبدالحميد إبراهيم	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
عبدالحميد عبدالغنى رجب	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الحضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفيع الدين المراد أبادى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
محمود رجب	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
عبد الوهاب طوب	محمد قادرى	٤٩٠- أسمار البيغاء
سمير عبد ربه	نخبة	٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفرىقى
محمد رفعت عواد	جى فارجيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

محمد صالح الضالع	هارولد بالمر	خطابات إلى طالب الصوتيات	-٤٩٣
شريف الصيفي	نصوص مصرية قديمة	كتاب الموتى: الخروج في النهار	-٤٩٤
حسن عبد ربه المصري	إدوارد تيفان	اللوبي	-٤٩٥
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولي	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	-٤٩٦
مصطفى رياض	نادية العلي	العثمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	-٤٩٧
أحمد على بدوي	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	-٤٩٨
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	-٤٩٩
طلعت الشايب	تيتز رووكي	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	-٥٠٠
سحر فراج	آرثر جولد هامر	تاريخ النساء في الغرب (ج١)	-٥٠١
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	أصوات بديلة	-٥٠٢
محمد نور الدين عبدالمنعم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	-٥٠٣
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج١)	-٥٠٤
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج٢)	-٥٠٥
عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	ربما كان قديساً (رواية)	-٥٠٦
شوقي فهمي	بيتر شيفر	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	-٥٠٧
عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقي جلبنارلي	المواوية بعد جلال الدين الرومي	-٥٠٨
قاسم عبده قاسم	آدم صبرة	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	-٥٠٩
عبدالرازق عيد	كارلو جولونوني	الأرملة المماكرة (مسرحية)	-٥١٠
عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	كوكب مرعق (رواية)	-٥١١
جمال عبد الناصر	تيموثي كوريجان	كتابة النقد السينمائي	-٥١٢
مصطفى إبراهيم فهمي	تيد أنتون	العلم الجسور	-٥١٣
مصطفى بيومي عبد السلام	چونتان كولر	مدخل إلى النظرية الأدبية	-٥١٤
فدوى ماطي بوجلاس	فدوى ماطي بوجلاس	من التقليد إلى ما بعد الحدائق	-٥١٥
صبري محمد حسن	أرنولد واشنطن وديونا باوندي	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	-٥١٦
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	نقش على الماء وقصص أخرى	-٥١٧
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	استكشاف الأرض والكون	-٥١٨
أحمد الأنصاري	جوزايا روس	محاضرات في المثالية الحديثة	-٥١٩
أمل الصبان	أحمد يوسف	الوع الفرنسي بمصر من الطم إلى المشروع	-٥٢٠
عبدالوهاب بكر	آرثر جولد سميث	قاموس تراجم مصر الحديثة	-٥٢١
علي إبراهيم منوفى	أميركو كاسترو	إسبانيا في تاريخها	-٥٢٢
علي إبراهيم منوفى	باسيليو يابون مالدونادو	الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	-٥٢٣
محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	الملك لير (مسرحية)	-٥٢٤
نادية رفعت	دنيس جونسون	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	-٥٢٥
محيى الدين مزيد	ستيفن كروول ووليم رانكين	أقدم لك: السياسة البيئية	-٥٢٦
جمال الجزيري	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	أقدم لك: كافكا	-٥٢٧
جمال الجزيري	طارق علي وفيل إيفانز	أقدم لك: تروتسكي والماركسية	-٥٢٨
حازم محفوظ	محمد إقبال	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	-٥٢٩
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	-٥٣٠

صفاة فتحي	چاك نريدا	٥٣١- ما الذي حدث في حدث «١١ سبتمبر»؟
بشير السباعي	هنري لورنس	٥٣٢- المغامر والمستشرق
محمد طارق الشرقاوي	سوزان جاس	٥٣٣- تعلم اللغة الثانية
حمادة إبراهيم	سيقرين لوبا	٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون
عبدالعزیز بقوش	نظامي الكتجوي	٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)
شوقي جلال	صمويل منتجتون ولورانس هاريزون	٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم
عبدالقادر مكاوي	نخبة	٥٣٧- للحب والحرية (شعر)
محمد الحديدي	كيت دانييلز	٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني
محسن مصيلحي	كاريل تشرشل	٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة
رؤف عباس	السير رونالد ستورس	٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية
مروة رزق	خوان خوسيه مياس	٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى
نعيم عطية	نخبة	٥٤٢- قصص مختارة من الألب اليوناني الحديث
وفاء عبدالقادر	باتريك بروجان وكريس جرات	٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية
حمدي الجابري	روبرت هنتشل وآخرون	٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلارين
عزت عامر	فرانسيس كريك	٥٤٥- يا له من سباق محموم
توفيق علي منصور	ت. ب. وايزمان	٥٤٦- ريموس
جمال الجزيري	فيليب تودي وأن كورس	٥٤٧- أقدم لك: بارت
حمدي الجابري	ريتشارد أوزيرين وبورن فان لون	٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع
جمال الجزيري	بول كويلي ولينتا جانز	٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات
حمدي الجابري	نيك جروم وبيرو	٥٥٠- أقدم لك: شكسبير
سمحة الخولي	سايمون ماندي	٥٥١- الموسيقى والعولة
علي عبد الرؤف البعبي	ميجيل دي ثريانتس	٥٥٢- قصص مثالية
رجاء ياقوت	دانيال لوقرس	٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر
عبدالسميع عمر زين الدين	عفاف لطفى السيد مارسوه	٥٥٤- مصر في عهد محمد علي
أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي	أناتولي أوتكين	٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين
حمدي الجابري	كريس هوروكس وزوران جيفتك	٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وجراهام كرولي	٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد
إمام عبدالفتاح إمام	زيو بين سارداروبورين فان لون	٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية
عبدالحى أحمد سالم	تشا تشاجي	٥٥٩- الماس الزائف (رواية)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦١- جناح جبريل (شعر)
عزت عامر	كارل ساجان	٥٦٢- بلايين وبلايين
صبري محمدي التهامي	خاثيرنتو بينابينتتي	٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)
صبري محمدي التهامي	خاثيرنتو بينابينتتي	٥٦٤- عش الغريب (مسرحية)
أحمد عبدالحميد أحمد	بيورا ج. جيرنر	٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر
علي السيد علي	موريس بيشوب	٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى
إبراهيم سلامة إبراهيم	مايكل رايس	٥٦٧- الوطن المقتصب
عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر	٥٦٨- الأصول في الرواية

٥٦٩- موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠- نول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١- تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب في زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤- مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥- الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولوذي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرحوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وچودي جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج ١)	جون فيزر ويول سيترجز	باشراف: محمد فتحي عبدالهادي
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود نوات آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاج (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروي أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدي
٥٨٨- أمحوتب الثالث	أنيس كابول	ماهر جويجاتي
٥٨٩- تمبكت العجبية (رواية)	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من المرويات الشعبية الفتنديية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالنواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (ج١)	محمد صبري السوربوني	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الطلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزي
٥٩٥- الحكم والسياسة في أفريقيا (ج٢)	إكوانو بانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وأخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكتمان وإسرائيل	نونالد ريدفورد	بيومي على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوي
٦٠٠- الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢- ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافي	أرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطواويسي
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكي (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦- قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعني

صبرى محمد حسن	هارى سينت فيلبى	٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج١)
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيلبى	٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج٢)
شوقى جلال	أجنر فوج	٦٠٩- الانتخاب الثقافى
على إبراهيم منوفى	رفائيل لويث جوثمان	٦١٠- العمارة المدججة
فخرى صالح	تيرى إيجلتون	٦١١- النقد والأيدولوجية
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	٦١٢- رسالة النفسية
محمد فريد حجاب	كولن مايكل هول	٦١٣- السياحة والسياسة
منى قطان	فوزية أسعد	٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية)
محمد رفعت عواد	أليس بسيرينى	٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٩
أحمد محمود	روبرت يانج	٦١٦- أساطير بيضاء
أحمد محمود	هوراس بيك	٦١٧- الفولكلور والبحر
جلال البنا	تشارلز فيلبس	٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس
بشير السباعى	توماش ماستناك	٦٢٠- السلام الصليبي
فؤاد عكود	وليم ي. أنمز	٦٢١- النوبة المعبر الحضارى
أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى	أى تشينغ	٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانعى	٦٢٣- نواير جحا الإيرانية
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	٦٢٤- أزمة العالم الحديث
محمد برادة	جان جينيه	٦٢٥- الجرح السرى
توفيق على منصور	نخبة	٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
عبدالوهاب علوب	نخبة	٦٢٧- حكايات إيرانية
مجدى محمود المليجى	تشارلس داروين	٦٢٨- أصل الأنواع
عزة الخميسى	نيقولاس جويات	٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية
صبرى محمد حسن	أحمد بللو	٦٣٠- سيرتى الذاتية
ياشرف: حسن طلب	نخبة	٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر
رانيا محمد	بولورس برامون	٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا
حمادة إبراهيم	نخبة	٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)
مصطفى البهنساوى	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	٦٣٤- مكتبة الإسكندرية
سمير كريم	جودة عبد الخالق	٦٣٥- التثييت والتكيف فى مصر
سامية محمد جلال	جناب شهاب الدين	٦٣٦- حج يواندة
بدر الرفاعى	ف. روبرت هنتر	٦٣٧- مصر الخديوية
فؤاد عبد المطلب	روبرت بن ودين	٦٣٨- الديمقراطية والشعر
أحمد شافعى	تشارلز سيميك	٦٣٩- فندق الأرق (شعر)
حسن حبشى	الأميرة أناكومينا	٦٤٠- ألكسياد
محمد قدرى عمارة	برتراند رسل	٦٤١- برتراند رسل (مختارات)
مدوح عبد المنعم	جوناثان ميلر ويورين فان لون	٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور
سمير عبدالحميد إبراهيم	عبد الماجد النريابادى	٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)
فتح الله الشيخ	هوارد دختيرنز	٦٤٤- العلوم عند المسلمين

عبد الوهاب علوب	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	السياسة الخارجية الأمريكية بمساندها الداخلية	٦٤٥-
عبد الوهاب علوب	سپهر نبيح	قصة الثورة الإيرانية	٦٤٦-
فتحي العشري	جون نينيه	رسائل من مصر	٦٤٧-
خليل كلفت	بياتريث سارلو	بورخيس	٦٤٨-
سحر يوسف	جى دى موياسان	الخوف وقصص خرافية أخرى	٦٤٩-
عبد الوهاب علوب	روجر أوين	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	٦٥٠-
أمل الصبان	وثائق قديمة	ديليسيبس الذي لا نعرفه	٦٥١-
حسن نصر الدين	كلود ترونكر	آلهة مصر القديمة	٦٥٢-
سمير جريس	إيريش كستنر	مدرسة الطغاة (مسرحية)	٦٥٣-
عبد الرحمن الخميسي	نصوص قديمة	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	٦٥٤-
حليم طوسون ومحمود ماهر طه	إيزابيل فرانكو	أساطير وآلهة	٦٥٥-
ممدوح البستاوي	ألفونسو ساستري	خيز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	٦٥٦-
خالد عباس	مرثيديس غارثيا أرنال	محاكم التفتيش والموريسكيون	٦٥٧-
صبرى التهامي	خوان رامون خيمينيث	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	٦٥٨-
عبد اللطيف عبد الحليم	نخبة	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	٦٥٩-
هاشم أحمد محمد	ريتشارد فايفيلد	نافذة على أحدث العلوم	٦٦٠-
صبرى التهامي	نخبة	روائع أندلسية إسلامية	٦٦١-
صبرى التهامي	داسو سالديبار	رحلة إلى الجنور	٦٦٢-
أحمد شافعي	ليوسيل كليفتون	امرأة عادية	٦٦٣-
عصام زكريا	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	الرجل على الشاشة	٦٦٤-
هاشم أحمد محمد	بول دافيز	عوالم أخرى	٦٦٥-
جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب	ووفجانج اتش كليمن	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	٦٦٦-
على ليلة	ألفن جولدنر	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	٦٦٧-
ليلي الجبالي	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ثقافات العولة	٦٦٨-
نسيم مجلى	وول شوينكا	ثلاث مسرحيات	٦٦٩-
ماهر البطوطى	جوستاف أنولفو بكر	أشعار جوستاف أنولفو	٦٧٠-
على عبدالأمير صالح	جيمس بولدوين	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	٦٧١-
إيتهاال سالم	نخبة	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	٦٧٢-
جلال الحفناوى	محمد إقبال	ضرب الكليم (شعر)	٦٧٣-
محمد علاء الدين منصور	آية الله العظمى الخميني	ديوان الإمام الخميني	٦٧٤-
باشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٥-
باشراف: محمود إبراهيم السعدنى	مارتن برنال	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	٦٧٦-
أحمد كمال الدين حلمي	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب في إيران (ج١ ، ج١)	٦٧٧-
أحمد كمال الدين حلمي	إدوارد جرانفيل براون	تاريخ الأدب في إيران (ج١ ، ج٢)	٦٧٨-
توفيق على منصور	وليام شكسبير	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٧٩-
سمير عبد ربه	وول شوينكا	سنوات الطفولة (رواية)	٦٨٠-
أحمد الشيمي	ستانلى فش	هل يوجد نص في هذا الفصل؟	٦٨١-
صبرى محمد حسن	بن أوكرى	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	٦٨٢-

صبرى محمد حسن	تى . م . ألوكو	سكين واحد لكل رجل (رواية)	٦٨٣-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأمم القومية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	٦٨٤-
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	الأمم القومية الكاملة (الصمراء) (ج٢)	٦٨٥-
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	امرأة محاربة (رواية)	٦٨٦-
ماجدة العناني	فتانة حاج سيد جوادى	محبوبة (رواية)	٦٨٧-
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م . دوپر وريتشارد أ . موار	الانفجارات الثلاثة العظمى	٦٨٨-
هناء عبد الفتاح	تانووش روجيفيتش	الملف (مسرحية)	٦٨٩-
رمسيس عوض	(مختارات)	محاكم التفتيش فى فرنسا	٦٩٠-
رمسيس عوض	(مختارات)	ألبرت أينشتاين: حياته وغرامياته	٦٩١-
حمدى الجابرى	ريتشارد أيجانسى وأوسكار زاريت	أقدم لك: الوجودية	٦٩٢-
جمال الجزيرى	حائيم برشيت وآخرون	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	٦٩٣-
حمدى الجابرى	جيف كولنز وبييل ماييلين	أقدم لك: دريدا	٦٩٤-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروف	أقدم لك: رسل	٦٩٥-
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	أقدم لك: روسو	٦٩٦-
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروف	أقدم لك: أرسطو	٦٩٧-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	أقدم لك: عصر التنوير	٦٩٨-
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	أقدم لك: التحليل النفسى	٦٩٩-
بسمة عبدالرحمن	ماريو بارجاس يوسا	٧٠٠- الكاتب وواقعه	
منى البرنس	وليم رود فيفيان	٧٠١- الذاكرة والحدائق	
محمود علاوى	أحمد وكيليان	٧٠٢- الأمثال الفارسية	
أمين الشواربى	إيوارد جرانفيل براون	٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	٧٠٤- فيه ما فيه	
عبدالحميد مذكور	الإمام الغزالى	٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	
عزت عامر	جونسون ف. يان	٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	٧٠٧- أقدم لك: فالتر بنيامين	
روحى عباس	دونالد مالكولم ريد	٧٠٨- فراعنة من؟	
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	٧٠٩- معنى الحياة	
دعاء محمد الخطيب	إيان هاتشبائى وجوموران - إليس	٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	٧١١- نرة التاج	
سليمان البستانى	هوميروس	٧١٢- ميراث الترجمة: الإلياذة (ج١)	
سليمان البستانى	هوميروس	٧١٣- ميراث الترجمة: الإلياذة (ج٢)	
حنا صاوه	لامنيه	٧١٤- ميراث الترجمة: حديث القلوب	
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٥- جامعة كل المعارف (ج١)	
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٦- جامعة كل المعارف (ج٢)	
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٧- جامعة كل المعارف (ج٣)	
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٨- جامعة كل المعارف (ج٤)	
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٩- جامعة كل المعارف (ج٥)	
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧٢٠- جامعة كل المعارف (ج٦)	

مصطفى لبيب عبد الغنى	هـ. أ. ولفسون	٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)
المفصفاقلى أحمد القطورى	يشار كمال	٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية
عبدہ الرئيس	بول روينسون	٧٢٤- اليسار الفرويدى
مى مقلد	جون فيتكس	٧٢٥- الاضطراب النفسى
مروة محمد إبراهيم	غيرمو غوثالبيس بوستو	٧٢٦- الموريسكيون فى المغرب
وحيد السعيد	باچين	٧٢٧- حلم البحر (رواية)
أميرة جمعة	موريس آليه	٧٢٨- العولة: تدمير العمالة والنمو
هويدا عزت	صانق زيباكلام	٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران
عزت عامر	آن جاتى	٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية
محمد قنرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	٧٣١- النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف
سمير جريس	إنجو شولتسه	٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)
محمد مصطفى بنوى	وليم شيكسبير	٧٣٣- مأساة عطيل (مسرحية)
أمل الصبان	أحمد يوسف	٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى
محمود محمد مكى	مايكل كويرسون	٧٣٥- فن السيرة فى العربية
شعبان مكاوى	هوارد زن	٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج ١)
توفيق على منصور	باتريك ل. أبوت	٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج ٢)
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٨- عشق من عصر ما قبل التاريخ إلى العولة الملوكية
محمد عواد	جيرار دى جورج	٧٣٩- عشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت العاصر
مرفت ياقوت	بارى هندس	٧٤٠- خطابات السلطة
أحمد هيكل	برنارد لويس	٧٤١- الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسى	خوسيه لاكوادرا	٧٤٢- أرض حارة
شوقى جلال	روبرت أونجر	٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى
سمير عبد الحميد	محمد إقبال	٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زيد	بيك الننبلى	٧٤٥- المآثر السلطانية
حسن النعيمى	جوزيف أ. شومبيتر	٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج ١)
إيمان عبد العزيز	تريفور وايتوك	٧٤٧- الاستعارة فى لغة السينما
سمير كريم	فرانسيس بويل	٧٤٨- تدمير النظام العالمى
باتسى جمال الدين	ل.ج. كالفيه	٧٤٩- إيكولوجيا لغات العالم
ياشرف: أحمد عثمان	هوميروس	٧٥٠- الإلياذة
علاء السباعى	نخبة	٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى
نمر عارورى	جمال قارصلى	٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف
محسن يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	٧٥٣- التنمية والقيم
عبدالسلام حيدر	أنا مارى شيميل	٧٥٤- الشرق والغرب
على إبراهيم منوفى	أندروب. دييكي	٧٥٥- تاريخ الشعر الإشبانى خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إنريكي خاردييل بونثيلا	٧٥٦- ذات العيون الساحرة
أمال الرويى	باتريشيا كرون	٧٥٧- تجارة مكة
عاطف عبدالحميد	بروس روينز	٧٥٨- الإحساس بالعولة

جلال الحفناوى	مولوى سيد محمد	النثر الأردنى	٧٥٩-
السيد الأسود	السيد الأسود	الدين والتصور الشعبى للكون	٧٦٠-
فاطمة ناعوت	فيرجينيا وولف	جيوب منقطة بالحجارة (رواية)	٧٦١-
عبدالعال صالح	ماريا سوليداد	المسلم عدواً و صديقاً	٧٦٢-
نجوى عمر	أنريكو بيا	الحياة فى مصر	٧٦٣-
حازم محفوظ	غالب الدهلوى	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	٧٦٤-
حازم محفوظ	خواجة الدهلوى	ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	٧٦٥-
غازى برو و خليل أحمد خليل	تيرى هنتش	الشرق المتخيل	٧٦٦-
غازى برو	نسيب سمير الحسينى	الغرب المتخيل	٧٦٧-
محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى	حوار الثقافات	٧٦٨-
رندا النشار و ضياء زاهر	فريدريك هتمان	أبناء أحياء	٧٦٩-
صبرى التهامى	بينيتو بيريت جالدوس	السيدة بيرفيكتا	٧٧٠-
صبرى التهامى	ريكاردو جويرالديس	السيد سيجوندى سومبرا	٧٧١-
محسن مصيلحى	إليزابيث رايت	بريخت ما بعد الحدائة	٧٧٢-
ياشرف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزر ويول ستيرجز	دائرة المعارف الدولية (ج٢)	٧٧٣-
حسن عبد ربه المصرى	مجموعة من المؤلفين	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	٧٧٤-
جلال الحفناوى	نذير أحمد الدهلوى	مرآة العروس	٧٧٥-
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	منظومة مصيبت نامه (مج١)	٧٧٦-
عزت عامر	جيمس إ. ليدسى	الانفجار الأعظم	٧٧٧-
حازم محفوظ	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	صفوة المدبح	٧٧٨-
سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكهاشى	نخبة	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	٧٧٩-
سمير عبد الحميد إبراهيم	غلام رسول مهر	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	٧٨٠-
نبيلة بدران	هدى بدران	الطريق إلى بكين	٧٨١-
جمال عبد المقصود	مارفن كارلسون	المسرح المسكون	٧٨٢-
طلعت السروجى	فيك جورج ويول ويلنج	العولة والرعاية الإنسانية	٧٨٣-
جمعة سيد يوسف	بيفيد أ. وولف	الإساعة للطفل	٧٨٤-
سمير حنا صادق	كارل مساجان	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	٧٨٥-
سحر توفيق	مارجريت أنتود	المننبة (رواية)	٧٨٦-
إيناس صادق	جوزيه بوفيه	العودة من فلسطين	٧٨٧-
خالد أبو اليزيد البلتاجى	ميروسلاف فرنر	سر الأهرامات	٧٨٨-
منى الدروبي	هاجين	الانتظار (رواية)	٧٨٩-
جيهان العيسوى	مونيك بوتنو	الفرانكفونية العربية	٧٩٠-
ماهر جويجاتى	محمد الشيمى	المطرد ومعامل المطرد فى مصر القديمة	٧٩١-
منى إبراهيم	منى ميخائيل	دراسات حول الشمس القسيرة لإدريس ومحمود	٧٩٢-
رؤف وصفى	جون جريفيس	ثلاث رؤى للمستقبل	٧٩٣-
شعبان مكاوى	هوارد زن	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)	٧٩٤-
على عبد الرؤف البمبى	نخبة	مختارات من الشعر الإيبانى (ج١)	٧٩٥-
حمزة المزينى	نعوم تشومسكى	أفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	٧٩٦-

طلعت شاهين	نخبة	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلرد ودافيد جيلرد	الإرشاد النفسى للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمى الجمال	أن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-
عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثى	قضايا فى علم اللغة التطبيقى	٨٠٠-
باشراف: محسن يوسف	تقرير نولى	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شربين محمود الرفاعى	ماريا سوايداد	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	٨٠٢-
عزة الخميسى	توماس باترسون	التغيير والتنمية فى القرن العشرين	٨٠٢-
درويش الحلوجى	دانييل ميرفيه-ليجيه وچان بول ويلام	سوسيوولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البربرى	كازو إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المتوسطة	٨٠٦-
خيرى نومة	ميريام كوك	يحيى حقى: تشريح مفكر مصرى	٨٠٧-
أحمد محمود	ديفيد دابليو ليش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج.١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسى	تاريخ الفلسفة السياسية (ج.٢)	٨١٠-
حسن النعيمى	جوزيف أ. شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج.٢)	٨١١-
فريد الزاهى	ميشيل ماقيزولى	تقل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	أنى إرنو	لم أخرج من ليلى (رواية)	٨١٣-
آمال الروبى	ناقتال لويس	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى لبيب عبدالغنى	ه. أ. واقسون	فلسفة المتكلمين (مج.٢)	٨١٥-
بدر الدين عرويكى	فيليب روجيه	العدو الأمريكى	٨١٦-
محمد لطفى جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	٨١٧-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج.١)	٨١٨-
ناصر أحمد وياتسى جمال الدين	أندريه ريمون	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (ج.٢)	٨١٩-
طانيوس أفندى	وليم شكسبير	ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعى (شعر)	٨٢٢-
أحمد شافعى	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (ج.١)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (ج.٢)	٨٢٦-
محمد على فرج	دونالد پ. كول وثرىا تركى	أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلة	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	٨٢٨-
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مناقرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	رق العشق	٨٣٠-
محمد النادى وعطية عاشور	ألبرت أينشتين وايو پولد إنفلد	ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	٨٣١-
حسن النعيمى	جوزيف أ. شومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادى (ج.٢)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنر شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاء الدين منصور	ذبيح الله صفا	كنز الشعر	٨٣٤-

علاء عزمى	بيتر أوربان	٨٢٥- تشيخوف: حياة فى صور
ممدوح البستاوى	مرثيدس غارثيا	٨٢٦- بين الإسلام والقرب
على فهمى عبدالسلام	ناتاليا فيكو	٨٢٧- عناكب فى المصيدة
لبنى صبرى	نعوم تشومسكى	٨٢٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى
جمال الجزيرى	ستيوارت سين ويورين فان لون	٨٢٩- أقدم لك: النظرية النقدية
فوزية حسن	جوتهودا ليسينج	٨٤٠- الخواتم الثلاثة
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٨٤١- هملت: أمير الدانمارك
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)
محمد علاء الدين منصور	نخبة	٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى
سمير كريم	كريمة كريم	٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولة
طلعت الشايب	نيكولاس جويات	٨٤٥- غياب السلام
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	٨٤٦- لطبيعة البشرية
أحمد محمود	مايكل ألبرت	٨٤٧- الحياة بعد الرأسالية
عبد الهادى أبو ريده	يوليوس فلهاوزن	٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ النولة العربية
بدر توفيق	وليم شكسبير	٨٤٩- سونيات شكسبير
جابر عصفور	مقالات مختارة	٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداث
يوسف مراد	كلود برنار	٨٥١- ميراث الترجمة: الطب التجريبي
مصطفى إبراهيم فهمى	ريتشارد دوكنز	٨٥٢- العلم والحقيقة
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	٨٥٣- السارة فى الأتلس: عمارة الفن والمصون (مج١)
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونادو	٨٥٤- السارة فى الأتلس: عمارة الفن والمصون (مج٢)
محمد أحمد حمد	جيرارد ستيم	٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب
عائشة سويلم	فرانتيسكو ماركيت يانو بيانويا	٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى
كامل عويد العامرى	أندريه بريتون	٨٥٧- ناجا (رواية)
بيومى قنديل	ثيو هرمانز	٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٢١٧٢ / ٢٠٠٥

تسطع الفتوحات التي تحققها العلوم الطبيعية على أفق التطور الإنساني بشكل يزداد توتره من وقت لآخر، ولا يكاد يمر يوم دون أن نسمع عن فتح جديد سواء في الكون الأصغر أي الذرة وما دونها، والكون الأكبر وما وراءه أي المجرات والثقوب السوداء. وأمام هذه الفتوحات الخلابة يقف الجميع موقف الانبهار، وهو الأمر الذي يدفع الباحثين الذين ينصب عملهم في مجال العلوم الإنسانية إلى التنقيب عن الأسباب التي تقود خطى تلك العلوم على طريق تحقيق ما تحققه من فتوحات بارزة. وفي هذا الصدد لا يجدون إلا مناهجها ونظرياتها وآلياتها، مما يستطيعون نقله وتطبيقه على المجالات التي يعملون في نطاقها. وهذا هو الحال مع كافة العلوم الإنسانية التي تسعى باستمرار إلى تبني ما تصقله العلوم الطبيعية من أدوات بحثية. وهذا هو موضوع الكتاب الذي يسعى الباحثون الاثنا عشر المشاركون بأوراقهم أو بحوثهم فيه إلى السير بالدراسات الترجمية في اتجاه التحول بالترجمة كنشاط ثقافي تزداد أهميته يوماً بعد يوم من "فن" يخضع للذوق الخاص عند الإنتاج والاستهلاك إلى "علم" يخضع للقياسات الدقيقة اللاشخصية وتقوده المعطيات الموضوعية، وفق منهج صارم، إلى نتائج حتمية قابلة للتكرار.

